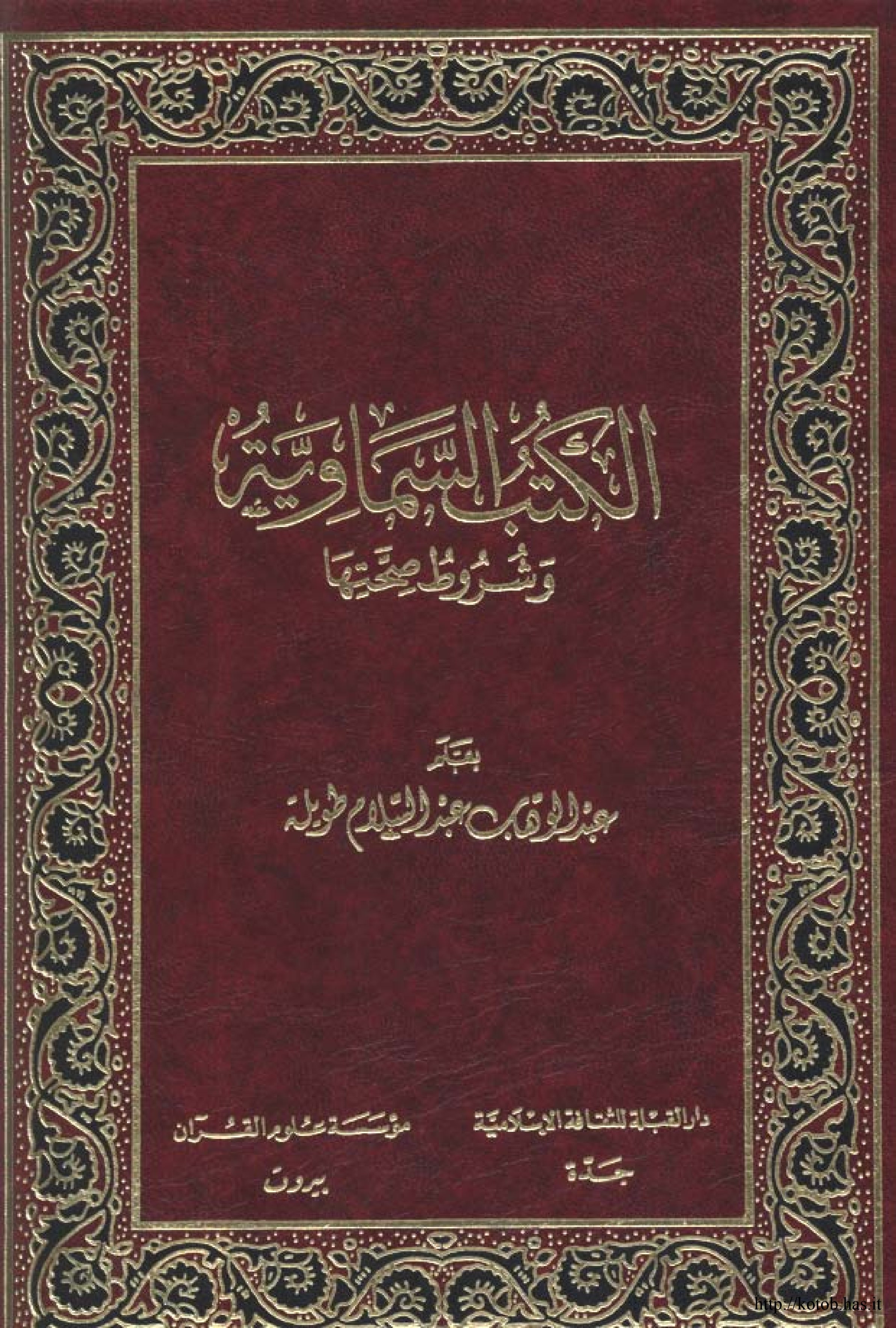

الكتب السماوية
وشروط صحتها
بقلم
عبد الوهاب عبد السلام طويلة
دار القبلة للثقافة الإسلامية
جدة
مؤسسة علوم القرآن
بيروت
http://kotob.has.it


الكتب السماوية
وشروط صحتها

دار القبلة للثقافة الإسلامية

المملكة العربية السعودية - جدة - ص ب: ١٠٩٣٢ - الرمز: ٢١٤٤٣ - ت: ٦٦٥٢٤٠٦ / ٦٦٥٩٩٥١ / فاكس: ٦٦٥٩٤٧٦

مؤسسة علوم القرآن

دمشق - شارع مسلم البارودي - بناء خولي وصلاحي - ص ب: ٤٦٢٠ - ت: ٢٢٤٩٩٠ - بيروت - ص ب: ١١٣/٥٢٨١

إتمام البناء بخاتم الأنبياء

٢



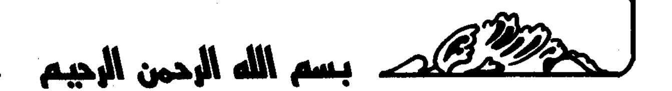
بقلم

عبد الوهاب عبد السلام طويلة

دار القبلة للثقافة الإسلامية
جدة

مؤسسة علوم القرآن
بيروت





توطئة في
شروط صحة الكتاب السماوي

شروط صحة الكتاب السماوي

عن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ : لو يُعطىٰ الناس بدعاويهم، لادعىٰ قوم دماء رجال وأموالهم. ولكن [البينة على المدعي] واليمين على المدعىٰ عليه ـ رواه الشيخان وأبو داود والترمذي والنسائي والبيهقي[1] ـ

قال الشيخ رحمةُ الله بن خليل الهندي في كتابه (إظهار الحق)[2]: اعلم ـ أرشدك الله تعالى ـ أنه لابد لكون الكتاب سماوياً واجب التسليم :

ـ أن يثبت أولاً بدليل تام أن هذا الكتاب، كتب بوساطة النبي الفلاني.

ـ ووصل إلينا بعد ذلك بالسند المتصل، بلا تغيير ولا تبديل.

والاستناد إلى شخص ذي إلهام بمجرد الظن والوهم، لا يكفي في إثبات أنه من تصنيف ذلك الشخص ا هـ.

وما أجمله الشيخ رحمةُ الله فصّله الشيخ محمد أبو زهرة في كتابه (محاضرات في النصرانية)[3]: حيث قال: لأجل أن يكون الكتاب الديني

(١) ما بين القوسين من رواية البيهقي ١٠/٢٥٢ عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ نفسه. وقد حسن إسناد البيهقي الحافظ في الفتح. انظر جامع الأصول ١٠/١٨٣ ـ ١٨٤ بتعليق عبد القادر الأرناؤوط.

(٢) انظر ١/٥٦، طبعة المغرب.

(٣) ص ٩٣ ـ ٩٤، طبعة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد.

حجة، يجب أن يتوافر فيه أمور :

أحدها : أن يكون الرسول الذي نسب إليه قد علم صدقه بلا ريب. . .

ثانيها : ألا يكون ذلك الكتاب متناقضاً، يهدم بعضه بعضاً، فلا تتعارض تعليماته، ولا تتناقض أخباره، بل يكون كل جزء منه متمماً للآخر ومُكمّلاً له. لأن ما يكون من عند الله لا يختلف ولا يفترق ولا يتناقض.

ثالثها : أن يدعي ذلك الرسول أنه أُوحي إليه به. ويدعم ذلك الادعاء بالبينات الثابتة، وهي المعجزات التي بعث بها، ودعا إلى كتابه على أساسها. ويثبت ذلك الادعاء بالخبر المتواتر ، أو يثبت بالكتاب نفسه.

رابعها : أن تكون نسبة الكتاب إلى الرسول الذي نسب إليه ثابتة بالطريق القطعي، بحيث يتلقّاه الأخلاف عن الأسلاف، جيلاً بعد جيل، من غير أي مَظِنة للانتحال. وأساس ذلك التواتر ا هـ.

ونحن على ضوء هذه القواعد والشروط سندرس ـ إن شاء الله ـ مدى صحة الكتب السماوية أو الموحىٰ بها لدى المسلمين، ثم مدى صحة الكتب المقدسة لدى أهل الكتاب من يهود ونصارىٰ.

فهناك تلازم بين كل قوم وكتابهم المقدس. فإذا ثبت بطلان الكتاب وتحريفه، لزم من ذلك فساد العقيدة التي تقوم عليه.

وإنما قدمت البحث في كتب المسلمين، لأذكر ما انفردوا به من قواعد في علم الرواية ونقل الأخبار. وبضدها تتميز الأشياء.

القسم الأول

مصادر التشريع الإسلامي
وتوثيق نصوصها .

وفيه بحثان :

١ ـ توثيق النص القرآني ومراحله .
٢ ـ عناية المسلمين بسنة نبيهم ﷺ .



أصول الدين الإسلامي ومصادر تشريعه

المصدر الحقيقي المنشىء للتشريع في الدين الإسلامي، إنما هو إرادة الله سبحانه الموحىٰ بها إلى رسوله ﷺ في **الكتاب والسنّة** .

أما الكتاب : **فهو القرآن الكريم** الذي أنزله الله سبحانه على رسوله ﷺ بلفظه ومعناه، ليبلغه للناس . وهو أساس الدين والتشريع .

وأما السنة : فهي ما أثر عن الرسول ﷺ من قول أو فعل أو تقرير مستنداً إلى الإقرار الإلّهي . فهي وحي أيضاً . ولما كان البيان القولي هو الأغلبَ فيها، أطلق عليها أيضاً اسم (الحديث الشريف) .

وهي في مقام التشريع تعد مبينة للقرآن ، توضح مجمله، وتفصّل أحكامه، وتبين كيفية تطبيقه واتباعه قال تعالى : ﴿ **ونزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم** ﴾ .

إذاً . فأصول الدين والشريعة منحصرة في مصدرين أساسيين هما الكتاب والسنة، وهما وحي إلّهي ، قام عليهما اجتهاد العلماء فيما بعد . وقد تضمنا أصول الأحكام ومعاييرها في كافة مناحي حياة الإنسان وحاجاته . لذا كانت الشريعة الإسلامية عامة شاملة تسد حاجة الناس في كل زمان ومكان .

معنى الوحي :

يطلق الوحي لغة على الإخبار ـ أو الإعلام ـ الخفي السريع . وأوحى إليه : أي كلمه بكلام يخفيه، كما يطلق على الإلهام أيضاً .

والطرق التي يتلقى بها الأنبياء عن الله سبحانه ثلاثة أنواع وردت في قوله تعالى: ﴿ **وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً ، أو من وراء حجاب ، أو يرسل رسولاً فيوحي بإذنه ما يشاء** ﴾ - الشورى/٥١ -

وذلك لأن الطاقات حين تنتقل من قوي إلى ضعيف ، لا بد أن يكون بينها وسائط، تأخذ من القوي، وتعطي الضعيف. وقدرة الله المطلقة، الواجبة الوجود، لا يمكن لأحد أن يتحملها مباشرة إلا بإذن الله القوي القهار ، ربِّ كل شيء ومليكه.

فالنوع الأول هو الوحي المجرد أو الإلهام يقظة أو مناماً. إذ رؤيا الأنبياء حق ، وهي وحي أيضاً.

والنوع الثاني هو التكليم المباشر من وراء حجاب ، كما جرى لموسى - عليه السلام - حين كلمه ربه في الوادي المقدس، ولمحمد ﷺ ليلة الإسراء والمعراج ، حين فرض الله عليه وعلى أمته الصلاة. وقد خص الله بعض الأنبياء بذلك دون غيرهم. قال تعالى : ﴿ **تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض ، منهم من كلم الله** ﴾.

والنوع الثالث : أن يرسل رسولاً فيوحي بإذنه ما يشاء. وهو جبريل عليه السلام[١].

وهذا النوع تارة يكون خفياً بالباطن ، وهو الغالب ، وتارة يأتي في صورة

---

(١) وأهل الكتاب يسمونه (الناموس) وناموس الرجل: صاحب سره الذي يطلعه على باطن أمره، ويخصه بما يستره عن غيره. ثم صار يطلق على صاحب سر الملك الذي لا يحضر إلا بخير، ولا يظهر إلا الجميل - بعكس الجاسوس ، فإنه صاحب سر الشر. وسمي جبريل ناموساً. لأنه مخصوص بالوحي والغيب اللذين لا يطلّع علهما أحد من الملائكة سواه: انظر مختار الصحاح مادة (ن م س) وجامع الأصول لابن الأثير ١١/٢٨٧.

آدمي ، كما تمثّل لمريم بشراً سوياً، وكما تمثل لمحمد ﷺ في صورة رجل شديد بياض الثياب . .

والقرآن الكريم ما جاء إلا عن طريق واحدة ، ألا وهي ﴿ أن يرسل رسولاً فيوحي بإذنه ما يشاء﴾ أما السنة فقد ثبتت بثلاثة الأنواع . والحديث بعضه توقيفي من الله، وهو الحديث القدسي ، فمعناه من الله، ولفظه من الرسول ﷺ (١) وبعضه توفيقي، أي بتوفيق من الله لرسوله ﷺ وهو الحديث النبوي . ولذلك لا تتلىٰ السنة كما يتلى القرآن .

وقد خص القرآن بذلك ، لكونه معجزة فيها تحدٍّ ، فلا بد أن يكون بوحي من الله ، يُراجع به النبي ﷺ من وقت لآخر .

إن النبي ﷺ حين يأتيه الوحي يكون في منتهى الهدوء ، وفي منتهى السكون والاستقرار . وقد تتغير طبيعته بعض الشيء ، ليتمكن من الأخذ عن الوحي . لكن لا يحدث له إلا ما يحدث لمن يتلقى شيئاً مهماً ثقيلاً ، فكان يشتد عليه ، فتتفصد جبهته وجبيناه بالعرق في اليوم البارد. وكانوا يلاحظون أشياء تحدث منه، وهو في منتهى الثبات والاتزان والاستقرار. فإذا ما انفصلت عنه هذه الحالة ، حكىٰ كل ما أُوحي إليه من ربه .

عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أن الحارث بن هشام ـ رضي الله عنه ـ سأل رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ، كيف يأتيك الوحي ؟ فقال رسول الله ﷺ : « أحياناً يأتني مثلَ صَلْصَلَة الجرس ، وهو أشده علي ، فيفصِم عني وقد وَعَيْت ما قال، وأحياناً يتمثل لي الملَكُ رجلاً، فيكلمني فأعي ما يقول » .

قالت عائشة ـ رضي الله عنها ـ: ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد ، فيفصِم عنه ، وإن جبينه ليتفصد عرقاً ـ أخرجه الشيخان ومالك في الموطأ والترمذي ، واللفظ للبخاري ـ

---

(١) ذهب بعض أهل العلم إلى أن لفظ الحديث القدسي من عند الله أيضاً. لكنه يختلف عن القرآن من نواحٍ أهمها أنه ليس فيه إعجاز.

وعن عبادة بن الصامت ـ رضي الله عنه ـ قال: كان النبي ﷺ، إذا أنزل عليه الوحي عرفنا ذلك فيه، وغمض عينيه، وتربّد وجهه. فنزل عليه يوماً فسكتنا، فلما سُرِّي عنه قال: خذوا عني خذوا عني، قد جعل الله لهن سبيلاً... الحديث ـ أخرجه مسلم ـ.

وعن يعلىٰ بن أمية ـ رضي الله عنه ـ أنه كان يقول لعمر ـ رضي الله عنه ـ: ليتني أرى رسول الله ﷺ حين ينزل عليه الوحي. فلما كان النبي ﷺ بالجِعْرانة، وعليه ثوب قد أُظِل به عليه، ومعه ناس من أصحابه، فيهم عمر. إذ جاء رجل مُتضمِّخ بطيب فقال: يا رسول الله كيف ترى في رجل أحرم في جبة بعدما تضمخ بطيب؟ فنظر النبي ﷺ ساعة، ثم سكت، فجاءه الوحي. فأشار عمر إلى يعلىٰ: أن تعال. فجاء يعلى فأدخل رأسه، فإذا هو محمر الوجه، يغِط لذلك ساعة. ثم سُري عنه. قال: «أين الذي سألني عن العمرة آنفاً؟» فالتُمِس الرجل، فجيء به إلى النبي ﷺ فقال: «أما الطيب الذي بك، فاغسله ثلاث مرات، وأما الجبة فأنزعها، ثم اصنع في عمرتك كما تصنع في حجك» ـ أخرجه الشيخان والنسائي ـ.

وعن عمر ـ رضي الله عنه ـ قال: كان رسول الله ﷺ إذا نزل عليه الوحي يُسمع عند وجهه كدويّ النحل، فأُنزل عليه يوماً، فمكث ساعة، ثم سُري عنه، فقرأ: ﴿ **قد أفلح المؤمنون** ... إلى عشر آيات منها ﴾ وقال: «من أقام هذه العشر آيات دخل الجنة»، ثم استقبل القِبلة ورفع يديه وقال: «اللهم زدنا ولا تَنقُصنا، وأكرمنا ولا تهنا، وأعطنا ولا تحرمنا، وآثرنا ولا تؤثر علينا، اللهم أرضنا وارض عنا» ـ أخرجه الترمذي والحاكم[1] ـ.

كان الوحي ينزل عليه بالنجم الطويل من القرآن، فيستغرق وقتاً ليحكيه ويقرأه، فإذا ما قرأه رسول الله ﷺ وكتبه كتبةُ الوحي، عاد فقرأه في الصلاة. ولا

---

(١) وحسنه الأرناؤوط في تعليقه على جامع الأصول ١١/٢٨٢.

شك أنه حين قرأ فكتبوا، وحين أعاد، كان كما كتبوا. وهو بـذلك يقيم الـدليل على أنه مؤيد من الله ﴿ سنقرئك فـلا تنسىٰ ﴾. فهل هنـاك في الوجـود واحد يستطيع أن يقول كلاماً ، قد يستغرق الساعة فأكثر، ثم يقال له أعده كما قلته، فيعيده كما قاله ؟![1].

---

(١) انظر في هذا البحث فتاوي ابن تيمية ١٢/١٢٨ ـ ١٢٩، و٢٧٩ ـ ٢٨٠ و٣٠٠ و٣٩٦ ـ ٣٩٧، ٤٠٠ ـ ٤٠٤، ١٣/٣٤٢، ١٧/٥٢٦ و٥٢٩.



البحث الأول

توثيق النص القرآني ومراحله

ويحتوي على الأبواب التالية :

١ ـ نزول القرآن منجماً وكتابته وحفظه في زمن النبي ﷺ

٢ ـ نزول القرآن على سبعة أحرف والمراد بها وحكمتها .

٣ ـ تعميم العرضة الأخيرة بعد وفاة النبي ـ ﷺ ـ . . . .

٤ ـ القراءات العشر المتواترة، ومعيار القراءة الصحيحة .

٥ ـ امتناع تحريف القرآن الكريم .

أ ـ توثيق النص القرآني ومراحله

لقد انفرد القرآن الكريم من بين الكتب المقدسة التي سبقته ، بتوثيقه توثيقاً مكيناً ، وصل إلى الذِروة . وهذا هو سر خلوده وأحد مفاتيح إعجازه .

إن الكتب السابقة قد أوكل حفظها إلى علمائها. قال تعالىٰ : ﴿ **إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور ، يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا ، والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله ، وكانوا عليه شهداء** ﴾ المائدة/ ٤٤ ـ

قال الزمخشري[1] في قوله تعالى : ﴿ **بما استحفظوا من كتاب الله** ﴾ : بما سألتْهم أنبياؤهم حفظَه من التوراة. أي بسبب سؤال أنبيائهم إياهم أن يحفظوه من التغيير والتبديل. ﴿ **وكانوا عليه شهداء** ﴾ أي رقباء لئلا يبدل. ا هـ.

أما القرآن الكريم فقد تكفل الله بحفظه حيث قال: ﴿ **إنا نحن نزلنا الذكر، وإنا له لحافظون** ﴾ ـ الحجر/ ٩ ـ وقد عني المسلمون الأولون والآخرون بحفظ القرآن وسلامته عنايةً ملكت عليهم كل مشاعرهم وأحاسيسهم كما سيأتي . فكانت هذه العناية مصداقاً للآية الكريمة .

(١) الكشاف ١/ ٦١٥ طبعة دار المعرفة. وانظر في ذلك مجموع فتاوي ابن تيمية ٤/ ١٦٨ ـ ١٦٩ .

١ ـ نزول القرآن منجماً وكتابته وحفظه

نزول القرآن منجماً :

نزل القرآن الكريم منجماً خلال ثلاث وعشرين سنة لأسباب عديدة منها مايلي :

١ ـ تثبيت فؤاد النبي ﷺ قال سبحانه : ﴿ **وقال الذين كفروا : لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة * كذلك لنثبت به فؤادك ، ورتلناه ترتيلاً** ﴾ الفرقان/٣٢ ـ

أي أنزلناه كذلك مفرقاً لنثبت به فؤادك. والتثبيت يكون من الوجوه التالية :

أ ـ إذا شاهد النبي ﷺ ـ جبريل عليه السلام ـ ينزل بالآيات حالاً بعد حال ، قوي قلبه بذلك ، ويكون هذا معيناً له على الصبر واحتمال الأذى، ومقوياً له على أداء ما تحمل .

ب ـ إن السِفارة بين الله وأنبيائه ، وتبليغ كلامه إليهم منصب عظيم وجاه رفيع ، وفيه أنس وسكينة ، فلو نزل القرآن دفعة واحدة، لزال هذا المنصب ، وذهب ذلك الأنس.

جـ ـ كان النبي ﷺ يضيق صدره بإيذاء المشركين له ، كما أخبر سبحانه ﴿ **ولقد نعلم أنه يضيق صدرك بما يقولون** ﴾ وبنزول القرآن منجماً يقص الله عليه من قصص الأنبياء ما يناسب حاله ، كما قال سبحانه ﴿ **وكلاً نقص عليك**

من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك، وجاءك في هذه الحق ، وموعظة وذكرى للمؤمنين ﴾ ـ هود ١١/ ١٢٠ .

د ـ إن النبي ﷺ لم يكن من أهل القراءة والكتابة . فلو نزل عليه جملة واحدة، لجاز أن يخطىء فيه ، ولربما اعتمد على كتابة الكتاب ، وتساهل في حفظه . فلما نزل منجماً حفظه ، وبقيت سنة الحفظ في أمته.

وكان جبريل ـ عليه السلام ـ يعارض النبي ﷺ بالقرآن كل سنة في شهر رمضان.

عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال : كان رسول الله ﷺ أجودَ الناس ، وكان أجودَ ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل . وكان يلقاه جبريل في كل ليلة من رمضان ، فيدارسه القرآنَ، ولرسول الله ﷺ حين يلقاه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة ـ أخرجه البخاري ومسلم والنسائي ـ

وفي رواية لهم : وكان جبريل يلقاه كل ليلة من رمضان حتى ينسلخ ، يعرض عليه النبي ﷺ القرآن.

وقد ثبت أن النبي ﷺ عرض القرآن أيضاً بعد تمامه على جبريل ـ عليه السلام ـ عرضتين ، ثم قرأه على أصحابه ـ بعد ذلك على الترتيب الذي نعرفه[1] .

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: كان يعرض على النبي ﷺ القرآن كل عام مرة، فعرض عليه مرتين في العام الذي قبض فيه ـ أخرجه البخاري ـ

وعن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال : إن الله تابع الوحي على رسول الله ﷺ قبل وفاته، حتى توفاه أكثر ما كان الوحي ، ثم توفي رسول الله ﷺ بعد ـ أخرجه البخاري ومسلم ـ

والقرآن الكريم المكتوب في المصحف العثماني الذي بين أيدينا هو الذي

---

(١) البرهان في علوم القرآن ١/ ٢٣٢ .

نزل على رسول الله ﷺ في العرضة الأخيرة بترتيبه ، من غير تقديم أو تأخير ، وبدون زيادة أو نقصان .

٢ ـ ليتكرر التحدي بالإعجاز، إلى أن يأخذ كماله ، فإنـه لما تم شـرط الإعجاز بنجم منه، كان باكتماله أكثر تحدياً. وإنه لما تحداهم من أول الأمر، فكأنه تحـداهم بكل واحـد من نجومـه، فلما عجـزوا عنه، كـان عجزهم عن معارضة الكل من باب أولىٰ .

٣ ـ لتستعد القُوى الإنسانية لتلقي هذا الفيض الإلٓهي، ولتقوى على وعيه وفهمه. فإنه لو نزل بالأحكام دفعة واحـدة، لثقل ذلـك على الناس. وبنـزوله مفرقاً نزلت التكاليف قليلاً قليلاً ، وحصل التدرج في الأحكام . ومن ثم كان تحملها أسهل ، وتقبلها أكثر كما في تحريم الخمر. قال سبحـانه: ﴿ **وقـرآناً فرقناه ، لتقرأه على الناس على مكث ، ونزلناه تنزيلاً** ﴾ الإسراء/١٠٦ ـ

٤ ـ كان القرآن ينـزل بحسب الأسئلة والوقـائع والمنـاسبات ، كمـا هو واضح في أسباب النزول . فكانوا يزدادون بصيرة. ولو نزل دفعة واحدة ، لفات هذا الغرض .

٥ ـ إن المسلمين كان يحصل لهم إيـذاء شديـدٌ وكثيرٌ من المشـركين . فكان الكفار بحاجة إلى إنذار وتحذير ، والمسلمون بحاجة إلى تثبيت وترغيب. وكان الله سبحانه ينزل في كل موضع من القصص ما يناسبه. ومن ثم كان بعض المشركين يدخل في الإسلام. وحال السلف تكون عبرة للخلف.

٦ ـ لتيسير كتابته وإحكام حفظِه. فإن الرسول ﷺ شرع لأمته سنة حفظ القرآن كاملاً . ولو نزل جملة واحدة على أمة أمية ، لا يقرأ غالبهم ولا يكتب ، لشق عليهم حفظه، وثقـل لفظه[1] .

---

(١) لـطائف الإشارات لفنـون القراءات لشهـاب الدين القسـطلاني ص ٢٤، إظهـار الحق ٥٦/٢ ـ ٥٩.

كتابة القرآن وحفظه حين نزوله :

كان النبي ﷺ دقيقاً كل الدقة، وحريصاً كل الحرص على كتابة القرآن وعدم اختلاط غيره به . فكان له كتاب وحي يتلقفون ما ينزل عليه ، فيكتبونه في وعي وإدراك ودقة وإتقان [1].

وكان الصحابة - رضي الله عنهم - يتلقّوْن هذا القرآن من فم النبي ﷺ ويتسابقون إلى حفظه ، ويتبارَوْن في تلاوته. والنبي ﷺ بينهم يعرِضون عليه ما حفظوا، ليتثبتوا من حفظه على ما سمعوا منه. كما كانوا يسمعون منه تلاوته في الصلوات الجهرية وغيرها، مع بيان أحكامه وكشف معانيه. فعاش الصحابة - رضي الله عنه - في رحاب نزول القرآن حافظين وقارئين ودارسين.

وكان النبي ﷺ يأمر بكتابة الوحي وقت نزوله ، ويقف أصحابه - رضي الله عنه - عند الكتابة أو الحفظ على ترتيب آيات السور ، ويعلمهم مواضعها منها، فما نزلت آية إلا وقد أمر رسول الله ﷺ مَنْ يكتب أن يضعها في موضع كذا من سورة كذا [2].

وكان الصحابة الحاضرون يعلمون من لم يشهد النزول من إخوانهم فضلاً عن أهل بيتهم. فيجري التنافس الكبير على حفظه وتلاوته. وقد شارك النساءُ الرجالَ في هذه المنافسة والشرف العظيم [3].

وهكذا كان حفظ القرآن وكتابته يسيران جنباً إلى جنب ، ليلتقي المكتوب بالمحفوظ ، فكلاهما توثيق للآخر . وما من آية إلا وقد كان يحفظها ويكتبها جمع تقوم الحجة بنقلهم.

لقد كان الحفظة كثيرين جداً، قتل منهم في غزوة (بئر معونة) قرابة

---

(١) النشر ١ /٦ .

(٢) مقدمتان في علوم القرآن ص ٥ ، الإتقان ١ /٦١ ، الفوائد في مشكل الآثار للعز بن عبد السلام ص ٢٦ - ٢٧ .

(٣) الإتقان ١ /٧٢ ، مقدمتان في علوم القرآن ص ٢٧ .

سبعين. أما كتاب الوحي، فقد بلغ عددهم تسعة وعشرين كاتباً، أشهرهم الخلفاء الخمسة الأوائل والزبير بن العوام وسعيد بن العاص وأُبي بن كعب وزيد بن ثابت ـ رضي الله عنهم ـ [1].

وقد تمثل حرص النبي ﷺ على كتابة القرآن حين نزوله على هذا المستوى الكبير من الدقة والإتقان في منع كتابة أي شيء سوى القرآن، حتى لا يختلط به ما ليس منه، ومنعاً لِلّبسِ وإزالةً للشبهة.

عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ قال: لا تكتبوا عني، ومن كتب عني غير القرآن فليمحه، وحدثوا عني ولا حرج ـ أخرجه مسلم ـ

وصفوة القول : إن الرسول ﷺ لم ينتقل إلى جوار ربه إلا وكان القرآن كله مكتوباً ومحفوظاً لدى العدد الكبير من الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ فأدّوه إلىٰ من بعدهم مصوناً من أي تحريف، منزهاً عن أي تغيير، فكانوا حفظته الأول ورواده الميامين.

ثم تواتر نقل القرآن الكريم هكذا على هذه الشاكلة، حفظاً وكتابة من جيل إلى جيل في مشارق الأرض ومغاربها، حتى وصل إلينا سالماً مبرءاً من أي زيادة أو نقصان.

وقد علمت الخاصة والعامة من جميع الأمم أن هذا القرآن هو الذي تلقته الأمة عن رسول الله ﷺ وتواترت الأخبار بذلك، بحيث لا يشك باحث منصف في أن محمداً ﷺ أتى به، وأخبر أن الله قد أوحىٰ به إليه، وأن من اتبعه أخذه حفظاً وكتابة بشكل متواتر، ثم أخذ عنهم بالطريقة ذاتها حتى وصل إلينا. وليس ثمة شيء من الأسفار المقدسة لدى اليهود والنصارى يمكن أن يقارن بهذا أدنىٰ مقارنة. كما سيأتي إن شاء الله[1].

---

(١) الإتقان ١ / ٧٠.

(٢) الفصل لابن حزم ٢ / ٨١.

٢ ـ نزول القرآن على سبعة أحرف

اللغة التي نزل بها القرآن :

كانت قريش بجميع بطونها أشهر القبائل العربية في الفصاحة والبلاغة لأسباب عديدة. أهمها ما يلي :

أ ـ كانت متوسطة الدار بعيدة عن مجاورة الأعاجم مع بعدها عن الصحراء. فسلمت بذلك لغتها من التأثر بالعجمة وأساليب العجم، ومن غلظة أهل الصحراء وجفائهم.

يقول ابن خلدون في مقدمته[1]: كانت لغة قريش أفصح اللغات العربية وأصرحها. لبعدها عن بلاد العجم من جميع جهاتها.

ب ـ كانت مكة ـ بما أكرمها الله من وجود البيت العتيق فيها ـ مهوى أفئدة العرب ، تفد إليها مختلف القبائل ، ولا سيما في الأشهر الحرم وموسم الحج ، ومعها زعمائها وفصحاؤها وشعراؤها. فتختلط بهم قريش، وتسمع منهم ، وتقتبس من كلامهم ما تستحسنه وتستعذبه ، وتتجنب رديئة وسقيمه. وبذلك نمت لغتها وازدهرت.

قال الفراء : جاوروا البيت ، فكانت تفزع إليهم القبائل على تنوعها،

---

(١) ص ٤٠٩ الفصل ٣٢ من القسم السادس. انظر العصر الجاهلي لشوقي ضيف الطبعة الثانية دار المعارف بمصر ص ١٣٣.

ويخاطبونهم، فيختارون من كل لغة فصحاها، ومن كل وجه أحسنه. فجاؤوا فِصاحاً صُباحاً[1].

وقال أبو نصر الفارابي: كانت قريش أجود العرب انتقاءً للأفصح من الألفاظ، وأسهلها على اللسان عند النطق، وأحسنها مسموعاً، وأبينها إبانة عما في النفس[2].

ويقول أحمد بن فارس نقلاً عن إسماعيل بن أبي عبد الله: أجمع علماؤنابكلام العرب على أن قريشاً أفصح العرب ألسنة، وأصفاهم لغة. وذلك أن الله اختارهم من جميع العرب، فجعل قريشاً قُطّان حرمه، وجيران بيته، فكانت وفود العرب تفد إلى مكة، وتتحاكم إلى قريش. وكانت قريش مع فصاحتها إذا أتتها الوفود تخيرت من كلامهم وأشعارهم أحسن لغاتهم، وأصفى كلامهم. فاجتمع ما تخيروا من تلك اللغات إلى نحائزهم وسلائقهم التي طبعوا عليها، فصاروا بذلك أفصح العرب[3].

جـ - كانت قوافلها التجارية تجوب أنحاء الجزيرة العربية من غير أن يتعرض لها أحد. بل العكس هو الصحيح. وذلك لما تتمتع به من مركز ديني، إذ كانت حارسة الكعبة وخادمة الحجيج.

وبذلك كله تهيأ للغة قريش أن يعلو سلطانها في الجاهلية على سائر اللغات القبلية المختلفة، وأن تصبح هي اللغة الأدبية الفصحىٰ التي يصوغون فيها أفكارهم وأحاسيسهم[4].

وصفوة القول: كانت مكة حاضرة عربية أصلية متوسطة في مركزها. وكانت قريش أفصح القبائل، ولغتها أشهر اللغات في الأدب والشعر. بل كانت

---

(١) انظر لطائف الإشارات ص ٣٣، مجلة كلية القرآن الكريم العدد الأول ص ١٠٣.

(٢) انظر العصر الجاهلي لشوقي ضيف ص ١٣٢.

(٣) المرجع السابق والصفحة ذاتها. والنص فيه بعض التصرف.

(٤) المرجع السابق ص ١٣٣.

ذائعة قبل ظهور الإسلام. وكان رسول الله ﷺ أفصح العرب، وهو قرشي فكان من مقتضيات التحدي أن ينزل القرآن بلغة قريش المتأثرة بمن جاورها أو وفد إليها من فصحاء العرب على أعلى مستوى وأرفع درجة[1].

أدلة نزول القرآن بلغة قريش:

كانت لغة قريش هي الفصحىٰ التي عمت وسادت في الجاهلية، ثم نزل القرآن بها، فثبتها إلى الأبد. ومن الأدلة على ذلك ما يلي:

١ ـ قوله تعالى: ﴿ **وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم** ﴾ إبراهيم/٤ ـ وقوله: ﴿**فإنما يسرناه بلسانك لعلهم يتذكرون**﴾ ـ الدخان/٥٨ ـ.

ذهب بعض المفسرين إلى أن قومه هم قريش. بدليل قوله سبحانه: ﴿ **وكذب به قومك وهو الحق**﴾. أما كنانة، فهم جيران قريش.

أخرج ابن مردويه عن عثمان ـ رضي الله عنه ـ ﴿**إلا بلسان قومه**﴾ قال: نزل القرآن بلغة قريش. وأخرج ابن المنذر عن مجاهد نحوه[2].

٢ ـ كتب عمر بن الخطاب إلى ابن مسعود ـ رضي الله عنهما ـ: إن القرآن أُنزل بلغة قريش. فأقرىء الناس بلغة قريش، ولا تقرئهم بلغة هذيل. وذلك حين أقرأ ﴿ **عتى حين** ﴾ بالعين[3].

٣ ـ ورد في حديث ابن شهاب الآتي أن عثمان ـ رضي الله عنه ـ قال للرهْط القرشيين: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن ـ وللبخاري من رواية شعيب بن أبي حمزة: في عربية من عربية القرآن ـ فاكتبوه

---

(١) مجموع فتاوي ابن تيمية ١٥/٨٨ و٢٥١، فتح الباري ٩/٢٢، الزينة ١/١٤٦، العصر الجاهلي ص ١٣٤.

(٢) مجموع فتاوي ابن تيمية ١٥/٢٥٤، تفسير الشوكاني (فتح القدير) ٣/٩٥ مطبقة البابي الحلبي.

(٣) مجموع فتاوي ابن تيمية ١٥/٢٥٤، إيضاح الوقف والابتداء لابن الأنباري ١/١٣.

بلسان قريش ، فإنما نزل بلسانهم .

وزاد في رواية أخرىٰ : قال ابن شهاب : اختلفوا يومئذ في (التابوت) فقال زيد : (التابوه) وقال ابن الزبير وسعيد بن العاص (التابوت) فرفع اختلافهم إلى عثمان ـ رضي الله عنه ـ فقال : اكتبوه (التابوت) فإنه بلسان قريش .

ورُوي الحسين بن فارس بسنده عن هانيء قال : كنت عند عثمان ـ رضي الله عنه ـ وهم يعرضون عليه المصاحف ، فأرسلني بكتف شاة إلى أبي بن كعب ـ رضي الله عنه ـ فيها : « لم يتسن » و« فأمهل الكافرين » و« لا تبديل للخلق » . قال : فدعا بالدواة ، فمحا إحدى اللاميين وكتب «لخلق الله » ، ومحا « فأمهل » ، وكتب «فمهّل » ، وكتب « لم يتسنه » ألحق فيها هاء[1] .

٤ ـ وروى أبو عبيد القاسم بن سلّام بسنده عن عطاء بن يسار عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ في قوله تعالى : ﴿بلسان عربي مبين﴾ قال : بلسان قريش . ولو كان غير عربي ما فهموه[2] .

---

(١) الصاحبي ص ١٣ .

(٢) لغات القبائل الواردة في القرآن ص ٤١ ـ ٤٢ تحقيق السيد عبد الحميد طلبة طبعة جامعة الكويت سنة ١٩٨٥ م هذا . وقد ذهب بعض المستشرقين إلى أن القرآن لم ينزل بلغة قريش ، وإلى أن قريشاً لم تكن أفصح العرب . يقول شوقي ضيف في (الأدب الجاهلي) ص ١٣١ ـ ١٣٢ : يدل الشعر العربي على أن قبائل العرب الشمالية اصطلحت فيما بينها على لهجة أدبية فصحىٰ . كان الشعراء على اختلاف قبائلهم وتباعدها وتقاربها ينظمون فيها شعرهم . . . ومن ثم اختفت الخصائص التي تميزت بها كل قبيلة في لهجتها ، فلم تتضح في شعر شعرائهم إلا قليلاً . وقد اختلفت آراء المستشرقين في هذه اللهجة التي كان الشعراء يتخذونها لغة شعرهم . وآراؤهم ـ إن سلمنا بصدقهم ـ إنما تعتمد على الفرض والحدْس . ولا شك أن بعضهم إنما أراد أن يناقض أشد المناقضة ما استقر في نفوس أسلافنا من أن هذه اللهجة الفصحى إنما هي لهجة قريش التي نزل بها القرآن الكريم . ثم يقول ص ١٣٣ ـ ١٣٤ : إن شيوع لهجة بعينها لا بد أن تقترن به حالة سياسية أو روحية أو حضارية تهيّء لها هذا الشيوع والانتشار . فإذا طلبنا ذلك في غير قريش أعوزنا الدليل . وإذا طلبناه في قريش وجدنا =

إنزال الحروف السبعة :

ظل المسلمون في مكة ثلاث عشرة سنة يقرؤون القرآن على حرف واحد بلغة قريش منْ غير عناء أو مشقة . لأن معظمهم كان ينتمي إلى قبيلة قريش ومن جاورها بمكة. لكن الأمر اختلف بعد الهجرة إلى المدينة. فقد دخل في

= أسباباً كثيرة تعين عليه. فقد كانت مهوى أفئدة العربِ في الجاهلية، وكان لها نفوذ واسع بسبب مركزها الديني والاقتصادي. وكان العرب يجتمعون إليها في أعيادها الدينية وفي أسواقها القريبة والبعيدة. ومما يدعم ذلك ما قاله الرواة من أن العرب كانت تعرض أشعارها على قريش، فما قبلوه منها كان مقبولاً، وما ردوه منها كان مردوداً. فلهجة قريش هي الفحصىٰ التي عمت وسادت في الجاهلية، لا في الحجاز فحسب بل في كل القبائل العربية شمالاً وغرباً وشرقاً وفي اليمامة والبحرين، حتى إنها اقتحمت أبواب الجنوب ا هـ بتصرف.

وأخرج الرازي بسنده عن قتادة أن معاوية ـ رضي الله عنه ـ قال يوماً: أي الناس أفصح ؟ فقام رجل فقال : قوم ارتفعوا عن قَرَاتِيَهِ العراق، وتياسروا عن كسكسة بكر، وتيامنوا عن كشكشة تميم، ليس فيهم غَمْغمة قضاعة، ولا طَمْطَمانِيَّة حِمْير. قال: من هم ؟ قال: قومك قريش. قال: صدقت ممن أنت ؟ قال: من جَرم. قال أبو الفضل الرازي: وقد سمعت هذه الحكاية من وجه آخر، وفيها: ارتفعوا عن قراتيّة العراق، بتشديد الياء، ولعلها الإمالات الكثيرة المشبعة التي توجد في لسان أهل الحيرة. وأما في هذه الرواية، فالقراتية، على قاف وتخفيف الياء، وهي الانعقاد الذي يوجد في كلام المستعربين الذين ليسوا من صميم العرب. يقال منه : قَرَت الدم: إذا انعقد واشتد. وقد سمعت فيها كثكثة بكر، وهي لغة، غير أن روايتنا بالسين، وهو إبدال السين من الكاف. وكذلك لخلخانِيَة العراق، وهي العجمة، كما أن الطمطمانية كذلك ـ انظر مجلة كلية القرآن الكريم ص ١٠٤ نقلاً عن حديث الأحرف السبعة مخطوط ق ٤٤ ـ

وعن يحيىٰ بن يزيد السعدي أن النبي ﷺ قال: أنا أعربكم: أنا من قريش، ولساني لسان سعد بن بكر ـ أخرجه ابن سعد في الطبقات، وهو مرسل، وقد رمز السيوطي في الجامع الصغير لصحته ـ.

واشتهر بين أهل اللغة والنحو أن النبي ﷺ قال: «أنا أفصح العرب ـ أو أنا أفصح من نطق بالضاد ـ بيد أني من قريش» وكلاهما لا أصل له ولا إسناد كما في كشف الخفاء ومزيل الإلباس فيما اشتهر على ألسنة الناس ٢ /٢٣٨ حديث رقم ٨٠٩،

وروي الطبراني عن أبي سعيد مرفوعاً: «أنا النبي لا أكذب، أنا ابن عبد المطلب. أنا =

الإسلام أبناء القبائل الأخرىٰ، وبدأت بوادر المشقة تظهر على الألسنة التي اختلفت لهجاتها، وتغايرت لغاتها مع لغة القرآن ولهجته. ومع ذلك استمر نزول القرآن بلهجته القرشية. إذ كان من السهل على أهل المدينة ومن حولها أن يقيموا ألسنتهم على لهجة قريش. لأنهم من أهل الحاضرة، ولِمَا بين مكة والمدينة من صلات وتمازج. لكن الصورة زادت وضوحاً بعد فتح مكة وإقبال الوفود من مختلف قبائل العرب، وبخاصة من أطراف الجزيرة شمالاً وجنوباً وشرقاً، فإنها من أبعد الديار عن قريش، وأبعد اللهجات عن لهجتها. فأشفق النبي ﷺ على أمته، واشتكى إلى ربه مما تلاقيه من صعوبة في تعلم القرآن طالباً التخفيف، ولا سيما أنهم أمة أميّة، بيانهم ولسانهم بالفطرة والاعتياد، لا بالقراءة والكتابة. فأكثرهم لا يعرفها. ومن كان كذلك كان نقل الجبال أهون عليه من نقله عن لغته وزحزحته عن لهجته. وبخاصة العجوز والشيخ والصغير. فهؤلاء أكثر مشقة وأشد عناءً[1].

أعرب العرب، ولدتني قريش، ونشأت في بني سعد بن بكر، فأنىٰ يأتيني اللحن» وهو ضعيف، قال الهيثمي: فيه بسر بن عبيد، وهو متروك ـ انظر فيض القدير ٣/٣٨ ـ.
وقد رأى ابن هشام أن لـ (بيد) معنيين: الأول بمعنى غير. والثاني بمعنى من أجل. وجعلها في الحديث بمعنى من أجل. ثم قال: وقال ابن مالك وغيره: إنها بمعنى غير على حد قول الشاعر (النابغة الذبياني):

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم ... بهن فلول من قراع الكتائب

انظر مغني اللبيب ١/١٢٢ بتحقيق المبارك وحمد الله والأفغاني طبعة دار الفكر.

(١) روى أبو حاتم السجستاني أنه قال في كتابه الكبير في القراءات: قرأ عليّ أعرابي بالحرم: «الذين آمنوا وعملوا الصالحات، طيبىٰ لهم وحسن مآب». فقلت: طوبىٰ. فقال: طيبىٰ. فلما طال علي، قلت: طو، طو. قال: طي، طي. فلم يستطع أن يثني طبعه. لأن لهجته القبلية في مثل طوبىٰ مما وزنه فُعلىٰ، تنطقه طيبىٰ على وزن فِعلىٰ بكسر الفاء، فتقلب الواو ياءً والضمة في أول الكلمة كسرة ا هـ فلم ينفع في الأعرابي لفت أبي حاتم ولا تمرينه له على نطق طوبىٰ. فلمثل ذلك نزل الترخيص. انظر العصر الجاهلي لشوقي ضيف ص ١٣٥.

واستجاب الله لنبيه ﷺ ؛ فجاء الترخيص في أن تقرأ كل قبيلة بلغتها ولهجتها ، لكن بعد أن تتلقى ذلك من رسول الله ﷺ . والتقىٰ رسول الله ﷺ بجبريل ـ عليه السلام ـ عند أضاة بني غفار ـ أو عند أحجار المرا ـ ليتلقى البشرى بإنزال الحروف السبعة(١) .

ومن الجدير بالذكر أن الأحرف القرآنية كانت مأخوذة من معظم لغات القبائل العربية ، غير أنها منتقاة من فصيحها وجيدها. ولقريش في ذلك النصيب الأوفر. وذلك لأن لغات القبائل لم تكن كلها بمستوى واحد في الفصاحة وقوة البيان وحسن اللسان . بل كانت هناك لغات رئيسية يرجع إليها البلغاء والشعراء وسائر أرباب الفصاحة والبيان. وكانت قريش بجميع بطونها وقبائلها أشهر هذه القبائل في الفصاحة والبلاغة كما سلف(٢) .

من الأحاديث الواردة في الأحرف السبعة :

١ ـ عن أبي بن كعب ـ رضي الله عنه ـ قال: كنت في المسجد فدخل رجل يصلي(٣)، فقرأ قراءة أنكرتها، ثم دخل آخر فقرأ قراءة سوى قراءة صاحبه. فلما قضينا الصلاة، دخلنا جميعاً على رسول الله ﷺ فقلت: إن هذا قرأ قراءة أنكرتها عليه. فدخل آخر فقرأ سوى قراءة صاحبه. فأمرهما رسول الله ﷺ فقرآ. فحسَّن النبي ﷺ شأنهما. فسُقط في نفسي من التكذيب، ولا إذ كنت في الجاهلية. فلما رأى رسول الله ﷺ ما قد غشيني ، ضرب في صدري، ففضت عرقاً، وكأنما أنظر

(١) مقدمة تفسير القرطبي ١/٤٢ ، مجلة كلية القرآن ص ٩٣ ـ ٩٥ .

(٢) وكان ثمة لغات أخرىٰ لبعض القبائل، تكاد تكون مهجورة من قبل أرباب البيان لقلة فصاحتها وضعف مستواها الأدبي وكثرة العيوب اللغوية فيها. مع أنها لا تخلو من نماذج قليلة تعد من فصيح الكلام. وانظر المجلة ص ١٠٢ ـ ١٠٣ .

(٣) وقد ذكر اسمه في رواية سليمان بن صُرد عند ابن جرير والبيهقي. وهو عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ وليس فيها ذكر اسم الرجل الآخر. وكذلك في رواية ابن عباس عند النسائي ورواية أنس عند ابن جرير. وقد ورد التصريح بالسورة التي اختلفوا فيها في روايات أخرجها ابن جرير. وهي سورة النحل ـ المجلة ص ٣٤ ـ ٣٥ .

إلى الله فَرَقاً[1]. فقال لي : يا أبي أرسل إلى أن اقرأ القرآن على حرف. فرددت إليه : أن هوّن على أمتي. فرد إلى الثانية: أن اقرأه على حرفين. فرددت إليه : أن هوّن على أمتي. فرد إلي الثالثة : أن اقرأه على سبعة أحرف. ولك بكل ردة رددتكها مسألة تسألينها. فقلت: اللهم اغفر لأمتي، اللهم اغفر لأمتي. وأخرت الثالثة ليوم يرغب إليّ الخلق كلهم حتى إبراهيم[2] أخرجه مسلم والنسائي وأحمد وابن جرير[3].

هذا لفظ مسلم. وفي رواية ابن معقل عند النسائي قال: يا أُبَيّ إنه أنزل القرآن على سبعة أحرف. كلهن شاف كاف.

وفي رواية أخرى لمسلم أخرجها أبو داود والنسائي من رواية مجاهد عن ابن أبي ليلىٰ. وأخرجها من عدة وجوه عنه أيضاً ابن جرير وأحمد في مسنده : قال : إن النبي ﷺ كان عند أضاة بني غفار[4]. فأتاه جبريل عليه السلام فقال : إن الله يأمرك أن تَقْرأ أمتُك القرآن على حرف ـ وفي لفظ أبي داود والنسائي وابن

---

(1) الفرق : الفزع. وفي لفظ ابن جرير: ففِضت عرقاً، وامتلأ جو في فرقاً. وفي رواية وكيع أن النبي ﷺ قال : « أعاذك الله من الشك، وأخسأ عنك الشيطان ». وفي رواية عبيد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ: اللهم أَخْسِىء الشيطان عنه. وفي رواية محمد بن فضيل: أعيذك بالله من الشك والتكذيب ـ المجلة ص ٣٥ ـ ٣٦.

(2) هذا يدل على أنه سقط من هذه الرواية ذكر ردة أخرىٰ. وقد جاءت مبينة في الرواية الثانية. والزيادة من الثقة مقبولة. وقوله: « ولك بكل ردة رددتكها مسألة تسألنيها ». معناه : مسألة مجابة قطعاً.

(3) وأخرجه أبو عبيد والطيالسي والبيهقي. وقد ورد عن أُبيّ ثلاث أحاديث من خمس طرق ـ المجلة ص ٣٣ ـ ٣٤ ـ .

(4) الأضاة : الغدير. وجمعها . أضىٰ ، مثل حصاة وحصىٰ . وأضاة بني غفار. موضع بالمدينة. ومنازل بني غفار : غربي سوق المدينة وبالسائلة من أحبل جهينة إلى بُطحان ـ جامع الأصول ٢/٤٨٣ ، المجلة ص ٣٩.

وقد ذكر في رواية الطيالسي أن المكان كان عند أحجار المرىٰ . وفي رواية ابن جرير: أحجار المراء. وهي قباء، أو موضع فيها ـ المجلة ص ٤٠ ـ ٤١.

جرير : أن تُقرِىء أُمتَك القرآن على حرف ـ فقال : أسأل الله معافاته ومغفرته ، وإن أمتي لا تطيق ذلك ـ وفي رواية عند ابن جرير : أسأل الله مغفرته ومعافاته، إنهم لا يطيقون ذلك . فسل لهم التخفيف ـ ثم أتاه الثانية فقال : إن الله يأمرك أن تَقْرأَ أمتُك القرآن على حرفين. فقال: أسأل الله معافاته ومغفرته ، وإن أمتي لا تطيق ذلك. ثم جاءه الثالثة فقال : إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على ثلاثة أحرف. فقال : أسأل الله معافاته ومغفرته، وإن أمتي لا تطيق ذلك. ثم جاءه الرابعة فقال : إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على سبعة أحرف. فأيما حرف قرؤوا عليه فقد أصابوا.

وعند الترمذي من طريق عاصم بن بَهْدَلة المقرىء عن زِر بن حبيش عن أُبيّ ـ وأخرجه الطيالسي وابن جرير والطحاوي وأحمد كلهم عن عاصم ـ قال: لقي رسول الله ﷺ ـ جبريل عليه السلام ـ فقال : يا جبريل إني بعثت إلى أمة أميين ، منهم العجوز والشيخ الكبير والغلام والجارية والرجل الذي لم يقرأ كتاباً قط ـ وعند الطيالسي : والرجل العاسي . وعند الطحاوي : فيهم الشيخ الكبير والعجوز والغلام والخادم والشيخ الفاني الذي لم يقرأ كتاباً قط ـ قال: يا محمد إن القرآن أنزل على سبعة أحرف(١).

٢ ـ وعن حذيفة بن اليمان ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: لقيت جبريل عند أحجار المِرا، فقلت : يا جبريل إني أرسلت إلى أمة أمية : الرجل والمرأة والغلام والجارية والشيخ الفاني الذي لم يقرأ كتاباً قط. فقال: أنزل القرآن على سبعة أحرف ـ أخرجه أبو عبيد ـ

وعند أحمد قال: لقي رسول الله ﷺ جبريل ، وهو عند أحجار المِرا فقال : إن أمتك يقرؤون القرآن على سبعة أحرف. فمن قرأ منهم على حرف، فليقرأ كما عُلم، ولا يرجع عنه. وفي المسند: وقال ابن مهدي: إن من أمتك

---

(١) وقد حسن عبد القادر أرناؤوط في تعليقه على جامع الأصول ٢/٤٨٣ رواية الترمذي والنسائي.

الضعيف. فمن قرأ على حرف، فلا يتحول إلى غيره رغبة عنه.

ولو فرضت لغة قريش على العرب من أول الأمر، وهم ينتمون إلى قبائل عديدة، وأمر كل فريق منهم أن يزول عن لغته وما جرى عليه اعتياده طفلاً وناشئاً وكهلاً لاشتد ذلك عليهم، وعظمت المحنة فيه، ولم يتمكنوا من ذلك إلا بعد رياضة للنفس وتذليل للسان وقطع للعادة. وبالتالي لا تتسنى لهم قراءة القرآن، ولا يتمكنوا من إتقانها وفهمها في مدة وجيزة. بل يحتاجون إلى مكابدة ومعاناة. وهم خلال القراءة تزل ألسنتهم كثيراً عن النطق الصحيح، وتنحرف إلى ما اعتادته من لهجات. وهذا ما لا يريده النبي ﷺ[1].

٣ ـ وعن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت هشام بن حكيم بن حزام يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله ﷺ فاستمعت لقراءته. فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة، لم يقرئنيها رسول الله ﷺ فكِدت أساوره في الصلاة ـ وفي رواية مالك: فكدت أعجل إليه ـ فتربصت حتى سلّم فلَبَّبته بردائه[2]، فقلت: من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرؤها؟ قال: أقرأنيها رسول الله ﷺ فقلت: كذبت، فإن رسول الله ﷺ أقرأنيها على غير ما قرأت ـ وفي رواية معمر ويونس: كذبت، فوالله إن رسول الله ﷺ لهو أقرأني هذه السورة التي تقرؤها ـ فانطلقت به أقوده إلى رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله، إني سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها. فقال رسول الله ﷺ: «أرسله، اقرأ يا هشام». فقرأ عليه القراءة التي كنت سمعته يقرأ فقال رسول الله ﷺ: «هكذا أنزلت». ثم قال النبي ﷺ: «اقرأ يا عمر». فقرأت القراءة التي أقرأني. فقال رسول الله ﷺ: «هكذا أنزلت. إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف. فاقرؤوا ما تيسر منه ـ أخرجه الجماعة وغيرهم ـ

(١) تأويل مشكل الآثار لابن قتيبة ص ٣٠، مجلة كلية القرآن الكريم ص ٩٤.

(٢) أساوره: أواثبه وأغالبه. فتربصت: فانتظرت: فلببته: جمعت عليه ثوبه الذي يلبسه، وقبضت عليه أجرّه. انظر جامع الأصول ٢/ ٤٧٩.

٤ ـ وعن أبي المنهال قال: بلغنا أن عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ قال يوماً، وهو على المنبر، أَذْكَرَ اللهُ رجلاً سمع النبي ﷺ قال: أنـزل القرآن على سبعة أحرف ، كلها شاف كاف ، لما قام. فقاموا حتى لم يُحصَوْا. فشهدوا أن رسول الله ﷺ قال : « أنزل القرآن على سبعة أحرف، كلها شاف كـاف: فقال عثمان : وأنا أشهد معهم ـ رواه أبو يعلى في مسنده[1].

وقد سجل كبار الصحابة ـ رضي الله عنه ـ هذه الأحرف على قلوبهم عن طـريق الحفظ، وعلى قراطيسهم عن طـريق الكتـابـة. ولم تكن القـراءة على الأحرف السبعة على سبيل الإيجاب، بل على سبيل الرخصة . بدليل مـا جاء في حديث عمر ـ رضي الله عنه ـ « فاقرؤوا ما تيسـر منه». نقـل أبو شـامة عن بعض الشيوخ أنه قال: أنزل القرآن أولاً بلسان قريش ومن جاورهم من العرب الفصحاء. ثم أبيح للعرب أن يقرؤوه بلغاتهم التي جرت عـادتهم باستعمـالها على اختلافهم في الألفاظ والإعراب. ولم يكلف أحد منهم الانتقـال الى لغة أخـرى للمشقة ا هـ قـال ابن حجـر[2] : وتتمـة ذلـك أن يقـال: إن الإبـاحـة المذكورة لم تقع بالتشهي ـ أي أن كل واحد يغير الكلمة بمرادفها في لغته ـ بل المراعىٰ في ذلك السماع من النبي ﷺ ا هـ.

وصفوة القول : إن القـراءات مرجعهـا إلى الرواية والنقل عن النبي ﷺ

---

(١) قـال الهيثمي في مجمع الـزوائد ١٥٢/٧ : فيـه راو لم يسم ا هـ وهـو الـذي بَيْنَ أبي المنهال وبين عثمان ـ رضي الله عنه ـ فإن أبا المنهال لم يلقَ عثمان . مع أن أبا المنهال ثقة وحديثه في الكتب الستة ـ النشر ١ /٢١ ، المجلة ص ٣٢ ـ وحديث الأحرف السبعة اتفق الحفاظ على تواتره ، وقد خرجه الأئمة في كتبهم ، فلا يكاد يخلو منه مصنف في الحديث . وقد سرد ابن كثير طرقه ورواياته في فضائل القرآن ، كما أفاض الحافظ فيه شرحاً وتفصيلاً في الفتح وابن قتيبة الدينـوري في مشكل القـرآن . وقد رواه أكثـر من عشرين صحابيـاً، ورواه عنهم جمع عـظيم من التابعين والأئمـة بطرق وأسـانيد كثيـرة ـ الإتقان ١ /٤٥ ، المجلة ص ٢٧ ـ ٢٩ و ٥٦ .

(٢) فتح الباري ٢٢/٩ ، لطائف الإشـارات ١/ ٣٥ .

وليس لأحد أن يقرأ بلغته كما يشاء[1].

المراد بالأحرف السبعة :

لا ريب في أن معنى الأحرف السبعة كان معلوماً لدى الصدر الأول من الأمة، ولا سيما الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ وقد قرؤوا بها وأقرؤا الناس. والشارع لا يؤخر البيان عن وقت الحاجة. والأمة محتاجة إلى معرفة كُنْهِ هذه الأحرف لتقرأ بها، وتأتي رخصة ربها. فلا بد أنها كانت معلومة لديهم حتى تتحقق الحكمة من الرخصة. ولذلك لم يرد في الروايات أن الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ سألوا النبي ﷺ عن ذلك أو سُئلوا عنه. والسبب في ذلك هو وضوح المراد من الأحرف لديهم بشكل جعلها غير محتاجة إلى تفسير. وإنما وقعت الحاجة في بداءة الأمر لإزالة ما وقع في نفوس بعضهم من شبهة الاضطراب في كتاب الله عز وجل. فأزال النبي ﷺ عنهم هذه الخواطر والشبهات العارضة. ولعل سبب ذلك ـ والله أعلم ـ أنه لما نزلت الرخصة بقراءة القرآن على حروف متعددة، أقرأ رسول الله ﷺ الوافدين عليه من القبائل بلهجاتهم. ولم يعلم بعض أصحابه القرشيين بذلك، فأنكر على من سمعه يقرأ القرآن بغير لغة قريش.

أما بعد الصدر الأول، فقد اختلف العلماء في المراد بالأحرف السبعة اختلافاً كثيراً[2]. ولعل الراجح ـ والله أعلم ـ ما ذكره الدكتور عبد العزيز القارىء في مجلة القرآن الكريم والدراسات الإسلامية حيث قال[3] : «الأحرف

---

(١) ولو كان الأمر كذلك لوجدنا في القراءات العيوب الخاصة في لهجات العرب والتي كان يتجنبها الفصحاء كالكشكشة وغيرها.

(٢) حتى بلغت الأقوال التي ذكرها السيوطي في الإتقان أربعين قولاً. انظر ١/٤٥ في طبعة البابي الحلبي، و١/١٣١ ـ ١٤٢. في طبعة مكتبة المشهد الحسيني بمصر، وفتح الباري ٩/٣٣ ـ ٣٦، ومقدمة نفسير القرطبي ١/٤٢ فما بعد، وجامع البيان ١/٢١، و٦٧، والنشر ١/١٩ ـ ٣٣.

(٣) انظر مجلة كلية القرآن ص ٧٨ ـ ٧٩، وذكر ص ٧٩ أنه وجد في كلام العلماء شذرات =

السبعة: وجوه متعددة\متغايرة منزلة من وجوه القراءة ، يمكنك أن تقرأ بأي منها، فتكون قد قرأت قرآناً منزلاً ».

ومن الجدير بالذكر أن الحروف السبعة لا تتضمن تناقضاً في المعنى أو تضاداً. بل إن معناها تارة يكون متفقاً تماماً، وتارة يكون متقارباً. وقد يكون

مبعثرة ولمحات منتشرة جمعها وعرضها على البراهين والمناقشة، فتوصل إلى هذا التعريف. وقال ص ٨١، بعد أن بين طريقته في ذلك: وبهذا يتبين أننا لم نأت بكلام من عند عنفسنا، أو فهم ابتكرناه لم يسبقنا إليه سلف. بل سبقنا إليه المحققون. إلا أنه قول متفرق في كلامهم لم يجمع في موضع واحد، ولم يرتبه مصنف واحد. بل وجدنا عند كل منهم جزءاً، وعثرنا على طرف. فكل واحد منهم لم يستوعب المسألة أو يشف الغليل، بل تناولها من بعض الجوانب التي تجلت له بعد إعمال فكره فيه ا هـ وسيأتي شرح هذا التعريف في آخر الحاشية إن شاء الله.

وسبب اختلاف العلماء أن (الحرف) لفظ مشترك يصدق لغة على معان كثيرة منها : حرف الهجاء، والمعنىٰ، والجهة، وغير ذلك. وليس في الأحاديث عبارة صريحة تعين المراد بالأحرف السبعة وتفصله. والقرائن في العادة هي التي تبين المراد من اللفظ المشترك وتوضح معناه. وهنا تختلف وجهات نظر العلماء. وهذا ما حصل. وسأذكر في هذه الحاشية أهم الأقوال وأشهرها مع ذكر من أيدها من المعاصرين ، ومع مناقشة الدكتور عبد العزيز لها بتصرف وزيادة في بعض الأحيان:

١ ـ ذهب بعضهم إلى أن حقيقة العدد غير مرادة. لأن لفظ (السبعة) يطلق في لسان العرب ويراد به الكثرة في الآحاد، كما يطلق لفظ (السبعين) ويراد به الكثرة في العشرات. وكأن مرادهم أنه رُخّص للصحابة ـ رضي الله عنهم ـ أن يقرأ كل منهم بلغته دون تحديد. انظر المجلة ص ٥٨.

ونسب هذا القول إلى القاضي عياض. وأيده الدكتور إبراهيم أنيس في كتابه (اللهجات العربية) ص ٣٨ ـ ٣٩، فرأى أن المراد بالسبعة هو مجرد التعدد، لا حقيقة العدد. لأن العدد سبعة يعبر عن الكثرة والتعدد في الأساليب العربية ا هـ وهذا القول يؤدي الى مشروعية القراءة بالمعنىٰ، وأنه كان مرخصاً للصحابة ـ رضي الله عنهم ـ أن يبدلوا اللفظ المنزل بمرادفه من لغاتهم. وبالتالي يسقط الإعجاز بالنص القرآني. وسبب هذا القول شبهة التبست في فهم الأحاديث التالية :

١ ـ ما رواه أبو داود وابن جرير من طريق قتادة عن أُبيّ ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال له: « يا أُبيّ إني أُقْرِئتُ القرآن »، فقيل لي : على حرف أو حرفين ؟

معنى أحدهما غير معنى الآخر ، لكن كلاهما حق . وهو اختلاف تنوع وتغاير ، تتعاضد فيه المعاني ولا تتعارض .

ومن القراءات ما يكون المعنى فيها متفقاً من وجه متبايناً من وجه آخر . فهذه القراءات كلها حق وكل قراءة مع القراءة الأخرى بمنزلة الآية مع الآية . يجب الإيمان بها كلها، واتباع ما تضمنته من المعنى علماً وعملاً[1] .

---

(١) مجموع فتاوي ابن تيمية ١٣/ ٣٩١ و٤٠١ ، النشر ١/ ٤٩ ، و٥٢ .

= فقال الملك الذي معي : قل : على حرفين . فقيل لي : على حرفين أو ثلاث؟ فقال الملك الذي معي : قل : على ثلاثة . فقلت : على ثلاثة . حتى بلغ سبعة أحرف . ثم قال : ليس منها إلا شاف كاف ، إن قلت (سميعاً عليماً ، عزيزاً حكيماً) ما لم تختم آية عذاب برحمة ، أو آية رحمة بعذاب .

٢ ـ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال : « أنزل القرآن على سبعة أحرف ، (عليم حكيم ، غفور رحيم) » ـ أخرجه ابن جرير في تفسيره ـ .

وأخرجه أحمد بإسنادين عن محمد بن عمرو . إلا أنه قال في أحدهما : (عليماً حكيماً ، غفوراً رحيماً) بالنصب . وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/ ١٥١ وقال : رواه كله أحمد بإسنادين ، ورجال أحدهما رجال الصحيح . ورواه البزار بنحوه ا هـ وأخرجه ابن جرير أيضاً من رواية محمد بن عجلان المقبري عنه ـ رضي الله عنه ـ مرفوعاً : إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف . فاقرؤوا ولا حرج ، ولكن لا تختموا ذكر رحمة بعذاب ، ولا ذكر عذاب برحمة . وأخرجه أيضاً الطحاوي في مشكل الآثار من وجه آخر عن محمد بن عجلان . ـ انظر المجلة ص ٤٧ ـ ٤٨ ـ .

٣ ـ وعن أبي بكرة الأنصاري ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « قال لي جبريل : اقرؤوا القرآن على حرف » فقال ميكائل : استزده . فقال : على حرفين ، حتى بلغ ستة أو سبعة أحرف . فقال : كلها شافٍ كافٍ ، ما لم يختم آية عذاب برحمة ، أو آية رحمة بعذاب . كقولك : (هلم وتعال) ـ أخرجه أحمد وابن جرير والطبراني والطحاوي كلهم عن علي بن زيد بن جُدعان . وهو ضعيف ، روى له مسلم مقروناً ـ وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/ ١٥١ : رواه أحمد والطبراني بنحوه . وفيه علي بن زيد بن جُدعان . وهو سيّءُ الحفظ ، وقد توبع . وبقية رجال أحمد رجال الصحيح ا هـ انظر المجلة ص ٥٢ ـ ٥٣ ـ . =

. . . .

٤ ـ عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: إن هذا القرآن أنزل على حروف. والله إنْ كان الرجلان ليختصمان أشدَّ ما اختصما في شيء قط. فإذا قال القارىء: هذا أقرأني. قال: أحسنت. وإذا قال الآخر. قال: كلاكما محسن. ثم قال: إن هذا القرآن لا يختلف ولا يستشن ولا يثفه لكثرة الرد. فمن قرأه على حرف فلا يدعه رغبة عنه، ومن قرأه على شيء من تلك الحروف التي علم رسول الله ﷺ فلا يدعه رغبة عنه. فإن من جحد بآية منه جحد به كله. فإنما هو كقول أحدكم لصاحبه: أعجل وحيهلا. والله لو أعلم رجلاً أعلم بما أنزل على محمد ﷺ مني لطلبته حتى أزداد علمه إلى علمي ـ أخرجه أحمد عن عبد الرحمن بن عابس قال: ثنا رجل من همدان من أصحاب عبد الله، وما سماه لنا. وأخرجه ابن جرير من رواية زبيد اليامي عن علقمة النخعي عن ابن مسعود. وفي إسناده علتان: إحدهما علي بن أبي اللهبي. قال عنه النسائي وأبو حاتم: متروك. والأخرى انقطاعه، فزبيد اليامي لم يدرك علقمة. كما أن روايات أحمد فيها راوٍ لم يسم. ووصف بأنه من همذان ـ المجلة ص ٤٥ ـ ٤٦.

وفي راوية أنه قال: إني سمعت القرأة، فوجدتهم متقاربين، فاقرؤوا كما عُلمتم، وإياكم والتنطع. فإنما هو كقول أحدكم: هلم وتعال وأقبل.

فهم قد فهموا من ظاهر هذه الأخبار أنه كان مرخصاً للصحابة ـ رضي الله عنهم ـ أن يبدلوا ألفاظ القرآن المنزلة. وليس كذلك، فإن الأحاديث المذكورة غاية ما تفيده أن النبي ﷺ أراد التمثيل لنوع التغاير والاختلاف الواقع بين الأحرف السبعة المنزلة، وأنه ليس ثمة تناقض أو تضاد في المعنى بين حرف وآخر يلزم منه ما توهمه بعضهم من وقوع الاضطراب في القرآن. فالاختلاف بين هذه الأحرف اختلاف تنوع، فهو يشبه الاختلاف بين (عليماً حكيماً، وغفوراً رحيماً فإنها كلها من صفات الله عز وجلّ، ويدل على ذلك ما يلي:

١ ـ عن علي ـ رضي الله عنه ـ قال: إن رسول الله ﷺ يأمركم أن تقرؤوا كما عُلمتم ـ رواه أحمد وابن جرير وأبو الفضل الرازي. فهو صريح في أن القراءة لا تجوز إلا بما ثبت نقله وسُمع من النبي ﷺ وعلى هذا التأويل تحمل الأحاديث التي احتجوا بها، بدليل قول ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ: فاقرؤوا كما عُلمتهم ـ مجموع فتاوى ابن تيمية ١٣/٣٩٧ و٣٩٩ ـ.

٢ ـ حديث أبيّ ـ رضي الله عنه ـ السابق وفيه أن جبريل قال للنبي ﷺ: إن الله يأمرك أن تقرىء أمتك القرآن على سبعة أحرف.

وهذا صريح أيضاً في أن ما لم يقْرىء به النبي ﷺ ليس من الأحرف السبعة المرخص بها.

٣ ـ إن الصحابة الذين نقل إلينا أنهم اختلفوا في القراءة، وأنكر بعضهم على بعض في بادىء الأمر لم ينقل إلينا أن أحدهم قرأ بشيء من عند نفسه وباجتهاده. بل كل منهم يقول: أقرأني النبي ﷺ وبهذا يتبين أن الرخصة كانت مقيدة بما أنزل على النبي ﷺ وما أقرأ به. وليس لأحد أن يقرأ إلا بما تلقىٰ عنه ﷺ فإذا ثبت هذا بطل قولهم: إن حقيقة العدد غير مراده، وأنه من قِبل ما استعملته العرب وأرادت به الكثرة. فيقال: ليس هذا من ذاك، لأن النصوص الواضحة دلت على التحديد ـ المجلة ص ٦٥ ـ ٦٧.

ومما يدل على أن العدد مراد هنا، التدرج في إنزال الأحرف. وقد أشارت إليه الأحاديث التالية:

عن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ قال: أقرأني جبريل على حرف، فراجعته، فزادني، فلم أزل استزيده ويزيدني، حتى انتهى إلى سبعة أحرف ـ رواه الشيخان وابن جرير وعبد الرزاق ـ.

وزاد مسلم: قال ابن شهاب: بلغني أن تلك السبعة الأحرف، إنما هي في الأمر الذي يكون واحداً، لا يختلف في حلال ولا حرام.

فقد أشار الحديث إلى التدرج إجمالاً، بيد أن حديث أُبيّ ـ رضي الله عنه ـ السابق أشار إلى ذلك تفصيلاً حيث جاء فيه: «إن الله يأمرك أن تقرىء أمتك على حرف. فقال ﷺ: أسأل الله معافاته ومغفرته، وإن أمتي لا تطيق ذلك. ثم جاءه الثانية... ثم جاءه الرابعة فقال: إن الله يأمرك أن تقرىء أمتك القرآن على سبعة أحرف».

فهذا التدرج لا يكون له أي معنى لو لم يكن تحديد العدد مراداً. ومراجعة الرسول ﷺ في المرة الأولى ثم في الثانية ثم في الثالثة تدل على أنه فهم من الأمر في كل مرة التحديد.

هذا. وقد فهم بعض الحذاق من المحققين من العبارة الخاصة بالعدد، وهي قوله: «على سبعة أحرف» التحديد والتقييد بالسبعة، إذ وجد أن الرسول ﷺ استخدم حرف (على) دون غيره فكأن فيه إشعاراً بالشرطية. وتقدير الكلام: ان تقرأ أمتُك القرآن بأحرف متعددة، على أن لا تتجاوز سبعة أحرف. وهذا فهم دقيق لطيف ـ انظر فتح الباري ٢٨/٩ والمجلة ص ٨٤ ـ ٨٥.

وصفوة القول: إن القراءات ما دامت منزلة بوساطة جبريل عليه السلام عن رب العالمين جلّ جلاله إلى رسوله ﷺ وتوقيفية من رسول الله ﷺ إلى أصحابه ـ رضي الله

= عنهم ـ فلا بد أن تكون محددة بعدد. وقد بينت الأحاديث أن هذا العدد هو سبعة.

ب ـ وذهب بعض آخر إلى أن المراد سبع لغات من لغات العرب الفصحىٰ، أُنزل القرآن بها، فهي متفرقة فيه. وبعض هذه اللغات أسعد حظاً بالقرآن من بعض. ثم اختلفوا في تحديد اللغات السبع التي فسروا بها الأحرف:

١ ـ ونصر هذا القول البيهقي في شعب الإيمان، وابن الأثير في جامع الأصول ٢/٤٧٩: حيث قال: أراد بالحرف اللغة، يعني: على سبع لغات من لغات العرب. وليس معناه أن يكون في الحرف الواحد سبعة أوجه. ولكن نقول: هذه اللغات السبع مفرقة في القرآن، فبعضه بلغة قريش، وبعضه بلغة هذيل، وبعضه بلغة هوازن، وبعضه بلغة اليمن اهـ.

٢ ـ وقال أبو عبيد القاسم بن سلام عن سعيد بن عَروبة عن قتادة عمن سمع ابن عباس يقول: نزل القرآن بلغة الكعبين: كعب قريش، وكعب خزاعة، قيل له: وكيف ذاك؟ قال: لأن الدار واحدة.

وقال أبو عبيد: ويُروى عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ قال نزل القرآن على سبع لغات، منها خمس بلغة العَجُز من هوازن.

قال أبو عبيد: والعجز هم: سعد بن بكر، وجُشَم بن بكر، ونصر بن معاوية، وثقيف. وهذه القبائل هي التي يقال لها: (عُليا هوازن). ـ المجلة ص ٥٨ ـ ٥٩ ـ.

٣ ـ وقال أبو حاتم السجستاني: نزل بلغة قريش، وهُذَيل، وتميم، والأزد، وربيعة، وهوازن، وسعد بن بكر اهـ ـ لطائف الإشارات ـ ص ٣٣.

٤ ـ وذهب أبو علي الأهوازي إلى أن اللغات السبع كلها في بطون قريش لقوله تعالى: ﴿وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه﴾ إبراهيم/٤ ـ قال: هي لغات قريش ومن ينتهي نسبه إليها، لنزوله بلغتهم، لأنهم قوم الرسول ﷺ وهي أفصح اللغات اهـ ـ لطائف الإشارات ص ٣٣ ـ وللأثرين عن عمر وعثمان ـ رضي الله عنهما ـ أنه نزل بلغة قريش.

٥ ـ وذهب بعضهم إلى أنها كلها في مُضَر.

وحكى ابن عبد البر عن بعضهم أنها: هُذيل، وكنانة، وقيس، وضَبّة، وتَيْم الرباب، وأسد بن خُزيمة، وقريش. فهذه قبائل مضر تستوعب في قولهم سبع لغات ـ الإتقان ١/١٣٥. والمجلة ص ٦٠ ـ

ويُضعِف هذا القول أمور منها ما يلي:

١ ـ اختلاف القائلين به في تعيين تلك اللغات وحصرها. ولو كان المراد ما قالوه لما =

خفي على الصحابة ـ رضي الله عنه ـ تعيينه، وهم قد أُقرئوا تلك الأحرف وقرؤوها. ولما خفي علينا، وقد بلغنا معظم تلك الأحرف.

أما الأثران المرويان عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ فلا تقوم بهما حجة لضعف إسنادهما، فأولهما رواه قتادة عن مجهول لم يسمه فهو مبهم. والآخر من رواية الكلبي وهو كذاب.

٢ ـ إن المتأمل في القراءات القرآنية يجدها مشتملة على لغات كثيرة لا تنحصر فيما ذكروا. بل إننا نجد أصحاب هذا القول من اللغويين يذكرون من لغات العرب في القرآن الشيء الكثير، بل إن أبا عبيد نفسه ألف كتاباً جمع فيه عدداً كبيراً من مفردات القرآن نسبها إلى مختلف لغات العرب. وليست منحصرة فيما ذكروا. ـ المجلة ص ٦٨ ـ ٦٩، وقد طبعت الكتاب جامعة الكويت عام ١٩٨٥ م بتحقيق عبد الحميد السيد طلبة ـ

قال القاضي أبو بكر الباقلاني: إن الظاهر في قوله تعالى ﴿ إنا جعلناه قرآناً عربياً ﴾ ـ الزخرف/٣ ـ أنه نزل بجميع ألسنة العرب. ومن زعم أنه أراد مضر دون ربيعة، أو هما دون اليمن، فعليه البيان. لأن اسم العربي يتناول الجميع تناولاً واحداً. ولو ساغت هذه الدعوة لساغ لآخر أن يقول: نزل بلسان بني هاشم مثلاً، لأنهم أقرب نسباً إلى النبي ﷺ من سائر قريش اهـ ـ لطائف الإشارات ص ٣٥ ـ

جـ ـ وذهب ابن جرير الطبري إلى أن هذه اللغات السبع تكون في الكلمة الواحدة في الحرف الواحد باختلاف الألفاظ واتفاق المعاني، كقول القائل: هلم، وأقبل، وتعال، وإليّ، وقصدي، ونحوي، وقربي، ونحو ذلك مما تختلف فيه الألفاظ بضروب من المنطق، وتتفق فيه المعاني، وإن اختلفت بالبيان الألسن. ـ مجلة ص ٥٨ ـ ٥٩ ـ.

قال الطبري بعد أن ذكر عدة أحاديث في نزول القرآن على سبعة أحرف: «صح وثبت أن الذي نزل به القرآن من ألسن العرب، البعض منها دون الجميع، إذ كان معلوماً أن ألسنتها ولغاتها أكثر من سبعة، بما يعجز عن إحصائه».

ويبرهن على دعواه بأنه نزل بسبع لغات، وأمر بقراءته على سبعة ألسن فيقول: إن عمر وابن مسعود وأبيّ تماروا في القرآن، فخالف بعضهم بعضاً في نفس التلاوة دون ما في ذلك من المعاني، ثم احتكموا فيه إلى النبي ﷺ فاستقرأ كلاً منهم، ثم صوب جميعهم في قراءاتهم على اختلافها» تفسير الطبري ١/١٥.

ويوافق الطبري في هذا المنحى ابن عبد البر، فهي في رأيه سبعة أوجه من المعاني المتفقة بالألفاظ المختلفة نحو أقبل وهلم وتعال. بيد أنه ينكر أن يكون معنى الأحرف =

. . . .

= اللغات، لا ختلاف هشام وعمر، مع أن لغتهما واحدة. لطائف الإشارات ص ٣٦.

ويؤيد الطبري في هذا الاتجاه أيضاً أبو عبد الله الزنجاني في (تاريخ القرآن) ص ١٥ ـ ١٦ . فيقول: المراد بالأحرف السبعة سبعة أوجه من المعاني المتفقة بالألفاظ المختلفة، نحو أقبل، وهلم، وتعال، وعجل، وأسرع، وأخّر، ومهل، وامض، وأسر.

ثم يقول: وهذا الوجه هو الذي لا يراه العقل بعيداً، فإن الاختلاف لو كان في المعنى بسبعة أوجه يفسر بها المعنى، فقد يفضي إلى معنيين متضادين، فكيف يجيز النبي ﷺ خلاف ما أراد الله بيانه من الآية.

ويستدل على ذلك بما رواه الأعمش عن أنس ـ رضي الله عنه ـ أنه قرأ هذه الآية ﴿ **إن ناشئة الليل هي أشد وطئاً وأصوب قيلاً** ﴾ المزمل/٦ ـ فقال له بعض القوم: يا أبا حمزة إنما هي أقوم! فقال: أقوم وأصوب وأهدى واحد.

ويظهر أن هذا القول مستند أيضاً إلى المثال الذي ضربه ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ بقوله: « إنما هو كقول أحدكم هلم وتعال وأقبل ».

وسبق أنه لم يكن مراده الحصر، وإنما تقريب الأمر الى الأذهان بذكر نوع واحد من أنواع الاختلافات الواردة في الأحرف السبعة. ويرد هنا ما ورد هناك.

واستقراء الآيات القرآنية يؤكد ذلك، فإنها مشتملة على أنواع متعددة من أنواع التغاير والاختلاف، والترادف واحد منها.

ثم إن العرب إنما يقع أكثر اختلافهم في اللهجات، من إدغام وفك، وفتح وإمالة، وهمز وتخفيف، ومد وقصر، ونحو ذلك. فالمشقة في هذا الباب أعظم من المشقة في استعمال هلم مكان أقبل أو تعال. . .

فتفسير الأحرف بهذا النوع يحصرها فيه، ومقتضاه: أن بقية الأنواع هي على حرف واحد، ومنها اللهجات. وهذا يتنافى مع الحكمة التي من أجلها أنزلت الأحرف، وهي التيسير على الأمة التي تختلف ألسنتها. وأكثر اختلاف الألسن عندها هو في اللهجات، كما أنه يتنافى مع القراءات الثابتة المتواترة ـ المجلة ص ٧٠ ـ

٢ ـ وذهب أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، وأبو الفضل الرازي المقرىء، ومحمد بن الجزري المقرىء إلى أن المراد بالأحرف السبعة: الأنواع التي يقع بها التغاير والاختلاف في الكلمات القرآنية، ولا يخرج عنها.

وقد اتفقوا على أنها سبعة، ثم اختلفوا في تعيينها وحصرها:

أ ـ قال ابن قتيبة في (تأويل مشكل القرآن) ص ٢٨ ـ ٢٩ : فقد تدبرت وجوه الخلاف =

= في القراءات فوجدته سبعة أوجه:

١ ـ الاختلاف في إعراب الكلمة أو حركة بنائها بما لا يزيلها عن صورتها في الكتاب، ولا يغير معناها، نحو قوله تعالى: ﴿ هؤلاء بناتي هن أطهرُ لكم ﴾ و ﴿ أطهرَلكم ﴾ أي بالنصب ـ ﴿ وهل نجازي إلا الكفور ﴾ و ﴿ وهل يُجازىٰ إلا الكفور ﴾.

٢ ـ أن يكون الاختلاف في إعراب الكلمة وحركات بنائها بما يغير معناها، ولا يزيلها عن صورتها في الكتاب، نحو قوله تعالى: ﴿ ربَّنا بعدْ بين أسفارنا » ـ أي بفعل الأمر ـ و ﴿ ربُّنا بعدَ بين أسفارنا ﴾ أي بالفعل الماضي على أن الجملة خبرية.

٣ ـ أن يكون الاختلاف في حروف الكلمة دون إعرابها بما يغير معناها، ولا يزيل صورتها، نحو قوله تعالى: ﴿ وانظر إلى العظام كيف ننشزها ﴾ و ﴿ننشرها ﴾.

٤ ـ أن يكون الاختلاف في الكلمة بما يغير صورتها في الكتاب، ولا يغير معناها، نحو قوله تعالى: ﴿ إن كانت إلا صيحة واحدة﴾ و ﴿ إلا زُقْيةً واحدة﴾ و ﴿كالعهن المنفوش ﴾ و ﴿كالصوف المنفوش ﴾

٥ ـ أن يكون الاختلاف في الكلمة بما يزيل صورتها ومعناها، نحو قوله تعالى: ﴿ وطلح ممدود ﴾ و ﴿وطلع ممدود﴾.

٦ ـ أن يكون الاختلاف بالتقديم والتأخير، نحو قوله تعالى: ﴿ وجاءت سكرة الموت بالحق ﴾ و ﴿وجاءت سكرة الحق بالموت ﴾.

٧ ـ أن يكون الاختلاف بالزيادة والنقصان. نحو قوله تعالى: ﴿وما عملته أيديهم﴾ و ﴿ وما عملت أيديهم و وقوله: ﴿ إن الله هو الغني الحميد ﴾ و ﴿إن الله الغني الحميد﴾ المجلة ص ٦١.

قال ابن قتيبة في كتابه «المشكل»: فكان من تيسير الله تعالى أن أمر نبيه ﷺ بأن يقرىء كل أمة بلغتهم، وما جرت عليه عاداتهم، فالهذلي يقرأ «عتى حين» والأسدي «تِعلمون» بكسر التاء، والتميمي يهمز والقرشي لا يهمز اهـ. وقد عارض ابن قتيبة في ذلك ابن عبد البر حيث قال: أنكر أكثر أهل العلم أن يكون معنى الأحرف اللغات، لما تقدم من اختلاف هشام وعمر، ولغتهما واحدة.

وسبق أن ابن عبد البر يرى أنها سبعة أوجه من المعاني المتفقة بالألفاظ المختلفة، نحو أقبل وهلم وتعال. وحاول الحافظ ابن حجر التوفيق بينهما فقال: «ويمكن الجمع بين القولين بأن يكون المراد بالأحرف تغاير الألفاظ مع اتفاق المعنى، مع انحصار ذلك في سبع لغات» لطائف الإشارات ص ٣٦.

وأيد ابن قتيبة الشيخ محمد بخيت المطيعي، حيث رد في كتابه «الكلمات الحسان في =

. . . .

الحروف السبعة » ص ٥٩ على ابن عبد البر فقال: « إن معنى نزوله باللغات المذكورة، هو أن الله أذن بقراءته بكل لغة فيها. فلا مانع أن هشاماً يقرأ بلغة أخرى غير لغة قريش أيضاً، فيكون قد تعلم من النبي ﷺ القراءة بلغة قريش، وبلغة غيرهم».

ب ـ وذهب أبو الفضل الرازي في كتابه «اللوامح» إلى أنها :

١ ـ اختلاف أوزان الأسماء من الواحد والتثنية والجموع والتذكير والمبالغة وغيرها.

٢ ـ اختلاف تصريف الأفعال وما تسند إليه ، نحو الماضي والمستقبل والأمر، وأن يسند إلى المذكر والمؤنث والمتكلم والمخاطب والفاعل والمفعول به.

٣ ـ اختلاف وجوه الإعراب.

٤ ـ الاختلاف بالزيادة والنقصان.

٥ ـ الاختلاف بالتقديم والتأخير.

٦ ـ الاختلاف بالإبدال والقلب في كلمة بأخرىٰ، أو حرف بآخر.

٧ ـ اختلاف اللغات ـ مناهل العرفان في علوم القرآن ص ١٤٨ ـ المجلة ص ٦٢ ـ

وقد أيد هذا الرأي الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني حيث قال في « مناهل العرفان »: « والذي نختاره بنور الله وتوفيقه من بين تلك المذاهب والآراء هو ما ذهب إليه الإمام أبو الفضل الرازي في اللوائح » وصوابها اللوامح كما نبه الشيخ عبد العزيز عبد الفتاح القارىء في المجلة ص ٦٢.

أما الدكتور صبحي الصالح فإنه في كتابه « مباحث في علوم القرآن » ينقد رأي الطبري ص ١٣٧ ، ويؤيد رأي الرازي مع تعديل فيه ص ١٤٥ ـ ١٤٦ ، وهذا التعديل يتمثل في الاختلاف في الحروف بنحو يعلمون وتعلمون.

ثم نقد اختلاف تصريف الأفعال من ماضٍ ومضارع وأمر في جعلها وجهاً خاصاً قائماً برأسه، مع أنه يندرج تحت وجه الاختلاف في الإعراب.

جـ ـ وقال ابن الجزري في النشر ٢٦/١ : إنني تتبعت القراءات صحيحها وشاذها وضعيفها ومنكرها ، فإذا هو يرجع اختلافها إلى سبعة أوجه من الاختلاف ، لا يخرج عنها:

١ ـ إما في الحركات بلا تغيير في المعنى والصورة، نحو « البخل » بأربعة أوجه، و «يحَسِب» بوجهين.

٢ ـ أو بتغيير في المعنى فقط، نحو «فتلقى آدام من ربه كلمات » و« ادكر بعد أمة » و« أمه »

٣ ـ وإما في الحروف بتغيير المعنى لا الصورة نحو «تبلوا» «تتلوا» و «ننجيك و «ننحيك». =

. . . .

= ٤ ـ أو عكس ذلك نحو « بصطة» و« بسطة» و«الصراط» و« السراط» .

٥ ـ أو بتغييرهما معاً نحو « أشدُّ منكم » و« منهم » و«يأتل» و« يتأل» و« فاسعوا إلى ذكر الله » و« فامضوا إلى ذكر الله » .

٦ ـ وإما في التقديم والتأخير نحو « فيقتلون ويقتلون » و« جاءت سكرة الحق بالموت » .

٧ ـ أو في الزيادة والنقصان نحو « وأوصىٰ » « ووصىٰ » «وما خلق الذكر والأنثى » «والذكر والأنثى» المجلة ص ٦٢ ـ ٦٣ . ويُرد على هذا القول بأمور منها ما يلي :

١ ـ إن الحكمة من تعدد الأحرف الرخصة لطوائف من الأمة يشق عليهم التعليم ويعسر عليهم التحول عما ألفته ألسنتهم . والعرب لم يكن معظمهم يحسن الكتابة ولا القراءة . وهذه الأنواع التي ذكروها معظمها متعلق بطريقة الخط، واختلاف صورة الكلمة في الكتابة ، ولا يتسنى إدراكها إلا بعد بحث واستقراء ، مع خبرة بأوجه الخط والكتابة . وهذا شأن خواص العلماء المحققين . فما شأن من نزلت الرخصة من أجلهم، وتعددت الأوجه للتيسير عليهم ، ما شأنهم بهذه الأمور العلمية المتعمقة، والمسائل المعقدة؟ ولو كان هذا هو المراد بالأحرف لازدادت عليهم المشقة، وتحيروا في أمرهم .

٢ ـ إن ابن قتيبة والجزري لم يذكرا اللهجات ضمن تلك الأنواع السبعة، مع أن معظم أوجه الاختلاف في أحرف القرآن هو من هذا النوع .

وليس هذا رداً للأنواع التي ذكروها، بل إن التغاير والاختلاف بين أي عبارتين مختلفتين يكون بما ذكروه . بيد أنه قد اختلفت مذاهبهم في النظر للمسألة، فإن كل واحد منهم ينظر إليها من جهة . وكان أكثرهم دقة الرازي . لكن ينكر عليهم أمران :

أولهما محاولتهم حصر أنواع التغاير في سبعة ليوافقوا العدد المذكور في الأحرف .

وثانيهما : تفسيرهم الأحرف بهذه الأنواع، وتعسفهم في جعلها المراد من الحديث .

وقد اتفق الثلاثة على ذكر نوعين تطابقت في وصفهما عباراتهم : التقديم والتأخير، والزيادة والنقصان . وانفرد الرازي بذكر نوع هو اختلاف اللهجات، وهو أهم هذه الأنواع .

ومن مجموع أقوال الثلاثة يمكن أن نخرج بعشرة أنواع يقع بينها التغاير والاختلاف بين كل كلمتين مختلفتين ومتغايرتين . ولكن هل يمكن أن نجزم بأنه لن يأتي أحد غيرهم بأنواع أخرى تزيد العدة ؟ .

وبهذا يتبين أن محاولتهم حصر أنواع التغاير والاختلاف في سبعة، فيها كثير من التكلف . فإن الأحرف نفسها شيء، وأنواع الاختلاف بينها شيء آخر . وما توصلوا إليه =

. . . .

= هو ما يقع بين الأحرف من أنواع التغاير وصور الاختلاف، لا نفس الأحرف. ويمكننا عند الاختصار أن نرجع ما ذكروه إلى ثلاثة أنواع هي :

١ ـ ما اختلف لفظه واتفق معناه، وهو ما يطلق عليه في اللغة الترادف ، مثل هلم وأقبل وتعال.

٢ ـ ما اختلف لفظه ومعناه، لكنه اختلاف تنوع، لا تضاد، مثل « قال» و«قل» و« باعِدْ» و« باعَدَ» و« مالك » و« ملك» و« أوصىٰ » و« وصىٰ ».

أما اختلاف التناقض والتضاد في اللفظ والمعنى، فهذا ما لا يمكن أن يقع شيء منه في أحرف القرآن ، وإلا لزم وقوع الخلل، والاضطراب في كتاب الله تعالى ، وهو منزه عن ذلك. النشر ١/ ٤٩ .

٣ ـ الاختلاف في اللهجات، أي في كيفية النطق باللفظ، مع اتفاق اللفظ والمعنى، كإمالة الألف أو فتحها، وكالمد والقصر، والإدغام والفك ، والتحقيق والتسهيل ، ونحو ذلك. المجلة ص ٧٢ ـ ٧٦.

هذا . وقد بين الدكتور عبد العزيز البرهانَ من الأحاديث والقراءات المتواترة، على التعريف الذي اختاره وارتضاه حيث قال: فقولنا: (هي وجوه متعددة متغايرة من وجوه القراءة) هذا ترجيح لأحد المعاني التي يحتملها لفظ (الحرف). فإننا لما استقرأنا ألفاظ الخبر، وجدنا أنه لا يستقيم إلا هذا التأويل ـ المجلة ص ٨١ ـ والعدد هنا مراد. بمعنى أن أقصى حد يمكن أن تبلغه الوجوه القرآنية المنزلة، هو سبعة أوجه، وذلك في الكلمة القرآنية الواحدة، ضمن نوع واحد من أنواع الاختلاف والتغاير. وقد دل على هذا ألفاظ الأحاديث، ولا سيما ما يدل منها على التدرج، كما سلف ـ المجلة ص ٧٩ وص ٨٤.

قال الحافظ في الفتح ٩/ ٢٣ : « على سبعة أحرف. أي على سبعة أوجه يجوز أن يُقرأ بكل وجه منها، وليس المراد أن كل كلمة، ولا جملة منه تُقرأ على سبعة أوجه، بل المراد أن غاية ما انتهى إليه عدد القراءات في الكلمة الواحدة إلى سبعة » أي أن كل كلمة تقرأ بوجه أو وجهين او ثلاثة أو أكثر إلى سبعة.

والقول بأنه لا يلزم أن تنزل كل كلمة في القرآن، أو آية على سبعة أحرف، ذكره كثير من العلماء. وليس له مخالف من المحققين. ـ المجلة ص ٨٠ ـ.

قال الدكتور عبد العزيز : ثم وصفنا الوجوه بأربع صفات:

١ ـ فهي (متعددة) تذكيراً بانتفاء توحيد أوجه القرآن على وجه واحد.

٢ ـ وهي (متغايرة) إشارة إلى وجود الاختلاف بين هذه الوجوه، سواء في اللفظ فقط مع اتفاق المعنىٰ ، أو في اللفظ والمعنىٰ . وفي هذا رد على من قصر الاختلاف بين =

= الوجوه على نوع واحد، هو الترادف.

٣ ـ وهي (منزلة) وفي ذلك ردٌّ على من زعم أن الرخصة كانت تتضمن إباحة التصرف في ألفاظ القرآن دون تقييد بما أنـزل. بل الأوجـه كلها منـزلة، علمهـا جبريـل ـ عليه السلام ـ لرسول الله ﷺ ثم بلغها الرسول ﷺ إلى أصحابه ـ رضي الله عنهم ـ وأقـرأهم إياها. وكان ﷺ يتخير لكل منهم ما يشاء حسبما يرى من أحوالهم واستعداد كلٍ منهم، وطاقته ولغته ولهجته. ـ المجلة ص ٨١.

٤ ـ قال : ثم وصفنـا هذه الأوجه بأنها (وجوه قراءة) لأننا وجدنا في الأخبار قوله ﷺ : « أقرأني جبريـل على حرف» و« أن تقـرأ أمتك على حـرف ». وقول عمـر ـ رضي الله عنـه ـ: « سمعت هشـام بن حكيم يقـرأ سـورة الفـرقـان على حـروف لم يقـرئنيهـا رسول الله ﷺ ». وقول أبيّ ـ رضي الله عنه ـ: « فدخل رجل يصلي فقرأ قراءة أنكرتها عليه، ثم دخل آخر، فقرأ سوى قراءة صاحبه ».

فكل هذه الألفاظ صريحة في أن هذه الأحرف شيء متعلق بالقراءة، بل هي قراءات كما عبر عنهـا أبيّ ـ رضي الله عنه ـ ثم إنـا لم نجد في أيـة رواية ما يدل على أن الأحرف شيء غيـر أوجه القـراءة، أو يصفها بهـذه الصفة. ووجـدنـا الحكمـة التي نص عليهـا رسول الله ﷺ متعلقة بأوجه القـراءة قبل كـل شيء، فرأينـا محاولـة صرف المعنى إلى وصف آخر تحكماً بغير دليل. والـرخصة متحققـة في الأحرف بهـذا التأويـل إذ أصـل المشقة إنما هو في القراءة. فتعدد أوجهها، ثم تخيـير المكلف بينها، يختار منها ما يسهل على لسـانه، ويـطابق لغته ولهجتـه أو يقاربهـا، هو عين التيسيـر الـذي أراده الشـارع الحكيم.

ثم قال: (وقولنا : يمكننا أن تقرأ بأي منها، فتكون قد قرأت قرآناً منزلاً) مأخوذ من قوله ﷺ في حديث أبيّ ـ رضي الله عنه ـ: « فأيما حرف قرؤوا فقد أصابوا » أي أصابوا القرآن، بدليل قوله ﷺ في رواية ابن جرير : « من قـرأ حرفـاً منها فهـو كما قـرأ » أي فالقرآن كما قرأ.

فكل وجه من الأوجه المنزلة قرآن، وكلها كاف شاف، ولا ترجيح بين شيء منها، إذ هي أبعاض القرآن، وهو متكون من مجموعها. ولذلك حرص عثمان ـ رضي الله عنه ـ عند كتابة المصاحف أن يثبتها جميعها برسم واحد، حتى لا يتوهم أحد أن هناك ترجيحاً لبعضها على بعض. ـ المجلة ص ٨٢ ـ ٨٣.

من حكمة الأحرف السبعة واختلاف القراءات :

إن حقيقة الحكمة وأبعادها لا يعلمها إلا الله . غير أن النصوص قد تذكر بعضها أو تشير إليه . وربما يظهر للمتأمل المتدبر جوانب أخرىٰ . وقد ذكر العلماء من حكمة تنوع الأحرف واختلاف القراءات ما يلي .

١ ـ التسهيل والتخفيف عن الأمة :

وقد نص النبي ﷺ على ذلك بعبارة جلية كما سلف. فالأحرف السبعة رخصة أنزلت بعد العزيمة[١]. والمقصود من هذه الرخصة تيسير أمر القراءة وتعلم القرآن وفهمه على الأمة. ووجه الرخصة أن الكلمة عندما تكون منزلة على أوجه متعددة، يكون القارىء مخيراً في قراءة ما سهل منها على لسانه ، وتيسر على فهمه وذهنه . ومن ثم يرتفع عنه الحرج، وتطمئن نفسه، ولا سيما عندما يعجز عن تقويم لسانه على اللغة القرشية. وكذلك عندما يعجز عن فهم المراد من كلمة، ولا يدرك معناها، لكونه لم يعهدها في لغته، فإنه قد يجد في الأوجه المنزلة الأخرىٰ في تلك الكلمة ما يعينه على فهم المراد[٢].

٢ ـ ما في ذلك من نهاية البلاغة وجمال الإيجاز وكمال الإعجاز :

فإنه يترتب على تعدد الأوجه تنوع المعاني وزيادتها ، وإيضاح مقاصد الكلام وأغراضه . إذِ الأحرف تشتمل على أضرب متنوعة متغايرة ، مع تقارب المعاني وتناسقها ـ كما هو معروف في علم توجيه القراءات وتعليلها وبيان وجوهها ـ فكلما أجريت الآية على وجه تبين لك ضرب من المعنى مغاير لما يحتويه الوجه الآخر ، فقد يكون زائداً عن الأول ومتمماً له ، أو مفسراً له

---

(١) العزيمة في علم أصول الفقه: الحكم الثابت بدليل شرعي خال من معارض راجح . وهي هنا تحميلهم في بادىء الأمر حرفاً واحداً. والرخصة : ما ثبت على خلاف دليل شرعي لمعارض راجح .

(٢) مجلة كلية القرآن ص ٩٤ ـ ٩٥.

ومفصلاً . وفي ذلك جانب مدهش عظيم من جوانب إعجاز القرآن، ومن أعجب أسرار بلاغته وروعة أسلوبه.

أضف إلى ذلك سهولة حفظه ، وتيسير نقله على الأمة . فإن من يحفظ كلمة ذات أوجه ، أسهل عليه، وأقرب إلى فهمه ، وأدعى لقبوله، من أن يحفظ جملاً كثيرة من الكلام ، تؤدي معاني تلك القراءات المختلفة(١).

٣ ـ في خلو تلك الأحرف من التضادّ برهان عظيم على صدق من أنزل عليه :

فإن القرآن مع كثرة هذه المعاني وتنوعها، لم يتطرق إليه تضادٌّ ولا تناقض ولا تخالف . بل كله يُصدّق بعضه بعضاً، ويبين بعضه بعضاً ، ويشهد بعضه لبعض. والمتأمل يرى أن كل قراءة تحمل في بعض أحرفها حكماً غير الذي يحمله الآخر، لكنها ـ كما سلف ـ تتعاضد ولا تتعارض . وهو في ذلك كله على نمط واحد وأسلوب واحد. وهذا ما لا يتفق لكتاب غيره(٢).

٤ ـ بيان فضل هذه الأمة وعظيم أجرها :

فإن هذه الأحرف تعد من خصائصها التي تفضل الله بها عليها. فقد كانت الكتب السابقة تنزل على وجه واحد، فتلتزم الأمم بقراءتها وتعلمها على ذلك الوجه.

ومن ناحية ثانية يعظم أجر المسلمين عندما يفرغون جهودهم، ليبلغوا قصدهم في تلقي كتاب ربهم وتتبع معانيه واستنباط الحِكَم والأحكام من دلالة كل لفظ، وإمعانهم في الكشف عن التوجيه والتعليل والترجيح بقدر ما تبلغه غاية علمهم، وتصل إليه نهاية فهمهم(٣).

---

(١) النشر ١/٥٢، المجلة ص ٨٣ و٩٧ و١٠٢.

(٢) مجموع فتاوي ابن تيمية ١٣/٣٩١ و٤٠١، النشر ١/٤٩ و٥٢، المجلة ص ٧٨ و١٩٤.

(٣) النشر ١/٥٢، المجلة ص ٩٦.

٥ ـ حفظ اللغة العربية من الاندثار :

اشتملت الأحرف على خلاصة ما في لغات القبائل العربية من فصيح الألفاظ والتراكيب وأساليب الكلام. فكانت بذلك مرجعاً قطعياً لا يتطرق إليه الشك حتى يومنا هذا. لا سيما وقد تكفل الله بحفظ كتابه[1].

ما نُهي عنه المسلموم إبّان الرخصة بالأحرف السبعة :

اقتضت حكمة الله ورحمته أن ينزل القرآن بعد الهجرة على سبعة أحرف منتقاة من لغات العرب الفصحىٰ ولهجاتها. وذلك ليتاح للعرب جميعاً أن يلجؤوا إلى كتاب ربهم، ويتدبروا معانيه، ويكثروا من تلاوته. ولم تنزل كل كلمة فيه بوجوه عديدة، بل إنما نزلت بعض كلماته ببعض الوجوه. فحفظها الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ كما سمعوها، بغض النظر عن تلاقيها مع لهجتهم أو عدم تلاقيها. بيد أن معظمهم كان يختار، أو يُختارُ له من القراءات ما يوافق لغته ولهجته، كما سلف.

فالقراءات مرجعها إلى الرواية والنقل عن رسول الله ﷺ وليس لأحد أن يقرأ بلغته كيف يشاء. وقد نهوا في أثناء ذلك عن أمرين اثنين هما :

١ ـ الاختلاف والمراء في الأحرف :

عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ أنه سمع رجلاً يقرأ آية، سمع رسول الله ﷺ يقرؤها على خلاف ذلك. قال: فأخذت بيده، فانطلقت به إلى رسول الله ﷺ فذكرت له ذلك فعرفت في وجهه الكراهية، وقال: كلاكما محسن، ولا تختلفوا، فإن من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا ـ أخرجه البخاري وأحمد ـ.

وعند أحمد من رواية بَهزْ : كلاكما قد أحسن، لا تختلفوا.

وأخرج ابن جرير من رواية الأعمش عن عاصم بن أبي النَّجود المقرىء

---

(١) المجلة ص ١٠٢ ـ ١٠٣.

عن زِر بن حُبيش عنه ـ رضي الله عنه ـ قال : تمارينا في سورة الفرقان ، فقلنا خمس وثلاثون أو ست وثلاثون آية . . . فانطلقنا إلى رسول الله ﷺ فوجدنا علياً ـ رضي الله عنه ـ يناجيه. قال: فقلنا : إنا اختلفنا في القراءة. قال : فاحمر وجه رسول الله ﷺ وقال: « إنما هلك من كان قبلكم باختلافهم بينهم ». قال: ثم أسر إلى علي شيئاً. فقال لنا علي : إن رسول الله ﷺ يأمركم أن تقرؤوا كما عُلمتم.

ففي الحديث الحض على الجماعة والألفة، والتحذير من الفرقة والاختلاف، ولا سيما في قراءة كتاب الله وفهمه.

وعن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: نزل القرآن على سبعة أحرف، على أي حرف قرأتم فقد أصبتم، فلا تتماروا فيه، فإن المراء فيه كفر ـ أخرجه أحمد في المسند ـ .

وفي رواية أخرى له، قال أبو قيس مولى عمرو : سمع عمرو بن العاص ـ رضي الله عنه ـ رجلاً يقرأ آية من القرآن، فقال : من أقرأكها ؟ قال: رسول الله ﷺ قال : فقد أقرأنيها رسول الله ﷺ على غير هذا. فذهبا إلى رسول الله ﷺ فقال أحدهما: يا رسول الله، آية كذا وكذا، ثم قرأها. فقال رسول الله ﷺ: هكذا أنزلت. فقال الآخر : يا رسول الله. . . فقرأها على رسول الله ﷺ فقال: أليس هكذا يا رسول الله ؟ قال: هكذا أنزلت. فقال : رسول الله ﷺ: إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف، فأي ذلك قرأتم فقد أحسنتم، ولا تماروْا فيه، فإن المراء فيه كفر، أو آية الكفر[1].

وعن حذيفة بن اليمان ـ رضي الله عنه ـ قال: لقي رسول الله ﷺ جبريل، وهو عند أحجار المِرَا، فقال: إن أمتك يقرؤون القرآن على سبعة أحرف، فمن قرأ منهم على حرف، فليقرأ كما عُلّم، ولا يرجع عنه.

وفي المسند: وقال ابن مهدي : إن من أمتك الضعيف، فمن قرأ على

---

(١) وأخرجه أبو عبيد القاسم بن سلّام في فضائل القرآن. المجلة ص ٥٠.

حرف، فلا يتحول إلى غيره، رغبة عنه.

وعن أبي جُهيم بن الحارث الأنصاري - رضي الله عنه - أن رجلين اختلفا في آية من القرآن، فقال هذا: تلقيتها من رسول الله ﷺ وقال الآخر تلقيتها من رسول الله ﷺ فسألا رسول الله ﷺ فقال: «إن القرآن أنزل على سبعة أحرف، فلا تماروا في القرآن، فإن المراء فيه كفر» - أخرجه ابن جرير واللفظ له، وأحمد وأبو عبيد والطحاوي(١).

٢ - التحول عن حرف رغبة عنه:

أخرج ابن جرير من وجهين عن شعبة: رواه في أحدهما عن أبي إسحاق عمّن سمع ابن مسعود - رضي الله عنه - وفي الوجه الآخر عن عبد الرحمن بن عابس عن رجل من أصحاب ابن مسعود - رضي الله عنه - قال: من قرأ منكم على حرف، فلا يتحولنّ منه إلى غيره.

وأخرج أيضاً من رواية زبيد اليامي عن علقمة النخعي(٢) عنه - رضي الله عنه - قال: لا تنازعوا في القرآن. فإنه لا يختلف، ولا يتلاشىٰ، ولا يتغير لكثرة الرد. وإن شريعة الإسلام وحدوده وفرائضه فيه واحدة، ولو كان شيء من الحرفين ينهىٰ عن شيء يأمر به الآخر، كان ذلك الاختلاف. ولكنه جامع ذلك كله، لا تختلف فيه الحدود ولا الفرائض، ولا شيء من شرائع الإسلام... وقد كنتُ علمتُ أنه يُعرض القرآن عليه في كل رمضان. حتى كان عام قبض، فعرض عليه مرتين. فكان إذا فرغ أقرأُ عليه. فيخبرني أني محسن. فمن قرأ

---

(١) كلهم من رواية يزيد بن خصيفة عن بُسْر بن سعيد. إلا أن أبا عبيد قال: عن يزيد بن خصيفة عن مسلم بن سعيد مولى ابن الحضرمي. ثم قال: وقال غيره عن بشر - بالمثلثة - بن سعيد. ويظهر أن الذي سمع الحديث من أبي جُهيم هو بُسر بن سعيد المدني العابد مولىٰ ابن الحضرمي. وهو تابعي جليل، روى عن جمع من الصحابة - رضي الله عنهم - منهم أبو جهيم. انظر مجلة كلية القرآن الكريم ص ٥٣.

(٢) الراوية الأولى فيها راوٍ لم يسم. فالحديث مبهم. والثانية فيها انقطاع، لأن يزيد اليامي لم يدرك علقمة. لكن للحديث شواهد بمعناه. وبعضه له أصل في الصحيح. المجلة ص ٤٦.

على قراءتي ، فلا يدعها رغبة عنها . ومن قرأ على شيء من هذه الحروف ، فلا يدعه رغبة عنه . فإنه من جحد بآية جحد به كله .

نسخ بعض الأحرف :

أجمعت الأمة على أن النسخ قد وقع في بعض ألفاظ القرآن الكريم وفي بعض قراءاته . لكنهم اختلفوا في كيفية هذا النسخ وفي زمن وقوعه .

أ ـ ذهب جماعة من العلماء إلى أن بعض أفراد الأحرف السبعة نسخت تلاوته في العرضة الأخيرة . فلم يقرىء به رسول الله ﷺ بعدها أبداً . فلا يعد بعد ذلك قرآناً . ولذا لم يكتب في المصاحف العثمانية . لأن عثمان ورهطه ـ رضي الله عنهم ـ كانوا يتحرون كتابة ما ثبت في العرضة الأخيرة . والأحاديث والآثار المشهورة المستفيضة تدل على هذا[1] . ومن ذلك ما يلي :

١ ـ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال : كان يعرض ـ أي جبريل ـ على النبي ﷺ القرآن كل عام مرة . فعرضه عليه مرتين في العام الذي قبض فيه ـ رواه البخاري ـ

٢ ـ وعن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال : إن الله تابع الوحيَ على رسول الله ﷺ قبل وفاته ، حتى توفاه أكثر ما كان الوحي . ثم توفي رسول الله ﷺ ـ رواه الشيخان ـ .

٣ ـ وعن فاطمة ـ رضي الله عنها ـ قالت : أسرّ إليّ رسول الله ﷺ أن جبريل كان يعارضني القرآن كل سنة مرة ، وأنه عارضني العام مرتين ، ولا أراه إلا حضر أجلي . وأنت أول أهل بيتي لحاقاً بي . فبكيت . فقال : أما ترضين أن تكوني سيدة نساء أهل الجنة ؟ ـ أو نساء المؤمنين ـ فضحكت لذلك ـ متفق عليه واللفظ للبخاري ـ .

---

(١) مجموع فتاوي ابن تيمية ١٣/ ٣٩٥ ـ ٣٩٧ ، المجلة ص ١٢٣ .
وقد حكى الرازي في المحصول ١/٣/٤٤١ الإجماع في القرون الثلاثة الأولى على وقوع النسخ في القرآن .

وعند مسلم: عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: كنّ أزواج النبي ﷺ عنده، لم يغادر منهن واحدة. فأقبلت فاطمة ـ رضي الله عنها ـ تمشي، ما تخطىء مشيتها من مشية رسول الله ﷺ شيئاً. فلما رآها رحب بها، وقال: «مرحباً بابنتي، ثم أجلسها عن يمينه، ثم سارّها. فبكت بكاءً شديداً. فلما رأى جزعها، سارّها الثانية فضحكت. فقلت لها: خصك رسول الله ﷺ من بين نسائه بالسِّرار، ثم أنت تبكين!؟ فلما قام رسول الله ﷺ سألتها: ما قال لك رسول الله ﷺ؟ قالت: ما كنت لأفشي على رسول الله ﷺ سرَّه: قالت: فلما توفي رسول الله ﷺ قلت: عزمت عليك بما لي عليك من الحق، لما حدثتني ما قال لك رسول الله ﷺ قالت: أما الآن فنعم، أما حين سارني في المرة الأولى، فأخبرني أن جبريل عليه السلام ـ كان يعارضه القرآن في كل سنة مرة، وإنه عارضه الآن مرتين. وإني لا أرى الأجل إلا قد اقترب. فاتقي الله واصبري. فإنه نعم السلف أنا لك. قالت: فبكيت بكائي الذي رأيت. فلما رأى جزعي، سارني الثانية فقال: يا فاطمة أما ترضين أن تكوني سيدة نساء المؤمنين ؟ـ أو سيدة نساء هذه الأمة ـ قالت: فضحكت ضحكي الذي رأيت.

٤ ـ وعن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: إن رسول الله ﷺ كان يعارض بالقرآن في كل رمضان. وإني عرضتُ في العام الذي قبض فيه مرّتين. فأنبأني أني محسن. وقد قرأت من في رسول الله ﷺ سبعين سورة ـ أخرجه أحمد في المسند ـ.

وذلك أنه لما كثر الناس وامتزج بعضهم ببعض مرنت الألسنة وتدربت على قراءة القرآن في لغته التي ارتضاها الله لكتابه، ولتكون أيضاً اللغة النموذجية للغات العرب المختلفة. انتهى ذلك الترخيص المؤقت بالعرضة الأخيرة. حيث استقر القرآن على صيغته الأخيرة بنصه، وعد آيه، وترتيبه، وأوجهه المنزلة.

ب ـ وذهب بعض العلماء إلى أنه لم ينسخ شيء من الحروف في العرضة الأخيرة: بل بقيت القراءة مستمرة بالأحرف السبعة. لكن لما آل الأمر

إلى ما وقع من الاختلاف في زمن عثمان ـ رضي الله عنه ، كما سيأتي إن شاء الله ـ اختار الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ الاقتصار على اللفظ المأذون في كتابته، وتركوا الباقي. فصار ما يخالف خط المصحف في حكم المنسوخ والمرفوع. كسائر ما نسخ ورفع. وليس لأحد أن يتعدى هذا الرسم. فتمت العودة إلى الأمر الأول، وما عاد يُقرأ إلا بحرف واحد[1].

قال الطبري في مقدمة تفسيره[2]: إن هذه اللغات لم تبق جميعها. بل إن عثمان ـ رضي الله عنه ـ جمع المسلمين على حرف واحد ومصحف واحد، وحرق ما عدا المصحف الذي جمعهم عليه. وعزم على كل من كان عنده مصحف مخالف للمصحف الذي جمعهم عليه أن يمزقه. فاستوسقت له الأمة بالطاعة ، ورأت أن فيما فعل من ذلك الرشد والهداية. فتركت القراءة بالأحرف الستة التي عزم عليها إمامها العادل في تركها، طاعة منهاله، ونظراً منها لأنفسها ولمن بعدها. حتى درست من الأمة معرفتها، وتعفت آثارها. فلا سبيل لأحد اليوم إلى القراءة بها. . وصار ما اقتصر عليه الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ كمن اقتصر مما خيّر فيه على خَصلة واحدة اهـ.

فهم يرون أن تلاوة القرآن على سبعة أحرف كانت رخصة لضرورة دعت إليها. ثم انتهت بما فعله الخليفة الراشد عثمان ـ رضي الله عنه ـ حين وحد لغة القرآن، وأجمعت الأمة على ذلك. وفعل الخليفة الراشد والإجماع كلاهما حجة. ولا سيما الإجماع.

عن العرباض بن سارية ـ رضي الله عنه ـ قال: صلىٰ بنا رسول الله ﷺ ذات يوم، ثم أقبل علينا بوجهه، فوعظنا موعظة بليغة ذَرَفت منها العيون ، ووجِلت منها القلوب. فقال رجل: يا رسول الله كأن هذه موعظة مودع، فماذا تعهد إلينا ؟ قال: أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة ، وإن عبداً حبشياً. فإنه من يعش منكم بعدي، فسيرىٰ اختلافاً كثيراً. فعلكيم بسنتي وسنة الخلفاء

(١) لطائف الإشارات ص ٦٤ ـ ٦٦، تفسير القرطبي ١/ ٤٣.
(٢) انظر ١/ ٥٧ ـ ٦٤.

الراشدين المهديين، تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة - أخرجه أحمد وأبو داود واللفظ له والترمذي وابن ماجة -

وقالوا: إن القراءة على الأحرف السبعة لم تكن واجبة على الأمة. بل إنما كان ذلك جائزاً ومرخصاً لهم فيه. وقد جعل إليهم الاختيار. كما أن ترتيب السور لم يكن واجباً عليهم. بل مفوضاً إلى اجتهادهم. ولهذا اختلفوا في ترتيب المصاحف أول الأمر. وكذلك الأحرف السبعة. فلما رأى الصحابة - رضي الله عنهم - أن الأمة تفترق وتختلف إذا لم يجتمعوا على حرف واحد، اجتمعوا على ذلك اجتماعاً سائغاً. وهم معصومون عن أن يجتمعوا على ضلالة. ولم يكن في ذلك ترك لواجب أو فعل لمحظور. خلافاً لترتيب الآيات في السور، فإنه منزل منصوص عليه . فليس لأحد أن يقدم آية على آية في الرسم[1].

جـ - وذهب بعض ثالث إلى أن النسخ إنما وقع في بعض ألفاظ القرآن الكريم مما أقرأه النبي ﷺ لبعض أصحابه - رضي الله عنهم - أما الأحرف السبعة فلم تنسخ مطلقاً. والمصحف العثماني الذي أجمع عليه الصحابة والتابعون والأمة مشتمل على الأحرف السبعة. بناءً على أنه لا يجوز للأمة أن تهمل نقل شيء من كتاب ربها، ولا يجوز لأحد أن ينهى عن القراءة بالأحرف السبعة التي رخص الله بها. فالرخصة باقية لذوي الأعذار ممن لا تستقيم ألسنتهم. ولغيرهم أيضاً[2].

ومن المعلوم أن عثمان - رضي الله عنه - لما دون سبع النسخ من المصحف لم تكن حروف العربية مشكولة أو منقوطة. وقد راعى في ذلك أنه إن كانت صورة الكلمة تخدم جميع ما روي عن النبي ﷺ من الأحرف السبعة،

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية ١٣/ ٩٦ - ٣٩٧.

(٢) المصدر السابق ١٣/ ٣٩٥ - ٣٩٦، و٤٠١.

كتبت كذلك في سبعة المصاحف. وإن كانت لا تخدم إلا بعض الوجوه التي رويت في قراءتها، كُتبت في بعض المَصاحف بما يوافق بعض الوجوه، وفي بعضها الآخر بما يوافق الوجوه الأخرىٰ. وهكذا حتى تُغطىٰ جميع الوجوه التي رويت بها الكلمة عن رسول الله ﷺ[1].

موازنة وترجيح :

والحق الذي عليه المحققون أن شيئاً من الأحرف المنزلة الثابتة في العرضة الأخيرة لم يهمله عثمان ـ رضي الله عنه ـ ولم يطرحه. ولا فعل ذلك سلفه أبو بكر ولا عمر ـ رضي الله عنه ـ وأن الأحرف الثابتة في العرضة الأخيرة باقية ضمن مصاحف عثمان ـ رضي الله عنه ـ وأن الرخصة بها قائمة لكل الأمة إلى يوم القيامة. وقول الطبري وغيره : « إن عثمان أثبت في مصحفه الذي اجمع عليه الصحابة حرفاً، واطرح الستة الباقية ». دعوى بنسخ بعض القرآن بإجماع بعض الصحابة. لأن كل حرف من الأحرف المنزلة قرآن. فكيف يحق لعثمان أو لأي صحابي آخر. بل للصحابة مجتمعين إلغاء شيء من القرآن بغير نص صريح من الشارع ـ أي بدون مستند للإجماع ، ولا سيما في مثل هذا الأمر ـ حتى وإن كانت الأمة مخيرة في الأخذ بهذه الأحرف أو تركها، ولم تكن ملزمة بالقراءة بها جميعاً لأنها رخصة. فإن التخيير إنما كان في القراءة بواحد من تلك الأحرف. ولم يكن في نقلها أو عدمه. بل إن الأمة كانت ملزمة بنقلها جميعاً. لأن كل حرف منها بمنزلة الآية. ولم يكن عثمان ولا الصحابة جميعاً ـ رضي الله عنهم ـ مفوضين في إلغاء شيء منها. فثمة فرق بين أن يكون المكلف مخيراً بين الأخذ برخصة الفطر في السفر والعزيمة على الصيام، وبين أن يلغي هذه الرخصة، فيحرم على نفسه وعلى الأمة الفطر، ويحمل الناس على الصيام. ثم كيف يسوغ للصحابة ـ رضي الله عنه ـ إلغاء هذه الرخصة ، والحكمة منها لا تزال قائمة ؟ حيث لا زال كثير من العرب يدخلون في دين الله. وفيهم الشيخ والعجوز. وكيف يتخرج على هذا القول وجود الأحرف

---

(١) البرهان ١ / ٣٢٩، مقدمتان في علوم القرآن ص ١٢٠ ـ ١٢١.

المتعددة من القراءات في مصاحف عثمان ـ رضي الله عنه ـ وكلها مثبتة فيها سواء أكانت برسم واحد أم برسمين مختلفين؟ أهي خارجة عن الأحرف السبعة أم هي أحرف أخرى داخلة ضمن حرف واحد؟[1].

ومن ناحية ثانية فإنه لا خلاف في أن الأحرف السبعة ليست القراءات السبع ولا العشر[2]. وكذلك ليست القراءات السبع هي مجموع حرف واحد من الأحرف السبعة بالاتفاق[3]. كما سنراه إن شاء الله في بحث القراءات وصلتها بالأحرف السبعة. فأين باقي الحروف ؟ هل أهمل المسلمون شيئاً من القرآن ؟ قطعاً لم يحدث هذا. لأن الله تكفل بحفظ كتابه. ويلزم من ذلك تكفّلُه بحفظ جميع الأحرف والقراءات التي أنزلت ثم بقيت بعد العرضة الأخيرة. لأن كل حرف بمنزلة الآية. فلا بد أن يكون ثمة نسخ في العرضة الأخيرة. ولذلك توالى نزول الوحي في السنة التي انتقل فيها رسول الله ﷺ إلى جوار ربه.

والله تعالى يقول: ﴿ **ما نسخ من آية أو تنسها نأت بخير منها أو مثلها** ﴾.

فثمة آيات وحروف منسوخة كانت تتناسب مع الوضع المؤقت. وآيات ناسخات نزلت ملائمة للمرحلة الدائمة.

ويقول: ﴿ **يمحو الله ما يشاء ويثبت، وعنده أم الكتاب**﴾.

فالله سبحانه ينسخ من الأحكام ما يرى الحكمة في نسخه، ويثبت منها ما يرى الحكمة في إثباته. طبقاً لما هو معلوم عنده في الأزل.

ويقول جلّا جلاله : ﴿**وأذا بدلنا آية مكان آية ، والله أعلم بما ينزل قالوا : أنت مفتر بل أكثرهم لا يعلمون**﴾ النحل ١٦/١٠١.

فقد افتتن بعضهم بما يرونه من نسخ بعض الأحكام في بعض الآيات بحكم آخر نزل بعده في آية أخرى. لضعف بصيرتهم.

---

(١) مجلة كلية القرآن الكريم ص ٧١ ـ ٧٢.

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية ١٣/ ٣٩٠.

(٣) المرجع السابق ١٣/ ٤٠١.

٣ ـ تعميم العرضة الأخيرة بعد وفاة النبي ﷺ

جمع القرآن في زمن أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ:

إن كتابة القرآن الكريم بدأت في وقت مبكر جداً لتواكب نزوله في مكة المكرمة. فإسلام عمر ـ رضي الله عنه ـ إنما كان بسبب جُذاذة سُطرت عليها آيات من سورة (طـه) كانت تحملها أخته ـ رضي الله عنها ـ بيد أن هذه الصحائف والألواح التي كتب عليها لم تكن مجموعة بين دفتين في مصحف واحد على شكل كتاب كامل. لكن هل استوفى بعض الصحابة كتابة القرآن كله ؟.

المشهور أنه لم يكن قد جمع في زمن رسول الله ﷺ على شكل مصحف كامل بين دفتين عند فرد أو مجموعة من الأفراد. غير أنه كان مكتوباً عند جميعهم، وما ينقص من عند واحد يكمله ما عند الآخرين[١]. لكن يظهر ـ والله أعلم ـ أن بعض الصحابة ـ رضي الله عنه ـ قد استوفى القرآن حفظاً في الصدور وكتابة على الأوراق أو قطع الجلد أو صفائح الحجارة أو نحو ذلك في عهد رسول الله ﷺ وإن لم يجمعه على شكل كتاب بين دفتين، أو يكتبه من فم رسول الله ﷺ مباشرة، بل أخذه عن كتابة غيره.

---

(١) الإتقان ١/٧٢، المعجزة الكبرى القرآن لمحمد أبو زهرة ص ٢٨، الفوائد في مشكل الآثار للعز بن عبد السلام ص ٢٦ ـ ٢٧.

عن أنس - رضي الله عنه - قال: جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ أربعة ، كلهم من الأنصار : أبي بن كعب ومعاذ بن جبل وأبو زيد، وزيد - يعني ابن ثابت - قلت لأنس: من أبو زيد ؟ قال: أحد عمومتي - أخرجه الشيخان والترمذي -

وفي رواية أخرى للبخاري قال: مات النبي ﷺ ولم يجمع القرآن غير أربعة: أبو الدرداء ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت وأبو زيد. ونحن ورثناه.

وهذا الحصر إضافي وليس بحقيقي ، فإن في الرواية الأولى أبي بن كعب بدلاً من أبي الدرداء. وقد جمعه غيرهم أيضاً.

فعن سعيد بن جبير عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: جمعت المحكم في عهد رسول الله ﷺ فقلت : وما المحكم ؟ قال: المفصل - أخرجه البخاري -

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - قال: جمعت القرآن، وقرأت به كل ليلة . . . الحديث - أخرجه النسائي -

ولو كان المراد بالجمع مجرد الحفظ غيباً، لما كان لهذا الحصر - وإن كان إضافياً - أو التخصيص معنىً، فما أكثر الحفظة في ذلك العهد وأكثر بهم[1].

وفي خلافة أبي بكر - رضي الله عنه - استحر القتل بالقراء في الحروب ، ولا سيما يوم اليمامة[2]. فخشي أبو بكر وعمر - رضي الله عنهما - أن يستحر القتل فيهم في مواطن آتية، لأنهم كانوا يتهافتون على القتال، ويطلبون الشهادة. فعملا على جمع القرآن الكريم في كتاب واحد بين دفتين، خشية أن

---

(١) وقد أشار إلى ذلك ابن تيمية فقال: « ثبت في الصحيح أنه جمع القرآن كله على عهد النبي ﷺ جماعة من الصحابة » انظر مجموع الفتاوى ١٣ / ٤٠ .

(٢) وكان في سنة اثنتي عشرة للهجرة، وفيه دارت رحى حرب حامية الوطيس بين المسلمين وأتباع المتنبىء مسيلمة الكذاب. وقد استشهد فيها كثير من القراء ينتهي عددهم إلى السبعين. ثم انتهت بقتل مسيلمة.

يضيع منه شيء بذهاب حفظته، وليكون مرجعاً رسمياً للناس. فانتدبا لذلك كاتب الوحي القوي الأمين، الذي حضر العرضة الأخيرة للقرآن حين عرضه رسول الله ﷺ على جبريل للمرة الثانية، ثم قرأه على الصحابة - رضي الله عنهم - في السنة التي كانت فيها وفاته.

عن زيد بن ثابت - رضي الله عنه - قال: أرسل إلي أبو بكر - رضي الله عنه - مقتلَ أهل اليمامة، فإذا عمر - رضي الله عنه - جالس عنده، فقال أبو بكر: أن عمر جاءني فقال: إن القتل قد استحر يوم اليمامة بقراء القرآن، وإني أخشىٰ أن يستحر القتل بالقراء في كل المواطن، فيذهب من القرآن كثير، وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن. قال: قلت لعمر: كيف أفعل شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ؟ فقال عمر: هو والله خير: فلم يزل يراجعني في ذلك حتى شرح الله صدري للذي شرح صدر عمر، ورأيت في ذلك الذي رأى عمر. قال زيد: فقال لي أبو بكر: إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ فتتبع القرآن فاجمعه. قال زيد: فوالله لو كلفني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل علي مما أمرني به من جمع القرآن. قال: قلت: كيف تفعلان شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ؟ فقال أبو بكر: هو والله خير. قال: فلم يزل أبو بكر يراجعني - وفي رواية: فلم يزل عمر يراجعني - حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر. قال: فتتبعت القرآن أجمعه من الرِقاع والعُشُب واللِخاف[1] وصدور الرجال، حتى وجدت آخر سورة التوبة مع خزيمة - أو أبي خزيمة الأنصاري - لم أجدها مع أحد غيره: ﴿ **لقد جاءكم رسول الله من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم.....** ﴾ خاتمة براءة. قال: فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله، ثم عند عمر حتى توفاه الله، ثم عند حفصة بنت عمر - أخرجه البخاري والترمذي -

---

(١) الرقاع: جمع رقعة. والعُسُب: جمع عسيب، وهو سعُف النخل، واللِخاف: جمع لَخْفَة، وهي حجارة بيض رقاق. انظر جامع الأصول ٢/٥٠٣.

فالخشية من ضياع نص من القرآن على توالي الأيام، ولا سيما مع كثرة الحروب ، هي التي دفعتهما لجمعه في مصحف واحد. أضف إلى ذلك أن طريقة أداء هذا المكتوب لا تتأتىٰ إلا عن طريق التلقين والرواية فخافا أن يموت القراء ، فتتعثر طريقة الأداء.

وجمع زيد لم يكن في الحقيقة إلا إعادة لمكتوب كان قد كتب، إذ من الثابت المتواتر بالنصوص المنقولة أن القرآن كان مكتوباً كله في عهد النبي ﷺ كما سبق، ولكنه لم يكن مجموعاً في مصحف واحد. فعمله إذاً لا يتعدىٰ البحث عن الرقاع والعسب وغير ذلك مما كان القرآن مكتوباً عليه. وكان منهجه في الجمع على الطريقة التالية :

١ ـ أن لا يقبل من أحد شيئاً حتى يشهد شهيدان، مبالغة في الحيطة وتحرياً في الدقة، مع أنه كان من حفاظ القرآن الكريم. وإنما كان يطلب التثبت عمن تلقاها من النبي ﷺ من غير وساطة.

أما قوله عن خاتمة براءة: «لم أجدها مع غيره» فمعناه أنه لم يجدها مكتوبة عند أحد غير خزيمة. فالذي انفرد به خزيمة عمّن تتبع الآية عندهم إنما هو كتابتها لا حفظها. إذ الآية قد ثبت كونها قرآناً بأخبار كثيرة غامرة عن حفظهم في صدورهم. وليست الكتابة شرطاً في التواتر.

٢ ـ التقاء المحفوظ بالمكتوب، فكان لا يكتفي بالمحفوظ دون المكتوب، ولا بالمكتوب دون المحفوظ. وهذا الالتقاء له قيمته في التوثيق. فقد يكون ثمة خطأ في المكتوب لا يؤيده المحفوظ، أو العكس.

وكان كما قال أبو شامة « لا يكتب إلا من عين ما كتب بين يدي النبي ﷺ لا من مجرد الحفظ » لأن القرآن كتب جميعه في عهد النبي ﷺ لم يسقط منه شيء، ولما التحق الرسول ﷺ بالرفيق الأعلىٰ، كان التوثيق قد تم بشقيه المكتوب والمحفوظ [1].

---

(١) فتح الباري لابن حجر ١٢/٩ ، الاتقان ٥٨/١ .

ومما ينبغي الانتباه إليه أن عمل زيد هذا لم يكن عملاً انفرادياً ، بل كان عملاً جماعياً. وذلك لأن زيداً ـ رضي الله عنه ـ أعلن خطته في جميع الصحابة ﷺ ليأتيه الحافظون والكاتبون بما عندهم. فتعاونوا تعاوناً كان مضرب المثل في التعاون العلمي. وبعد أن كتب زيد هذا المصحف تلقاه الصحابة فقرؤوه وتدارسوه، ثم أقروه. فكان من هذا المنطلق أيضاً متواتراً بالكتابة كما كان متواتراً بالحفظ[١].

احتفاظ أبي بكر وعمر ـ رضي الله عنهما ـ بالمصحف:

لما فرغ زيد ـ رضي الله عنه ـ من كتابة المصحف سلمه إلى أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ فبقي عنده إلى أن مات. ولم يحاول أن يمنع المصاحف الفردية التي كانت منتشرة إذ ذاك بجانب المصحف الذي جمع بعد طول عناء وجهد منقطع النظير لعدم الحاجة الى ذلك.

ويتميز أول مصحف رسمي عن النسخ الأخرىٰ الكاملة أو الناقصة التي كانت عند الأفراد بمطابقته المطلقة للنص المنزل طبقاً للعرضة الأخيرة[٢].

قال علي ـ رضي الله عنه ـ : أعظم الناس أجراً في المصاحف أبو بكر. رحمة الله على أبي بكر. هو أول من جمع بين اللوحين[٣].

ولما حضرت أبا بكر ـ رضي الله عنه ـ الوفاة سلم المصحف إلى عمر ـ رضي الله عنه ـ لأنه أوصى له بالخلافة وأخذ له البيعة. فاحتفظ به عمر ـ رضي الله عنه ـ وسار على طريقة أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ ذاتها، لأنه لم يجدّ جديد. غير أنه ضم المكتوب في قطع الأدم، وكسر الأكتاف والعسب،

---

(١) المصاحف ص ٥ ـ ١٠، وانظر في ذلك مقدمة الطبري ١/٦٢، والمقنع لأبي عمر الداني ص ٣ ـ ٤.

(٢) مدخل الى القرآن الكريم ص ٣٧ لمحمد عبد الله دراز.

(٣) المصاحف ص ٥.

وأرسل أيضاً ببعض القراء إلى بلاد الشام ليعلموا الناس القرآن بعد أن كثر المسلمون في هذه الديار ونموا. وكان هذا الإرسال جانباً آخر من جوانب التوثيق لقراءة القرآن حتى لا تنحرف الألسنة عن صواب القراءة.

ولما انتقل عمر ـ رضي الله عنه ـ إلى جوار ربه . تسلمت حفصة بنت عمر ، أم المؤمنين ـ رضي الله عنه ـ هذا المصحف، وبقي عندها إلى أن طلبه عثمان ـ رضي الله عنه ـ لأن عمر ـ رضي الله عنه ـ لم يستخلف. وإنما رشح ستة، فاختار المسلمون منهم عثمان.

ما حدث في زمن عثمان ـ رضي الله عنه ـ:

وفي عهد عثمان ـ رضي الله عنه ـ اتسعت الفتوح، وكثر الداخلون في دين الله ، وتعددت القراءات. وكل قارىء يعزو قراءته إلى قارىء من الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ وقد ساعد على ذلك وجود مصاحف بجانب مصحف أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ فثار الجدال واحتدم النزاع، واتسعت الفروق بين القراءات.

وإنه مما لا شك فيه أن بعض القراءات قد نسخ قبل العرضة الأخيرة وبعدها. ولم يكن بعض الصحابة على علم بذلك، وهم متمسكون بها . فتناقل الرواة عنهم هذه القراءات، من غير أن يعلموا بالنسخ[1].

عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال عمر ـ رضي الله عنه ـ : أبيٌّ أقرؤنا وإنا لندع من لحن أبي ، وأبي يقول: أخذت من في رسول الله ﷺ فلا أتركه لشيء. وقال الله : ﴿**ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها.** ﴾ ـ أخرجه البخاري ـ.

ولحن أبي . هو لغته وقراءته التي يقرأ بها القرآن[2].

---

(١) الإتقان ٢/٢٢ ، فتح الباري ١٢/١٤٣ .

(٢) جامع الأصول بتعليق عبد القادر الأرناؤوط ٢/٤٨٤ ، والآية من سورة البقرة رقم ١٠٧ .

قال الحافظ : وكان أُبي بن كعب ـ رضي الله عنه ـ لا يرجع عن حفظه من القرآن الذي تلقاه عن رسول الله ﷺ ولو أخبره غيره أن تلاوته نسخت، لأنه إذا سمع من رسول الله ﷺ حصل عنده القطع به، فلا يزول عنه بإخبار غيره أن تلاوته نسخت. وقد استدل عمر ـ رضي الله عنه ـ بالآية الدالة على النسخ. وهو من أوضح الاستدلال في ذلك اهـ.

إن تفرق الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ في الأمصار، وانتشارهم في الديار، بسبب الجهاد زمن أبي بكر وعمر وعثمان ـ رضي الله عنهم ـ كان سبباً كبيراً في انتشار كثير من الأحرف القرآنية المنزلة قبل العرضة الأخيرة، مما كان النبي ﷺ قد أقرأ به ثم تركه بأمر من الله عزّ وجلّ.

أضف إلى ذلك حدوث قراءات لهجِيَّة من قِبَل من لم تستطع ألسنتهم أن تجاري القراءة التي تلقلوها في مخارج الحروف ونطق الكلمات. فتلقفها بعض الناس وتناقلوها على أنها قراءات. فتعددت الروايات وكثرت، وأصبحت القراءات معرِضاً ضخماً للهجات العرب المختلفة.

توثيق القرآن في زمن عثمان ـ رضي الله عنه ـ:

خشي عثمان ـ رضي الله عنه ـ أن تطغى اللهجات العربية على ما نزل به القرآن، وأن يدخل في القرآن ما ليس منه، ولا سيما بعد أن جاءه حذيفة به اليمان ـ رضي الله عنه ـ بما رأى من اختلاف أهل الشام وأهل العراق عند اجتماعهم في غزوة أرمينيّة. فقام خطيباً فقال: « أيها الناس إنما قبض نبيكم ﷺ منذ خمس عشرة سنة، وقد اختلفتم في القراءة !؟» ثم استنسخ مصاحف من المصحف الذي جمع في خلافة أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ وأرسلها إلى الآفاق الإسلامية[1].

عن محمد بن شهاب الزهري عن أنس ـ رضي الله عنه ـ أن حذيفة بن

---

(١) فتح الباري ٩/١٤، الفوائد في مشكل الآثار للعز بن عبد السلام ص ٢٦.

اليمان ـ رضي الله عنه ـ قدم على عثمان ـ رضي الله عنـه ـ وكان يغـازي أهل الشام في فتح أرمينيّة وأذْرَبيجان مع أهل العـراق. فأفـزع حذيفـةَ ـ رضي الله عنـه ـ اختلافُهم في القـراءة فقـال حـذيفـة لعثمـان: يـا أميـر المؤمنين، أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى. فأرسل عثمـان إلى حفصة : أن أرسلي إلينـا بالصحف ننسخهـا في المصاحف ، ثم نردها إليك. فأرسلت بها إليه. فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، فنسخوها في المصاحف. وقـال عثمان للرهْط القرشيين : إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن ـ وللبخاري من رواية شعيب بن أبي حمزة : في عربية من عربيـة القرآن ـ فاكتبوه بلسـان قريش، فـإنما نـزل بلسـانهم. ففعلوا. حتى إذا نسخـوا الصحف في المصاحف رد عثمان الصحف إلى حفصة. وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا. وأمر بما سوى ذلـك من القرآن في كـل صحيفة أن يحـرق ـ أخرجـه البخاري والترمذي ـ .

وزاد في رواية أخرىٰ : قال ابن شهاب : اختلفوا يومئذ في « التابوت » فقال زيد : « التابوه ». وقـال ابن الزبيـر وسعيد بن العـاص (التابـوت) فرفـع اختلافهم الى عثمان ـ رضي الله عنـه ـ فقال: اكتبـوه (التابـوت) فإنـه بلسان قريش.

اللغة التي كتب بها القرآن :

كان كتاب الوحي في عهد النبي ﷺ يكتبون القرآن بلغة قريش. لأنه نزل بها. ولا سيما قبل عام الوفود. أما الأحرف السبعة، فإنما هي في قراءة القرآن. وليست في كتابته.

ومن البديهي أن تكون اللغة التي كتب بها المصحف في عهد الخليفتين الراشدين أبي بكر وعثمان ـ رضي الله عنهمـا ـ كذلـك . لا سيما وأن عثمـان ـ رضي الله عنه ـ أمرهم بذلك. والصحف التي كانت عند حفصة ـ رضي الله عنهما ـ كانت بخط زيد ـ رضي الله عنه ـ فلهذا أمره عثمـان ـ رضي الله عنه ـ

بأن ينسخ المصاحف من تلك الصحف. وجعل معه ثلاثة من قريش ليكتبوا المصاحف بلسانهم[1].

ما اشتمل عليه المصحف العثماني :

أجمع المسلمون منذ الصدر الأول على أن لا يُقرأ بحرف، ولا يحكم بقرآنيته ، ولا يكتب في المصحف حتى يتحقق في نقله التواتر. ولذلك لم يُثْبت الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ في المصحف الذي كتب أيام أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ ثم أخذ عنه في زمن عثمان ـ رضي الله عنه ـ لم يثبتوا إلا ما أجمع جمهورهم على أنه من القراءة الثابتة في العرضة الأخيرة التي قرأبها رسول الله ﷺ على جبريل ، وأقرأ بها أصحابه بعدها. واطرحوا ما انفرد بروايته الآحاد. ثم تم الإجماع على ذلك[2].

وكان قراء الأمة من الصدر الأول يعتمدون على قوة حفظهم وإتقانهم. فكانت القراءة تنقل غالباً عبر الصدور. ولم تظهر الحاجة إلى التدوين إلا عندما تفاقم الأمر على العامة، وأطلت الفتنة برأسها فكتب عثمان ـ رضي الله عنه ـ المصاحف وأرسلها إلى الأقاليم، ليسد باب الفتنة، وليجمع المسلمين على مصحف واحد، يضبط بوساطته ما حفظوه وما بلغهم من أحرف القرآن ، فيكون مرجعاً لهم يميزون الثابت من المنسوخ[3].

فالذي كتب في المصاحف إنما هو المتفق على إنزاله ، المقطوع به ، المكتوب بأمر النبي ﷺ.

رسم المصاحف العثمانية وتعدده تبعاً للقراءات.

إن المصاحف العثمانية التي نسخت من مصحف أبي بكر ـ رضي الله

---

(١) مجموع فتاوىٰ ابن تيمية ١٥/٢٥٢.

(٢) فتح الباري ١٢/١٤٣، النشر ١/٣١، مجلة كلية القرآن الكريم ص ١٢٣.

(٣) المجلة ص ١٠٥.

عنه ـ وكتبت بلغة قريش ، اشتملت بما يحتمله رسمها من مرونة على الأحرف المتبقية بعد العرضة الأخيرة . وذلك أنه لما كانت الأحراف القرآنية قد تتعدد في الموضع الواحد من القرآن ، عزم عثمان ـ رضي الله عنه ـ على أن يدونها كلها في المصاحف ، ولا يدع منها شيئاً. وبدلاً من أن يكتبوا الوجوه المتعددة مكررة، اصطلحوا على طريقة في الكتابة خاصة بهذه المصاحف، تجعل الكلمة التي نزل فيها عدة أوجه مرسومة بطريقة تجعلها محتملة لأن تُقرأ بكل تلك الأوجه. فغيروا في إملاء الخط بشكل يترك المجال مفتوحاً للأوجه الثابتة المنزلة ما أمكنهم ذلك[1]. ومع هذا كله لم تكن المصاحف متحدة الرسوم تماماً. بل كان ثمة اختلاف في مواضع قليلة من رسومها كتبت عن عمد وقصد. وهي كلها صحيحة المعنى لا تتجاوز الارتباط بالرسم إثباتاً وحذفاً وإبدالاً. تبعاً للقراءات التي قرأ بها النبي ﷺ وبقيت بعد العرضة الأخيرة. فقد أمر عثمان أن يكتب بعضها برواية، والآخر برواية أخرىٰ ، مما أجمع الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ على الأخذ به . وإنما فعل ذلك لأن الكلمة لو كررت في كل مصحف، لتوهم الناس نزولها كذلك مكررة. ولو كتبت بصورة في الأصل وبأخرى في الحاشية. لكان تحكماً فيه إيهام التصحيح. فاقتصر على رواية واحدة في كل مصحف[2].

ومن الجدير بالذكر أن عثمان ـ رضي الله عنه ـ ما فعل شيئاً إلا بمشورة الصحابة ـ رضي الله عنه ـ واتفاقهم . وأن كل مصحف كتبه جماعة ، ووقف عليه خلق عظيم ممن يحصل التواتر بأقل منهم[3].

ثم بعث عثمان ـ رضي الله عنه ـ إلى كل جهة بنسخة، تقليلاً للاختلاف

---

(١) تاريخ القرآن وغرائب رسمه وحكمه لمحمد طاهر الكردي ١/٩٧، مجلة كلية القرآن ص ١٠٨ وص ١١١.

(٢) مقدمتان في علوم القرآن ص ١٢٠ ـ ١٢١، تاريخ القرآن وغرائب رسمه وحكمه ١/٩٧ ـ ٩٨، البرهان ١/٣٢٩، مجموع فتاوىٰ ابن تيمية ١٣/٤٠٢.

(٣) مجموع فتاوى ابن تيمية ١٣/٣٩٥ و١٥/٢٥٣.

في الجهة الواحدة ما أمكن. وأرسل أيضاً إلى كل جهة إماماً أو أئمة لإرشاد الناس إلى كيفية القراءة. فاستند أهل كل جهة إلى أصل مجمع عليه ومن ثم اشتهر أهل كل جهة بقراءة. ولا زال أثر ذلك باقياً إلى اليوم، ففي بلاد الشام رواية حفص عن عاصم، وفي المغرب رواية ورش عن نافع، وفي السودان قراءة أبي عمرو الدوري إلى جانب قراءة نافع.. وهكذا. وقد قصد عثمان ـ رضي الله عنه ـ بذلك إنفاذ ما وقع عليه الإجماع إلى الأقطار الإسلامية وإشهاره بينهم[1].

هذا. ولما كانت المصاحف العثمانية التي أجمعت عليها الأمة مكتوبة بهجاء خاص، وبقواعد معينة، أُطلق على تلك الكتابة اسم (الرسم العثماني) نسبة إلى عثمان ـ رضي الله عنه ـ وما زال هذا الرسم سنة متبعة إلى يومنا هذا. لا يخضع للتبديل أو التغيير. لأن رسوم الهجاء قد تتغير جرياً على العادة، وتختلف من زمن إلى زمن. فصيانة لكتاب الله من عبث العابثين، وإغلاقاً لباب التغيير فيه، وإحداث ما ليس منه، أصبح هذا الرسم لا يُمس على مرّ الأجيال[2].

عدد المصاحف التي أرسلها عثمان:

وجّه عثمان ـ رضي الله عنه بمصحف إلى البصرة، ومصحف إلى الكوفة، ومصحف إلى الشام، وترك مصحفاً بالمدينة، وأمسك لنفسه مصحفاً، وهو الذي يقال هل: (الإمام)، ووجه بمصحف إلى مكة، ومصحف إلى اليمن، ومصحف إلى البحرين. فاستوعب بذلك الأمصار الرئيسية في ذلك الوقت.

وقد أجمعت الأمة على ما تضمنته هذه المصاحف وترك ما خالفها. فقد

---

(١) مقدمتان في علوم القرآن ص ١٢٠ـ ١٢١، تاريخ القرآن وغرائب رسمه وحكمه ١/٩٧ـ ٩٨، البرهان ١/٣٢٩.

(٢) الكشاف ٣/٢٠٩، القرآن وأثره في الدراسات النحوية ص ١٨.

تخلى من كان عندهم مصاحف أخرى عن مصاحفهم، والتزموا بمصحف عثمان. ومن أجل سد باب الفتنة قام عثمان ـ رضي الله عنه ـ بجمع مصاحف الصحابة المتعددة، والتي أدت برواياتها وانتشار قراءاتها إلى الفتنة. وأمر بإحراقها أو محوها على اختلاف الرواية. مخافة أن يتناقلها الناس بعد موت أصحابها، فيقع لبعضهم توهم أن ما فيها يخالف المصحف الذي عليه الأمر[1].

وهكذا عمل عثمان ـ رضي الله عنه ـ على القضاء على ما لم يثبت في العرضة الأخيرة. ولذلك قال علي ـ رضي الله عنه ـ: يا معشر الناس اتقوا الله عز وجل، وإياكم والغلو في عثمان، وقولكم: حرق المصاحف. فوالله ما حرقها إلا عن كلامنا أصحاب محمد ﷺ[2].

على أن كثيراً من قراءات المصاحف المنسوبة إلى كبار الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ قد تناقلته الرواة خلفاً عن سلف. وسجلته كتب الحديث والتفسير والفقه، لتوضيح النصوص والأحكام. وعرضته كتب اللغة والنحو. لأنه في باب الاستدلال اللغوي والنحوي مصدر كبير من مصادر العربية. ومن الجدير بالذكر أن بعض الروايات صحيحة قوية السند.

الفرق بين عمل الخليفتين ـ رضي الله عنهما ـ:

كان عمل أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ عبارةً عن نقل القرآن وكتابته وجمعه في صحف أو مصحف. مرتب الآيات، مستوثقاً بالتواتر والإجماع. وكان الغرض منه تستجيل القرآن، وتقييده بالكتابة مجموعاً مرتباً، خشية ذهاب شيء منه بموت حملته وحفاظه.

أما عمل عثمان ـ رضي الله عنه ـ فكان عبارة عن نقل ما في تلك

---

(1) النشر ١/٧، لطائف الإشارات ص ٦٤، المصاحف لابن أبي داود ص ٣٤.
(2) مقدمتان في علوم القرآن ص ٤٦.

الصحف، واستنساخ مصاحف منها ترسل إلى الآفاق الإسلامية، ملاحظاً فيها كتابته بطريقة تجمع وجوه القراءات المروية عن رسول الله ﷺ بالتواتر بعد العرضة الأخيرة كما سلف. والغرض منه إطفاء الفتنة التي أطلت برأسها بين المسلمين. وبذلك جمع عثمان ـ رضي الله عنه ـ شمل المسلمين بفضل الله عليه، ووحد كلمتهم، وحفظ كتاب ربهم من التبديل أو التغيير، بجمع الناس على تلك المصاحف يقرؤون فيها ويكتبون منها. وتتابعوا على ذلك إلى يومنا هذا.

إن عمل عثمان لا يقل عن عمر أبي بكر ـ رضي الله عنهما ـ بل هو امتداد له. فكلا العملين دعت إليه الحاجة ، واقتضته الضرورة. غير أن الجديد في عمل عثمان ـ رضي الله عنه ـ أنه وحد المسلمين على المصحف الذي قام بكتابته . ولولا ذلك لتفرق القرآن إلى مصاحف عديدة تتسع الهوة فيما بينهما على الأيام كما حدث لدى اليهود والنصارى في كتبهم المقدسة[١]. .

قال سهيل ديب في مقدمة كتابه (التوراة بين الوثنية والتوحيد)[٢]: إن تاريخ القرآن الكريم معروف بدقة متناهية، لا تدع أي مجال للتأويل أو الاجتهاد أو الخطأ.

---

(١) الاتقان ١/١٣٨ .

(٢) انظر ص ٤ الطبعة الأولى دار النفائس.

٤ ـ القراءات العشر المتواترة

تعريف القراءات :

هي اختلاف ألفاظ الوحي في الحروف وكيفيتها من تخفيف وتشديد وغيرهما[١].

أما علم القراءات ، فهو علم يعرف به كيفية أداء كلمات القرآن واختلافها ، معزواً لناقله.

وموضوعه : الكلمات القرآنية من حيث أحوالها التي يبحث عنها فيه ، كالمدّ والقصر وغيرهما. وله فوائد كثيرة : منها صيانة كتاب الله عزّ وجلّ عن التحريف والتغيير . ومنها معرفة ما يقرأ به كل واحد من الأئمة ، وتمييز ما يقرأ به وما لا يقرأ به[٢].

صلة القراءات بالأحرف السبعة :

الحق الذي يعرفه كل محقق أن ما أثبت في العرضة الأخيرة من أحرف القرآن، والذي يمثل الصيغة الكاملة والأخيرة للقرآن ، قد كتب كله في المصاحف العثمانية، ولم يترك منه شيء . وأن ما كان صحيحاً ولم يكتب ، فهو

---

(١) الاتقان ١ / ٨٠.

(٢) النجوم الطوالع على الدرر اللوامع في أصل مقرأ الإمام نافع لإبراهيم المارغني المفتي المالكي بتونس ص ٢١ طبعة الدار البيضاء.

مما أنزل قبل العرضة الأخيرة ، ثم نسخ وترك بعدها.

ولم يختلف أهل التحقيق في أن الثابت بالتواتر من القراءات القرآنية التي هي بين أيدينا اليوم ، يحمل في طياته جميع الأحرف التي أثبتت في العرضة الأخيرة. لأن الله قد تكفل بحفظ القرآن ، فلا يصح أن يكون شيء منه قد ضاع أو نسي أو اندثر.

ويلزم من هذا أن تكون الأحرف المثبتة في العرضة الأخيرة محفوظة كلها ومستوعبة في القراءات العشر المتواترة التي بين أيدينا، والتي تلقتها الأمة في كل مكان وزمان بالقبول، ولا تزال تتلقاها إلى أن يأذن الله برفع القرآن [1].

ومن تلقى القراءات القرآنية وتتبعها يجد أن القرآن على نوعين من حيث القراءة والرواية :

١ ـ مواضع الاتفاق : وهي التي لم ترد إلا على وجه واحد ، ولم يرد فيها أي وجه مغاير . وهذا هو معظم القرآن.

٢ ـ مواضع الاختلاف حيث ورد فيها وجهان فأكثر إلى سبعة.

ولا يلزم أن توجد كلمة في القرآن مقروءة على سبعة أوجه. لأن الأوجه السبعة المنزلة نسخ من أفرادها الكثير في العرضة الأخيرة . فلعل ما بقي من أفراد تلك الأحرف المنزلة يبلغ ستة كحد أقصى لمواضع الخلاف. لأنه لم يثبت أكثر من ستة أوجه متواترة في موضع في القرآن أبداً.

وتقييد ذلك الحد بالكلمة القرآنية الواحدة ضمن النوع الواحد من أنواع التغاير، احتراز من التفريعات التي يُفَرِّعها القراء ، خشية التركيب في الطرق . إذ قد يكون في الكلمة الواحدة موضعان أو أكثر من مواضع الخلاف ، ويندرج كل موضع ضمن نوع من أنواع التغاير ، فإذا أردت أن تجمع ما في ذلك كله

---

(١) مجلة كلية القرآن الكريم ص ٦٤ . وص ١٢٣ ـ ١٢٤ .

من أوجه دون التفات للأنواع، تولد لديك حشد كبير من الأوجه[1].

معيار القراءة الصحيحة :

تفرق القراء في البلاد وانتشروا، وخلفهم أمم بعد أمم ، عُرفت طبقاتهم ، واختلفت صفاتهم ، فكان منهم المتقن للتلاوة المشهور بالرواية والدراية ، ومنهم المقتصد على وصف من هذه الأوصاف . فكثر لذلك بينهم الاختلاف ، وقل الضبط ، واتسع الخرق ، وكاد الباطل يلتبس بالحق . فقام جهابذة علماء الأمة ، وبالغوا في الاجتهاد ، فجمعوا الحروف والقراءات ، وعزوا الوجوه والروايات. وتمييزاً بين الثابت من القراءات وغير الثابت ، وضعوا قاعدة ، فيها مقاييس ، تعرف بها القراءة الصحيحة المقبولة التي لا يحل إنكارها ، وتُمَيزها عن غيرها من الشاذة المردودة . ألا وهي : « كل قراءة وافقت اللغة العربية ، ووافقت رسم المصاحف العثمانية ، وثبتت بطريق التواتر. فهي القراءة التي يجب قبولها ، ولا يحل جحدها. وهي من جملة الأحرف السبعة ، التي نزل بها القرآن الكريم ».

فإذا اختل ركن في قراءة ما ، فهي شاذة مردودة . وهم بهذه المقاييس قد صانوا القراءات من كل تحريف. وأهم هذه الأركان هو الثالث. لذا سأبدأ به شرحاً وتفصيلاً. أما الركنان الآخران فلازمان له[2]

١ ـ اتصال السند إلى النبي ﷺ وتواتره :

إن نقل الأحرف القرآنية لا يكتفىٰ فيه برواية الواحد ولا الاثنين. بل لا بد من أن ينقلها جمهور من القراء ، ليحصل اليقين بنقلهم. فليس كل ما حكي وأثبت في الكتب أو ورد ولو بسند صحيح يعد قراءة قرآنية . فقد أجمع العلماء على اشتراط التواتر لإثبات قرآنية أي نص مروي. وهم في ذلك ممتثلون لأمر

---

(١) المجلة ص ٨٦ وص ٨٨ ـ ٩٠ .

(٢) النشر ١/ ٩، المجلة مقال عن القراءات الشاذة للشيخ عبد الفتاح القاضي ص ١٧ ـ ١٨ ، وانظر ص ١٠٧ وص ١١٠ ـ ١١ .

نبيهم ﷺ كما في حديث علي وابن مسعود ، ـ رضي الله عنهما ـ أن يقرؤوا كما عُلموا ، فلا يتجاوزوا ما تلقوه عنه .

وتأكيداً لذلك نص الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ على قاعدة مستقاة من هذا الحديث ، فقال عمر وزيد بن ثابت ـ رضي الله عنهما ـ القراءة سنة متبعة يأخذها الآخر عن الأول ». وقال ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ: « اقرؤوا كما عُلمتم ، وإياكم والتنطع ». ولذلك لم يستبح أحد من السلف لنفسه أن يقرأ إلا بحرف بلغة بإسناده عن النبي ﷺ. وكل من قرأ منهم ، أو قرأ بشيء من الأحرف ، فإنه ينص على إسناده به . وإنك لتجد أمهات الكتب في فن القراءات مصدرة بذكر الأسانيد والطرق التي بوساطتها تلقّىٰ مصنف الكتاب ما ضمنه من أحرف قرآنية. وقد يَنُصّون في بعض المواضع بخصوصها على أسانيدها الخاصة إذا كان فيها خلاف يقتضي ذلك. أما الأحرف المشهورة ، فلا يلزمهم فيها ذكر الإسناد عند كل موضع[1] .

ثم إن الأحرف القرآنية تنحصر روايتها ويقتصر تلقيها على نوع واحد من أنواع التلقي والرواية ، ألا وهو المشافهة فمن الناس من يعرب ولا يلحن ، ولا علم له بغير ذلك. فجهله بالقراءات لا يمحوه قدرته على الإعراب. إذ ربما دعاه بصره بالإعراب إلى أن يقرأ بحرف جائز في العربية ، لم يقرأ به أحد من الماضين ، فيكون مبتدعاً . فلا بد من أن يسمع الراوي من شيخه الأحرف . بل قال بعضهم : لا بد من أن يعرضها عليه ـ أي يقرأ بها والشيخ يسمع منه ـ إذ ليس كل سامع بالضرورة قادراً على القراءة بما يسمع[2].

والذي أوجب هذه الطريقة من طرق التلقي والرواية دون غيرها ، أن القراءة أمر يتعلق بكيفيات النطق ، وهي لا تُعلم إلا بالتطبيق العملي والسماع .

---

(١) المجلة ص ١٠٩ ـ ١١٠ ، وانظر ص ٨٦ .

(٢) المجلة ص ١١٠ ، وانظر مقدمة ابن مجاهد ص ٤٥ ، ولطائف الإشارات لشهاب الدين القسطلاني ١/ ١٧٢ .

فلا يمكن تلقيها من الكتب. وقد حرص علماء الإسلام، وبخاصة أهل القراءة، على العناية بشرط الإسناد والتثبت منه عند الإقراء، فلم يكن أحد يستطيع التصدر للإقراء ما لم يكن مجازاً من لدن مقرىء متصل السند معروف بالإتقان والعلم. وكان نظام الإجازة في علم القراءة عَلَماً وشعاراً للإسناد، وصلة تربط أهل القرآن بمعلمهم الأول رسول الله ﷺ وضابطاً دقيقاً يميز بين المتقنين الحافظين وبين غيرهم[1].

وصفوة القول في هذا الركن: إنه لو انفرد آحاد بنقل قراءة، لم يعتد بهذا النقل، وإن كان الناقل ثقة عدلاً، وإماماً حجة. أجمع على ذلك العلماء، ابتداءً بالصدر الأول من الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ وانتهاء بالمحققين المتقنين في يومنا هذا[2].

٢ ـ موافقة رسم أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً:

وهذا شرط آخر، أجمع عليه أهل الصدر الأول بعد كتابة مصاحف عثمان ـ رضي الله عنه ـ فاطرح كل واحد من الصحابة ما كان كتبه من صحف، وسلمها للخليفة الراشد عثمان، فحرقها وشققها وغسلها بالماء. وائتلفت الأمة على القراءة والإقراء بما دُوّن وكتب في تلك المصاحف دون غيرها. وهذا الإجماع مبني على إجماعهم على أن ما كتب فيها هو القرآن في عرضته الأخيرة كاملاً غير منقوص، وأن ما لم يكتب فيها، إما منسوخ، أمر رسول الله ﷺ بتركه في العرضة الأخيرة، أو لم ينزل أصلاً، بل كتب شرحاً وتفسيراً[3].

---

(١) المجلة ص ١١٠.

(٢) ولم يشذ عن هذا الرأي إلا أفراد قلائل لا يلتفت إلى آرائهم. منهم مكي بن أبي طالب وابن الجزري، حيث ذهبوا إلى الاكتفاء في ثبوت القراءة بصحة السند، وإن لم تكن متواترة، لكن بشرط ان تظفر بالشهرة والاستفاضة والتلقي بالقبول فخالفوا إجماع من قبلهم وإجماع من بعدهم. انظر المجلة ص ١٧ ـ ١٨ وص ٢١ ـ ٢٢، والنشر ١/٩ و١٣، والإتقان ١/٧٥ ـ ٧٧.

(٣) المجلة ص ١١١.

وقد اتفق العلماء من بعد الصحابة ، اقتداء بهم ، على أن القراءة مقصورة على ما في مصاحف عثمان ـ رضي الله عنه ـ فما لم تتضمنه أو يحتمله رسمها، لا يقرأ به، ولو صح إسناده إلى النبي ﷺ بل يعد من الأحرف المنسوخة التي أجمع الصحابة على أنها مما ترك في العرضة الأخيرة.

هذا. ولا تشترط موافقة أحد المصاحف تحقيقاً، بل تكفي الموافقة الاحتمالية أو التقديرية. وذلك لإدخال كثير من القراءات الصحيحة. حتى لا يظن أنها شاذة(1).

بيد أن خط المصاحف العثمانية لا يكفي وحده لضبط القراءة. فإنه في كثير من الأحيان وكثير من المواضع يحتمل أوجهاً كثيرة ، لا تضبطها وتحدها إلا الرواية ، ولا يمسك بزمامها إلا الحفظ . ولذلك وضع العلماء شرطاً آخر ، ألا وهو تواتر السند ، حتى تتميز الأوجه الصحيحة القرآنية من غيرها مما احتمله رسم الخط (2).

وصفوة القول في هذا الركن : إن القراءات الثابتة بالتواتر هي الأصل ، والرسم تابع لها . لأن الرسم قد تحتمل فيه الكلمة وجوهاً عدة ، ولو ترك الأمر بغير ضبط الرواية لحصل خلط واضطراب كبيران.

٣ ـ موافقة اللغة العربية ولو بوجه :

وهذا الشرط ليس في الحقيقة إلا نتيجة لازمة لتوفر الشرطين السابقين. لأن القراءة التي تواتر سندها، ووافقت رسم المصاحف العثمانية ، لا بد أن يكون لها وجه في اللغة العربية ، وإن لم يكن مشهوراً لدى علماء اللغة . فلو فرضنا ورود قراءة متواترة موافقة للرسم العثماني ، ولم نعثر لها على وجه فيما علم من اللغة ـ وهذا لم يقع ـ فإن ذلك ليس دليلاً على عدم وجود وجه لها.

---

(1) المجلة ص ١١٣ وص ٨٦، وانظر النشر ١/ ١١ ، فتاوى ابن تيمية ١٣/ ٣٩٥.
(2) المجلة ص ١٠٧ ـ ١٠٨.

لأن علمـاء اللغة والنحـو ، إنما يتتبعـون ما يصـل إليهم وما يبلغهم من كـلام العرب ، فيبنون قواعدهم ومصطلحاتهم على ذلك . وقد يغيب عنهم شيء من وجوه العربية. أما القراءة إذا تواتر سندها ، ووافقت رسم أحد المصاحف ، فإنا نقطع بأنها قرآن[1].

فالمعول عليه إنما هو القراءة الثابتة بالتواتـر ، وعلى أهل اللغـة والنحو مراجعة حساباتهم واتهام قواعدهم التي أصلوها. إذ القراءات المتواترة لا شك في صحتها وضبطها.

وصفوة القول في معيـار القراءة الصحيحـة أن العمدة هـو التواتـر ، فلا تتحقق ما هية القـرآن إلا به. ومتى تحقق لـزم أن تكون القـراءة موافقـة لأحد المصاحف العثمانية وللغة العربية.

قال ابن القاصح في شرحه على الشاطبية[2] : مذهب الأصوليين وفقهاء المذاهب الأربعة والمحدثين والقراء أن التواتر شـرط في صحة القـراءة ، ولا تثبت بـالسند الصحيـح غير المتـواتر، ولـو وافقت رسم المصاحف العثمـانيـة والعربية.

تحديد القراءات والتصنيف فيها :

ظل العلماء من أهل القراءة في جميع الأمصار ملتزمين بالأركان الثلاثـة السابقة فيما يقرؤون ويقرئون ، مجمعين على وجـوب مراعـاتها، من غيـر أن يفـرقوا بين روايـة ورواية، ولا بين راو وآخـر ، ومن دون أن يحددوا عـدداً أو يخصوا أحداً. وذلك لعلـوّ الهمم وقرب العهد بالتنزيل. بل كانوا يكرهون نسبة القراءة إلى واحد من نقلتها ورواتها، حتى لا يتوهم أحد أنها خاصة به. فلمـا ضعفت الهمم وبعد العهد اتسعت دائرة الرواية، وتشعبت الأسانيد وكثر الرواة. فاحتاج الناس إلى ضبط هذا الأمر ، حتى لا يختلط على الناس. فتفـرغ عدد

---

(١) المجلة ص ١١٤ ـ ١١٦، وانظر النشر ١/٩ ـ ١١.

(٢) انظر ص ٦، والمجلة ص ١٧ حيث ينقل عن غيث النفع.

من المحققين الأعلام لتتبع الروايات والطرق والأسانيد والحروف المروية، والتحقق من توفر الأركان فيها ، ونحو ذلك. فاختاروا في كل مصر وجه إليها مصحف عدداً من الأئمة المشهورين بالثقة والأمانة في النقل ، وحسن الدراية وكمال العلم، أفنوا عمرهم في القراءة والإقراء، وتميزوا عن سائر رواة القراءة بأنهم أكثر ضبطاً وإتقاناً ودقة وحفظاً للشيوخ والأسانيد. اشتهر أمرهم ، وتلقى الناس رواياتهم بالقبول والرضا، وأجمع أهل مصر كل واحد منهم على ضبطه وإمامته. لزيادة إتقانهم ، وتواتر مروياتهم.

وقد اختلف المحققون في اختيار الأئمة ، إلا أنه وقع الاتفاق على إمامة عدد من القراء في كل مصر من الأمصار الخمسة التي أرسلت إليها المصاحف العثمانية ، ألا وهي الحرمان والكوفة والبصرة والشام[1].

وألف بعض العلماء كتباً ضمنوها القراءات التي ثبتت لديهم، وتوفرت فيها الأركان الثلاثة. فقد ألف ابن جرير الطبري كتاباً سماه (الجامع) ضمنه قراءة عشرين إماماً ممن وقعت له أسانيدهم، منهم السبعة المشهورين الذين ذكرهم ابن مجاهد كما سيأتي. وكذلك فعل أبو عبيد القاسم بن سلام وإسماعيل بن إسحاق القاضي صاحب قالون . وألف ابن جبير المقرىء كتاباً ضمنه قراءة ثمانية من القراء، وهم سبعة ابن مجاهد، وزاد عليهم يعقوب الحضرمي. وألف أبو بكر الداجوني كتاباً ضمنه قراءة أحد عشر إماماً ، منهم أبو جعفر . وألف أبو القاسم الهذلي كتابه (الكامل) فضمنه قراءة الأئمة العشرة ، وزاد عليهم أربعين شيخاً ، رَوَىٰ عنهم القراءة[2].

القراءات السبع :

وألف أبو بكر بن مجاهد التميمي شيخ القراء في عصره ببغداد ،

---

(١) المجلة ص ١١٦ ـ ١١٩، وانظر اتحاف فضلاء البشر ص ٦.

(٢) المجلة ص ١٢١ ـ ١٢٢.

والمتوفىٰ سنة ٣٢٤ هـ[1] كتاب (السبعة) واقتصر فيه على سبعة القراء التالي ذكرهم.

١ ـ نافع بن عبد الرحمن بن أبي نُعيم ، إمام القراءة بالمدينة المنورة زمن مالك بن أنس. أخذ عن سبعين من التابعين ، أصله من أصبهان . ولد سنة ٧٠ هـ ، وتوفي سنة ١٦٩ هـ[2].

٢ ـ عبد الله بن كثير بن المطلب المكي الداري، إمام أهل مكة في القراءة في زمنه، وهو من التابعين ، لقي من الصحابة عبد الله بن الزبير وأبا أيوب الأنصاري، وأنس بن مالك ـ رضي الله عنهم ـ ولد بمكة سنة ٤٥ هـ ، وأقام مدة بالعراق ، ثم عاد إلى مكة وتوفي فيها عام ١٢٠ هـ[3].

٣ ـ عبد الله بن عامر اليَحْصَبي، إمام أهل الشام وقاضيهم، وهو من التابعين ، أخذ القراءة عرضاً على أبي الدرداء والمغيرة بن أبي شهاب. جمع له بين الإمامة والقضاء ومشيخة الإقراء بدمشق . ولد سنة ٢١ هـ، أو ٢٨ ، على خلاف في ذلك، وتوفي يوم عاشوراء سنة ١١٨ هـ بدمشق[4].

٤ ـ عاصم بن أبي النَّجود، إمام أهل الكوفة وهو من تابعي التابعين ، انتهت إليه مشيخة الإقراء بالكوفة بعد أبي عبد الرحمن السلمي. مولده غير معروف ، توفي بالكوفة سنة ١٢٧ هـ أو ١٢٨[5].

٥ ـ أبو عمرو بن العلاء التميمي المازني البصري ، إمام البصرة ومقرئها، ومن أعلم الناس باللغة والقراءة، حتى إنه لقب بسيد القراء. ولد

---

(١) انظر ترجمته في غاية النهاية ١/١٣٩ ـ ١٤٢.

(٢) انظر ترجمته في غاية النهاية ١/٣٣٠ ولطائف الإشارات ١/٩٤.

(٣) غاية ١/٤٤٣ ولطائف ١/٩٥.

(٤) غاية ١/٤٢٣ ولطائف ١/٩٤.

(٥) غاية ١/٣٤٦ ولطائف ١/٩٦.

بمكة سنة ٦٨ هـ أو ٦٩ ، ونشأ بالبصرة ، وتوفي بالكوفة سنة ١٤٠ هـ[١].

فهؤلاء من الأمصار الخمسة. ثم زاد عليهم المقرئين التاليين :

٦ ـ حمزة بن حبيب الزيات الكوفي التيمي ـ مولاهم ـ وهو من تابعي التابعين ، انتهت إليه القراءة بعد عاصم ، كان عالماً بالفرائض والعربية . ولد سنة ٨٠ هـ ، وتوفي سنة ١٥٦ هـ بحلوان[٢].

٧ ـ علي بن حمزة الكسائي الأسدي ـ مولاهم ـ وهو فارسي الأصل ، ومن تابعي التابعين . انتهت إليه رئاسة الإقراء بالكوفة بعد حمزة الزيات. كان إماماً في القراءة واللغة والنحو. توفي سنة ١٨٩ هـ بإحدى قرى الري[٣].

فكان كتابه أول مصنف في القراءات يقتصر على سبعة من القراء. قال في مقدمة كتابه[٤] : « فهلاء سبعة نفر من أهل الحجاز والعراق والشام ، خَلفوا في القراءة التابعين، وأجمعت على قراءتهم العوام من أهل كل مصر من هذه الأمصار وغيرها من البلدان التي تَقْرُبُ منها».

ويظهر أنه إنما أراد بالاقتصار على هذا العدد أن يوافق عدة المصاحف العثمانية المرسلة إلى الأمصار ، وهي سبعة كما سلف. وإنما اختار هؤلاء دون غيرهم من جماهير النقلة والرواة الذين ينقلون القراءات لكونهم حازوا الشهرة والقبول والإجماع، وامتاز كل واحد منهم عن غيره في بلده بمزية ظهرت لابن مجاهد جعلته يختاره ، ككثرة الضبط وشدة الإتقان وعلو الإسناد ونحو ذلك. وقد كان غيره في زمنه يقدم غيرهم لمزايا أخرى . فنقل القراءات إذاً ، ليس مقتصراً على سبعة ولا عشرة ، ولا سبعين ولا مائة . ولو أريد حصر نقلتها

---

(١) غاية ١/٢٨٨ ولطائف ١/٩٥.

(٢) غاية ١/٢٦١ ولطائف ١/٩٦ ـ ٩٧.

(٣) غاية ٥٣٥ ولطائف ١/٩٧.

(٤) السبعة ص ٨٧.

ورواتها لبلغوا آلافاً مؤلفة في كل جيل[1].

وقد كره كثير من الأئمة المتقدمين اقتصار ابن مجاهد على سبعة من القراء. لأنه أوقع من لا يعلم بشبهة، فظنّ أن هذه السبعة هي المشار إليها في الحديث «أنزل القرآن على سبعة حروف» وتمنوا لو أنه اقتصر على دون هذا العدد أو زاد فيه[2].

لكنه على كل حال قدم للقراءات القرآنية خدمة رائعة، لأنه سد الباب أمام القراءات غير الموثقة. لذلك مضى كثير من أئمة القراءة بعد ابن مجاهد على تسبيعه، بسبب ما رأوا من تلقي الناس لقراءة السبعة بالقبول، وإجماعهم على وصفهم بالإتقان والإمامة في القراءة. فألفوا الكتب فيها، مثل كتاب «التيسير» و«جامع البيان» لأبي عمرو الداني. ونظمه أبو القاسم الشاطبي في حرز الأماني[3].

القراءات الثلاث المكملة للعشر :

وزاد كثير من العلماء على السبعة ثلاثة القراء التالي ذكرهم :

٨ - أبو جعفر يزيد بن القعقاع المخزومي، إمام المدينة، تابعي مشهور. لم يكن أحد بالمدينة أقرأ للسنّة منه. توفي بالمدينة سنة ١٣٠ هـ[4].

٩ - يعقوب بن إسحاق الحضرمي - مولاهم - البصري، كان إماماً كبيراً، انتهت إليه رئاسة الإقراء بعد أبي عمرو. كان من أعلم الناس بحروف القرآن وأرواهم، وكان عالماً بمذاهب النحو وحديث الفقهاء. ولد سنة ١١٧ هـ، وتوفي سنة ٢٠٥ هـ[5].

---

(١) المجلة ص ١٢٠.

(٢) النشر ١/٢٤ - ٣٦، الإتقان ١/٨٠ - ٨١.

(٣) المجلة ص ١٢٢.

(٤) غاية النهاية ٢/٣٨٢، لطائف ١/٩٧.

(٥) غاية ٢/٢٨٦، لطائف ١/٩٨.

١٠ ـ خلف بن هشام البزار الأسدي البغدادي. يروي عن سليم عن حمزة. وقراءته في اختياره لا تخرج عن قراءة الكوفيين إلا في حرف واحد. ولذلك لم يذكر كثير من العلماء خلفاً في مصنفاتهم. ولد سنة ١٥٠ هـ، ومات سنة ٢٢٩ هـ[١].

وألف علماء كثيرون في قراءة الأئمة العشرة. وأعظم من ألف فيها ابن الجزري حيث ألف (النشر في القراءات العشر) ثم (طيبة النشر)[٢].

أسانيد القراءات العشر وتواترها :

علم الإسناد ظاهرة اختصت بها الأمة الإسلامية، ولا سيما في مجالي القراءات والحديث كما سيأتي إن شاء الله عند الكلام عن عناية المسلمين بسنة نبيهم ﷺ.

قال شهاب الدين القسطلاني مشيراً إلى أهمية الإسناد : « هو أعظم مدارات هذا الفن، لأن القراءات سنة متبعة ونقل محض، فلا بد من إثباتها وصحتها، ولا طريق إلى ذلك إلا بالإسناد. فلهذا توقفت معرفة هذا العلم عليه. وقد حدوه بأنه الطريق الموصلة إلى القرآن ».

وروي عن أبي العباس الدغولي أنه قال: سمعت محمد بن حاتم بن المظفر يقول : إن الله تعالى قد أكرم هذه الأمة وشرفها وفضلها بالإسناد. وليس لأحد من الأمم كلها قديمها وحديثها إسناد، إنما هو صحف في أيديهم، وقد خلطوا بكتبهم أخبارهم التي أخذوها عن غير الثقات. بخلاف هذه الأمة، فإنها تنص عن الثقة المعروف في زمانه، المشهور بالصدق عن مثله، حتى تتناهى أخبارهم[٣].

---

(١) غاية ١/٢٧٣، لطائف ١/٩٨.

(٢) المجلة ص ١٢٢.

(٣) لطائف الإشارات ١/١٧٢ ـ ١٧٣.

والقراءات العشر متصلة السند برسول الله ﷺ لا يتسرب إليها الشك ، بل متواترة كما يأتي فلكل من القراء سند في روايته ، بل أسانيد ، وطرق في الرواية عنه. وكل ذلك محفوظ ومثبت في كتب هذا العلم. بيد أني أذكر مثالين على ذلك :

ـ قرأ عاصم على أبي عبد الرحمن عبد الله بن حبيب بن ربيعة السلمي الضرير، وعلى أبي مريم زر بن حبيش بن حباشة الأسدي، وعلى أبي عمرو سعيد بن إياس الشيباني . وقرأ هؤلاء الثلاثة على عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ .

وقرأ السلمي وزر أيضاً على عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب ـ رضي الله عنهما ـ

وقرأ ابن مسعود وعثمان وعلي وأبيّ وزيد على رسول الله ﷺ[1] .

ـ قرأ ابن عامر على أبي هاشم المغيرة بن أبي شهاب عبد الله بن عمرو بن المغيرة المخزومي ، وعلى أبي الدرداء عويمر بن زيد بن قيس.

قرأ المغيرة على عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ
وقرأ عثمان وأبو الدرداء على رسول الله ﷺ[2] .

وإذا كانت صحة السند ركناً من أركان القراءة، تعين أن يعرف حال رجال القراءات ، كما تعرف أحوال رجال الحديث. ولا جرم أنه قد اعتنى الناس بذلك قديماً[3] .

---

(١) النشر ١/١٥٥ .

(٢) النشر ١/١٤٤ .
وانظر في النشر أسانيد القراء، نافع ١/١١٢، ابن كثير ١/١٢٠، أبي عمرو ١/١٢٣ ـ ١٢٤، حمزة ١/١٦٥، الكسائي ١/١٧٢ .

(٣) النشر ١/١٩٣ . ثم قال ابن الجزري : وأفضل من علمناه تعاطى ذلك وحققه، وقيد شوارده ومطلقه إماما الغرب والشرق: الحافظ أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني [أي في كتبه : التيسير وجامع البيان وتاريخ القراء] والحافظ أبو العلاء الحسن بن أحمد بن

ولكل إمام من الأئمة العشرة رواة عنه، وللرواة رواة عنهم ، وهكذا إلى عصر الداني في كتابه (التيسير) أو إلى عصر الشاطبي في (الشاطبيه)، أو إلى عصر ابن الجزري في (النشر) ونحو ذلك.

وما ينسب لإمام فهو قراءة، وما ينسب لآخذ عنه، ولو بوساطة، فهو رواية، وما ينسب لمن أخذ عن الرواة وإن سفل فهو طريق. وما كان راجعاً إلى تخيير القارىء فهو وجه(١).

ولكل قراءة روايات، ولكل رواية طرق، ولكل طريق طرق أيضاً. فعلى سبيل المثال وصلت طرق الرواية عن نافع إلى (١٤٠) طريقاً(٢). وقد استوعبت كتب القراءات ـ ومنها ما ذكر آنفاً ـ كل ذلك.

والقاعدة في القراءات القرآنية أن ترويها أمة عن أمة في كل مصر وفي كل عصر. فلا يكتفىٰ بنقل الواحد ولا الإثنين ولا العشرة، حتى تكون الأحرف المنقولة معلومة مشهورة لدى عامة القراء. أجمع على ذلك الصدر الأول من الصحابة فمن بعدهم. والأمصار التي يعتد بها في هذا المجال هي الأمصار الخمسة التي أرسل عثمان ـ رضي الله عنه ـ إلى كل منها مصحفاً، وهي الحرمان والكوفة والبصرة والشام(٣).

وقد أشكلت هذه المسألة على بعض الناس، فاعترضوا على دعوى

= العطار الهمذاني [أي في كتابيه : الغاية في القراءات العشر وطبقات القراء] وقال أيضاً: ومن أراد الإحاطة بذلك فعليه بكتابنا (غاية النهاية في أسماء رجال القراءات أولي الرواية والدراية) ا هـ.

(١) النجوم الطوالع ص ٣١ الرسالة الثانية في الهامش، إتحاف فضلاء البشر ص ١٧ ـ ١٨. وبعضهم يسمى القراءة وجهاً.

(٢) النشر ١/١١١.

(٣) المجلة ص ١٢٤ ـ ١٢٥.

التواتر محتجين بأن الناظر في أسانيد كل واحد من هؤلاء الأئمة إلى النبي ﷺ يجد أنها لم تبلغ حد التواتر(١) ؟

وهذا الإشكال منشؤه من عدم فهو المقصود من نسبة القراءة إلى الإمام. إذ إن نسبة القراءات إلى الأئمة، كقولهم: قراءة نافع، وقراءة عاصم، إنما هي نسبة اختيار، لا نسبة اقتصار. فالحروف التي رواها نافع مثلاً لم ينفرد بروايتها والإقراء بها دون غيره من القراء، وبخاصة في بلده. بل قد شاركه غيره من القراء في روايتها والإقراء بها، واشتهرت عندهم. ونسبتها إلى نافع دون غيره، إنما هي لكونه اشتهر بها وبضبطها وملازمة القراءة والإقراء بها أكثر من غيره. ففي المدينة تلقى نافع عن أبي جعفر. وكان هناك أئمة كثيرون غيرهم، رووا أحرف القرآن أقرؤوا بها، لكن العامة أجمعوا على قبول ما قرأ به هذان الإمامان لكونهما اشتهرا بضبط ما يرويان من الحروف أكثر من غيرهما. ثم صار بعد ذلك نافع أكثر شهرة ورواية من أبي جعفر، لأنه أخذ عنه وعن غيره. وكذلك الأمر في سائر الأئمة العشرة، وسائر الأقاليم(٢).

وصفوة القول: إن نسبة القراءة إلى إمام، إنما هي اصطلاح، ولا يعني ذلك اختصاص كل واحد بما يرويه. بل إنما يعني اشتهاره بهذه القراءة أكثر من غيره. وانحصار الأسانيد المذكورة في طائفة، لا يمنع مجيء القراءات عن غيرهم، فمع كل واحد منهم في طبقته ما يبلغها حد التواتر. ولو أنه كان قد أتى بشيء غير معروف عندهم لأنكروا عليه(٣). إذاً. لا يكفي في القراءة أن يذكر

---

(١) المجلة ص ١٢٨.

(٢) المجلة ص ١٢٥ ـ ١٢٧ و١٢٨، اتحاف فضلاء البشر ١/٧ ـ ١٠.

(٣) مثال ذلك ما ذكره ابن الجزري في المنجد: قال ابن مجاهد: قال لي قنبل: قال لي القواس في سنة ٢٣٧ هـ: الق هذا الرجل ـ يعني البزّي ـ فقل له: هذا الحرف ليس من قراءتنا ـ يعني قوله « وما هو بميْت » مخفف الياء ـ وإنما يخفف من الميت من قد مات، ومن لم يمت فهو مشدد. فلقيت ابن البزي فأخبرته. فقال لي: قد رجعت عنه. المجلة ص ١٢٦ ـ ١٢٧.

الراوي إسناده. بل يجب أولاً أن يوافقه العامة على ما رواه، ويتلقوه بالقبول. فحينئذ يقرأ به ويحكم بقرآنيته. ومعنى قولهم: تواترت قراءة العشرة: أنهم التزموا فيما يقرؤون به ويروونه ركن التواتر، وحققوه، وشهد لهم بذلك عامة أهل مصرهم، وأجمعوا على إمامتهم وقبول روايتهم، وتلقي قراءتهم بالرضا.

ومن ناحية ثانية إن الأمة كانت تتطلب تعيين عدد من الأئمة الضابطين المشهورين الذي يحفظون شيوخهم لتأخذ عنهم، وتتلقى القرآن من طريقهم. لأن استيعاب الرواة كلهم أو معظمهم شيء فوق طاقتها. فكل واحد من أولئك العشرة تلقى عنه مئات الرواة، وكلهم يروي أحرفه كلها أو بعضها. لكن لما رأت الأمة أنه لا قبل لها بتقصي طرق أولئك جميعاً، اختارت من تلاميذ كل إمام اثنين من أعدلهم وأكثرهم ضبطاً وإتقاناً. وهما إنما يرويان ما يرويه غيرهما. ولو انفرد أحدهما بشيء غير معروف لديهم، لأنكروا عليه، ومنعوه من الإقراء به(1).

تنبيهان:

١ ـ الإجماع قائم على القول بتواتر قراءة العشرة كلهم، فهي معلومة من الدين بالضرورة.

أما الإجماع على تواتر السبعة فواضح. لأن الأئمة والعلماء في كل طبقة تلقوا ما قرؤوا به بالقبول والرضا.

وأما الإجماع على أن قراءة الثلاثة متواترة، فإنما كان بعد خلاف حكي لبعضهم، ثم انعقد الإجماع. ولم يؤثر ذلك الخلاف لأن الاعتماد في القراءة على نقل العامة، وتلقيهم للقراءة بالقبول، وقد حدث هذا لكل قراءة من القراءات العشرة في كل جيل.

٢ ـ إن قراءة الأئمة العشرة متواترة جملة وتفصيلاً، سواء في ذلك ما اجتمعوا عليه وما اختلفوا فيه، وما كان من قبيل الأداء، وما لم يكن كذلك. إذ

---

(1) المجلة ص ١٢٦.

ليس لأحد منهم أن يقرأ شيئاً من عند نفسه ، أو يشذ بحرف يخالف فيه العامة ، وإنما هم في كل ما يقرؤون ويقرئون متبعون لا مبتدعون ، وهم في كل ذلك ملتزمون بالركن الذي أجمع عليه القراء، ألا وهو التواتر(١).

القراءات الشاذة:

إن القرآن لا يثبت ما لم تتحقق فيه الأركان الثلاثة السابقة، ولا سيما التواتر. والتواتر لم يتحقق في زماننا إلا في القراءات العشر. وقد أجمع العلماء على أنه لم يتواتر شيء مما زاد عليها. وعليه. فكل قراءة وراء العشر شاذة لا يحكم بقرآنيتها، ولا تجوز القراءة بها ، لا في الصلاة ولا في غيرها، ولا يتعبد بقراءتها ، بل يجب الإنكار على من يقرأ بها. لكن يحتج بها في التفسير واستنباط الأحكام، كسائر ما وصلنا بطريق صحيح(٢).

ومن ذلك القراءات الأربع التي زادها البناء في (إتحاف فضلاء البشر) وهي قراءة ابن محيصن ، وقراءة يحيىٰ اليزيدي ، وقراءة الحسن البصري، وقراءة الأعمش. وهي قريبة في الرواية والسند من روايات القراءات المتواترة وإسنادها. فإنها صحيحة الرواية قوية السند، مروية من طرق معلومة عند أهل هذا الفن. ومع ذلك فقد أجمع العلماء على أنها شاذة مردودة. أما عند جماهير العلماء فلأنها لم تنقل بطريق التواتر. وأما عند مكي بن أبي طالب وابن الجزري وأضرابهما ، فلانها كلها على فرض صحة. سندها، وعدم مخالفتها للغة العربية وخط المصحف ، لم تبلغ حد الشهرة والاستفاضة. وهم يشترطون ذلك(٣).

---

(١) مجلة كلية القرآن ص ١٢٨ ـ ١٢٩ وص ١٣١، وانظر النشر ١/ ٤٥ ـ ٤٦، مجموع فتاوى ابن تيمية ١٣/ ٤٠٢.

(٢) المجلة ص ١٨ ـ ١٩ وص ٢١ مقال للشيخ عبد الفتاح القاضي. وانظر ص ١٣٠ والمجموع للنووي ٣/ ٣٢٩، والمغني لابن قدامة ١/ ٤٩٢ ـ ٤٩٣. والروض المربع مع حاشية عبد الرحمن محمد قاسم ٢/ ٣٧ ـ ٣٩.

(٣) المجلة ص ٢٢ ـ ٢٣ وص ٨٩ وانظر إتحاف فضلاء البشر ١/ ٧.

٥ ـ امتناع تحريف القرآن الكريم

لما كان محمد ﷺ خاتم الأنبياء ، وليس بعده نبي آخر ينتظر ليبين للناس ما اختلفوا فيه ، ضمن الله سبحانه حفظ الذكر الذي أنـزل عليه سـالماً. قـال سبحانه: ﴿ **إنا نحن نزلنا الذكر، وإنا له لحافـظون** ﴾ ـ الحجر/٩ ـ وقـد وقع كمـا أخبر الله سبحـانه ، فقـد سلم القرآن من التحـريف والتبـديـل والـزيـادة والنقصان. ولـم يستطع أحد من اليهود والملحدين وسائر الكفار والمشركين أن يحرف شيئاً منه أو إعراباً من أعاريب قراءاته. رغم كثرة المحاولات ودهائها.

والقرآن المنقول بالتواتر، لم يكن الاعتماد في نقله على نسخ المصاحف وحدها. بل إنما كان الاعتماد ولا يزال على حفظه في قلوب أهل التواتر.

عن عياض المجاشعي ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم في خطبته إلا أن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني يومي هـذا. . . وقال: إنما بعثتك لأبتليك وأبتلي بـك، وأنزلت عليـك كتابـاً لا يغسله الماء، تقرؤه نائماً ويقظان . . . الحديث. . ـ رواه مسلم[1] ـ .

فأخبر أن كتابـه لا يحتاج في حفظه إلى صحيفة تغسل بالماء. بل يقرؤه في كل حال. وهذا كما جاء في نعت أمته: «أناجيلهم في صدورهم». ولذلك لا

---

(١) وعزاه المدني في (الإتحافات السنية في الأحاديث القدسية) إلى الطبراني في الكبير.

يزال في أمته ﷺ طائفة قائمة على الحق بإذن الله، لا يضرها من خالفها، ولا من خذلها حتى تقوم الساعة.

أضف إلى ذلك أن طريقة أدائه لا تتأتىٰ إلا عن طريق التلقين والرواية - كما سلف - ومن فضل الله أن يسّر حفظ كتابه لمن أراد حفظه، ولا سيما الصغار، فإنهم يحفظونه في أقصر مدة. قال سبحانه: ﴿ **ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مذكر ؟** ﴾.

كم حاول أعداء الإسلام أن يطبعوا طبعات مزيفة من المصاحف، أدخلوا فيها عبارات ليست من القرآن، وأنقصوا أيضاً عبارات منه... لكن سرعان ما انكشف الأمر، ووقف الناس على مواضع الزيادة والنقصان. وذهبت جهودهم أدراج الرياح.

إن القرآن الكريم محفوظ في قلوب الألوف المؤلفة من المسلمين، لا يحصي عددهم إلا الله. ولهذا إذا وجد مصحف مخالف حفظ الناس تنبهوا له. وقد يكون في المصحف غلط فلا يلتفت إليه. بل لو عدمت المصاحف كلها من الأرض، لم يقدح ذلك فيما حفظوه، ولا في نقل القرآن. لأن نقله لا يتوقف على نسخ المصاحف كما سلف. ومع ذلك، فإن المصاحف التي كتبها الصحابة - رضي الله عنهم - قد تقيد الناس بصورة خطها ورسمه، حتى صار منقولاً بالتواتر أيضاً. فنقلوا بالتواتر لفظ القرآن حفظاً في الصدور، ونقلوا رسم حروفه في السطور. فمن خرج عن ذلك علم الناس به، ولم يؤثر على ما نقل بالتواتر. بخلاف الكتب المتقدمة. فإن الله لم يتكفل بحفظها. بل وكل ذلك إلى الأمم. أضف إلى ذلك أن أهل الكتاب لا يحفظون كتابهم عن ظهر قلب، فقلّ أن تجد بين اليهود من يحفظ التوراة كلها، فضلاً عن أن يحفظ أسفار الأنبياء. أما النصارىٰ. فإنه لم يكن أحد من قدمائهم يحفظ الإنجيل كله تلقياً عن الحواريين حفظاً منقولاً بالأسانيد الصحيحة، فضلاً عن أن يحفظه كله أهل التواتر. وليس فيهم اليوم من يحفظ كتابهم المقدس. بعهديه. لا سيما وأنه مترجم. وقد ضاع الأصل. فضلاً عن أن يحفظه في كل لغة من يحصل بهم

التواتر فيها. وكيف يحفظونه وهم لا يتلون إلا بعضه نظراً في المناسبات، وقد كانت الكنائس ـ ولا سيما الكاثوليك ـ تمنع العوام من المطالعة فيه؟ وهذا أمر معلوم لديهم. وما لنا وللتواتر، وهم عاجزون عن الإتيان بشبه سند لأي سفر من أسفارهم؟ كما سيأتي إن شاء الله. إن عدد حفاظ الأناجيل في أوربا كلها لا يساوي عدد حفاظ القرآن في بلدة صغيرة من بلاد الإسلام[1].

ومن الجدير بالذكر أن حفظ القرآن غيباً فرض كفاية على الأمة. لئلا ينقطع التواتر. بل إن تعليمه وتعليم قراءاته فرض كفاية أيضاً. فكيف يتطرق إليه التحريف[2]؟!

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية ٤/١٦٨ ـ ١٦٩ و١٣/٤٠٠، الجواب الصحيح ١/٣٦٩ و٢/١٣ و٢٠ و٢٥ و٢٢١ ـ ٢٢٢، إظهار الحق ٢/٥٤.

(٢) النجوم الطوالع ص ٢٢ وانظر ما سيأتي في بحث عرضة كتب النصارى المقدسة للتحريف.



البحث الثاني

عناية المسلمين بسنة نبيهم ﷺ

ويحتوي على البابين التاليين :

١ ـ حفظ السنة وتدوينها .

٢ ـ أقسام الخبر من حيث السند قبولاً ورداً وقوة وضعفاً .

ب ـ عناية المسلمين بسنة نبيهم ﷺ

١ ـ حفظ السنة وتدوينها

تعريف السنة ومنزلتها :

السنة : ما أثر عن الرسول ﷺ من قول أو فعل أو تقرير . وهي وحي من الله كما سلف .

قال سبحانه : ﴿ **وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحىٰ** ﴾ .

فما قاله خبراً ، وجب تصديقه به ، وإن كان تشريعاً إيجاباً أو تحريماً أو إباحة ، وجب إتباعه فيه .

وكذلك ما دل عليه أو نصح به من المنافع والإرشادات وغير ذلك .

وأفعاله التي أقر عليها حجة . ولا سيما إذا أمرنا أن نتبعه فيها كقوله ﷺ : « صلوا كما رأيتموني أصلي » ـ رواه البخاري وغيره ـ وقوله « خذوا عني مناسككم » .

ولهذا السبب كان النبي ﷺ إذا سئل عن الفعل ذكر للسائل أنه يفعله . ليبين له أنه مباح .

ومما يدخل في مسمىٰ السنة أيضاً ما كان يقرهم عليه ،مثل إقراره للحبشة على لعبهم بالدرق والحراب في المسجد ، وإقراره لعائشة ـ رضي الله عنها ـ على اللعب بالبنات ، وإقراره على المضاربة التي اعتادها الناس ونحو ذلك[1] .

---

(١) مجموع فتاوي ابن تيمية ١٨/ ٦ ـ ٧ و ٩ ـ ١٠ .

فالسنة مبينة للقرآن ، توضح مجملة ، وتفصل أحكامه ، وتبين كيفية تطبيقه . وهي المصدر الثاني للتشريع الإسلامي .

اهتمام المسلمين بالسنة :

لقد بلغ اعتناء السلف بالسنة وآثار الصحابة - رضي الله عنهم - للاستدلال على الأحكام الشرعية ما انتزع الإعجاب . وكان لا يَشْرُف بينهم أحد بعد حفظ كتاب الله - عز وجل - إلا بقدر ما يحفظه من حديث رسول الله ﷺ فتوفرت فيهم الرغبات وانشحذت الهمم ابتغاء مرضاة الله . حتى لقد كان أحدهم يرحل المسافات البعيدة ، ويجوب البلاد شرقاً وغرباً في طلب حديث واحد ، ليسمعه من راويه مباشرة . وكان أكثر اعتمادهم على الحفظ والضبط في القلوب . إلا أن بعضهم كان يكتب حديث رسول الله ﷺ لنفسه أو لغيره . ولم يكونوا يَرْوون كل ما ينقلونه . بل يتحرون في ذلك . فقد كان همهم التنقيب والبحث لتمييز الطيب من الخبيث فيما يدور على ألسنة الناس من الحديث . وإن الذي يرفضون كان أضعاف ما يقبلونه وينقلون .

وقد بدأت الرحلة لطلب العلم في جيل الصحابة - رضي الله عنهم - فهذا جابر بن عبد عبد الله - رضي الله عنه - يرحل إلى عبد الله بن أنيس - رضي الله عنه - في الشام ليسمع منه حديثاً واحداً لم يكن سمعه من النبي ﷺ ويرحل كذلك إلى مصر للقاء مسلمة بن مخلد وسؤاله عن حديث سمعه من رسول الله ﷺ في ستر المسلم .

ثم استمرت الرحلة في جيل التابعين ؛ فقد تفرق الصحابة - رضي الله عنهم - في الأمصار يحملون معهم العلم . فما كان لأحد أن يحيط بكثير من حديث النبي ﷺ دون أن يرحل في الأمصار . فهذا سعيد بن المسيب يقول : إن كنت لأسير في طلب الحديث الواحد مسيرة الليالي والأيام . وعن أبي العالية قال : كنا نسمع الرواية بالبصرة عن أصحاب رسول الله ﷺ فلم نرض حتى ركبنا إلى المدينة ، فسمعناها من أفواههم[1] .

---

(١) جامع الأصول ١/ ٣٩ - ٤٢ .

واستمرت الرحلة أيضاً في أجيال المحـدثين من بعدهم ، حتى أُرسيت دعائم العلم ، وثُبّتت قواعده ، وأحكمت أصوله .

تدوين السنة :

نهى النبي ﷺ أصحابه ـ رضي الله عنهم ـ في باديء الأمر عن أن يكتبوا عنه شيئاً غير القرآن ، مخافة أن يختلط به ما ليس منه .

عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تكتبوا عني . ومن كتب عني غير القـرآن فليمحه . وحـدثوا عني ولا حـرج » ـ أخرجه مسلم ـ .

ثم أذن لبعض أصحابه ـ رضي الله عنه ـ بكتابة حديثه عندمـا انتفى هذا المحذور . فقد أذن لعبد الله بن عمرو بن العـاص ـ رضي الله عنه ـ بـالكتابـة عنه . فكانت له صحيفة تسمى (الصادقة) يكتب فيهـا حديث النبي ﷺ وقـد بقيت بعـد موتـه عند حفيـده عمـرو بن شعيب . وكـان في هـذه النسخـة من الأحاديث الفقهية ما احتاج إليه عامـة المسلمين . وقد ورد أنـه كان يكتب مـا سمعـه من رسول الله ﷺ في كـل حال . فقـال له بعض النـاس : إن رسـول الله ﷺ يتكلم في الرضـا والغضب ، فلا تكتب كل ما تسمع . فسأل النبي ﷺ عن ذلك فقال : « اكتب ، فوالذي نفسي بيده ، ما خرج من بينهما ـ أي شفتيه الكريميتين ـ إلا حق » . وقد ثبت عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أنه قال : لم يكن أحد من أصحاب رسول الله ﷺ أحفظ مني إلا عمرو بن العاص ، فإنه كان يكتب بيده ويعي بقلبه . ودت أعي بقلبي ولا أكتب بيدي .

وكذلك كان لعبد الله بن أبي أوفى وسمرة بن جندب وأبي رافع وجابر بن عبد الله وهمام بن منبه وغيرهـم ـ رضي الله عنهم ـ صحف يكتبون بها . بل أمر بعضهم أن يكتب لبعض .

عن أبي جهم ـ رضي الله عنه ـ أن أبا شاة قال : اكتبوا لي يا رسول الله . فقال رسول الله ﷺ : « أكتبوا لأبي شاة » . قـال الأوزاعي : يعني هذه الخطبة

التي سمعها من النبي ﷺ ـ أخرجه الشيخان ـ .

وعن أبي رافع بن خديج قال : قلت : يا رسول الله إنا نسمع منك أشياء، أفنكتبها؟ قال: «اكتبوا ولا حرج» ـ ذكره السيوطي في تدريب الراوي ـ .

وهذا بالإضافة إلى ما أمر النبي ـ ﷺ ـ نفسه بكتابته، مثل رسائله إلى الملوك والعظماء يدعوهم إلى الله، ورسائله إلى أصحابه الذين استعملهم على بعض الأماكن وغير ذلك(١) .

ثم اتسع نطاق الكتابة في عهد الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ فكان عبد الله بن عباس ـ رضي الله عنه ـ يستملي أبا رافع خادم رسول الله ﷺ ما كان يفعل ويقول . وجمع همام بن منبه روايات أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ في صحيفته . وقد أوردها الإمام أحمد في مسنده .

وكذلك فعل التابعون ، فكانوا يدونون علمهم عن الصحابة ـ رضي الله عنه ـ فسعيد بن جبير كان يكتب روايات ابن عباس وابن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنهم ـ وكان أصحاب البراء بن عازب ـ رضي الله عنه ـ يكتبون عنه رواياته . وكان نافع مولى عبد الله بن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنهما ـ وقد صحبه ثلاثين عاماً يملي على الناس . . . . وبهذا يتضح أن تدوين السنة وجمعها بدأ في العهد النبوي . ثم كثر في عهد الصحابة والتابعين ـ رضي الله عنهم ـ وكان جل اعتمادهم على الحفظ والضبط كما سلف . ولما انتشر الإسلام ، واتسعت البلاد ، وتفرقت الصحابة في الأقطار . ثم مات أكثرهم وتفرق أتباعهم ، وقل الضبط . احتاج العلماء إلى تدوين الحديث وتقييده بالكتابة .

وابتدأ جمع السنة بصورة واسعة في عهد عمر بن عبد العزيز. فقد أرسل

---

(١) مجموع فتاوي ابن تيمية ١٨/٧ ـ ٨ و ٢٠/ ٣٣٢ و ٢١/ ٣١٨ ، زاد المعاد ٣/٣٦ ـ ٤٠ و ٦١ ـ ٦٣ ، تدريب الراوي ص ٢٨٦ .

إلى أبي بكر بن حزم عامِله وقاضيه في المدينة أن يجمع الحديث . وكذلك كتب إلى أهل الآفاق . لكن أول من دون السنّة علىٰ رأس المائة محمد بن شهاب الزهري بأمر من عمر بن عبد العزيز . وكان قد عاصر جماعة من الصحابة وأخذ عنهم . ثم كثر التدوين وانتشر وعم نفعه .

وكان من أوائل من دون عبد الملك بن جريج الأموي في مكة ، ومالك بن أنس صاحب الموطأ في المدينة ، والربيع بن صبيح في البصرة ، وغيرهم من الأئمة . وهم يصنفون ما في الباب عن النبي ﷺ وأصحابه ـ رضي الله عنه ـ والتابعين[1] .

دواوين السنة :

وما زال جمع الحديث ينتشر ويكثر ، حتى صنفت الدواوين الكبيرة المشهورة في السنن مثل سنن أبي داود وسنن الترمذي وسنن النسائي وسنن ابن ماجة وغيرهم . والدواوين المشهورة في المسانيد مثل مسند أحمد ومسند الشافعي وغيرهما .

وليس بعد القرآن كتاب أصح من صحيحي البخاري ومسلم . لأنهما أثبتا في كتابيهما ما قطعا بصحته ، وثبت عندهما نقله . وسمى كل منهما كتابه (الصحيح من الحديث) ولقد صدقا فيما قالا . ولكل منهما شروط قوية لتدوين الحديث في كتابه . ولم يكن القصد من تصنيفهما ذكر آثار الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ والتابعين . ولا سائر الحديث من حسن ومرسل وشبه ذلك . بل إنما جردا فيهما الحديث الصحيح المسند . فما اتفقا عليه قوي لا ريب فيه . وأكثر الأئمة على أن البخاري أصح من مسلم . ولا زال هذا العلم يخدم حتى يومنا هذا[2] .

---

(١) جامع الأصول ١/٣٩ ـ ٤٢ ، محاضرات في النصرانية ص ١١٦ ـ ١١٧ ، السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي للدكتور مصطفى السباعي ص ١٢١ ـ ١٢٥ .

(٢) مجموع فتاوي ابن تيمية ١٨/١٩ ـ ٢٠ و ٧٤ ، ٢٠/٣٢٠ ـ ٣٢٢ ، جامع الأصول ١/٣٩ ـ ٤٢ .

عناية المسلمين بالأسانيد :

إن علم الإسناد ظاهرة اختصت بها أمة محمد ﷺ ولا سيما في مجالي القراءات والحديث كما سلف . وهذا شيء لم يكن معروفاً لدى الأمم السابقة .

ومن الملاحظ أن الأسس والأركان الرئيسية لعلم الرواية ونقل الأخبار مذكور في الكتاب والسنة :

فقد جاء في القرآن قوله تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إن جاء بكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين** ﴾ - الحجرات / ٦ - .

وجاء في السنة قوله ﷺ : نضّر الله امرءاً سمع منا شيئاً ، فبلغه كما سمعه . فرب مبلغ أوعى من سامع - رواه الترمذي وقال : حسن صحيح - .

وامتثالاً لأمر الله ورسوله ﷺ كان الصحابة - رضي الله عنهم - يتثبتون في نقل الأخبار وقبولها . ولا سيما إذا شكوا في صدق الناقل ، حتى إنهم كانوا يتهمون من يكثر من الرواية ، خشية أن يخبر عن الرسول ﷺ بغير ما رأى أو سمع . وكان عمر - رضي الله عنه - يستحلف الراوي أنه سمع ذلك من الرسول ﷺ وفي بعض الأحيان كان يطلب شهوداً على ذلك[١] .

فظهر بناء على ذلك موضوع الإسناد وقيمته في قبول الأخبار أو ردها . بل صار الإسناد في الحديث هو الأصل الذي عليه الاعتماد . إذ به تعرف صحة الحديث أو سَقَمه . قال سفيان الثوري : الإسناد سلاح المؤمن . فإذا لم يكن معه سلاح ، فبأي شيء يقاتل[٢] .

وقال عبد الله بن المبارك : الإسناد من الدين . ولولا الإسناد لقال من

---

(١) جامع الأصول ١/٧٧ - ٧٨ ، لطائف الإشارات لشهاب الدين القسطلاني ١/١٧٢ - ١٧٣ .

(٢) جامع الأصول ١/١٠٩ .

شاء ما شاء . وكان إذا اختلف مع جماعة قال : بيننا وبين القوم القوائم . يعني الإسناد[1] .

وقال الشافعي : الذي يطلب العلم بلا سند كحاطب ليل ، يحمل حزمة حطب ، وفيه أفعىٰ ، وهو لا يدري[2] .

وبناء على أن الخبر لا يقبل إلا بعد معرفة سنده ظهر علم الجرح والتعديل . وهذا العلم مما انفرد به المسلمون . والغرض منه الكشف عن أحوال الرواة ، وتمييز صاحب الأهلية من غيره ، ومعرفة المتصل أو المنقطع من الأسانيد ، ومعرفة العلل الخفية . وقد بذل العلماء في ذلك جهداً عظيماً للتحري والتنقيب عن أحوال الرواة ودراسة حياتهم . وكانوا في غاية التجرد والموضوعية . وقد ألفوا كتباً في أسماء الرجال وتوثيقهم أو تضعيفهم ، فلست ترى حديثاً إلا وترجمة رواته كلهم في تلك الكتب . وليس ثمة شخص جاء ذكره في حديث إلا تعرض له المحدثون بالجرح أو التعديل . فهناك كتب انفردت بتناول الثقاة ، وكتب انفردت بتناول الضعفاء ، وكتب ألفت في الطبقات ، وكتب في معرفة الأسماء وفروعها وغير ذلك[3] .

ثم توسع العلماء في ذلك حتى ظهر البحث في علوم كثيرة تتعلق بالحديث من ناحية ضبطه وكيفية تحمله وأدائه وغير ذلك . ولم يتناول التحقيق الإنساني صدق رواة الأخبار أو كذبهم ، وأهلية تحملهم هذه الأمانة ، كما حقق ذلك علماء الجرح والتعديل .

وأخيراً لما نَضِجت العلوم ، واستقر الاصطلاح ، واستقل كل فن عن غيره نشأ علم مصطلح الحديث . وهو يُعنىٰ بأصولٍ وقواعد يعرف بها أحوال السند والمتن من حيث القبول أو الرد ، علىٰ شكل لا مجال بعده للحيطة أو

(١) صحيح مسلم ١/٢٢ .

(٢) فيض القدير ١/٤٣٣ .

(٣) السنة ومكانتها للدكتور مصطفى السباعي ص ١٢٧ ـ ١٢٨ .

التثبت. بل هو أدق أسلوب عرفته البشرية لمعرفة صدق الأخبار أو كذبها . وقد برع علماء الحديث في حفظ الأحاديث بأسانيدها ، حتى كانوا أعجوبة في ذلك ؛ فقد كان كثير منهم يحفظ عشرات الآلاف من الأحاديث بأسانيدها ، ويميز صحيحها من سقيمها . فكانوا بحق حفظة دين الله وحراس شريعته[1] .

وصفوة القول : إن الأحاديث مدونة كلها برواتها وألفاظها . فلا يمكن لأحد أن يأتي . بحديث واحد من تلقاء نفسه ، وإلا ظهر وانكشف . ورواية المجهول لا تقبل . ولكل حديث سند ومتن . فالسند هو سلسلة الرواة الذين يتناقلون الحديث ، والتي توصل إلى المتن . والمتن هو ما ينتهي إليه السند من الكلام . أي لفظ الحديث .

---

(١) جامع الأصول ١/٣٩ـ ٤٠ ، السنة ومكانتها للسباعي ص ١٢٥ ، تيسير مصطلح الحديث للطحان ص ٩ .

٢ ـ أقسام الخبر من حيث السند

تقسيم الخبر من حيث القبول أو الرد :

صنف علماء الحديث الأخبار بعد دراسة متونها وأسانيدها إلى أصناف عديدة تبعاً لصحتها أو ضعفها . وأهمها ما يلي :

١ ـ الحديث الصحيح :

وهو ما اتصل سنده بنقل العدل الضابط عن مثله إلى منتهاه من غير شذوذ أو علة .

ومن التعريف يتبين أن الشروط التي يجب توفرها في الحديث ليكون صحيحاً خمسة ، ألا وهي :

أ ـ اتصال السند : ومعناه أن كل راو من رواته ـ رجلاً كان أو امرأة ـ قد أخذ عمن فوقه مباشرة ، من أول السند إلى منتهاه ، بحيث يروي الحديث شخص عن شخص آخر رآه وسمع منه ، أو أخذ عنه قراءة أو إجازة أو مناولة ، رواية متصلة إلى من رأى النبي ﷺ وسمع منه .

ب ـ عدالة الراوي : والعدالة هي استقامة السيرة والدين . والمراد أن يكون كل راو من رواة الحديث قد اتصف بكونه مكلفاً ـ أي بالغاً عاقلاً ـ غير فاسق ولا مخروم المروءة.

ج ـ ضبط الرواة : وهو اتقان الراوي لما يرويه ، بأن يكون متيقظاً لما يروي غير مغفل ، حافظاً لروايته إن روى من حفظه ، ضابطاً لكتابته إن روى

من الكتاب ، عالماً بمعنى ما يرويه وبما يحيل المعنى عن المراد إن روى بالمعنى .

د ـ السلامة من الشذوذ : وهو مخالفة الراوي لمن هو أوثق منه .

هـ ـ السلامة من العلة : وهي سبب خفي قادح في صحة الحديث لا يعرفه إلا جهابذة أهل هذا العلم .

فإذا اختل شرط واحد من تلك الشروط ، لا يسمى الحديث صحيحاً علماً بأن الحديث الصحيح حجة من حجج الشرع ، ويجب العمل به ، ولا يسع المسلم تركه[1] .

٢ ـ الحديث الحسن :

وهو الذي تتوافر فيه شروط الصحيح نفسها . غير أن أحد رواته دون رواة الصحيح في الضبط والحفظ والإتقان . وقد عرفه الطيبي فقال : مسند من قَرُب من درجة الثقة[2] .

والحديث الحسن كالصحيح في الاحتجاج به ، وإن كان دونه في القوة . ثم إن الحسن إذا روي من طريق آخر مثله ، ترقىٰ من الحسن إلى الصحيح ، لقوته من الجهتين . ويسمىٰ آنئذ صحيحاً لغيره . لأن الصحة لم تأته من سنده ذاته ، بل من انضمام غيره إليه[3] .

---

(١) جامع الأصول ١/٧٠ ـ ٧٤ و١٢٥ و ١٥٩ ، شرح مسلم للنووي ١/٢٠ ، تيسير مصطلح الحديث للطحان ص ٣٣ ـ ٣٥ .

(٢) جاء في مقدمة ابن الصلاح ص ٣٣ : الحديث الحسن قسمان : أحدهما الذي لا يخلو رجال إسناده من مستور لم تتحقق أهليته ، غير أنه ليس مغفلاً كثير الخطأ ، ولا متهماً بالكذب ولا بسبب آخر مفسق . ويكون متن الحديث قد عرف . . الثاني أن يكون راويه من المشهورين بالصدق والأمانة ، غير أنه لم يبلغ درجة رجال الصحيح في الحفظ والاتقان اهـ بتصرف .

(٣) لطائف الإشارات ١/١٧٣ ـ ١٧٤ ، تيسير مصطلح الحديث ص ٤٤ وص ٥٠ .

ومن الجدير بالذكر أن رتب الصحيح تتفاوت بسبب تفاوت الأوصاف المقتضية للتصحيح في القوة . لذا أطلق العلماء على بعض الأسانيد لفظ (أصح الأسانيد) والمختار أنه لا يجزم في إسناد أنه أصح الأسانيد مطلقاً . لأن تفاوت مراتب الصحة مُرَتَّب على تمكن الإسناد من شروط الصحة . ويعز وجود أعلى درجات القبول في كل واحد من رجال الإسناد .

وأعلى أقسام الصحيح ـ كما قال النووي ـ ما اتفق عليه البخاري ومسلم ، ثم ما انفرد به البخاري ، ثم ما انفرد به مسلم ، ثم ما كان على شرطيهما وإن لم يخرجاه ، ثم ما كان على شرط البخاري ولم يخرجه ، ثم ما كان على شرط مسلم ولم يخرجه ، ثم ما صححه غيرهما من الأئمة ، كابن خزيمة وابن حبان وغيرهما مما لم يكن على شرط البخاري أو مسلم[1] .

٣ ـ الحديث الضعيف :

وهو ما اختل فيه أحد شروط الصحة ، أو أحد شروط الحسْن ، كما إذا وجد فيه راو مجهول أو سّيء الحفظ ، أو كان في سنده انقطاع ، أو غير ذلك .

وأنواعه كثيرة ، منها الشاذ والمعلل والمنكر وغير ذلك .

ويتفاوت ضعف الضعيف بحسب شدة ضعف روايته وخفته ، فمنه ما هو أوهىٰ من غيره . قال السخاوي : واعلم أنهم كما تكلموا في أصح الأسانيد مشوا في أوهى الأسانيد .

والحديث الضعيف بصورة عامة غير صالح للاحتجاج به ، ولا يؤخذ منه حكم[2] .

بيد أن الضعيف إذا تعددت طرقه ، ولم يكن سبب ضعفه فسق الراوي أو

---

(١) جامع الأصول ١/١٥٤ ، تيسير مصطلح الحديث ص ٤٢ ـ ٤٣ .

(٢) تيسير مصطلح الحديث ص ٦٢ ـ ٦٣ ، التعليق على جامع الأصول لعبد القادر الأرناؤوط ١/١١٠ .

كذبه ، ترقىٰ إلى درجة الحسن ، لقوته من تعدد الطرق . ويسمىٰ آنئـذٍ حسناً لغيره , فالضعيف يرتقي لدرجة الحسن بأمرين :

أ ـ أن يروىٰ من طريق آخر فأكثر ، على أن يكون الطريق الآخر مثله أو أقوى منه .

ب ـ أن يكون سبب الضعف إما سوء حفظ رواية ، أو انقطاعاً في سنده ، أو جهالة في رواته .

وآئنذ يقبل الحديث ويحتج به ، بيد أن الحسن لذاته أقـوىٰ من الحسن لغيره ، فإذا تعارضا قدم الحسن لذاته[1] .

٤ ـ الموضوع :

وهو الكذب المختلق المصنـوع المنسوب إلى رسـول الله ﷺ وهو منـه بريء ، فإذا كان الطعن في الراوي هو الكذب على رسول الله ﷺ فحديثه هو الموضوع . وهو شر الأحاديث وأقبحها .

وقد أجمع العلماء على أنه تحرم روايته مـع العلم بوضعـه ، إلا للتنبيه عليه[2] .

عن سمرة بن جندب ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « من حدّث عني بحديث يرى أنه كذب ، فهو أحد الكذابين » ـ رواه مسلم وأحمـد وابن ماجة ـ .

تقسيم الحديث حسب تعدد سنده :

ينقسم الحديث باعتبار وصوله إلينا إلى قسمين : متواتر وآحاد :

١ ـ المتواتر :

وهـو ما رواه جمـع عظيم من النـاس ، يستحيل عـادة ، تواطؤهم على

---

(١) تيسير مصطلح الحديث ص ٥١ .

(٢) تيسير مصطلح الحديث ص ٨٨ ـ ٨٠ .

الكذب ، عن جمع عظيم مثلهم ، في كل طبقة من طبقات سنده إلى رسول الله ﷺ .

ولا سبيل إلى معرفة العدد الذي يحصل به التواتر ، بل أي عدد يحصل به العلم الضروري يحصل به التواتر .

وهذا النوع يفيد اليقين ، ويجب الإيمان به بالإجماع(١) .

وينقسم المتواتر إلى قسمين :

أ ـ المتواتر اللفظي : وهو ما تواتر لفظه ومعناه ، مثل حديث « من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار » فقد رواه بضعة وسبعون صحابياً . وهكذا في كل طبقة .

ب ـ المتواتر المعنوي : وهو ما تواتر معناه دون لفظه . وذكر العلماء من ذلك أحاديث نزول المسيح بن مريم ـ عليه السلام ـ وأحاديث رفع اليدين في الدعاء . فقد ورد في الدعاء نحو مائة حديث ، في قضايا مختلفة ، كل قضية منها لم تبلغ التواتر ، لكن القدر المشترك بينها ، وهو رفع اليدين عند الدعاء تواتر بالنظر إلى مجموع الطرق . وكذلك أحاديث نبع الماء من بين أصابع النبي ﷺ (٢) .

٢ ـ خبر الآحاد :

وهو ما لم يجمع شروط المتواتر ، أو ماله طرق محصورة بعدد معين .

ويقسم من حيث تعدد طرقه إلى ما يلي :

أ ـ الغريب : وهو ما رواه راوٍ واحد منفرداً بروايته . وقد يكون ثقة ، وقد يكون ضعيفاً ، ولكل حكمه(٣) . وإنما سمي غريباً ، لانفراد راويه عن غيره ،

---

(١) جامع الأصول ١/١٢٠ ـ ١٢٣ ، تيسير مصطلح الحديث ص ١٨ ـ ١٩ ، مجموع فتاوي ابن تيمية ١٨/٤٠ ـ ٥٠ .

(٢) تيسير مصطلح الحديث ص ١٩ ـ ٢٠ ، مجموع فتاوي ابن تيمية ١٨/١٦ .

(٣) تيسير مصطلح الحديث ص ٢٧ ، وانظر جامع الأصول ١/١٢٤ ـ ١٢٥ .

كالغريب الذي شأنه الانفراد عن وطنه .

ب ـ العزيز : وهو ما رواه اثنان عن اثنين في جميع طبقات السند . وقال بعضهم : أو ثلاثة ـ وسمي عزيزاً لقلة وجوده وندرته ، أو لكونه تعزّز ـ أي تَقَوّىٰ ـ بمجيئه من طريق أخرى[1] .

ج ـ المشهور : وهو ما رواه ثلاثة فأكثر ـ وقيل أكثر من ثلاثة ـ في كل طبقة ما لم يبلغ حَدَّ التواتر . أو هو ما له طرق محصورة بأكثر من العزيز . وسمي بذلك لوضوحه وظهوره[2] .

والمعوَّل في القبول أو الرد في أخبار الآحاد ، إنما هو عدالة الراوي .

---

(١) تيسير مصطلح الحديث ص ٢٥ .

(٢) تيسير مصطلح الحديث ص ٢٢ ، وانظر جامع الأصول ١/١٢٤ ـ ١٢٥ ، مجموع فتاوي ابن تيمية ١٨/١٦ و ٤٨ .

القسم الثاني

الكتب المقدسة لدى اليهود

وفيه بحثان : ـ

١ ـ الأسفار المقدسة وأقسامها .

٢ ـ فرق اليهود من حيث اعترافها بالأسفار .



الكتب المقدسة لدىٰ اليهود

اعتمد اليهود العبرانيون أربعة وعشرين سفراً ، اعتقدوا أنها مقدسة ، أي موحىٰ بها . وهم يقسمونها من حيث الأسلوب والصفات الخارجية إلى ثلاثة أقسام رئيسية هي :

أ ـ أسفار الشريعة (Pentateuch) أو كتب موسى الخمسة . وتسمى التوراة . وهي أهم الأسفار عندهم .

ب ـ أسفار الأنبياء : وهي نوعان :

أولهما يشمل تاريخ إسرائيل .

الثاني أسفار الأنبياء الذين دونت نبواءاتهم على مثال موسىٰ ، بحيث يعدون مكملين له . ما عدا سفر دانيال .

ويتألف هذا القسم من ثمانية أسفار . لكن لما كانت الكنيسة البروتستانتية لم تأخذ إلا بالأسفار المعترف بها لدى اليهود ، بيد أنها قسمتها إلى أجزاء بحسب الأسماء المذكورة ، فأصبحت تسعة وثلاثين سفراً بدلاً من أربعة وعشرين ، فإننا سنأخذ بتعداد البروتستانت وتسميتهم ، لسهولة ذلك ووضوحه .

وأسفار الأنبياء من حيث تقدم النبي وتأخره ضربان :

١ ـ أسفار الأنبياء المتقدمين ـ أو الأولين ـ :

وهي سفر يشوع ، وسفر القضاة ، سفر صموئيل الأول ، صموئيل الثاني ، سفر الملوك الأول ، سفر الملوك الثاني .

٢ ـ أسفار الأنبياء المتأخرين :

وهي سفر إشعياء، سفر إرمياء، سفر حزقيال ، سفر هوشع ، سفر يوئيل ، عاموس ، عُوبَدْيا ، يونان ـ أو يونس ـ ميخا ، ناحوم ، حَبَقُوق ، صفنيا ، حجاي ـ أو حجي ـ ، زكريا ، ملاخي .

ج ـ أسفار الكتبة ـ أو الكتب . وتسمىٰ الكتابات أيضاً ـ :

وتتألف من القصائد الدينية وكتب الحكمة . وهي ثلاثة أنواع :

١ ـ الكتب العظيمة : وتشمل : المزامير ، والأمثال ، وسفر أيوب .

٢ ـ الأدراج الخمسة ـ أو المجلات الخمس ـ : وتشمل خمسة أناشيد ـ أو قصص مختصرة ـ وهي : نشيد الأناشيد ، وراعوث ، ومراثي إرمياء ، والجامعة ، واستير .

وسميت بالأدراج الخمسة . لأن كل نشيد منها كتب على درج قائم بذاته .

٣ ـ الكتب : وتشمل : سفر دانيال ، سفر عزرا ، سفر نحميا ، ويسمىٰ السفر الثاني لعزرا ـ سفر أخبار الأيام الأول ، سفر أخبار الأيام الثاني .

وتقسم أيضاً تلك الأسفار من حيث الموضوع إلى أربعة أقسام هي :

أ ـ أسفار موسى الخمسة .

ب ـ الأسفار التاريخية .

ج ـ أسفار الأناشيد ، أو الأسفار الشعرية .

د ـ أسفار الأنبياء .

وثمة قسم آخر يطلقون عليه اسم الأسفار الخفية[1] .

وسندرس إن شاء الله جميع الأسفار بالتفصيل معتمدين التقسيم الأخير ـ من حيث الموضوع ـ آخذين بتعداد البروتستانت وتسميتهم . لأن ذلك هو المتبع في الكتاب المقدس الصادر عام ١٩٨٤ م عن دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط .

---

(١) الموسوعة العربية الميسرة ٢/١٢٤٥ و ١/٥٥٦ ، التوراة بين الوثنية والتوحيد لسهيل ديب ص ١٠ ـ ١١ ، الأسفار المقدسة لعلي عبد الواحد ص ١٢ ـ ١٣ وص ١٦ ، دراسة الكتب المقدسة لموريس بوكاي ص ٢٦ ، اليهودية لأحمد شلبي ص ٢٣٨ ـ ٢٣٩ ، تعريف بالتوراة السامرية لأحمد حجازي ص ٢٥ ـ ٢٦ وص ٣١ ـ ٣٢ ، إظهار الحق ١/٥١ ـ ٥٢ .

البحث الأول

الأسفار المقدسة وأقسامها

ويحتوي على الأبواب التالية : ـ

أ ـ التوراة وأسفارها .
ب ـ الأسفار التاريخية .
جـ ـ أسفار الأناشيد .
د ـ أسفار الأنبياء .
هـ ـ الأسفار الخفية .

أ ـ التوراة وأسفارها

تعريفها :

التوراة كلمة عبرية ، أصلها « تورة » ومعناها : التعليم أو الشريعة . كما تأتي بمعنى الناموس أو لهــدىٰ .

وهي تعني عند اليهود الأسفار الخمسة التي تلقاها موسى ـ عليه السلام ـ شفاهاً من الله ، بجبل (حوريب) في سيناء عند الميقات الزماني والمكاني بعد خروجهم من مصر . فكتبها بيديه .

ثم أُلحق بالتوراة أسفار الأنبياء الذين جاؤوا من بعد موسىٰ وغيرهم . وقد يطلق لفظ النوراة على الجميع من باب إطلاق الجزء على الكل مجازاً . وذلك لأهمية التوراة ونسبتها إلى موسى[1] .

لوحا الشهادة :

يزعم اليهود أنه بعد خـروج بني إسرائيـل من مصر بقليـل ، أمرهم الله سبحانه على لسـان موسى ـ عليـه السلام ـ بـالتأهب لسمـاع الخطاب الإلهي جهرة ، حتى لا يبقىٰ في نفوسهم شك أن الله يخاطب البشـر . ويكون ذلـك بالطهارة الظاهرة والباطنة ، مثل غسل الثياب واعتزال النساء ونحو ذلك .

---

(١) إظهـار الحق ١/٥١ ، تفسيـر المنـار ٣/١٥٥ ، اليهـوديـة لأحمـد شلبي ص ٢٣٨ ، الشـرائع الـدينية لأحمـد يسـري ص ٦١ المسيـح في القـرآن لعبـد الكـريم الخـطيب ص ٤٣ ، مواجهة صريحة ص ١٦٨ .

وبعد ثلاثة أيام من التأهب ، حدث في الصباح على جبل سيناء رعود وبروق وسحاب ثقيل ، وصوت برق شديد جداً . فارتعد كل الشعب الذي كان نازلاً في المحلة مقابل الجبل . ثم أخرج موسى الشعب من المحلة لملاقاة الله ، فوقفوا أسفل الجبل . وكان جبل سيناء كله يدخن ، لأن الرب نزل عليه بالنار . . .

وقال الرب لموسى : اصعد إلى الجبل ، وكن هناك ، فأعطيك لوحي الحجارة ، والشريعة والوصية التي كتبتها لتعليم بني إسرائيل . فصعد موسى إلى الجبل . . . وسمع القوم الخطاب فصيحاً بعشر كلمات هي أمهات الشرائع وأصولها : « أنا الرب إلهك الذي أخرجك من أرض مصر . . . » خروج ٢٤/ ١٢ ـ ١٥ ـ . ورسم الله هذه الكلمات في لوحين من حجر رفيع ، ودفعهما إلى موسى ، فرأوها كتاباً إلهياً ، كما سمعوها خطاباً إلهياً .

وبقيت تلك النار أربعين يوماً على الجبل يراها القوم ، ويرون موسى داخلاً وخارجاً . . . .

وتذكر التوراة كما في سفر الخروج ١٨/٣١ : أن الله أعطى لموسى عند فراغه من مخاطبته في جبل سيناء لوحي الشهادة ، لوحي حجر مكتوبين بأصبع الله ـ وفي التوراة السامرية : لوحي جوهر مكتوبين بقدرة الله ـ

١٥/٣٢ ـ ١٦ : فانحدر موسى من الجبل ولوحا الشهادة بيده. لوحان مكتوبان من جانبيهما من ها هنا ومن ها هنا. واللوحان هما صنعة الله، والكتابة كتابة الله منقوشة على اللوحين.

واللوحان فيهما الأوامر العشر . وقد ذكرت في سفر الخروج ٢٠/ ٣ ـ ١٧ وسفر التثنية ٥/٧ ـ ٢١ وقد ورد ذكر الألواح في القرآن الكريم حيث قال سبحانه : ﴿ **وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلاً لكل شيء . فخذها بقوة ، وأمر أهلك يأخذوا بأحسنها . سأوريكم دار الفاسقين** ﴾ ـ الأعراف / ١٤٥ ـ

وقال تعالى : ﴿ **ولما سكت عن موسى الغضب أخذ الألواح . وفي**

نسختها هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون ﴾ ـ الأعراف / ١٥٤ ـ وكان ـ عليه السلام ـ قد ألقى الألواح عندما رجع إلى قومه ورآهم يعبدون العجل .

أما بقية الأوامر والفرائض وأحكام الشريعة الأدبية والمدنية والجنائية ، فقد تلقاها موسى شفاهاً من الله ، وأمر بكتابتها . فكونت جميعها ما عرف بالتوراة[١] .

تابوت عهد الرب :

وتذكر التوراة كما في سفر الخروج ٢٥/ ١٠ ـ ٢٢ أن موسى تلقى من الإله على الجبل أوصافاً لتابوت يصنعه ، ويضع فيه الشهادة التي يعطيه الله إياها .

وعمل لهم موسى بأمر الرب تابوتاً من خشب ، مغشى بالذهب الخالص ، وعليه غطاء من ذهب خالص أيضاً . وعلى غطاء التابوت تمثالان لطائرين لم ير الناس مثليهما . وينسب لموسى القول بأنه رأى هذا النوع من الطيور بالقرب من عرش الله ، وهي ملائكة تسمى (الكروبية) . وأن حراسة التابوت موكولة لهذين الطائرين .

وبعد الانتهاء من صنع التابوت على الصفات التي تلقاها موسىٰ ، وضع فيه اللوحين ، كما وضع فيه ذهباً وفضة وبعض المواثيق ، وسماه (تابوت العهد) . ولم يكن يسمح لأحد أن يمسه ، وإنما كان يحمل بوساطة العصوين[٢] .

وبعد أن أتم موسى كتابة التوراة سلمها للكهنة حاملي تابوت عهد

---

(١) تنقيح الأبحاث لابن كمونة ص ٢٤ ، اليهود لزكي شنودة ص ٣٣١ ـ ٣٣٣ وص ٣٢ ـ ٣٣ ، الشرائع الدينية لأحمد يسري ص ٥٧ ـ ٥٨ وص ٦١ ، اليهودية لأحمد شلبي ص ٢٠٥ .

(٢) اليهودية لأحمد شلبي ص ٢٠٥ ـ ٢٠٦ .

الرب ، وأمرهم أن توضع في التابوت بين اللوحين . كما في سفر التثنية ٣١/ ٢٤ ـ ٢٦ .

حقيقة التوراة عند المسلمين :

تلك هي حقيقة التوراة عند أهل الكتاب . أما عند المسلمين ، فهي الكتاب الذي أنزله الله على موسى ـ عليه السلام ـ فيه هدى ونور . قال تعالى : ﴿ **وأنزل التوراة والإنجيل من قبل هدى للناس** ﴾ ـ آل عمران / ٣ ـ وقد بلغه موسى قومه . لكن هذا الكتاب لا وجود له اليوم . وما يُطلق عليه أهل الكتاب لفظ « التوراة » فإنما هو كتاب محرف كما سيأتي إن شاء الله . قال سبحانه : ﴿ **وما قدروا الله حق قدرة ، إذ قالوا : ما أنزل الله على بشر من شيء . قل : من أنزل الكتاب الذي جاء به موسىٰ نوراً وهدى للناس ، تجعلونه قراطيس تبدونها ، وتخفون كثيراً ؟ وعلمتم ما لم تعلموا أنتم وآباؤكم . قل الله ، ثم ذرهم في خوضعهم يلعبون** ﴾ ـ الأنعام / ٩١ ـ أي تجعلونه صحفاً تبدونها للناس ، وتخفون كثيراً من الحقائق .

أسفار التوراة :

تتكون التوراة من خمسة أسفار هي :

١ ـ سفر التكوين ـ أو الخليقة ـ :

ويتحدث عن خلق العالم وتاريخ الوعود الإلهية منذ خلق آدم حتى موت يوسف ـ عليهما السلام ـ ويقسم إلى قسمين :

أ ـ تاريخ بدء الإنسانية ، ويبحث في قصة الخليقة، فيشتمل على قصص خلق العالم من سموات وأرض وغير ذلك ، وعلى خلق آدم وحواء وهبوطهما من الجنة إلى الأرض وحياتهما فيها ، كما يذكر قصة قتل قابيل لأخيه هابيل ، وقصة نوح والطوفان .

ب ـ تاريخ السلالات البشرية ؛ ويبحث في نسل سام وغيره ، وفيه قصة إبراهيم وأجداده ، ويذكر آباء بني إسماعيل باختصار ، وبني إسرائيل بتفصيل .

وفيه أيضاً قصة إسماعيل وإسحاق ويعقوب . وينتهي بسرد قصة يوسف بن يعقوب واستقراره مع أولاده في مصر، ثم موت يوسف[1]. ومن ثم سُمي سفر التكوين أو الخليقة.

٢ ـ سفر الخروج :

ويتحدث عن موضوعين رئيسيين يفصل بينهما موضوع ثانوي :

أ ـ ويبدأ من بعد موت يوسف ؛ فيعرض تاريخ بني إسرائيل في مصر ، وما أصابهم من أذى على يد الفراعنة . ثم يذكر قصة نشأة موسى ورسالته ، وخروجه مع أخيه هارون من مصر على رأس بني إسرائيل بتفصيل . ومن ثم سمي سفر الخروج .

ب ـ ويذكر سير بني إسرائيل في الصحراء وما وقع لهم في التيه .

ج ـ العهد الذي أعطى لموسى في صحراء سيناء ، ونزول التوراة عليه ، إلى أن يصل إلى احتلال فلسطين وارتحال موسىٰ .

وفي هذا السفر توجد الوصايا العشر وبعض أحكام الشريعة اليهودية في العبادات والمعاملات والعقوبات وغير ذلك[2] .

٣ ـ سفر الأحبار ـ أو اللاويين ـ :

ويختص بأولاد « لاوي » ـ أوليفي ـ وهو أحد أبناء يعقوب ، ومنهم الأحبار والكهنة والحفظة . كما يحتوي على الأحكام التشريعية التي تنظم الأمور الدينية والاجتماعية عند بني إسرائيل ، مثل الزواج والطلاق والصلاة والكفارات والقرابين ، والمحرمات من الحيوانات والطيور ، وسائر أمور العبادة وما يتعلق بها من ثواب وعقاب .

---

(١) التوراة السامرية ص ٢٢ ـ ٢٣ ، اليهودية لأحمد شلبي ص ٢٤١ ، الأسفار المقدسة لعلي عبد الواحد ص ١٣ .

(٢) السامرية ص ٢٣ ، اليهودية لشلبي ص ٢٤١ ، الأسفار المقدسة لعلي ص ١٣ .

وكان اللاويّون سدنة الهيكل والمشرفين على شؤون المذبح والأضحية والقرابين ، والقوامين على الشريعة اليهودية . ومن ثم نسب إليهم هذا السفر الذي شغل معظمه بما يشرفون عليه من عبادات ومعاملات(١) .

٤ ـ سفر العدد :

ويحتوي على إحصاء لبني إسرائيل وقبائلهم وأسباطهم وسيرتهم وجيوشهم ، وإحصاء لأموالهم وثرواتهم . بالإضافة إلى بعض الأحكام الشرعية من عبادات ومعاملات .

ويلحظ فيه الاهتمام الكبير بالأعداد ، فقد تحدث الكاتب عن موضوع الصدقات التي قدمها بنو إسرائيل لله ، وعن الذبائح ، وعن توزيع مدن اللاويين ، وذكر في ذلك أعداداً كثيرة . ومن ثم سمي سفر العدد .

وهو تابع طبيعي لسفر الخروج . إذ يروي تنقلات بني إسرائيل في سيناء ، من الأشهر الأخيرة إلى عشية دخولهم أرض الميعاد(٢) .

٥ ـ سفر التثنية :(٣)

وفيه إعادة لكثير من أحكام العقيدة والشريعة والسلم والحرب والصلح والعقوبات والاقتصاد وغير ذلك. كما فيه أيضاً إعادة للوصايا العشر . وينتهي بالحديث عن موت موسى ـ عليه السلام ـ ودفنه في أرض (مؤاب) وأنه لن يظهر في بني إسرائيل نبي مثله .

---

(١) السامرية ص ٢٣ ، اليهودية لشلبي ص ٢٤٢ ، الأسفار المقدسة ص ١٣ ـ ١٤ .

(٢) السامرية ص ٢٣ ـ ٢٤ ، اليهودية لشلبي ص ٢٤٢ ، الأسفار المقدسة ص ١٤ .

(٣) هذه تسمية البروتستانت . ومعناها الإعادة . كما يسمىٰ بالاستثناء . أما ترجمة الكاثوليك ، فتسميه تثنية الاشتراع .

وذكر سهيل ديب في كتابه (التوراة بين الوثنية والتوحيد) ص ٤١ ـ ٤٢ أن كتبة العهد القديم اعتادوا جعل أول كلمة من السفر عنواناً له ، فسفر التكوين اسمه في العبرية (برشيت) أي في البدء . وسفر العدد (في ـ ال ـ برية) وكلم الله موسى في برية =

وسمي بالتثنية لأنه يعيد ذكر التعاليم التي تلقاهـا موسى من ربـه ، وأمر بتبليغها إلى بني إسرائيل . فهو نشرة ثانية للشريعة الموسوية ، بيد أنها مـطبقة على وسطٍ اجتمـاعي وسياسي أكثـر تطوراً[1] . وعلى سبيـل المثال أفـاد سفر الخروج ٢٠/٢٢ ـ ٢٦ أنه يجوز لبني إسرائيل أن يقيموا أمكنة للعبادة في كل الأمـاكن . بينما فـرض سفر التثنيـة مركـزيـة العبـادة في مكـان واحـد . ففي ١٢/١٣ ـ ١٤ : احترز من أن تُصِعد مُحْرَقاتـك في كل مكـان تراه . بـل في المكان الذي يختاره الرب في أحد أسباطك . هناك تُصِعد مُحْرَقاتك ، وهناك تعمل كل ما أوصيك أنا به .

وصفوة القول في أمـر التوراة : إن السفـريـن الأول والثاني يبحثـان في التاريخ والقصص . أما ثلاثـة الأسفار الأخيـرة ، فتبحث بشكل عـام في أمور دينية واجتماعية ومواعظ وتشريعات .

شروح التوراة :

تفرع عن دراسة التوراة لدى أحبار اليهود نوعان من الأسفار هما : التلمود والمدراش .

أسفار التلمود :

أي التعاليم . وهي في الأصل روايات شفوية تناقلها الحاخامات من جيل

سيناء. .وسفر تثنية الاشتراع اسمه في العبرية (ديغارم) أي الكلام . وكلمة التثنيـة من أخطاء المترجمين الشائعة . فقد اعتقد أحدهم أن الشريعة أعطيت مـرة ثانيـة . وذلك نتيجة خطأ في قراءة الفقرة ١٧/١٨ : « وعندما يجلس على كرسي مملكته يكتب لنفسه نسخة من هذه الشريعة في كتاب من عند الكهنة اللاويين » . مع أنه لم يعط إلا نسخة واحدة . وقد اعتمد اليهود ذلك دون محاولة لإصلاحه لعدم أهمية ذلك كما يظهر .

(١) تقديم التوراة السامريـة لأحمد حجـازي ص ٢٤ ، اليهوديـة لأحمد شلبي ص ٢٤٣ ، الأسفار المقدسة لعلي عبد الواحد ص ١٣ .

إلى جيل . وتنقسم إلى قسمين : المشناة ؛ وهو الأصل - أي المتن - والجِمارا ؛ وهو الشرح .

١ - المشناة :

أي المثنى أو المكرر . فقد تألف من بحوث أحبار اليهود وربانيّيهم وفقهائهم المنتمين إلى فرقة الفرّيسيين في شؤون العقيدة والشريعة والتاريخ المقدس وغير ذلك خلال القرنين الأول والثاني بعد الميلاد ثلاثة وستون سفراً . أطلق عليها اسم (المشناة) لأنها تكرار للشريعة وإيضاح لها وتفسير وتكميل . فالمشناة أول لائحة قانونية وضعها اليهود لأنفسهم بعد التوراة . واختلفوا فيمن جمعها : فالمشهور أنه يهوذا هاناسي ، وأنه قام بجمعها فيما بين عامي ١٩٠ - ٢٠٠ م أي بعد قرن من تدمير تيطس الروماني للهيكل تقريباً. ويقال: إن الذي دونها هو (يوضاس).

٢ - الجِمارا :

أي الشرح والتعليق ؛ فهي شروح للمشناة ، ألفت في فترة طويلة تمتد من القرن الثاني الميلادي إلى أواخر القرن السادس . وهي نوعان :

جِمارا أورشليم : وهو سجل للمناقشات التي أجراها حاخامات فلسطين ، أو بالأحرى علماء مدارس طبرية، لشرح أصول المشناة . ويرجع ابتداء جمعه إلى عام ٤٠٠ م .

جمارا بابل : وهو أيضاً سجل مماثل للمناقشات حول تعاليم المشناة . دونها علماء اليهود . وانتهوا من جمعها عام ٥٠٠ م تقريباً .

والمشناة مع شرحه جمارا أورشليم يسمىٰ (تلمود أورشليم) ، ومع شرحه جمارا بابل يسمىٰ (تلمود بابل) . وكل منهما يطبع على حدة . وأكثرهما تداولاً بين اليهود هو تلمود بابل ، وهو المراد عند إطلاق اللفظ .

فالتلمود - بمتنه المشناة وشرحه الجِمارا - توضيح وتفصيل لما ورد في

التوراة . وقد أنزله معظم اليهود منزلة لا تقل عن التوراة ؛ فهو يليها في قدسيته ، ويتقدمها في أهميته ، ويمتاز بسريته . بل إن بعضهم ليضعه في مكان اسمى من التوراة نفسها[1] .

وهو بشكل عام يتكون من ستة مباحث . يسمونها (سيداريم) أي أحكام وهي :

١ ـ زيرائيم ـ أي البذور ـ ويتضمن اللوائح الزراعية .

٢ ـ موئيد ـ أي الأيام المقررة ـ ويحتوي على لوائح الأعياد والصيام .

٣ ـ نشيم : أي المرأة ـ ويتضمن قوانين الزواج والطلاق والنذور والناذر .

٤ ـ نزيكين ـ أي الأضرار ـ ويشمل القوانين المدنية والجنائية .

٥ ـ كواشيم ـ أي الأشياء المقدسة ـ ويبحث في الصلاة .

٦ ـ توهاروث ـ أي الطهارة ـ ويبحث في قواعد الطهارة والنجاسة[2] .

---

(١) الأسفار المقدسة لعلي ص ١٠ و ٢١ ـ ٢٢ ، اليهودية لأحمد شلبي ص ٢٧٣ ـ ٢٧٤ وص ٢٢٦ ـ ٢٢٧ ، تعليق الدكتور محمود حماية على دراسته لمنهج ابن حزم ص ٢٤٥ ، بالإضافة إلى المرجع الآتي .

(٢) التلمود تاريخه وتعاليمه لظفر الإسلام خان ص ٤٠ ـ ٤٩ ، وانظر بذل المجهود ص ٥٤ .

ب ـ الأسفار التاريخية

وهي اثنا عشر سفراً تعرض لتاريخ بني إسرائيل بعد استيلائهم على بلاد الكنعانيين واستقرارهم في فلسطين . وتفصل تاريخ قضاتهم وملوكهم وأيامهم والحوادث البارزة في شؤونهم . وهي :

١ ـ سفر يشوع، أو يوشع بن نون: وهو فتى موسىٰ ـ عليه السلام ـ وخليفته من بعده. قاد جيش بني إسرائيل في دخوله إلى بلاد كنعان أرض الميعاد. ويتكون من أربعة عشر باباً.

ومما يذكره هذا السفر أن يشوع اصطنع مختلف الحيل في حربه. ومنها التجسس. كما يذكر تقسيم الأرض بين أسباط بني إسرائيل.

٢ ـ سفر القضاة : وهم الذين تولوا شؤون الحكم بعد استيلاء بني إسرائيل على بلاد كنعان ، واستقرارهم فيها . ويتكون من واحد وعشرين باباً .

٣ ـ سفر راعوث : وهي جدة داود من جهة أبيه .

ويبين هذا السفر نسب داود على أنه أصل الأسرة الملكية في إسرائيل تمهيداً لأسفار الملوك . ويتكون من أربعة أبواب .

٤ ـ سفر صموئيل الأول: ويتكون من واحد وثلاثين باباً . وموضوعه الملك شاؤل .

٥ ـ سفر صموئيل الثاني : ويتكون من أربعة وعشرين باباً . وموضـوعه الملك داود .

وصمـوئيل هـو أحد أنبيـائهم ، وآخر قضـائتهم . وهو الـذي طلب منه شيوخهم أن يعين لهم ملكاً ففعل .

٦ ـ سفر الملوك الأول : ويتكون من اثنين وعشرين باباً .

٧ ـ سفر الملوك الثاني : ويتكون من خمسة وعشرين باباً .

والمراد بالملوك الـذين تولـوا الحكم بعد القضـاة . وأولهم : شاول بن قيس الذي رسمه صموئيل آخر القضاة ملكاً بأن مسحه بالدهن . وهو الذي ورد ذكره في القرآن حيث قال سبحانه : **﴿ ألم تر إلى الملأ من بني إسرائيل من بعد موسى ، إذ قالوا لنبي لهم إبعث لنا ملكاً نقاتل في سبيل الله . . . ﴾ إلى قـوله تعالى : ﴿ إن الله قد بعث لكم طالوت ملكاً ـ الآية ﴾ ـ البقرة/٢٤٦ ـ.**

وفي السفر الأول ذكر لداود ثم لابنه سليمان ـ عليهما السـلام ـ ولإيلياء النبي . ثم لملوك يهوذا وإسرائيل. وفي الثاني ذكـر للنبي اليشع ، وخبـر انتهاء المملكة . وهذان السفران يوحيان بالطاعة العمياء .

٨ ـ سفر أخبار الأيام الأول : ويتكون من تسعة وعشرين باباً .

٩ ـ سفر أخبار الأيام الثاني : ويتكون من ستة وثلاثين باباً .

وهما ذيل وتتمة للأسفار السابقة .

١٠ ـ سفر عزرا الكاتب : وهو أول الكتبة . وكان للكتبة حزب منظم هو حزب الفريسيين . وعزرا هو الذي حرر معظم الديـانة اليهـودية ، وأعـاد إليها بعض معالمها ويتكون من عشرة أبواب .

١١ ـ سفـر نحميا الحـاكم : وهو الـذي ساعـد عزرا في إعـادة تشييـد فلسـطين ، ولا سيما بيت المقـدس . بل هـو الـذي سبقـه في الحضـور إلى القدس . ويتكون من ثلاثة عشر باباً . ويسمىٰ السفر الثاني لعزرا أيضاً . وفي

هذين السفرين عودة اليهود إلى فلسطين بعد سبي بابل وإعادة تنظيمها[1] .

١٢ ـ سفر استير : وهي امرأة يهودية اسمها الأصلي هداسة ، تزوجت بالملك الفارسي أحشويرش عندما أمعن اليهود في التودد إلى ملوك الفرس . أحبطت مؤامرة دبرها أحد الوزراء ضد اليهود عندما رأى خطرهم على الدولة . فأوغرت صدر الملك ضده ، وانتقمت منه ومن أعوانه شر انتقام . ويبين هذا السفر كيفية دفع سلطة (الغويم) أي الأمم تحت إمرة اليهود الماحقة حتى باستخدام جمال النساء . ويتكون هذا السفر من عشرة أبواب[2] .

---

(١) الأسفار المقدسة لعلي ص ١٤ ، التوراة تاريخها وغاياتها تعريب سهيل ديب ص ٤٤ و ٤٧ ، اليهود لزكي شنودة ، ص ٧٩ ـ ١١٠ ، اليهودية لأحمد شلبي ص ٢٤٣ ـ ٢٤٨ ، إظهار الحق ١/ ٥١ ، الموسوعة العربية الميسرة ٢/ ١٢٤٥ .

(٢) الشرائع الدينية لأحمد يسري ص ٦٤ بالإضافة إلى المراجع السابقة .

ج ـ أسفار الأناشيد

وتسمى أيضاً الأسفار الشعرية . وهي أناشيد ومواعظ معظمها ديني ، نظمت شعراً في أساليب بليغة . وعددها خمسة هي :

١ ـ سفر أيوب : وأيوب ـ عليه السلام ـ ليس من بني إسرائيل . بل هو من أولاد العيس .

ويهيء هذا السفر اليهود لتقبل الانتظار والعذاب ، قبل أن يتمكنوا من السيطرة . فهو يبحث في مشكلة الإنسان الصادق وصبره . ويرمز له بقصة أيوب . ويتكون من اثنين وأربعين باباً .

٢ ـ الزبور : أو مزامير داود ـ وفيه خمسون ومائة نشيداً أو ترنيماً روحياً .

٣ ـ سفر الأمثال ـ أو أمثال سليمان ـ وفيه خواطر أدبية دينية ، تتعلق بتصرف الإنسان في حياته ، يعبر عنها في الغالب بحكمة أو مثل قصير . ويتكون من واحد وثلاثين باباً .

٤ ـ سفر الجامعة من كلام سليمان : وهو تأمل في معنى الحياة البشرية . فحواه أن كل شيء ما خلا عبادة الله باطل . ويتكون من اثني عشر باباً .

وهذان السفران فيهما توصيات للخواص من اليهود .

٥ ـ سفر نشيد الأناشيد لسليمان : وهو نشيد غنائي يعبر عن ملذات الحب الإلهي . ويتكون من ثمانية أبواب .

وأساليبها المتعددة تدل على تعدد كاتبيها. وبعض علماء اليهـود لا يوافق على ضم سفري الجامعة ونشيد الأناشيد إلى هذه الأسفار[1].

(١) الأسفار المقدسة لعلي ص ١٥ ، التوراة تاريخها وغاياتها تعريب سهيل ديب ص ٤٦ ، اليهودية لأحمد شلبي ص ٢٣٩ ـ ٢٤٠ وص ٥٢١ ـ ٢٥٢ ، الموسوعة العربية الميسرة ١٢٤٥/٢.

د ـ أسفار الأنبياء

وهي سبعة عشر سفراً :

١ ـ سفر إشعياء : ويتكون من ستة وستين باباً .

٢ ـ سفر ارمياء : ويتكون من اثنين وخمسين باباً .

٣ ـ مراثي ارمياء : ويتكون من خمسة أبواب .

٤ ـ سفر حَزْقيال : ويتكون من ثمانية وأربعين باباً .

٥ ـ سفر دانيال : ويتكون من اثني عشر باباً .

٦ ـ سفر هوشع : ويتكون من أربعة عشر باباً .

٧ ـ سفر يوئيل : ويتكون من ثلاثة أبواب .

٨ ـ سفر عاموس : ويتكون من تسعة أبواب .

٩ ـ سفر عُوبَدْيا : ويتكون من باب واحد .

١٠ ـ سفر يونان ـ أو يونس ـ وهو النبي المرسل إلى أهل نينوى . وقد ورد ذكره في القرآن الكريم حيث قال تعالى : **﴿ وذا النون إذ ذهب مغاضباً ، فظن أنه لن نقدر عليه . فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين . فاستجبنا له ونجيناه من الغم . وكذلك ننجي المؤمنين ﴾** .

ويتكون هذا السفر من أربعة أبواب .

١١ ـ سفر ميخا : ويتكون من سبعة أبواب .

١٢ ـ سفر ناحوم : ويتكون من ثلاثة أبواب .

١٣ ـ سفر حَبَقّوق : ويتكون من ثلاثة أبواب .

١٤ ـ سفر صفُنيا : ويتكون من ثلاثة أبواب .

١٥ ـ سفر حجي : ويتكون من بابين .

١٦ ـ سفر زكريا : ويتكون من أربعة عشر باباً .

١٧ ـ سفر ملاخي : ويتكون من أربعة أبواب .

وتكاد تكون محتويات هذا هذه الأسفار متشابهة ؛ فبعضها هجوم على بني إسرائيل لميلهم عن عبادة (يهوه) . وبعضها تهديد بنزول الشر بهم وسقوط دولتهم . وبعضها يحث على الخضوع للسلطات الخارجية . وبعضها يتكلم عن المسيح المنتظر(١) .

---

(١) الأسفار المقدسة لعلي ص ١٥ ، اليهودية لأحمد شِلبي ص ٢٣٩ ـ ٢٤٠ وص ٢٥٢ ، الموسوعة العربية الميسرة ٢/١٢٤٥ .

هـ ـ الأسفار الخفية

ثمة إشاعة قوية عن سرية ما لا يقل عن ثلاثة أرباع كتب اليهود الدينية ، تعود إلى القرن الأول الميلادي على أقل تقدير .

ففي سفر إسدارس الثاني ١٤/١ ـ٤٨ أن النبي عزرا بينما كان يجلس تحت شجرة سنديان، إذ كلمه الله من غابة قريبة. وطلب منه أن يحضر خمسة كتبة ماهرين، يستطيعون نقل ما يملىٰ عليهم بسرعة، مع كمية وفيرة من أدوات الكتابة . وفي اليوم التالي أُعطي عزرا كأساً من مشروب عجيب ، أنزل عليه وحياً . فأخذ يملي على خمسة الكتبة بأحرف لا يعرفونها ، وهم يكتبونه . . وهكذا تمم وضع أربعة وتسعين سفراً . ثم أمر الله عزرا بأن ينشر أربعة وعشرين سفراً منها ، ويحتفظ بالسبعين الباقية سرية ، لا يطلع عليها سوى حكماء اليهود[١] .

ومما لا شك فيه أن لدى اليهود أسفاراً سرية ، لم يكشف عنها إلا للمتقدمين في الكهنوت اليهودي . ولم يفش سرها إلى اليوم . وإلى هذا يشير القرآن الكريم حيث يقول الله تعالىٰ : ﴿ **وما قدروا الله حق قدره ، إذ قالوا : ما أنزل الله على بشر من شيء * قل: من أنزل الكتاب الذي جاء به موسىٰ نوراً وهدى للناس ؟ تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيراً .** ﴾ ـ الأنعام/١٩ـ.

---

(١) التوراة بين الوثنية والتوحيد لسهيل ديب ص ١٠٥ ـ ١٠٧ .

ويقول سبحانه : ﴿ **يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير** ﴾ ـ المائدة/ ١٥ـ.

أما العدد أو النسبة فقد يكون مبالغاً فيها . ولعل سبب ذلك أن فئة الكتبة الفريسيين كانت تحاول جاهدة احتكار الدين اليهودي باحتكار الكتب وتأليفها ونقلها والتعليق عليها مما أدى إلى المبالغة في العدد والتقدير . وهل تأثر اسدارس المزعوم بتلك الإشاعة المتداولة في زمنه ، فنقلها علىٰ علاتها ؟ أو أن أحبار اليهود هم الذين وضعوا هذا السفر ، أو على الأقل هذا النص في هذا السفر تبريراً لعملهم أمام العوام ، وتهدئة لمن كان غير متقدم في علم الكهنوت ؟ يغلب على الظن أن الثاني هو الصحيح والله أعلم .

الأسفار غير القانونية :

وثمة أسفار قديمة أخرىٰ لم يدخلها اليهود في أسفارهم المعروفة . يطلق عليها اسم (أبو كريفا ـ ApocryphA) وهي كلمة يونانية معناها السرية أو المخفية .

وبعض هذه الأسفار غير مقدس أو معتمد في نظر اليهود . وبعض آخر مقبول للقراءة التاريخية وإن كان لا يشكل جزءاً من الشريعة ، وهو يضاف عادة إلى الأسفار المعروفة . وبعض ثالث مقدس ، لكن رأى أحبارهم وجوب إخفائه ، فقرروا أنه لا يجوز للعامة أن تقف عليه كما سلف .

يضاف إلى ذلك كتب أخرىٰ تسمىٰ (المنسوبة ـ pseubepi8rAphA) أي المنسوبة خطأ إلى مؤلفين توارتيين .

ولا يعرف إلى اليوم سبب جعل هذه الأسفار غير قانونية أو سرية ومخفية . ولم يتمكن أحد من تحديد تعريف لهذا التقسيم[1] .

---

(١) الأسفار المقدسة لعلي ص ١٨ـ٢٠ ، التوراة بين الوثنية والتوحيد ص ١١ و١٠٧و ١٠٩ـ١١٠ .

ومن الأسفار المخفية أو غير القانونية ما يلي :

١ ـ سفر اسدراس الأول :

ورد ذكر لهذا السفر عند المؤرخ اليهودي الشهير جوزيفوس فلا فيوس ، وهو ممن عاش في القرن الأول الميلادي ، وتوفي عام ٧٠م تقريباً . مما يدل على قدم هذا السفر .

نصه مكتوب باللغة اليونانية ، وهو يحكي نفس الرواية التي يحكيهاسفرا عـزرا ونحميا . فقد يكون رواية أخرى أو ترجمة أخرى لهما .

ومن المعقتقد أن أحد الكهنة اليهود كتبـه في مصر . أو أنــه أعاد كتـابة سفري عزرا ونحميا على طريقته الخاصة بعد عام ١٥٠م[١] .

٢ ـ سفر اسدراس الثاني :

وهـو سفر أسـطوري . مؤلفه مجهـول قد يكـون يهوديـاً ، وربما يكـون نصرانياً . وإنما سُمي بإسدراس وضم إلى الأول لكونه على شاكلته . فهو الذي يذكر رؤيـا عزرا في أثنـاء السبي ، ويتكلم عن الكتب السريـة السبعين . وقد أثبتت الدراسات العميقة أن هذا السفر منحول جرى تأليفه في العصور الميلادية الأولى . ولا يعود إلى عصر عزرا ونحميا اللذين كانا في القـرن الخامس قبـل الميلاد كما أراد له مؤلفوه أن يظهر بذلك . والغالب أنه كتب بالآرامية في أواخر القرن الأول الميلادي . لكن ليس له ذكر عند المؤرخ جوزيفوس . ترجم إلى اليونانية ، ومنها إلى لغات أخرى ، منها ترجمتان مستقلتان إلى العربيـة[٢] .

٣ ـ سفرطوبيا :

موضوعه حكايـة محصورة بين عـائلتين . . جرى تـأليفها مـا بين عامي ١٨٠ـ١٩٠ق ـ م .

وهو قانوني لدى الكنيسة الكاتوليكية . ضم لاحقاً للنص اليوناني[٣] .

(١) التوراة بين الوثنية والتوحيد لسهيل ديب ص ١١٢ .

(٢) المرجع السابق ص ١٠٦ و ص ١١٢ و ص ١١٢ .

(٣) المرجع السابق ص ١١٣ .

٤ ـ سفر يهوديت :

وهو أيضاً مجرد رواية تاريخية لا تتفق مع الوقائع : وهو قانوني لدى الكاثوليك كما سيأتي [١] .

٥ ـ إضافات أستير :

وهي مذكورة في النص الكاثوليكي ، مع إشارة إلى عدم وجودها في النص العبري . وفي هذه الإضافات يذكر الكاتب عداء الشعوب الأخرى لليهود . ويستثير اليهود للتلاحم والاستعداد للانتقام . وفيها أيضاً يضيف الكاتب إشارات إلى الله . مع أنه ليس في السفر الأصلي أية إشارة إليه . لكن يظهر أنه أراد إعطاء صفة إلّهية دينية لنزعة محاربة المعادين لليهود .

وفي هذه الإضافات تناقضات كثيرة واختلافات كبيرة مع سياق النص العبري . والصفة المميزة لها هي تكرار ذكر اسم الله . وكأنها بالإضافة إلى ما ذكر تريد التعويض عن النقص في النص الأصلي الذي لم يذكر اسم الله فيه ولا مرة .

إن تاريخ هذه الإضافات وهوية مؤلفها غير معروفة. والعلماء يقولون بالظن : لعله لوسيماكوس المذكور في مطلع الباب الحادي عشر من سفر استير . ليس لهذا السفر بشقيه أثر في وادي قمران [٢] .

٦ ـ سفر الحكمة ـ أو حكمة سليمان ـ:

جرى تأليفه في وقت متأخر ، بعد الترجمة السبعينية قطعاً ، وما بين عامي ١٠٠ ق. م و ٤٠ م غالباً . مؤلفه مجهول . قد يكون المؤرخ فيلو الاسكندراني .

وهو قانوني لدى الكنيسة الكاثوليكية [٣] .

(١) المرجع السابق ص ١١٣ .

(٢) المرجع السابق ص ١١٠ و ص ١١٣ .

(٣) التوراة بين الوثنية والتوحيد لسهيل ديب ص ١١٣ .

٧ ـ سفر يشوع بن شيراخ :

لا يعترف اليهود به رغم وجود نص منه في مستودع الكنيزة بالقاهرة . وجدت مقاطع منه في مغاور وادي قمران . جرى تأليفه عام ١٨٠ ق ـ م تقريباً . وهو قانوني لدى الكنيسة الكاثوليكية[١] .

٨ ـ سفر باروخ :

وهو تلميذ إرمياء ، وقد أملىٰ عليه تنبؤاته . لذا يعد سفره تكملة لسفره . وهو يتضمن صلوات وأدعية دينية لليهود ، ألفت بأسلوب رائع . يرجع تاريخه إلى القرن السادس قبل الميلاد . وهو قانوني لدس الكنيسة الكاثوليكية[٢] .

٩ ـ سفر رسالة إرمياء :

وهو خطاب وعظ يعتمد على سفر إرْمِياء . وغير قانوني لدى الجميع . من المحتمل أن يكون تأليفه جرى في القرن الثاني الميلادي[٣] .

١٠ ـ سفر عزريا ونشيد الشباب الثلاثة :

١١ ـ سفر سوزانا :

١٢ ـ سفر بعل والتنين :

وهذه الثلاثة تشكل أجزاء من سفر نبوءة دانيال . بل هي بمعظمها تحسين وتأويل لسفر دانيال العبري . وهي قانونية لدى الكاثوليك[٤] .

١٣ ـ سفر صلاة منسي :

وهو توسع في قصة منسي المذكورة في سفر أخبار الأيام الثاني في الباب الثالث والثلاثين . وهو غير مقبول لدى الجميع .

---

(١) المرجع السابق ص ١١٤ .

(٢) المرجع السابق الصفحة ذاتها ، الأسفار المقدسة ص ١٧ .

(٣) التوراة لسهيل الصفحة ذاتها .

(٤) المرجع السابق الصفحة ذاتها .

١٤ ـ سفر المكابيين الأول :

١٥ ـ سفر المكابيين الثاني :

وهما يحكيان تاريخ اليهود في عهد يهوذا المكابي الذي قاد دفاع اليهود عن استقلالهم ضد أنطيوخوس أبيفان .

وهما قانونيان لدى الكنيسة الكاثوليكية[١] . بل إن الأسفار والأجزاء التي تزيد بها الترجمة اللاتينية للعهد القديم عن الأصل العبري هي من الأسفار الخفية كما سيأتي .

وهذه الأسفار لم تعد مخفية كما هو ظاهر . بل أصبحت الشغل الشاغل للباحثين الذين أمضوا قروناً عديدة محاولين التعرف على مؤلفيها وتاريخها[٢] .

---

(١) المرجع السابق الصفحة ذاتها .

(٢) المرجع السابق ص ١١٠ ، الأسفار المقدسة لعلي ص ١٨ـ٢٠ .

البحث الثاني

فرق اليهود من حيث اعترافها بالأسفار

ويحتوي على البابين التاليين :-

١ - لمحة موجزة عن اليهود .

٢ - أهم فرق العبرانيين .

فرق اليهود

انقسم اليهود في مختلف عهودهم إلى فرق دينية ، تدعي كل فرقة أنها أمثل طريقة، وأشد تمسكاً بأصول الدين وروحه من غيرها . وأهم موضوع يدور حول اختلاف هذه الفرق هو الاعتراف بأسفار العهد القديم والروايات الشفوية المنسوبة لموسى وأسفار التلمود، أو إنكار بعض هذه الأصول، ورفض الأخذ بما جاء فيها من أحكام . وهذا هو الذي يعنينا من ذكر الفرق ها هنا . لكن لا بد قبل ذلك من ذكر لمحة موجزة عن أصل اليهود .

لمحة موجزة عن اليهود

لا شك أن بني إسرائيل ينتمون إلى إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - وأشهر أولاد إبراهيم هما إسماعيل وإسحاق ، فإسماعيل هو جد محمد ﷺ ، ومن أولاده قيدار . أما إسحاق ، فله ولدان : عيسو ويعقوب « إسرائيل » . ومن أولاد يعقوب شمعون ولاوي ويهوذا ويوسف وبنيامين .

هاجر يعقوب هو وأولاده وأحفاده من بلاد كنعان - فلسطين وما تبعها - وحلوا ضيوفاً على المصريين إثر ما حاق بموطنهم القديم من مجاعة ، فأكرم المصريون مثواهم .

وبعد مدة من الزمن تكاثر عددهم واستفحل نفوذهم - فتغير موقف

المصريين منهم ، وساموهم سوء العذاب ، يذبحون أبناءهم ، ويستحيون نساءهم .

ثم خرج بنو يعقوب من مصر بقيادة موسى وهارون ، وعاشوا في صحراء سيناء ، على شكل قبائل رحّل يضربون في تلك الصحراء والمناطق المتاخمة لها تائهين إلى أن فتحوا بلاد كنعان الأرض المقدسة ، بقيادة يوشع بن نون . فانتهت حياة البداوة والتنقل ، وسكنوا بين سكان سيناء والأردن وفلسطين وسورية ولبنان .

وكان من عادة بني يعقوب (إسرائيل) الخروج عن تعاليم الدين وعقائده ، وإتعاب الأنبياء وإيذاؤهم ، حتى إنهم عبدوا العجل ، وموسى ـ عليه السلام ـ يتلقى الألواح من ربه ، وهارون ـ عليه السلام ـ بين ظهرانيهم . وقد بعث الله فيهم من بعد موسى وهارون رسلاً وأنبياء ليهدوهم سواء السبيل ، لكن هيهات أن تتغير عادتهم[1] .

وبعد موت سليمان افترق بنو إسرائيل فرقتين هما :

أ ـ سبط يهوذا وسبط بنيامين ونفر من سبط لاوي . وهذه الفرقة اتخذت مدينة القدس عاصمة لها ، واعتقدت أن جبل صِهْيَوْن هو الجبل المقدس ، فهم يصلون ناحيته ويحجون إليه .

وسمي أصحاب هذه الفرقة بالعبرانيين ، وسميت دولتهم بمملكة يهوذا ، لأن الحكام عليهم كانوا من سبط يهوذا . كما سميت دولتهم بمملكة داود ، لأن الحكام عليهم كانوا من نسل داود سبط يهوذا . وأهم ما في الأمر أن لهم توراة خاصة بهم تعرف بالتوراة العبرانية . وهم يقدسون معها أسفار الأنبياء .

ب ـ بقية بني إسرائيل ؛ وهذه الفرقة اتخذت مدينة نابلس «شكيم» عاصمة لها دون القدس ، واعتقدت أن جبل جرزّيم هو الجبل المقدس دون

---

(١) تعريف بالتوراة السامرية لأحمد حجازي ص ٣، الأسفار المقدسة لعلي عبد الواحد ص ٦-٧ و ص٩.

صهيـون ، فهم يصلون ناحيتـه ، وفي عيـد الفصـح يحجـون إليـه وينحـرون الأضاحي ، مثل ما يفعل اليهود قديماً على جبل القدس ، وهم يسمون الحجر الـذي ينحرون عليـه أضحيتهم بالصخـرة ، تشبيهـاً بـالصخـرة المعـروفـة في المسجـد الأقصى . واعتقادهم راسـخ أنهم من بني إسـرائيـل من آل يـوسف الصـديق . وسمي أصحاب هـذه الفرقـة بالسـامريين ، لأنـه ملكهم «عمرىٰ» اشترى جبلاً من شامر ، وبنى عليه مدينة ، فسميت المدينـة التي على الجبل باسم شامر . ولا زال أبناء هذه الفرقة يقيمون في نابلس وضواحيها حتى اليوم ، وهم لا يستحلون الخروج من بلاد الشام .

وأهم مـا في الأمر أن لهم تـوراة خـاصـة بهم أيضـاً ، تعـرف بـالتـوراة السامرية ، وهي لا تحتوي إلا على أسفار مـوسى الخمسة ، لأنهم ينكـرون ما عداها ، بل إنهم يبطلون كل نبوة في بني إسرائيل بعـد موسى ويـوشع . ففي كتاب (التاريخ مما تقدم عن الآباء للمؤرخ السامري أبي الفتح بن أبي الحسن الدنفي[١] : أن الملك (فلطمة) في مـدينة الإسكنـدرية قبـل المسيح ، قـال لعلماء من السامريين : ما تقولون في هؤلاء الـذين ادعى اليهود أنهم أنبيـاء ، ولهم هذه الأسفار ؟ فرد عليه علماء السامريين بقولهم : أيها الملك ، أما هؤلاء فما نعترف بنبوتهم ولا بأسفارهم . لأنها أيها الملك ، إما أن تكون وردت على يد أنبياء أو غير أنبياء ، فإن كانت على يد أنبياء ، فقد منعت الشريعة الموسوية أن يقوم بعد موسى نبي ، بقوله : « ولا يقوم أيضاً نبي في إسرائيل كموسىٰ » . ولو صادقناهم علىٰ ادعائهم مع منعها عندنا ، لكانت إما أن تـرد بمثل مـا في التوراة سواء ، فلا حاجة إليها ، أو بأنقص مما فيها ، فاتباع الأفضل أوجب ، أو بأزيد مما فيها . وقد نهى الشرع عندنا وعندهم عن قبوله ١ هـ .

إن بعض السامريين يضيف إلى التوراة سفري يوشع والقضـاة ، ويرون

---

(١) ص٩٧ ، انظر التوراة السامرية ص ٢٦-٢٧ . ولعل الملك الآتي ذكره هو فيلاد لفيوس اليوناني .

في هذه السبعة كتابهم المقدس . وهم يتبعون النصوص والمنطوق الحرفي لها ، فهم شديدو الحرص على حرمة السبت ، لا يرى عندهم فيه نار أو نور ، ويصومون يوم الكفارة مثل سائر اليهود ، لكنهم يتشددون ، فلا يستثنون حتى الأطفال الرضع . وهم متفقون مع العبرانيين في وحدانية الله وعظمته ، وأنه يصطفي من الملائكة رسلاً ومن الناس ، وفي الإيمان بيوم القيامة ومحاسبة الناس على أعمالهم ، غير أن العبرانيين لم يصرحوا بيوم القيامة في توراة موسىٰ ، وإنما صرحوا به في أسفار الأنبياء الذين تتابعوا من بعد موسى . بينما صرح به السامريون في توراة موسىٰ . ومع تصريح العبرانيين به في أسفار الأنبياء ، فقد اختلفوا فيما بينهم : هل البعث يوم القيامة بالروح والجسد ، أو بالروح دون الجسد ؟ .

وهم متفقون مع العبرانيين أيضاً بظهور المسيح المنتظر في آخر الأيام ، لكنهم يزعمون أنه سيكون من آل يوسف الصديق ، بينما يعتقد سائر اليهود أنه من آل داود[1] .

وكان العداء مستفحلاً بين السامريين والعبرانيين ، حتى إنهم كانوا لا يتعاملون مع السامريين ، ويلقبون الخارج على تقاليدهم بلقب «سامري» دلالة على أنه منبوذ . وقد تغيرت نظرة العبرانيين هذه إلى السامريين اليوم ، فأصبحوا ينظرون إليهم على أنهم إخوة اختلفوا معهم في الرأي ، كما اختلف العبرانيون فيما بينهم بالرأي أيضاً . يقول اليهودي العبراني عزرا حداد : إن حدة الجفاء المستحكم بين السامريين واليهود قد خفت بتأثير موجة الاضطهاد التي غمرت الفريقين ، فقربت المصائب بينهما ، بل صاروا يمتدحون ببعض الشعائر الموسوية وحرصهم الشديد على تطبيقها[2] .

---

(١) تعريف بالتوراة السامرية لأحمد حجازي ص ٤-٥ وص ١٤ وص ١٧ وص ٢٦ ، الأسفار المقدسة لعلي ص ٥٨ ، اليهودية لشلبي ص ٢٣٩ ، الفصل لابن حزم ١/٨٢ ، إظهار الحق ١/٥١ .

(٢) تعريف بالتوراة السامرية ص ٧ وص ١٥-١٦ .

١ ـ الفرّيسيّون :

وهم يشكلون أهم فرق اليهود وأكبرها قديماً وحديثاً . . ويطلقون على أنفسهم لقب الإخوة ، أو الأحبار ، أو الربانيين ، أو الرفاق . أما كلمة « الفريسيون » فتعني في أصلها المعتزلة . ويظهر أن خصومهم هم الذين أطلقوا عليهم هذا اللقب . وهم يكرهونه .

وتعترف هذه الفرقة بجميع الأسفار ، وبالروايات الشفوية المنسوبة لموسىٰ ، وبأسفار التلمود ، بل إن فقهاءهم الذين يطلق عليهم « الربانيون » هم الذين ألفوا أسفار التلمود .

وهذه الفرقة تؤمن بالبعث ، فتعتقد أن الصالحين من الأموات سينشرون في هذه الأرض ، ليشتركوا في ملك المسيح المنتظر والذي يزعمون أنه سيأتي لينقذ الناس ويدخلهم في ديانة موسىٰ ، ويقيم دولة اليهود ، ويعيد ملكوت الله .

وهم يسيرون وراء روح النصوص دون التزام دقيق بشكليات الشعائر ، وللحاخامات سلطة عليا عندهم ، بل هم معصومون في نظرهم ، وأقوالهم صادرة عن الله[1] .

٢ ـ الصدُّقيون :

يرى بعض الباحثين أن هذه التسمية نسبة إلى صادق الكاهن الأعظم في عهد سليمان . ويذكر ابن حزم أنها تنسب إلى رجل يسمىٰ صدّوق ، وكان أتباعها بجهة اليمن .

وهم لا يعترفون إلا بكتاب الأسفار ـ العهد القديم ـ ويرفضون الأحاديث

---

(١) الأسفار المقدسة لعلي ص ٥٥ـ٥٦ ، اليهودية لشلبي ص ٢٢٦ـ٢٢٧ .

الشفوية المنسوبة لموسى ، ومن باب أولى شروح الربانيين . حتى إنهم لا يرون للتوراة قدسية مطلقة ، وهم يتمسكون بحرفية النصوص والشعائر بعد أن أفرغت من مضمونها .

وهم لا يؤمنون بالبعث يوم القيامة ، ويعتقدون أن عقاب العصاة وإثابة المحسنين إنّما يحصلان في حياتهم الدنيا ، فالعمل الصالح ينتج لصاحبه الخير والبركة ، والعمل السيّء يسبب الأزماتِ المتعبة . فهم شبه ماديين ، وإنما يتمسكون بالشعائر محافظة على الرزق من خلال المناصب ، كما في أعمال الرسل ٢٣ /٨ . وهم ينكرون المسيح المنتظر ولا يترقبونه . قال ابن حزم « وقد انفردت من بين فرق اليهود باعتقادها أن العزير بن الله » وهو عزرا الذي حرر الديانة اليهودية وأعاد إليها بعض معالمها كما سيأتي . وإلى هذا يشير القرآن الكريم بقوله تعالى : ﴿ **وقالت اليهود : عزير ابن الله** ﴾ ـ التوبة/ ٣٠ ـ[١] .

٣ ـ القرّاؤون ـ أو العنانيّون ـ :

وهي فرقة حديثة أنشأها عنان بن داود أحد علماء اليهود في بغداد ، أواخر القرن الثامن عشر بعد الميلاد في عهد أبي جعفر المنصور .

ويقوم مذهبها أيضاً على التمسك بما جاء في كتاب الأسفار وحده ، وعدم الاعتراف بأحكام التلمود وتعاليم الربانيين والحاخامات . لذا سموا بالقرائين ، نسبة إلى (مقرا) بمعنى الكتاب أو المكتوب ، وهي الكلمة التي كانت تطلق عند اليهود على أسفار العهد القديم .

وهم يقولون بالاجتهاد ، وإمكان رد الخلف أحكام السلف في حال الخطأ . وقد ألغى عنان جميع التشريعات التي قررها الربانيون مستندين في تقريرها إلى أسفار التلمود ، وأدخل على كثير من تشريعاتهم تعديلات ،

---

(١) الأسفار المقدسة ص ٥٦ـ٥٧و ص ١٤ و ص ٣٠ ، اليهودية لشلبي ص ٢٢٩ـ٢٣١ ، الشرائع الدينية لأحمد يسري ص ١٢٣ ، الفصل ١ /٨٢ .

استمدها من اجتهاده الخاص وفهمه لنصوص كتابهم .

وذكر ابن حزم أن أصحاب هذه النحلة يقرون بنبوة عيسى إلى بني إسرائيل ، ونبوة محمد إلى العرب ، كما أن أيوب نبي في بني عيص [1].

= لكن السموءل صاحب كتاب إفحام اليهود يفرق بين عزرا الوراق وعزير هذا .

(١) الأسفار المقدسة ص ٦١و٦٣ ، اليهودية لشلبي ص ٢٣١ .

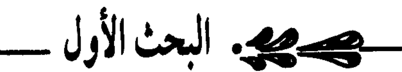
القسم الثالث

الكتاب المقدس لدى النصارىٰ

وفيه ثلاثة أبحاث :

١ ـ الكتاب المقدس ودعوى الوحي عند النصارىٰ .
٢ ـ العهد القديم .
٣ ـ العهد الجديد .





البحث الأول

الكتاب المقدس ودعوى الوحي
عند النصارىٰ

الكتاب المقدس لدى النصارى

the biBle

تعريفه :

يزعم النصارى أن كتابهم المقدس هو مجموعة الأسفار الإلّهية التي كتبت بإلهام (الروح القدس) خلال الحقبة الزمنية الممتدة من القرن السادس عشر قبل الميلاد حتى آخر القرن الأول بعده . وفيها أعلن الله مشيئته ووصاياه ، وما قطعه من المواعيد ، وما فرضه من المثوبة ، وما أتمه من عمل الفداء .

أقسامه :

يقسم كتابهم المقدس إلى قسمين كبيرين رئيسيين هما :

١ ـ العهد القديم . وقد يطلقون عليه مجازاً التوراة من باب إطلاق الجزء على الكل .

٢ ـ العهد الجديد . وقد يطلقون عليه مجازاً الإنجيل .

وأساس هذا التقسيم هو مبعث المسيح ـ عليه السلام ـ فما كان قبله هو العهد القديم . وما تلاه هو العهد الجديد .

ويراد بكلمة العهد في هاتين التسميتين : (الميثاق) أي إن كل قسم من الأسفار يمثل ميثاقاً أخذه الله على الناس . فالعهد القديم موضوعه العهد الذي عاهد الله به شعبه على يد موسىٰ ـ عليه السلام ـ في جبل سيناء . والعهد الجديد موضوعه العهد الذي عاهد الله به البشر جميعاً في يسوع المسيح ـ كما

يقولون ـ وهو أن الإيمان به يخلص الإنسان من خطيئته ، ويمنحه حياة جديدة ، ملؤها القداسة والتقوىٰ . لأن إعلان الله بحد ذاته كان بصورة تدريجية .

وجرت العادة بأن تجمع أسفار العهدين معاً في كتاب واحد يطلق عليه اسم (الكتاب المقدس ـ the Bible)(١) والمراد بالمقدس: الموحي به من الله . فهو في اعتقادهم بقسميه وحي من عند الله . وسمي مقدساً . لأن مؤلفه هو الروح القدس ـ في زعمهم ـ ولأنه يبحث في أمور مقدسة(٢) .

وسأتناول ـ إن شاء الله ـ بالبحث والتفصيل دعوى الوحي والإلهام عند النصارى ، ثم أعرّج على دراسة كل قسم من قسمي الكتاب .

دعوى الوحي عند النصارىٰ

يدعى النصارى أن كتابهم المقدس هو الكتاب الوحيد الموحىٰ به في العالم . وذلك لأن أسفاره كلها كتبها رجال الله القديسون بإلهام الروح القدس(٣) الذي كان يسددهم ، ويجنبهم مواطن الزلل والتحريف . وسواء في ذلك كتب العهد القديم وكتب العهد الجديد بما فيها الرسائل . فهي عندهم حق وصدق ، لأنه قد أوحي بها(٤) .

---

(١) وهي كلمة يونانية معناها : الكتاب .

(٢) انظر مقدمة الكتاب المقدس ـ العهد الجديد ـ الصادر عن دار الكتاب المقدس في العالم العربي عام ١٩٨٠ م ، هذه عقائدنا ص ٦ـ٧ تأليف ج . كلايد تارنر طبعة المنشورات المعمدانية ، إظهار الحق ١/٥١ـ٥٢ ، محاضرات في النصرانية ص ٤٨ ، اليهودية لأحمد شلبي ص ٢٤٠ ، الموسوعة العربية الميسرة ٢/١٤٤١ .

(٣) الروح القدس عند النصارى هـ الأقنوم الثالث من الثالوث الأقدس كما سلف في الكتاب الأول .

(٤) هذه عقائدنا لـ ج. كلايدتارنر ص ٧، إظهار الحق ١/١٦٦، محاضرات في النصرانية ص ٩٢، المسيحية لأحمد ص ٢٥٥ .

ولأن الكتـاب ـ مع أنـه لم يكتبه شخص ،واحد بل اشتـرك في كتـابتـه عديدون يمثلون شتى نـواحي الحياة . ومـع أنه أيضـاً لم يكتَب كله في عصر واحد أو مكان واحد . إذ هناك فترة تقارب ستة عشر قـرناً مـا بين كتابـة السفر الأول والأخير . مع هذا كله ـ لما جمعت أسفاره بإرشاد الروح القدس ، أتت كتاباً واحداً ، له وحدة عجيبة ، لا يفسرها شيء سوى أن يد الله الهادية كانت تعمل فيه[1] .

وسنرى إن شاء الله خلال دراستنا لأسفارهم مدى صحـة هذا الإلهـام ، وهذه الوحدة العجيبة .

الأنبياء والرسل في عرف النصارىٰ :

إن كلمة (أنبأ أو تنبأ) تعني عند النصارى أنه أعلن رسالة من عنـد الله . كما في إنجيل متى ١١/١٣ والنبي عند النصارىٰ : من يعلن كلمة الله ، مثل أنبياء العهد القديم . كما في لـوقا ١/٧٠، ويـوحنا المعمـران . كما في متى ١١/٩ ، والمسيح نفسه . كما في يوحنا ٤/١٩ .

وأنبياء الكنيسة أناس تكلموا بالروح القدس كلام تشجيع وبناء وتعزية . كمـا في كورنتـوس ١٤/١٣ ، وأعلنوا أحيـانـاً أمـوراً مستقلة . كمـا في سفـر الأعمال ١١/٢٨ .

فـالقديسـون الذين كتبـوا الأناجيـل والرسـائل هم رسـل . لأن المسيح أرسلهم من ناحية . ولأن الروح القدس أمرهم بالهدى والرشاد[2] .

حلول الروح القدس في التلاميذ :

جاء في إنجيل متى ١٠/١٩ـ٢٠ : فلا تهتموا حين يسلمونكم ؛ كيف أو بماذا تتكلمون ؟ لأنكم ستُعطَوْن حينه ما تتكلمون به . فما أنتم المتكلمـون .

---

(١) هذه عقائدنا ص ١١ .

(٢) العهد الجديد الصادر عن دار الكتاب المقدس عام ١٩٨٠ ص ٦٦٥ .

بل روح أبيكم السماوي يتكلم فيكم .

وفي مرقس ١٣/٩-١١ : أما أنتم فكونوا على حذر . سيسلمونكم إلى المحاكم . . . وعندما يأخذونكم ليسلموكم ، لا تهتموا من قِبَل كيف تتكلمون . بل تكلموا بما يوحىٰ إليكم في حينه . لأن الروح القدس هو المتكلم لا أنتم .

وفي لوقا ١٢/١١-١٢ : وعندما تساقون إلى المجامع والحكام وأصحاب السلطة ، فلا يهمكم كيف تدافعون عن أنفسلم ، أو ماذا تقولون . لأن الروح القدس يلهمكم في تلك الساعة ما يجب أن تقولوا .

فقد صرح الثلاثة بأن المسيح وَعَدَ مريديه بأن الكلام الذي يقولونه عند الحكام ليس من قولهم أو من تفكيرهم . بل يكون بإلهام الروح القدس[1] .

- وفي يوحنا ٢٠/١٩-٢١ : أن المسيح ظهر لتلاميذه بعد الصلب ، وأراهم يديه وجنبيه ففرحوا . وقال : سلام عليكم كما أرسلني الآب أرسلكم أنا .

٢٠/٢٢ : قال هذا ونفخ عليهم وقال : خذوا الروح القدس .

وجاء في سفر أعمال الرسل ١/٣ : أن المسيح أظهر نفسه حياً ، وتراءىٰ لتلاميذه مدة أربعين يوماً بعد آلامه ،وكلمهم على ملكوت الله . وقال لهم - كما في ١/٨- : ولكن الروح القدس يحل عليكم ، ويهبكم القوة ، وتكونون لي شهوداً .

١/٩ : ولما قال يسوع هذا الكلام ارتفع إلى السماء ، وهم يشاهدونه ، ثم حجبته سحابة عن أنظارهم . ٢/١-٤ : ولما جاء اليوم الخمسون[2] كانوا -

---

(١) انظر في بطلان هذا بحث تعارض الرسائل مع الأناجيل .

(٢) وهذا اليوم هو عيد العنصرة عند النصارىٰ . وهو تذكار حلول الروح القدس على التلاميذ . ويقع بعد القيامة بخمسين يوماً . انظر الكتاب المقدس ص ٣٠٣ طبعة ١٩٨٠ م .

أي التلاميذ ـ مجتمعين كلهم في مكان واحد . فخرج من السماء فجأة دويّ كريح عاصفة ، فملأ البيت الذي كانوا فيه . وظهرت لهم ألسنة كأنها من نار ، فانقسمت ، ووقف على كل واحد منهم لسان . فامتلؤوا كلهم من الروح القدس . وأخذوا يتكلمون بلغات غير لغتهم على قدر ما منحهم الروح القدس أن ينطقوا .

٤٣/٢ : وتمت عجائب وآيات كثيرة على أيدي الرسل .

ثم ذكر في الباب الثالث خوارق لبطرس مثل شفاء الكسيح وغير ذلك .

مَن رسل المسيح ؟

ورد في متى ١٠/٥ـ١٥ ، ومرقس ٦/٧ـ١٣ ، ولوقا ٩/١ـ٦ أن المسيح ـ عليه السلام ـ أرسل اثني عشر تلميذاً ليبشروا الخراف الضالة من بني إسرائيل باقتراب ملكوت السماوات ، وليشفوا المرضىٰ ، ويقيموا الموتىٰ ، وليطهروا البرص ، وليطردوا الشياطين مجاناً ، كما تعلموا هم مجاناً .

ففي لوقا ٩/١ـ٢ : ودعا يسوع تلاميذه الاثني عشر ، وأعطاهم سلطاناً على جميع الشياطين ، وقدرة على شفاء الأمراض . ثم أرسلهم ليبشروا بملكوت الله ويشفوا المرضىٰ .

٦/٩ : فخرج التلاميذ وساروا في القرىٰ يبشرون ويشفون المرضى في كل مكان .

وفي مرقس ٦/١٠ـ١٣ : ودعا إليه التلاميذ الاثني عشر ، وأخذ يرسلهم اثنين اثنين ليبشروا ، وأعطاهم سلطاناً على الأرواح النجسة . فخرجوا يدعون الناس إلى التوبة . وطردوا كثيراً من الشياطين ، ودهنوا بالزيت كثيراً من المرضىٰ فشفوهم .

وجاء في إنجيل لوقا ١٠/١ : وبعد ذلك اختار يسوع سبعين آخرين ، وأرسلهم اثنين اثنين يتقدمون إلى كل مدينة أو موضع عزم أن يذهب إليه .

١٠/١٧ : ورجع السبعون رسولاً فرحين وقالوا ليسوع : حتى الشياطين تخضع لنا باسمك .

١٠/١٨-١٩ : فقال لهم : رأيت الشيطان يسقط من السماء مثل البرق . وها أنا أعطيكم سلطاناً تدوسون به الأفاعي والعقارب وكل قوة للعدو ، ولا يضركم شيء . . .

ولم يذكر لوقا أسماء السبعين. فكيف يؤمنون برسالة رسل لم تذكر أسماؤهم؟! .

مناقشة هذا الخبر :

إن المصدر الذي ذكر المعجزات هو نفسه الذي ذكر الرسل من غير أن يبين من هم ، فكلا الكتابين للوقا . ولم يثبت أن لوقا كان من التلاميذ ، أو من تلاميذ التلاميذ ، وقد وقع الخلاف في شخصيته كما سيأتي . وكل ما ثبت من صلته برجال المسيحية أنه كان من أصحاب بولس أو من تلامذته . وبولس كما هو معروف لم يكن من الاثني عشر . ومن ثم فإن رواية لوقا عن المسيح والتلاميذ ليست رواية من شاهد وعاين . وعليه ، فدعوى أنهم رسل ملهمون لم تثبت بسند صحيح .

ومنهم من يجادل ، فيزعم أن لوقا نفسه كان من الرسل الملهمين ، فهو لا يحتاج إلى سند ، لأن كلامه كله من الروح القدس الذي ملأه كما ملأ سائر الرسل . لكن لم يرد عندهم شيء يدل على إلهام لوقا أو أنه كان من العشرين والمائة الذين ألقى فيهم بطرس خطبته . وكذلك لم يكن من السبعين الذين أرسلهم المسيح وأخضعوا الأرواح . ولو رجعنا إلى كتبهم المقدسة لما وجدنا فيها نصاً يدل على أن كُتابها ادعوا أنهم رسل ، أو أنهم كتبوا ما كتبوه بإلهام . إلا رسائل بولس . فهو الذي يذكر في رسائله أنه يتكلم عن الله . مع أنه لم يكن من تلاميذ المسيح الاثني عشر ، ولا من السبعين الذين ذكرهم لوقا في إنجيله ، ولا من العشرين والمائة الذين ألقى فيهم بطرس خطبته ـ كما جاء في ١/١٥ من سفر الأعمال ـ وبطرس لم يذكر في تقديم رسالته أنه رسول

المسيح ، ولم يذكر لنفسه وصف الرسالة المطلقة من الله . بل إن الحواريين ما كان يرى بعضهم بعضاً صاحب وحي كما يظهر من مباحثاتهم في محفل أورشليم . ومن إلزام بولس لبطرس[1] .

وصفوة القول : إن أصحاب الكتب والرسائل لم يدعوا لأنفسهم الرسالة أو الإلهام . ما خلا بولس الذي لم يشهد له شيء بذلك إلا سفر الأعمال الذي لا يعتمد عليه في الإثبات . لانقطاع سنده بين لوقا والمسيح وتلاميذه . ولعدم ثبوت كون لوقا ملهماً . وهذا كله على فرض صحة نسبة ما أسند إليه . مع أنه لم يثبت شيء من ذلك . كما سيأتي إن شاء الله عند الكلام على الإنجيل المنسوب إليه ، وعلى سفر الأعمال .

طريقة الوحي ومجاله :

يدعي النصارى أن كتابهم المقدس كتبه أناس كانوا مسوقين بالروح القدس . ويستشهدون على ذلك بما جاء في رسالة بطرس الثانية ١/٢١ : لأنه لم تأت نبوة قط بمشيئة إنسان . بل تكلم أناس الله القديسون مسوقين من الروح القدس[2] .

واختلف النصارىٰ في طريقة الوحي - أو الإلهام - ومجاله على قولين مشهورين :

أ ـ ذهب بعضهم إلى القول بالوحي الميكانيكي أو الحرفي ، ومعنىٰ ذلك أن كل كلمة في الكتاب المقدس قد أملاها الروح القدس بصورة مباشرة أو غير مباشرة. واحتجوا بما يلي :

١ ـ جاء في سفر الخروج ٢٤/٤ : فكتب موسى جميع أقوال الرب .

٢ ـ وفي سفر إرْميا ٣٠/١-٢ : الكلام الذي صار إلى إرميا من قبل الرب قائلاً : هكذا تكلم الرب إله إسرائيل قائلاً : اكتب كل الكلام الذي تكلمت به إليك في سفر .

---

(١) إظهار الحق ١/١٧٧ ، محاضرات في النصرانية ص ٩٧-٩٩.

(٢) هذه عقائدنا ص ٧.

٣ ـ وجاء في رسالة بولس الأولى إلى إلى كورنثوس ٢/١٢ـ١٣ : ونحن لم نأخذ روح العالم . بل الروح الذي من الله ، لنعرف الأشياء الموهوبة لنا من الله . التي نتكلم بها أيضاً ، لا بأقوال تعلمها حكمة إنسانية . بل بما يعلمه الروح القدس . .

٤ ـ ما سبق ذكره من النصوص في متى ١٠/١٩ـ٢٠ ، ومرقس ١٣/٩ـ١١ ، ولوقا ١٢/١١ـ١٢ عند الكلام على حلول الروح القدس في التلاميذ . حتى إنهم تكلموا بلغات غير لغتهم على قدر ما منحهم الروح القدس أن ينطقوا كما في سفر الأعمال ٢/١ـ٤ .

٥ ـ إن الكُتاب لم يفهموا مضمون كل شيء كتبوه . فكثير من الأنبياء لم يتفهموا تماماً مضمون بعض ما كتبوه عن حوادث المستقبل . بل كانوا يكتبون ما أمرهم الله بكتابته .

ب ـ وذهب بعض آخر إلى القول بالوحي الديناميكي أو الوحي الفكري .

ولذلك قالوا متداركين : وقولنا إن الكتاب موحىً به لا يعني أن الكاتب لم يقم بجهد للوصول إلى الحقائق التي دونها . . لكنه كان مقتاداً بإرشاد سماوي في عمله هذا .

وبناء عليه . فإن الكلمات كانت من وضع الكاتب واختياره ، لكن الحقيقة المدونة كانت من الله . وبمعنى آخر : الفكرة من الله والصيغة من الكاتب . وهذا ما يعطي الكُتّاب مجالاً لإظهار شخصيتهم . وبه يفسر تنوع الأساليب في الكتابات المتعددة[١] .

موازنة وترجيح :

لو سلمنا بصحة النصوص فإن الدليل مع الطائفة الأولىٰ . بل إن أدلتهم

---

(١) هذه عقائدنا ص ٨ـ٩.

تكاد تكون قطعية في ذلك . أما الطائفة الثانية ، فإنها لم تـأت بأي دليـل من كتابهم المقدس على دعواها . لكن يظهر أن واقع كتابهم المقدس وما فيه من اختلافات وتناقضات ـ كما سيأتي إن شاء الله ـ دفعها إلى هذا القول . ولذلك جنح إليه كثير من كتاب النصارى قديماً وحديثاً ، حتى غدا كأنه القول الوحيد .

قـال ج . كلايـد تارنـر[1] محاولاً التـوفيق بين القـولين مع إظهـار ميله للثاني : وأياً ما كانت طريقة الوحي ، فالذين دونوا الكتـاب كانـوا تحت قيادة إلهية مكنتهم من تدوين ما أراد الله أن يدونوه .

ثم استشهد بقول الدكتور أ . هـ سترونغ : يظهر أن مـدوني الأسفار قـد سيطر عليهم الروح القدس بطريقة جعلتهم يتفهمون ويتحسسون حتى الحقائق الجديدة التي كان عليهم أن يدونوها . وكـأنها من بنـات أفكارهم . ثم تُـركوا لإعمال أذهانهم في التعبير عن هذه الحقائق ، مع استثناء واحد هو أنهم كانوا محفوظين بقوة خارقة للطبيعـة تمنعهم من اختيار الكـلمات الخـاطئة . وعنـد مسيس الحـاجة كـانـوا يُمنحـون الكلمـات الصحيحـة . فـالـوحي إذاً حـرفي بنتائجه ، وغير حرفي من حيث تقبلها ١ هـ أما الدكتور رأفت عمّاري فيقول[2] : والوحي الإلهي لا يلغي الظروف التي يعيش بها الكاتب المختار للخدمة . ولا يلغي طرق التعبير وأسلوبه ، والمؤالفة الشخصية المتبعة في الكتابة . . . والله يقبل أن يستخدم فرداً متواضعاً مثل لوقا . . .فتـوضع المـواهب الطبيعيـة تحت تصرف الروح القدس الذي يملي الأفكار بحسب ما يعرف الكاتب من مفردات وخبرة . لكن مجرى التعلم والكلمات كله لروح الله وحده . كأن أُمسـك بيد إنسان يعرف بعض المعلومات عن الطريق ، ولكن أُسيِّره بيدي بحسبْ إرادتي لكي أضعه في المكان الذي أشاء أن أصل به إليه ١ هـ.

هذا ما قاله بعض علمائهم حديثاً متلطفين في تقريب ذلـك إلى الأذهان

---

(١) في كتابه هذه عقائدنا ص١٠ .

(٢) في كتابه ملامح الألوهية ص٢٣-٢٤ .

لرأب الصدع . فلنستمع إلى ما قاله قدماؤهم . فلعلهم أكثر صراحة :

قال المحقق البروتستانتي هورن[1] : إذا قيل : إن الكتب المقدسة أوحيت من جانب الله . فلا يراد أن كل لفظ ـ أو أن العبارة كلها ـ من إلهام الله . بل يعلم من اختلاف محاورة المصنفين واختلاف بيانهم أنهم كانوا مجازين في أن يكتبوا على حسب طبائعهم وعاداتهم وفهومهم . واستعمل علم الإلهام على طريق استعمال العلوم الرسمية . ولا يُتخيل أنهم كانوا يلهمون في كل أمر يبينونه ، أو في كل حكم يحكمونه . . . ثم قال : هذا الأمر محقق . فمصنفو تواريخ العهد القديم كانوا يلهمون في بعض الأوقات ١هـ .

ونقل جامعو تفسير هنري واسكات في المجلد الأخير عن الأصول الإيمانية لـ (الكزيدركينين)[2] أنه ليس من الضروري أن يكون كل ما كتب النبي إلهامياً أو قانونياً ، ولا يلزم من كون بعض كتب سليمان إلهامياً أن يكون كل ما كتبه إلهامياً . وليحُفظ أن الأنبياء والحواريين كانوا يلهمون على المطالب الخاصة والمواقع الخاصة ١هـ .

وصرح واتسن في رسالة الإلهام التي أخذت من تفسير الدكتور نبس[3] : أن الحواريين كانوا إذا تكلموا في أمر الدين أو كتبوا ، فخزانة الإلهام التي كانت حاصلة لهم ، كانت تحفظهم ، لكنهم ، كانوا أناساً وذوي عقول . وكانوا يلهمون أيضاً . . فالحواريون كان لأمورهم أصلان : أحدهما العقل والثاني الإلهام . فبالنظر إلى الأول كانوا يحكمون في الأمور العامة ، وبالنظر إلى الثاني في أمر الملة النصرانية .

من أجل هذا يعتقد النصارىٰ أن الوحي بالروح القدس لا يحرم على

---

(١) في الضميمة الأولى من المجلد الأول من تفسيره المطبوع سنة ١٨٣٣ م. انظر إظهار الحق ١ / ١٧٥-١٧٦ .

(٢) وهو كتاب للبروتستانت يبحث في صحة الكتب المقدسة . ويقابله عند الكاثوليك كتاب كاركن . انظر إظهار الحق ١ / ١٧٦ .

(٣) إظهار الحق ١ / ١٧٩-١٨٠ ، محاضرات في النصارنية ص ٩٢ .

الموحىٰ إليهم استخدام الوسائل البشرية الاجتهادية الممكنة لديهم ، ولا يرفع عن الكاتب مسؤولية الاجتهاد والتحقيق والتدقيق . وهذا عندهم بخلاف الإعلانات المحتوي عليها كتاب الوحي التي لا تتدخل فيها مواهب الكاتب الطبيعية ، بل هي من الله أولاً وآخراً ، كالنبوات المتفرقة في جميع أجزاء الكتب المقدسة وسفر الرؤيا .

وبناء على ذلك فإن كتبهم تقسم إلى قسمين :

- قسم هو وحي لا تدخل فيه المواهب الطبيعية بأي نوع من أنواع التصرف ، وهو ما يسمى عندهم بالنبوات .

- وقسم تتصرف فيه مواهب الكاتب ، ولا يرتفع عنه ما يوجبه عليه التحقيق والتدقيق .

ونظرة فاحصة إلى هذا القول ترينا أن الإلهام قد أخذ يضؤل أمره ، وتتواضع دعواه ، ولا سيما بالنسبة للأناجيل ، فإنها ليست بكتب نبوة كالرؤيا ، ولم يتخللها كلام الله كما يفعل بولس في رسائله ، فإنه أحياناً يتكلم عن الله ، وأحياناً من تلقاء نفسه[1] .

قال (باسوبر) و (ليافان)[2] : إن روح القدس الذي كتب الإنجيليون والحواريون بتعليمه وإعانته لم يعين لهم لساناً معيناً ، بل ألقى المضمونَ فقط في قلوبهم ، وحَفِظَهم من وقوعهم في الغلط . وخيّر كلاً منهم في أن يؤدي الملقىٰ على حسب محاورته وعبارته . ونحن كما نجد الفرق في محاورة المقدسين مؤلفي العهد العتيق في كتبهم على أمزجتهم ولياقتهم ، فكذلك يجد من كان ماهراً بأصل اللسان فرقاً في محاورة متى ولوقا وبولس ويوحنا . ولو ألقى روح القدس العبارة في قلوب الحواريين لما وجد هذا الأمر البتة[3] اهـ .

---

(١) محاضرات في النصرانية ص ١١٧ـ١١٨ .

(٢) إظهار الحق ١ / ١٨٠ .

(٣) ومع ذلك فإن إذاعة حول العالم تقول عندما تذكر نصاً من العهد الجديد (يقول الوحي الإلهي) وتارة (يقول الرب) وأحياناً : (يقول البشير لوقا أو يوحنا) .

وصفوة القول : إن الأناجيل ليس فيها تلك النبوات ، وللمواهب الطبيعية البشرية فيها دخل . وكتابها يتحملون تبعة الاجتهاد والتدقيق والتمحيص . ومن يتحمل تبعة عمله ينسب إليه . وعلى ذلك قد يتوارد الخطأ على اجتهادهم وتدقيقهم وتمحيصهم ، فيكون من أخبارهم ما صادف التحقيق فيه الصواب ، وما عرض له الخطأ . فكيف تكون كتبهم بعد ذلك بإلهام أو وحي ؟ وكيف تكون مقدسة ؟! ولو أن الروح القدس ألقى المعنى في قلوبهم وعبر كل منهم بعبارة من عنده لصدق ما قاله باسوبر وليافان . وغاية ما يكون بينهم من الخلاف أنه قد يجمل أحدهم فيما يفصل فيه الآخر ، وقد يذكر هذا طرفاً ، ويذكر ذاك طرفاً غيره . أما أن يقع التعارض والاختلاف والغلط . فإنه مما يأتي على دعوى الإلهام بالنقض . فأين الإلهام وأين الروح القدس الذي يبقى في الكنيسة إلى الأبد؟!! .

خلاف النصارى في أصل دعوى الإلهام :

إن دعوى إلهام الرسل في كل ما كتبوا لم تكن محل اتفاق بين كتاب النصارى في القديم والحديث : جاء في دائرة المعارف البريطانية ١١ / ٣٧٤ : وقع النزاع في أن كل قول مندرج في الكتب المقدسة ، أهو إلهامي أم لا ؟ وكذا كل حال من الحالات المندرجة تحتها . قال جيروم وكريتس وأرازمس وبركوبيس وكثير غيرهم : ليس كل قول منها إلهامياً .

وجاء في ١٩ / ٣٠ : إن الذين قالوا : إن كل قول مندرج فيها إلهامي ، لا يقدرون أن يثبتوا دعواهم بسهولة . ثم قالوا : إن سألنا أحدٌ على سبيل التحقيق : أي جزء من العهد الجديد تعدونه إلهامياً ؟ قلنا : إن المسائل والأحكام والإخبار بالحوادث الآتية التي هي أصل الملة النصرانية ، لا ينفك الإلهام عنها أما الحالات الأخرى ، فكان حفظ الحواريين كافياً لبيانها ا هـ[1] .

---

(١) إظهار الحق ١ / ١٧٦ ، محاضرات في النصرانية ص ١٠٠ .

وهناك من يشك في أصل الإلهام فيها ؛ بل قد قطع بعض العلماء بأن بعض هذه الكتب ليس من الإلهام في شيء . جاء في الموسوعة الفرنسية المجلد السابع قول العالم ريس : إن الناس قد تكلموا في كون الكتب المقدسة إلهامية ، وقالوا : إنه يوجد في أفعال مؤلفي هذه الكتب وأقوالهم أغلاط واختلافات . . ثم ضرب أمثلة على ذلك .وقيل أيضاً : إن قدماء النصارىٰ ما كانوا يعتقدونهم مصونين عن الخطأ . لأنهم في بعض الأحيان اعترضوا على أفعالهم كما في ١١/ ٢ـ٣ و ٢١/ ٢٠ـ٢٤ من كتاب الأعمال .

ثم قال ريس : ونحن لا نجد أن الحواريين يشرّعون الكلام بحيث يظهر منهم أنهم يتكلمون من جانب الله . وقال أيضاً : إن ميكايلس وَزَنَ دلائل الطرفين بالفكر والخيال اللذين لا بد أن يكونا لمثل هذا الأمر العظيم ، فحاكم بينهما بأن الإلهام مقيد في الرسائل ، وأن كتب التاريخ مثل الأناجيل والأعمال ، لو قطعنا النظر عن الإلهام رأساً ، لا يضرنا شيئاً . بل يحصل شيء من الفائدة . وإن سلمنا أن شهادة الحواريين في بيان الحالات التاريخية مثل الأشخاص الآخرين لا يضرنا شيئاً . ولا يقدر أحد في مقابلة منكر الديانة النصرانية أن يستدل على حقيقتها بتسليم مسألة ما. بل لا بد أن يستدل على موت المسيح وقيامه ومعجزاته بتحرير الإنجيليين وعدهم مؤرخين . . ولا نجد مكتوباً صريحاً في موضع ما أن الحالات العامة التي أدركها الحواريون بتجاربهم وأدركها لوقا بتحقيقاته إلهامية . بل لو حصل لنا الإجازة في أن نتصور أن بعض الإنجيليين غلط غلطاً تاماً ، ثم أصلح يوحنا بعد ذلك لحصلت فائدة عظيمة لتطبيق الإنجيل .

ثم قال ريس : إن مستر (كدال) فد ذكر في الفصل الثاني من رسالته عن الإلهام مثل ما قال ميكايلس . أما الكتب التي كتبها تلاميذ الحواريين مثل إنجيل مرقس ولوقا وكتاب الأعمال ، فقد توقف ميكايلس في كونها إلهامية[1] ١هـ .

---

(١) إظهار الحق ١/ ١٧٧ـ١٧٨ ، محاضرات في النصارنية ص ١٠١ .

وقال كليشيس : « إن مرقس ومتى يتخالفان في التحرير ، وإذا اتفقا ترجح قولهما على قول لوقا » . ويعلم من هذا أمران :

١ ـ وجود اختلاف في المعنىٰ في بعض المواضع بين ثلاثة الأناجيل . لأن الاتفاق اللفظي ليس له وجود .

٢ ـ هذه الأناجيل ليست بإلهامية . وإلا فلا معنى لترجيح اتفاق الأولَيْن على خلاف الثالث[1] .

وقال العالم الألماني برايتي : إن المسيحيين الأوائل لم يكونوا يعتقدون أن كتبهم المقدسة تكون عهداً جديداً يتميز عن العهد القديم . وعند ما ظهرت أولىٰ الكتابات المسيحية كان ينظر إليها جميعاً على أنها إضافات أو ملحقات بأسفار الناموس والأنبياء . وكانت تُقرأ أسبوعياً في المعبد اليهودي والكنيسة النصرانية ١هـ[2] .

وصفوة القول : إن ادعاء النصارىٰ بأن الوحي في كتبهم المقدسة يجمع بين العنصر البشري والعنصر الإلهي . وأن الملهمات الإلهية تتجسد في لباس لغوي بشري ، لتكون مفهومة لدى الناس . فالكلمة المعلنة التي كتبها الكاتب في الإنجيل هي رمز لكلمة الله ، والوحي المعلن لهم هو حق الله[3] . هذا الادعاء باطل ليس لعدم إقامة الدليل عليه فحسب . بل لأن البينات قائمة ضده . ولو أن أسفارهم كانت بإلهام من الله ، لكانت صادقة في كل ما أخبرت به ، ولما وجد الباطل منفذاً إليها ، ولكانت متفقة غير مختلفة . ولما كان فيها أي نوع من أنواع التضارب أو التعارض . لأنها جميعاً صادرة عن واحد ، وإن اختلف الناطقون بها . هذا . وإن القارىء المتتبع ليلحظ فيها ما يلي :

١ ـ وجود اختلافات معنوية من أوجه عديدة ، وتناقضات كبيرة وكثيرة .

---

(١) إظهار الحق ١/١٨٣ وهو ينقل عن المجلد السابع من دائرة المعارف الفرنسية .

(٢) مجلة الجامعة الإسلامية العدد ٤٩ ص ١٥٣ ندوة الخرطوم .

(٣) محاضرات في النصرانية ص ١١٧ .

وقد ذكر الباحثون مئات الأمثلة . وخبر القبض على المسيح ومحاكمته وما جرى له موضع اختلاف كبير بين الأناجيل . رغم خطورته وأهميته . والكتب الموحى بها أو الملهم كاتبوها لا يمكن أن يكون فيها مثل هذا التناقض . وقد اعترف محققوهم ومفسروهم ببعضها . ووجهوا بعضها الآخر توجيهاً ركيكاً ضعيفاً كما سيأتي إن شاء الله عند الكلام على مدى صحة كل عهد من عهديهم .

٢ ـ وجود أغلاط كثيرة فيها . حتى إن بعضها ليناقض ما علم من التاريخ وكان مشهوراً فيه .

٣ ـ وقوع تحريفات كثيرة فيها قصدية وغير قصدية لا مجال لإنكارها . والظاهر أن المواضع المحرفة ليست بإلهامية عندهم يقيناً[1] .

٤ ـ أضف إلى ذلك أن نسبة الأناجيل والرسائل إلى أصحابها ليست قطعية . بل إن بعضها ليكاد يكون مقطوعاً بعدم صحة نِسبته إلى ذلك الشخص كإنجيل يوحنا . وكذلك فإنه لا سند من الرواة متصلاً لوصوله إليهم . كما سيأتي إن شاء الله .

---

(١) إظهار الحق ١/١٧٣ ، محاضرات في النصرانية ص ١٠١ ، المسيحية لأحمد شلبي ص ٢٢٥ .

البحث الثاني

العهد القديم

ويحتوي على الأبواب التالية :

١ ـ أسفار العهد القديم .

٢ ـ لمحة تاريخية عن التوراة والأدوار التي مرت بها.

٣ ـ اللغات التي كتب بها العهد القديم وسائر كتب اليهود .

٤ ـ مدى صحة العهد القديم .

٥ ـ اثبات تحريف العهد القديم من واقع نصوصه .

٦ ـ نماذج عن التناقض والتحريف .

العهد القديم

يزعم النصارى أن هذا القسم وصل إليهم بوساطة الأنبياء السابقين الذين كانوا قبل المسيح ـ عليه السلام ـ ومنه يعرفون أخبار العالم في عصوره القديمة ، وشرائع اليهود الاجتماعية والدينية . وفيه يجدون أدعية متوارثة تعين على أداء العبادة ، وغير ذلك من شعر وحكمة ومواعظ وغزل ورثاء . كما يعرفون منه البشارات بالأنبياء اللاحقين ولا سيما المسيح ـ عليه السلام ـ[1] .

أسفار العهد القديم

فكما أن بعض اليهود يضيف إلى التوراة أسفاراً لا يقبلها غيرهم . كذلك الأمر لدى النصارىٰ . فقد اتفقت طوائفهم على تسعة وثلاثين سفراً منه . واختلفوا في غيرها . وإليك تفصيل ذلك :

أ ـ اعتمد البروتستانت الأسفار المعترف بها لدىٰ اليهود . بيد أنهم يختلفون عنهم في التقسيم والترتيب كما سلف . فاليهود جعلوها أربعة وعشرين سفراً . أما البروتستانت فقد قسموها بحسب الأسماء المذكورة ، فأصبحت تسعة وثلاثين سفراً . وهي المذكورة سابقاً .

---

(١) محاضرات في النصرانية ص ٤٨ .

ب ـ أما الكاثوليك والأرثوذكس فقد أضافوا إليها سبعة أسفار أخرى هي سفرطوبيا ، يهوديت ، الحكمة ، يشوع بن شيراخ ، باروخ ، سفر المكابيين الأول ، سفر المكابيين الثاني . وهي الأسفار التي تسمىٰ (آبوكريفا ـ ApocryphA) فغدت أسفارهم ستةً وأربعين[1] .

هذا ويختلف الكاثوليك عن البروتستانت في التقسيم والترتيب أيضاً . كما يجعلون أسفار الملوك أربعة ؛ أولها وثانيها بدلاً من سفري صموئيل الأول والثاني . ويضيفون تتمة لدانيال ، وتتمة لأستير . وهي التي تزيد بها النسخة الكاثوليكية عن النسخة البروتستانتية[2] .

وكذلك يختلفون معهم في أهلية تفسير الكتاب المقدس . فيرى البوتستانت أن كل مؤمن له الحق في تفسيره عند قراءته . ويرى الكاثوليك أن الكنيسة وحدها هي صاحبة الحق في تفسيره . وعلى المؤمنين أن يقبلوا تفسيرها[3] .

جـ ـ وأما الأرثوذكس فالعهد القديم المقبول لديهم هو المعتمد لدى الكاثوليك نفسه . لكنهم يستخدمون في الليتورجيا والطقوس الكنسية النموذج البروتستانتي[4] .

وثمة سفر ثالث منسوب لعزرا . بيد أن البروتستانت والكاثوليك لا يعترفون به ، ويرون أنه من الأكاذيب المصنوعة . أما الأرثوذكس فيرون أنه واجب التسليم ويعدونه جزءاً من العهد القديم[5] .

---

(١) اليهودية لأحمد شلبي ص ٢٣٩ و٢٥٣ـ٢٥٤ ، تعريف بالتوراة السامرية لأحمد حجازي ص ٣١ ـ ٣٢ ، التوراة بين الوثنية والتوحيد ص ١٢ . الكتاب المقدس بيروت ١٩٨٣ م

(٢) اليهودية لأحمد شلبي ص ٢٣٩ـ٢٤٠ . الكتاب المقدس ١٩٨٤ م للبروتستانت .

(٣) الموسوعة العربية الميسرة ٢ /١٤٤١ .

(٤) التوراة بين الوثنية والتوحيد لسهيل ديب ص١٢ .

(٥) إظهار الحق ١ /٥٧ .

أقسام العهد القديم لدى الكاثوليك :

ينقسم العهد القديم في رأي الكنيسة الكاثوليكية إلى ثلاثة أقسام هي :

أ ـ الأسفار التاريخية : وتشمل ما يلي :

١ ـ مجموعة التوراة ، أو أسفار موسىٰ الخمسة .

٢ ـ مجموعة الأبطال : وتحتوي على ثلاثة أسفار هي : سفر يشوع ، سفر القضاة ، سفر راعوث .

٣ ـ مجموعة الملوك : وتحتوي على ستة أسفار هي : الملوك الأول (صموئيل الأول)، الملوك الثاني (صموئيل الثاني)، الملوك الثالث ، الملوك الرابع ، أخبار الأيام الأول ، أخبار الأيام الثاني .

٤ ـ مجموعة النزعة اليهودية : وتحتوي على أربعة أسفار هي : سفر عزرا ، سفر نحميا ، سفر المكابيين الأول ، سفر المكابيين الثاني .

٥ ـ مجموعة أسفار قصصية : وتحتوي على ثلاثة أسفار هي : سفر استير ، سفرطوبيا ، يهوديت .

ب ـ الأسفار الحكمية : وتحتوي على ما يلي :

المزامير ـ أو الزبور ـ ، الأمثال ، الجامعة ، نشيد الأناشيد ، الحكمة ، يشوع بن شيراخ .

جـ ـ الأسفار النبوية : وتشمل ما يلي :

١ ـ أسفار الأنبياء الأربعة الكبار ، وهي : سفر إشَعياء، سفر إرمياء ، المراثي ، باروخ ، حزقيال ، دانيال .

٢ ـ أسفار الأنبياء الصغار الاثني عشر ، وهي : سفر هوشع ، ميخا ، ناحوم، حَبَقُّوق،صفُنيا ، حجي ، زكريا ، ملاخي[1] .

وإذا اتبعنا تقسيمها من حيث الموضوع ، وهو الذي اعتمدناه لدى دراسة أسفار اليهود ، تصبح الزيادات على الشكل التالي :

---

(١) الموسوعة العربية الميسرة ٢ / ١٢٤٥ .

أ ـ أسفار موسى الخمسة ، أو التوراة .

ب ـ الأسفار التاريخية : كان عددها اثني عشر سفراً لدى البروتستانت . فأضاف الكاثوليك والأرثوذكس إليها أربعة أسفار ، فأصبح عددها ستة عشر . والأسفار المضافة هي :

١ ـ سفر طوبيا : ومكانه بعد سفر نحميا . ويتكون من أربعة عشر باباً .

٢ ـ سفر يهوديت : ومكانه بعد سفر طوبيا . ويتكون من ستة عشر باباً . وهو أسطورة يهودية .

٣ ـ سفر المكابيين الأول . ومكانه بعد سفر ملاخي . ويتكون من ستة عشر باباً .

٤ ـ سفر المكابيين الثاني . ومكانه بعد المكابيين الأول . ويتكون من خمسة عشر باباً .

وفيهما اضطهاد انطيوخوس أبيفانس لليهود ، ثم انتصار النزعة اليهودية .

جـ ـ الأسفار الشعرية أو أسفار الأناشيد : كانت خمسة لدى البروتستانت . فأضاف إليها الكاثوليك مراثي إرمياء . في هذا الترتيب . فأصبحت ستة أسفار .

د ـ الأسفار النبوية : عددها سبعة عشر لدى الطرفين . بيد أن الكاثوليك يضعون سفر باروخ بدلاً من سفر مراثي إرمياء . وباروخ هو تلميذ إرمياء . ومكانه بعده . ويتكون من ستة أبواب .

هـ ـ أسفار تعليمية : وعددها اثنان هما :

١ ـ سفر الحكمة : وهو دفاع عن الدين اليهودي إزاء التعاليم الوثنية اليونانية . ويتكون من تسعة عشر باباً .

٢ ـ سفر يشوع بن شيراخ : وفيه خواطر أدبية ودينية تتعلق بتصرف الإنسان في حياته . ويتكون من واحد وخمسين باباً .

ومن الملاحظ أنه لا وجود لهذا القسم في التقسيم الأول . ومكان سفر

الحكمة بعد نشيد الأناشيد، ثم يليه باروخ[1] .

أسباب اختلاف النصارىٰ :

إن ثمانية من كتب العهد القديم كان مشكوكاً فيها وغير مقبولة لدى النصارى إلى سنة ٣٢٤ م . وهي سفر استير ، وباروخ ، وطوبيا ، ويهوديت ، والحكمة ، يشوع بن شيراخ، والمكابيين الأول، والمكابيين الثاني .

وفي سنة ٣٢٥ م انعقد مجلس علماء النصارى بأمر الملك قسطنطين في بلدة نائس للمشاورة والتحقيق في أمر هذه الكتب . فحكموا بأن كتاب (يهوديت) واجب التسليم ، وأبقوا سائر الكتب مشكوكاً فيها كما كانت . ويظهر ذلك في مقدمة جيروم التي كتبها على هذا الكتاب .

وفي سنة ٣٦٤ م انعقد مجلس (لوديسيا) فأقر علماء هذا المجلس حكم المجلس الأول في كتاب (يهوديت) وزادوا عليه سبعة كتب أخرى ، واحد منها من العهد القديم ، وهو كتاب (أستير) ، وستة من العهد الجديد ، وهي : رسالة يعقوب ، الرسالة الثانية لبطرس ، الرسالة الثانية والثالثة ليوحنا ، رسالة يهوذا ، رسالة بولس إلى العبرانيين . وأكدوا حكمهم بالرسالة العامة وجعلوها واجبة التسليم .

وبقي كتاب مشاهدات يوحنا في هذين المجلسين مشكوكاً فيه خارجا عن العهد الجديد .

وفي سنة ٣٩٧ م انعقد مجلس كارتهيج ، وكان عدد الحاضرين (١٢٧) عالماً ، وفيهم العالم الشهير (اكستاين) فأقروا حكم المجلسين السابقين . وزادوا على حكمهما الكتب التالية : كتاب الحكمة ، كتاب طوبيا ، كتاب باروخ، كتاب يشوع بن شيراخ، كتابا المكابيين الأول والثاني . وهي من العهد القديم . وكتاب مشاهدات يوحنا ، وهو من العهد الجديد . لكنهم

---

(١) اليهودية لأحمد شلبي ص ٢٣٩-٢٤٠، التعريف بالتوراة السامرية لأحمد حجازي ص ٣١-٣٢. الكتاب المقدس طبعة بيروت ١٩٨٣ وهو للكاثوليك.

جعلوا كتاب باروخ بمنزلة جزء من كتاب إرمياء ، لأن باروخ كان بمنزلة النائب والخليفة لإرمياء . ولذلك لم يكتبوا اسم باروخ على حدة في الفهرس .

ثم انعقد بعد ذلك ثلاثة مجالس هي : مجلس ترلو ، ومجلس فلورنس ، ومجلس ترنت . وسلم علماء هذه المجالس بأحكام المجالس السابقة ، ولا سيما مجلس كارتهيج . لكن أهل المجلسين الأخيرين كتبوا اسم باروخ في الفهرس على حدة .

وهكذا صارت الكتب المشكوك فيها واجبة التسليم لدى جمهور النصارى بعد هذه المجالس ، وبقيت هكذا مدة (١٢٠٠) عام تقريباً إلى أن ظهرت فرقة البروتستانت ، فردوا حكم أسلافهم في الكتب التالية : باروخ ، طوبيا ، يهوديت، الحكمة، يشوع بن شيراخ، المكابيين الأول والثاني. وقالوا: إن هذه الكتب ليست إلهامية ، ولا يسلم بها ، بل واجبة الرد . وكذلك ردوا حكم أسلافهم في بعض أبواب كتاب أستير ، وسلموا ببعضها . فإن هذا الكتاب مؤلف من ستة عشر باباً . سلموا بتسعة الأبواب الأولىٰ ، وبثلاث فقرات من العاشر ، وردوا عشر آيات من هذا الباب ، وستة الأبواب الباقية . وردهم لتلك الكتب مبني على ست حجج هي :

١ ـ إن هذه الكتب كانت من الأصل باللسان العبراني والجالدي وغيرهما . وليس ثمة نسخة بتلك الألسن .

٢ ـ إن اليهود لا يسلمون بأنها إلهامية ، وهي موروثة عنهم.

٣ ـ صرح كلوس بأن هذه الكتب لا تقرأ في كل موضع ـ أي غير مسلم بها إجماعاً ـ.

٤ ـ لم يسلم بها قديماً جميع النصارى ـ أي لم ينعقد الإجماع عليها ـ.

٥ ـ قال جيروم : إن هذه الكتب ليست كافية لتقرير المسائل الدينية وإثباتها .

٦ ـ صرح المؤرخ يوسي بيس في الباب الثاني والعشرين من الكتاب الرابع بأن هذه الكتب حرفت ، ولا سيما كتاب المكابيين الثاني .

أما الكنيسة الـرومانيـة ـ الكاثـوليكة ـ فـإنها تسلم بهـذه الكتب إلى هذا اليوم ، وتعتقد بـأنها إلهـامية واجبـة التسليم تبعاً لـلأسلاف . وهي داخلة في تراجمهم اللاتينية كما سيأتي . بل هي مبنى ديانتهم[1] .

ولذلك ذكر بعض المحققين أن الكنيسة الكاثوليكية اعترفت عام ١٥٤٦ م بأسفار لم يكن معترفاً بها من قبل . وأهمها سبعة الأسفار التي تزيد بها النسخة الكاثوليكية عن النسخة البروتستانيتية . وهذه الأسفار وضعت بعد الزمن الذي اتفق على أنـه عصر العهـد القديم . وليس رفض الكنـائس لها لأنهـا أقل من سواها . لكن لأنها وضعت بعد ذلك العصر[2] .

(١) انظر إظهار الحق ١/٥٣ـ٥٥ و ١/٢٣٦ـ٢٣٧ .

(٢) اليهودية لأحمد شلبي ص ٢٢٩ و ص ٢٥٣ـ٢٥٤ .

التوراة في عهد موسى ـ عليه السلام ـ:

أمر الله سبحانه موسى ـ عليه السلام ـ أن يصعد إلى الجبل ليعطيه لَوْحَي الحجارة والشريعة والوصية التي كتبها لتعليم بني إسرائيل ـ كما في سفر الخروج ٢٤/١٢ ـ.

ثم أمره أن يطلب من بني إسرائيل أن يصنعوا تابوتاً من خشب السَّنْط بين أوصافه لهم ، ليضع موسى فيه الشهادة التي سيعطيه الله إياها ـ خروج ٢٥/١٠ـ٢١ـ.

كما أمره أن يقرب إليه أخاه هارون وبنيه من بين بني إسرائيل ليَكْهَنَ لله . وأن يصنع لهم ثياباً خاصة مقدسة وَصَفَها له . ـ خروج ٢٨/١ ـ ٢ ـ .

نزل موسى من الجبل ولوحا الشهادة المكتوب عليهما كلمات العهد ـ الوصايا العشر ـ في يده ـ ٣٤/٢٩ـ. وفعل موسى كل ما أمره به الرب . . أخذ الشهادة وجعلها في التابوت . . . ـ ٤٠/١٦و٢١ـ.

ولما أتم موسى ـ عليه السلام ـ كتابة التوراة ، سلمها للكهنة اللاوِيين حاملي تابوت عهد الرب قائلاً : خذوا كتاب التوراة هذا ، وضعوه بجانب تابوت عهد الرب ، ليكون شاهداً عليكم ـ تثنية ٣١/٢٤ـ٢٦ـ.

وكتب موسى هذه التوراة وسلمها للكهنة بني لاوي حاملي تابوت عهد الرب ولجميع شيوخ إسرائيل . وأمرهم بإخراجها كل سبع سنين في عيد

المظالّ لتلاوتها على بني إسرائيل ، بعد أن يجتمع رجالهم ونساؤهم وأطفالهم ، حتى الغريب الذي في ديارهم ـ تثنية ٣١/٩ـ١٣ـ.

وهكذا صان موسى ـ عليه السلام ـ التوراة عن سائر بني إسرائيل ، ولم يبثها فيهم خوفاً من اختلافهم بعده في تأويلها . مما يؤدي إلى انقسامهم . ولم يُبدِ لهم منها إلا سورة صغيرة ـ أو نصف سورة ـ[1] وقال الله لموسىٰ : فالآن اكتبوا لأنفسكم هذا النشيد ، وعلم بني إسرائيل إياه . ضعه في أفواههم ، لكي يكون لي هذا النشيد شاهداً على بني إسرائيل ـ ٣١/١٩ .

وفي التوراة السامرية : والآن اكتبوا لكم الشيرة هذه . وعلمها لبني إسرائيل . اجعلها بأفواههم حتى تكون لي الشيرة هذه شاهدة في بني إسرائيل .

وبعد وفاة موسى ـ عليه السلام ـ تم الأمر ليوشع بن نون الذي خلفه في قيادة الشعب . فاستولىٰ على فلسطين ، وقسمها بين الأسباط . ما عدا سبط لاوي الذي اختص بالخدمة الدينية ، واختص منه أبناء هارون بالكهنوت . فلم يفرز لهم يوشع نصيباً مستقلاً من الأرض . بل أعطاهم بعض المدن من نصيب كل سبط ليسكنوا فيها ، ويقوموا بالخدمة الدينية لدى الأسباط جميعاً . وكانت الطبقة الأولى على وصية موسى . فلما انقرضت هذه الطبقة تغير حال بني إسرائيل ، فكانوا يرتدون تارة ، ويؤمنون أخرى كما سيأتي إن شاء الله .

إذاً فالهارونيون وحدهم هم الذين كانوا يعرفون التوراة ، ويحفظون أكثرها . ولم تكن التوراة محفوظة على ألسنتهم . بل كان كل واحد منهم

---

(١) النصوص مأخوذة من الكتاب المقدس الصادر عام ١٩٨٤ م عن دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط . وانظر هداية الحيارى ص ٥٨٣ـ٥٨٤، إظهار الحق ١/٣٢٣، الشرائع الدينية لأحمد يسري ص ٦٢، اليهودية لأحمد شلبي ص ٢٥٨ ، مقدمة التوراة السامرية لأحمد حجازي ص ٥، الأجوبة الفاخرة ص ٧٨، تقديم شفاء الغليل لأحمد حجازي ص ١١ . بذل المجهود في إفحام اليهود ص ١٤ وص ٢٢ ـ ٤٤ .

يحفظ فصلاً منها . ولما استولى بختنصر على القدس قتلهم على دم واحد وأحرق هيكلهم كما سيأتي إن شاء الله [1] .

التوراة إبان حكم القضاة :

وبعد موت يوشع ظل الشعب بأسباطه مقيماً في تلك الجهات بين الشعوب المحيطة بهم . وكان ذلك الجيل على شاكلة آبائه . لكن قام بعدهم جيل آخر لم يعرف الرب . بل عمل الشر وعبد (البعليم) وغيره من آلهة الشعوب الذين حولهم . فسلط الله عليهم أعداءهم فنهبوهم . . ولما ضاق الأمر بهم أقام لهم الرب قضاة . فخلصوهم من يد ناهبيهم - سفر القضاة ٢/٨-١٦- .

وكانوا يعيشون عيشة قبائل البدو ، لا تربطهم ولا يجتمع لهم شمل إلا إذا تعرضوا للخطر . فعندئذ يقيمون لهم زعيماً يختارونه ليتولى قيادتهم ويدفع الخطر عنهم . ثم يتولى بعد ذلك رعاية شؤونهم والقضاء بينهم [2] .

واستمر الأمر تحت حكم قضاة من الكهنة ، ينتخبهم كبراء الشعب ، مدة تتراوح بين ٤٠٠-٤٥٠ عاماً كما جاء في سفر القضاة [3] .

وفي إحدى المعارك التي جرت بين بني إسرائيل والفلسطينيين ، انكسر بنو إسرائيل وهربوا . وكانت الضربة عظيمة ؛ فسقط منهم ثلاثون ألفاً ، وأخذ الفلسطينيون منهم تابوت عهد الرب - كما في سفر صموئيل الأول ٤/١٠-١١- .

---

(١) سفر يشوع ، اليهود لزكي شنودة ص ٤٧و٥٧-٥٨ ، اليهودية لأحمد شلبي ص ٧٥ ، هداية الحيارى والشرائع الدينية وإظهار الحق الصفحات ذاتها ، الأجوبة الفاخرة ص ٧٨-٧٩ - بذل المجهود ص ٤٣ - ٤٤ .

(٢) اليهود لزكي شنودة ص ٦١ ، الشرائع الدينية ص ٦٢ ، اليهودية لأحمد شلبي ص ٧٦ .

(٣) لكن محمد عزة دروزة يقرر في تاريخ اسرائيل من أسفارهم ١٤٨/١ أن عهد القضاة لا يزيد عن قرن واحد . ويرى أن هذا من مبالغات السفر .

أما عودة التابوت فعجيبة جداً كما يقصها السفر : فقد أخذ الفلسطينيون التابوت وأدخلوه إلى بيت إلههم داجون وأقاموه بقربه . ولما دخلوا البيت في صباح اليوم التالي إذا بداجون ساقط على وجهه أمام التابوت . فأقاموه في مكانه . وبكروا صباحاً في الغد ، وإذا بداجون ساقط على وجهه أمام التابوت وقد قطع رأسه ويداه . ثم ثقلت يد الرب عليهم فضربهم بالبواسير من صغيرهم إلى كبيرهم في تلك المدينة . وتدافعت مدن الفلسطينيين حفظ التابوت خوفاً منه ـ كما في الباب الخامس من السفر ـ .

وأخيراً قرروا إعادة التابوت إلى بني إسرائيل مع قربان الإثم الذي هو خمسة بواسير من ذهب وخمسة فيران من ذهب بعدد أقطاب الفلسطينيين . فوضعوه على عجلة تجرها بقرتان مرضعتان. وبجانبه صندوق الذهب . ثم أطلقوا البقرتين فسارتا باستقامة إلى بني إسرائيل . وهكذا عاد التابوت بعد أن بقي في بلاد الفلسطينيين سبعة أشهر ـ كما في ٦/١ـ١٤ من سفر صموئيل الأول ـ .

لكن ماذا حل بالتوراة التي كانت بداخله ؟ لم يتعرض السفر لذلك . وهل عدم تعرضه لذكرها ناتج عن أنه من البديهي أن تكون عادت مع التابوت سالمة غانمة ؟ أو أنه من البديهي أن تكون قد أتلفت بعد أن أخرجت من الصندوق ؟؟ .

التوراة إبان حكم الملوك :

أمام خطر سيطرة الفلسطينيين على اليهود اجتمع شيوخ بني إسرائيل وطلبوا من القاضي صموئيل بعد أن كبرت سنه أن يجعل لهم ملكاً كسائر الشعوب . فحذرهم صموئيل . فأبوا إلا أن يكون لهم ملك يحارب ـ كما في الباب الثامن من السفر نفسه ـ فاختار لهم شاؤل بن قيس من سبط بنيامين ـ٩/١ـ. وهو الذي يسميه القرآن طالوت . ورسمه ملكاً بأن مسحه بالدهن ـ١٠/١ـ فقادهم بشجاعة في الحروب . وكان داود أحد رجاله في هذه المعارك . وقتل داود جلبات ـ جالوت ـ قائد الفلسطينيين .

وهكذا كان صموئيل آخر القضاة ، وشاؤل أول الملوك . وبعد موت شاؤل تغلب داود واستلم الحكم ، وحارب الفلسطينيين ، واستولى على أهم مدنهم (أورسالم) ـ أي مدينة السلام بالكنعانية[1]ـ ثم اتخذها عاصمة له .

كان التابوت في قرية يعاريم . فبعد أن أعاده الفلسطينيون جاء أهل القرية فأخذوه وأدخلوه إلى بيت (أبيناداب) على الأكمة . وقدسوا ابنه أَلِعازار لحراسته ـ كما في صموئيل الأول ٧/١ـ.

ولما فتح داود القدس نقل التابوت إليها في احتفال وابتهاج حيث أقام له خيمة هناك ، وعين اللاويين لخدمته ـ كما في الباب السادس من سفر صموئيل الثاني ـ.

ثم جمع داود رؤساء إسرائيل في أورشليم وخطب فيهم مبيناً أن في نيته أن يبني بيت قرار لتابوت عهد الرب . لكن الله نهاه عن ذلك واختار ابنه سليمان لهذه المهمة ـ كما في سفر أخبار الأيام الأول ٢٨/١ـ٨ـ غير أنه قد هيأ لهذا البيت الذهب والفضة والخشب والنحاس وكل ما يلزم للبناء ـ كما في ٢٩/١ـ٣ـ وحثهم على التبرع .

وجلس سليمان على كرسي الحكم مكان أبيه داود بعد أن مسحوه بالدهن . فأطاعه جميع الناس ـ كما في ٢٩/٢٣ـ٢٥ من السفر نفسه والملوك الأول ٢/١٢ـ ولما اطمأن بالحكم قام ببناء الهيكل . وبنى بداخله المحراب أي قدس الأقداس . وهيأ مكاناً في وسط البيت ليضع فيه تابوت عهد الرب . وعمل في المحراب تمثالين لملكين (كروبَيْن) يحرسان قدس الأقداس. وقد جاء في سفر الملوك الأول ٦٠/١٤ ـ ٣٥ وصف كامل للهيكل والمحراب. وكذلك في الباب السابع.

---

(١) ثم سميت في عهد الرومان سنة ٦٣ ق م إيلياء (كابيتوليا) باسم المعبد الوثني الذي شيده أدريانوس . وبعد المسيح عاش الاسمان معاً أورشليم وإيلياء . فلما جاء الإسلام سميت القدس أو بيت المقدس . اليهودية لأحمد شبلي ص ٧٩.

ودخـول الهيكل لـم يكن مبـاحاً للجميـع . بل إنمـا كان مقصـوراً على الكهنة . أما قدس الأقداس ، فلا يفتح إلا مرة في العام ، ولا يدخله إلا كبار الكهنة[1] .

وجمع سليمان شيوخ إسرائيـل في العيد لـوضع تـابوت عهـد الرب في محراب البيت في قدس الأقداس تحت جناحي (الكـروبين) . وحمل الكهنـة التابوت وخيمة الاجتماع مع جميع آنية القدس التي في الخيمة . وكان الجميع يمشـون مع المـوكب حتى سليمان . وفتـح التابـوت بعـد وضعـه في مكـانـه المخصص له ، وكانت المفاجأة : لم يكن في التابوت إلا لوحا الحجر اللذان وضعهمـا موسى هنـاك في حوريب ، حين عـاهـد الـرب بني إسـرائيـل بعـد خروجهم من مصر ـ سفر الملوك الأول ٨/١ـ١١ـ.

وهكذا فقدت التوراة في ظروف غامضة . ولا يعلم جزماً متى ضاعت : هل مزقها الفلسطينيون ، ثم أعادوا التابوت فارغاً ؟ أو أنها فقدت خلال الفترة الطويلة من حكم القضاة والملوك حين انحرف الشعب عن أوامر الله ، وظهـر في بني إسرائيل الكفر والارتداد وعبادة الأصنام وقتل الأنبياء ؟؟[2] .

التوراة إبان الانقسام :

تحسنت أحوال اليهود إبان حكم داود وفي صدر حكم سليمان . ثم ارتد سليمان على قول كتبهم في آخر عمره بترغيب من أزواجه ، وعبد الأصنام وبنى

---

(١) اليهودية لأحمد ص ٢٠٨ـ٢٠٩ . وقد ظل الاعتقاد في قدسية التابوت إلى عهد إرمياء ، فقد أخذ يدعو إلى إله روحي . ووضع من شأن التابوت وقال عنه : « لا يعودون يقولون تابوت عهد الرب ، ولا يخطر لهم ببال ، ولا يذكرونه ولا يفتقدونه ، ولا يُصنع من بعد » ويبدو أن قادة اليهود كانوا يحتفظون في التابوت بأغلى ما يملكون من ثروات . ويوهمون النـاس بأن من مس التـابوت مـات . ليضمنـوا حفظ ثـرواتهم. انـظر اليهـوديـة لأحمـد ص ٢٠٦ـ٢٠٧ .

(٢) إظهار الحق ٢٢٣/١ ، وانظر اليهود لزكي شنودة ص ٦١ و ٧٩ و٩٠ والشرائـع الدينيـة لأحمد يسري ص ٦٣ ، واليهودية لأحمد ص ٧٧ـ٧٩ .

لها المعابد كما سيأتي إن شاء الله . وإذا صار وثنياً مرتداً ، فليس له غرض بالتوراة . لا سيما وقد فقدت .

وبعد موت سليمان أعلن ابنه رَحُبعام نفسه ملكاً على اليهود ، وبايعه سبطا يهوذا وبنيامين في أورشليم . لكن تم تدبير المؤامرة في شكيم ـ نابلس ـ فإنه لما اتجه إلى باقي الأسباط لأخذ البيعة ، اجتمع الشيوخ حوله في شكيم ، وطلبوا منه تخفيف الوطأة التي سار عليها أبوه . فرفض فأبوا مبايعته. وبايعوا أخاه يَرُبعام ملكاً . فذهب إلى أورشليم وأراد قتالهم . لكن شمعيا الذي كانوا يطيعونه ويرونه نبياً ، نهاهم عن قتال بعضهم . فأذعنوا له وتفرقوا . بيد أن المناوشات القتالية لم تنقطع . واتخذ كل منهما حلفاء يناصرونه .

وهكذا انقسمت المملكة إلى مملكتين : جنوبيه اسمها يهوذا ، وعاصمتها أورشليم . وشمالية اسمها إسرائيل وعاصمتها شكيم في جبل افرائيم ، ثم أصبحت ترصة ، ثم السامرة . وكانت أوسع رقعة من أختها . وتمثل أغلبية الأسباط . وقد تنقل الملك فيها بين بيوت مختلفة منهم . أما مملكة يهوذا ، فقد بقي الملك فيها في بيت داود إلى نهايتها[1] ـ سفر الملوك الأول ١٢ / ٢١ ـ

وحدث خلال ذلك أحداث عجيبة ، وصلت إلى حد الردة وعبادة الأوثان وآلهة الأقوام المجاورين . وأشد ذلك ما كان من ملوكهم العصاة ؛ فإنهم أقاموا الأصنام ، وابتنوا لها الهياكل والبيع العظيمة ، وعكفوا مع معظم بني إسرائيل على عبادتها ، وتركوا أحكام التوراة مدداً طويلة وأعصاراً متصلة . وكانت الأنبياء تترى إليهم يحملون رسالة الله وتعاليمه . ولكن هيهات . كفر بالله وقتلٌ للأنبياء[2] .

---

(١) إظهار الحق ١ /٣٢٣، اليهود لزكي شنودة ص ١٠١-١٠٢، الشرائع الدينية لأحمد يسري ص ٦٣-٦٤، اليهودية لأحمد شلبي ص ٨٦-٨٧.

(٢) اليهود لزكي شنودة ص ١٠١ وانظر ص ٦١ و ص ٧٩ .

سقوط دولة إسرائيل :

بعد أن تمكن يَرُبعام من الحكم ارتد وارتدت معه الأسباط العشرة ، فعبدوا الأصنام . وهاجر الكهنة ومن بقي معهم إلى مملكة يهوذا . واستمر حال عشرة الأسباط على هذه الشاكلة نحو (٢٥٠) عامٍ . ثم سلط الله عليهم الآشوريين . ففي عهد الملك هو شع بن إيلة عام ٧٢٩ ق ـ م أغار شلمناصر ملك آشور على مملكة إسرائيل ، وأخضع هوشع لسيادته ، وألزمه بدفع الإتاوة . لكن هوشع أخذ يتآمر سراً مع ملك مصر . فقبض عليه وألقاه في السجن . ثم أغار على السامرة وحاصرها ، ثم دكها دكاً عام ٧٢١ ق م . ثم جاء خليفته سرجون فأسر شعب إسرائيل وأجلاهم عن بلادهم ، وفرقهم في مملكته . فأسكن بعضهم في حلاح ـ حلا ـ على نهر الخابور . وأسكن بعضاً آخر في جوزان ، وهي ولاية من ولايات ما بين النهرين بالقرب من حرّان ، وأسكن فريقاً ثالثاً في مدن مادي التي كان الآشوريون قد غزوها واستولوا عليها . ولم يبق منهم في مدن السامرة إلا شرذمة قليلة . وأسكن بدلاً منهم وثنيين من بابل وغيرها . فاختلطت هذه الشرذمة بالوثنيين اختلاطاً شديداً فتزاوجوا وتوالدوا . وسميت أولادهم بالسامريين .

فمنذ عهد يربعام إلى أن محت يد الأسر الآشوري مملكة إسرائيل من الوجود ، وزال شعبها من التاريخ زوالاً تاماً ، لم يكن لتلك الأسباط غرض بالتوراة . وكان وجودها في تلك المملكة أندرمن الكبريت الأحمر(١) .

العثور على التوراة قبيل سقوط مملكة يهوذا :

جلس على حكم يهوذا بعد موت سليمان عشرون ملكاً لمدة ٣٧٢ عاماً تقريباً . كان المرتدون منهم أكثر من المؤمنين . ففي عهد رحبعام بن سليمان الذي ورث أباه وحكم من سنة ٩٧٥ ق م إلى سنة ٩٥٨ ق م شاعت عبادة

---

(١) إظهار الحق ١/ ٣٢٤ ، اليهود لزكي ص ١٢٣ـ١٢٤ ، الشرائع الدينية ص ٦٤ ، اليهودية لأحمد ص ٨٩ ، التوراة بن الوثنية والتوحيد لسهيل ديب ص ٧٦ و ص ٧٩ـ٨٠ .

الأصنام . واستمر الكفر والارتداد والضعف من بعده . حتى إن أورشليم تعرضت للسلب مرتين : مرة من قبل ملك مصر ؛ فقد نهب أثاث بيت الله وبيت الملك . وفي المرة الثانية من قبل ملك إسرائيل المرتد . فنهب كذلك بيت الله وبيت الملك .

وفي عهد آخذ بُنيت المذابح للبعل في كل جانب وناحية من أورشليم . ثم اشتد الكفر في عهد منسا بن حزقيا الذي تولىٰ حكم يهوذا من سنة ٦٩٩ ق م إلى سنة ٦٤٤ ق م واشتهر بعبادة الأصنام والخرافات والجرأة على الحق ـ كما في سفر الملوك الثاني ٢١/١ ـ حتى غدا أكثر أهل المملكة وثنيين. وبنىٰ مذبحاً للأصنام في فناء بيت المقدس . أما وثنه الخاص فقد وضعه في البيت المقدس . وكذلك كان الحال في عهد ابنه آمون ـ كما في الباب الحادي والعشرين من سفر الملوك الثاني والباب الثالث والثلاثين من سفر أخبار الأيام الثاني ـ وهكذا ضاعت التوراة ، وأصبحت نسياً منسياً[1] .

وآل الأمر إلى يوشيا بن آمون ، وكان فتى طيباً ، حاول أن يسير على طريق أبيه داود ، فتاب إلى الله توبه نصوحاً ، واتجه إلى نشر الإيمان واتباع التوراة وهدم رسوم الكفر والشرك بجد واجتهاد . رجاء أن يكون في ذلك إنقاذ لمملكته من الفوضى والدمار . فرمم الهيكل وبحث عن التوراة ولكن دون جدوىٰ . وفي السنة الثانية عشرة من حكمه طهر أورشليم وسائر يهوذا من التماثيل والأصنام ومذابحها . ومضىٰ سبعة عشر عاماً من حكمه دون أن يعثر أحد على نسخة للتوراة ، أو يسمع شيئاً عنها .

وفي السنة الثامنة عشرة من حكمه بعد أن طهر الأرض والبيت أرسل الكاتب شوفان وآخرين إلى رئيس الكهنة حلقيا ليحصي الفضة التي جمعت من الشعب ، ويدفعها إلى العمال الذين قاموا بترميم الهيكل . وحدثت المفاجأة ،

---

(١) الكتاب المقدس لدى النصارىٰ طبعة ١٩٨٤ ، إظهار الحق ١/٣٢٤-٣٢٥، اليهود لزكي شنودة ص ١٠١ و ص ٦١ و ص ٧٩ .

فادعىٰ حلقيا أنـه وجد سفـر شريعـة الرب بيـد موسىٰ ـ أي التـوراة ـ في بيت الـرب . فسلمه لشوفان ليقـرأه على الملك . فلمـا سمـع الملك كـلام سفـر الشريعة مزق ثيابه ـ كما في سفر الملوك الثاني ٢٢/١ ـ ١١ وسفر أخبار الأيام الثاني ٣٤/١ ـ ٢٠ ـ .

ثم إن الملك جمـع شعب يهوذا كله عنـد الهيكل ، وقـرأ لهم السفر . فتعجب الناس مع الملك لفـرط ما ارتكبـه اليهود في تـاريخهم من مخالفـات صارخة لتعاليم هذا السفر . ثم أخبرهم عن عـزمه على العمل بـه . وكان من نتيجـة ذلك أن أمـر بالاحتفـال بعيد الفصـح بعـد أن انقـطع منـذ عهـد النبي صمـوئيل ـ كمـا في سفر الملوك الثـاني ٢٣/١ـ٢٣ وسفر أخبـار الأيام الثـاني ٣٤/٢٩ـ٣٣و٣٥/١ـ.

وفي أخبـار عزرا أنـه لما قـرأ التوراة بمحضـر الجماعـة ، ووجـدوا في تعاليمها عمل الظلال في العيد المختص به ، وتحريم الزواج من نساء عمون ومؤاب . عملوا حينئذ الظلال ، وطلقوا النساء من عمون ومؤاب[1] .

هذا. ولا يقبل الباحثون ادعاء حلقياً، ولا يُعـوّلون عـلى نسخته وقـوله . لأن البيت نهب مرتين قبل عهد آخذ . ثم جعـل بيتاً لـلأصنام . وكـان سدنـة الأصنام يدخلون البيت كل يوم . وفي عهد يوشيا كان الكهنة يدخلون كل يوم إلى البيت مدة سبعة عشر عاماً في أثناء التـرميم وبعده . فـلا يعقل أن تكـون نسخة التوراة في البيت ولا يراها أحـد خلال تلك المـدة الطويلة رغم البحث والتفتيش . ويرى الباحثون أن حلقيا وغيره من الكهنة لما رأوا ميل الملك يوشيا إلى الدين والعمل بالتوراة ، انتهزوا هذه الفرصة للوقوف في وجه ارتداد اليهود والعودة بهم إلى حظيرة الدين ، فجمعوا هذه النسخة من الروايات اللسانية التي وصلت إليهم من أفواه الناس دون تحرٍ خلال السبعة عشر عـاماً من حكمـه ،

---

(١) الكتاب المقدس ، إظهار الحق ١/٣٢٥، تنقيح الأبحـاث لابن كونـة ص ٢٩ ، اليهود لزكي ص ١٠١ و ص ١٣٠ ، اليهودية لأحمد شلبي ص ٢٥٨ .

وأضافوا إلى ذلك ما يوافق رغبات اليهود وأهواءهم من تاريخ وعقيدة وغير ذلك . ولما انتهوا من الكتابة ، سلم حلقيا النسخة لشوفان ليسلمها للملك مدعياً أنه عثر على التوراة . وكان ذلك عام ٦١٢ ق م تقريباً[١] .

يقول الشيخ رحمة الله الهندي[٢] : ومثل هذا العمل لترويج الملة وإشاعة الحق الذي يرونه كان من المستحبات الدينية لدى متأخري اليهود وقدماء النصارىٰ ا هـ.

واستمر العمل بتلك التوراة ثلاثة عشر عاماً ، وهي مدة حكم يوشيا . فما إن مات وخلفه في الحكم ابنه (يهوحاز) الثاني حتى ارتد وأشاع الكفر . ثم تآمر عليه إخوته فولوا مكانه أخاه (الياقيم) الذي غير اسمه إلى (يهوياقيم) فأكمل الفساد الذي بدأ به أخوه من قبل . ثم مات فخلفه ابنه الذي كان مرتداً أيضاً كأبيه وعمه . واستمر الارتداد وانتشر الكفر ، وقُتل الأنبياء وأحرقت الكتب وطورد المصلحون . فتوالت النكبات على اليهود من قبل الشعوب المحيطة بهم . حتى إن بختنصر ملك بابل اجتاح مملكة يهوذا عدة مرات ، بسبب ما يلقاه من تمرد وغدر ونقض للعهود والمواثيق . وكان في كل مرة يدخل أورشليم ، فيقتل ويأسر ويأخذ مما في الهيكل . إلى أن هاجمها عام ٥٨٨ ق م فدك أسوارها وأحرق المدينة والهيكل بعد أن أخذ منه التابوت ، وسبى أهلها جميعاً فساقهم إلى بابل مقيدين بالسلاسل ، بما فيهم آخر ملوكهم صدقيا بن يواقيم . ولم يترك فيها سوى أفقر الفقراء . وهذا هو التدمير الأول للمعبد ، والحادثة الثانية لبختنصر . وفي هذه الحادثة انعدمت التوراة وسائر كتب العهد القديم التي كانت مصنفة . وأهل الكتاب يسلمون بذلك[٣] .

---

(١) إظهار الحق ١/٣٢٥-٣٢٦، اليهودية لأحمد شلبي ص ٢٥٩ .

(٢) في إظهار الحق ١/٣٢٦ .

(٣) إظهار الحق ١/٣٢٦-٣٢٧، اليهود لزكي ص ١٣٠-١٣٤ ، الشرائع الدينية ص ٦٤، اليهودية لأحمد ص ٢٥٨ و ٨٠ و ٨٩ ، التوراة بين الوثنية والتوحيد لسهيل ديب ص ٧٦ و ٧٩ ـ ٨٠ ، سفر الملوك الثاني الباب ٢٤ و ٢٥ وأخبار الأيام الثاني الباب ٣٦، بذل المجهود ص ٤٦ .

ولنستمع الآن إلى ابن حزم ـ رحمه الله ـ وهو يحلل حال التوراة إبان حكم الملوك فيقول في كتابه الفصل : ارتد بنوا إسرائيل سبع مرات ، فارقوا الإيمان وجاهروا بالكفر وعبادة الأوثان . . ولم تكن حال التوراة في عهد ملوك بني سليمان وملوك الأسباط العشرة بأفضل من ذي قبل . . . لقد فشا فيهم الكذب ، وانتشر بين ملوكهم . . . فبلد تُعلن فيه عبادة الأوثان ، وتبنى هياكلها ، ويُقتل من وجد فيها من الأنبياء . كيف يجوز أن يبقى فيها كتاب الله سالماً !؟ وملوك الأسباط العشرة ، لم يكن فيهم مؤمن قط ، بل كانوا معلنين عبادة الأوثان قاتلين للأنبياء . وطوال هذه المدة لم يكن للتوراة عندهم ذكر ولا رسم ولا أثر . ولا كان عندهم شيء من شرائعها أصلاً ، وإنما كانت في التابوت عند الكاهن الأكبر وحده . وبقوا على ذلك نحو (١٢٠٠) عام ، لا يصل إلى ذلك الموضع أحد سواه . وما لا يتداوله إلا واحد ، تبديله وتغييره وتحريفه والزيادة فيه والنقصان منه مضمون . إن اليهود ليقرون بأن « يهو آحازين » بن « يوشيا » نشر من التوراة أسماء الله ، وألحق فيها أسماء الأوثان . وهم مقرون أيضاً بأن أخاه « الياقيم » أحرق التوراة بالجملة ، وقطع أثرها . واستمر هؤلاء الملوك في إعلان الكفر والعصيان وقتل الأنبياء حتى أغار عليهم بختنصر ١ هـ .

أما الشيخ رحمة الله الهندي فيقول[1] : إن تواتر التوراة في اليهود كان منقطعاً قبل زمن يوشيا . والنسخة التي وجدت في عهده لا اعتماد عليها ولا تعويل . ومع ذلك لم يعمل بها إلا مدة ثلاث عشرة سنة . وبعد ذلك لم يعلم حالها . والظاهر أنها زالت خلال الكفر والارتداد . ولو فرض بقاؤها أو بقاء ما نقل منها ، فالغالب أنها زالت في حادثة بختنصر ١ هـ.

التوراة إبان السبي :

سقطت مملكتا اليهود ، فدالت دولتهم ، واندثرت أمتهم ؛ فقد كان أكثرهم مسبياً في بابل وآشور يرزح تحت نير العبودية مشتتاً في مختلف المدن

(١) إظهار الحق ١/٣٢٧.

والقـرى والأودية بين نهـري دجلة والفـرات ومـا حـولهمـا . فـذابـوا بين تلك الشعوب ، وتعودوا بعاداتهم ، وتخلقوا بأخلاقهم ، وعبدوا آلهتهم . وكانت قلة منهم مشـردة في مصـر . ولم يبق في فلسـطين إلا شـرذمـة قليلة من الفقـراء المعدمين .

وهناك في المنفىٰ التقى الطرفان ببعضهم . ودب في الجميع الحنين إلى الوطن ، فوجدت بينهم الألفة والتضامن . ونظم شعراؤهم قصائد بكائية شدت فيهم الرغبة إلى العودة .

وتحـدثنا التـوراة عن بعض اليهود الـذين برزوا في زمن السبي أو نـالوا حظوة لدى ملوك آشور وبابل . فبختنصر ـ على سبيل المثال ـ انتقىٰ من أبنـاء الملوك والعائلات البارزة بعض الشبان لخدمته . وكان منهم دانيال الذي عبر له الرؤيا المشهورة .

واستمـر هذا النفي إلى عـام ٥٣٨ ق م حيث قام ملك الفـرس كورش ـ كيـروس الثاني ـ بـالهجوم على الميـديين ، فأخضعهم واستولىٰ على آشور ثم بابل . ومن ثم أصبح له السلطان على فلسـطين واليهود وسـائر مـا كان تحت حكمهم . فأصبحت دولته أضخم دولة في ذلك الوقت .

وتودد اليهود للحكم الجديد واستعطفوه . ولم يلبث دانيال أن أصبح من المقربين لدى الملك كورش . فالتمس منه أن يسمح لليهود بالعودة إلى بلادهم وبنـاء هيكلهم في أورشليم . فـوافق على ذلـك ، وسمـح لهم بـالعـودة إلى فلسطين واستئناف الحرية في ظله . وعاد كثير من اليهود إلى فلسطين . بيد أن عدداً كبيراً منهم فضل البقاء ببابل بسبب استقرارهم هناك وائتـلافهم للحياة . وهم الذين عرفوا بيهود الشتات . وولى الملك على اليهودالعائدين (زَرُبّابِل بن شألتئيل) من بيت داود . فأعادوا بناء المدينة المقدسة والهيكل بعـد إعاقـات كثيرة بسبب خلافاتهم ووشاية بعضهم على بعض ـ كما في سفر عزرا ، الأبواب ١ـ٦ ، وسفر نحميا الأبواب ١ـ٧ـ.

ثم أقـاموا الاحتفـالات ، ودشنوا البيت بـالقرابين ، لكن لم يضعـوا فيه تابوت عهد الرب . لأن إرمياء النبي كان قد أخذه ـ كما يقولـون ـ ووضعه في إحدى مغارات جبل (نبو) في (مؤاب) مقابل (أريحا) فلم يستطع أحد أن يهتدي إلى مكانه حتى اليوم .

وهكـذا استعـاد اليهـود بعض أوضـاعهم ، لكنهم فقـدوا استقـلالهم وتابوتهم ، ووقعوا تحت سيطرة الفرس[1] .

وفي عهد الملك الفارسي (أَرْتَحْشَسْتَا) ـ ارتكشترا ـ كان في بابل كاهن يهودي مقرب من الملك اسمه (عـزرا بن سرايا) من سبط هارون . فطلب من الملك أن يسمح بعودة فوج آخر من اليهود إلى أورشليم فوافق ـ كما في الباب السابع من سفر غزرا ـ

وعاد عزرا إلى أورشليم عام ٤٥٨ ق م ومعه عامة الشعب وقوم من الكتبة اللاويين ، وأموال طائلة وهبها لهم اليهود الذين ظلوا في بـابل ، ورسـالة أمن وتوصية من الملك ـ كما في الباب السـابع من سفـر عزرا ـ ومـا إن وصل إلى أورشليم حتى أصدر أمره إلى اليهود الذين تزوجوا من أجنبيات بتطليق زوجاتهم وطرد أبنائهم منهن . فوجد بين بني الكهنة من اتخذ نسـاء غريبـات ـ كما في الباب العاشـر من السفر نفسـه ـ ودأب عزرا ومن معـه من الكهنة على تبصيـر اليهود بالشريعة وتفسيرها لهم . ولذلك لقبوه بالكاهن ، وبالكـاتب والوراق ، أي العالم والفقيه . .

كتابة التوراة وجمع أسفارها من جديد :

الاعتقاد السائد لدى اليهود أن عزرا هو الذي جمع أسفار التوراة ونظمها لكن الدلائل تشير إلى أنها كتبت في مراحل متباعدة ، وقـد كتبها معـه قوم آخـرون . فهناك في المنفى اتخـذ علماؤهم إجـراءات صارمـة ليحـولـوا دون

---

(١) اليهود لزكي شنودة ص ١٣٥-١٤٧ .

انصهار اليهود مع الشعوب الأخرىٰ . وذلك عن طريق منعهم من الاختلاط والتزاوج ، بل حتى المجالسة على الطعام مع أي غريب تحت شعار الدين وانتظار العودة .

وفي المنفى أيضاً قام أنبياؤهم ، وأولهم حزقيال ، وأعادوا كتابة الشريعة ، وألفوا الأسفار المعروفة بأسمائهم في العهد القديم . ومع مرور الزمن أدخلوا عليها التعديلات والأساطير المختلفة . وخلطوا بين أحداث وأخرىٰ عن عمد أو بدون عمد[1] . إلى أن كان يوم الخلاص . فعادوا إلى فلسطين في القرن الخامس ، وأعادوا بناء الهيكل . كما أعادوا النظر في دينهم وشرعهم ، فكانت اليهودية المنظمة[2] .

ولنستمع الآن إلى ما يقوله المحققون والمحللون لتلك الفترة الزمنية عن التوراة :

ـ قال الدكتور أحمد حجازي السقا في تقديمه للتوراة السامرية وتعريفه بها[3] : ثم غَيَّر بنو إسرائيل التوراة . لأنهم وهم في الأسر ، لما تأكدوا من إدبار الدنيا عنهم وإقبال الخير على بني إسماعيل بعد سنوات غير طويلة ، رأوا أن يحتفظوا بكيان مستقل إلى الأبد . ومن أجل ذلك كتبوا التوراة التي بأيديهم على المبادىء التالية :

١ ـ الله تعالىٰ إله واحد ، لكن ليس للعالمين ، بل لبني إسرائيل من دون الناس .

٢ ـ شريعة التوراة أنزلها الله ، لكن ليست للعالمين ، بل لبني إسرائيل من دون الناس .

---

(١) كما أخذوا عن البابليين كثيراً من الأساطير . وكل فئة شاركت بهذا الوضع أطلقت على الإله الجديد اسم إلهها المفضل . ومعظم هذه التسميات أتت من شمال سورية غالباً مثل (ياهو) عند الحثيين . فأصبحت (يهوه) عند اليهود ، وإيل عند الكنعانيين وهكذا . انظر التوراة بين الوثنية والتوحيد لسهيل ديب ص ٨١ .

(٢) التوراة بين الوثنية والتوحيد ص ٨٧ وص ٨٠ ، الأجوبة الفاخرة ص ٧٩ . بذل المجهود ص ١٤ .

(٣) انظر ص ٥ـ٦ ، وانظر تقديمه لكتاب شفاء الغليل ص ١١ـ١٢ .

٣ ـ النبي المنتظر الذي أخبر عن مجيئه موسى ـ عليه السلام ـ سوف يأتي . لكن ربما يكون من بني إسرائيل . وليس من بني إسماعيل .

وكتب لهم عزرا كتاب التوراة على تلك المبادىء وعرضها عليهم فسُروا بها ١هـ.

ويقول العالم وِل ديورانت عن أسفار موسىٰ[1] : كيف كتبت ومتى كتبت وأين كتبت ؟ ذلك سؤال كتب في الإجابة عنه آلاف المجلدات . لكن يجب أن نفرغ منه في فقرة واحدة ؛ فإن العلماء مجمعون على أن أقدم ما كتب من أسفار التوراة هو سفر التكوين . وقد كتب بعضه في يهوذا ، وبعضه في إسرائيل . ثم تم التوافق بين ما كتب هنا وهناك بعد سقوط دولتي اليهود . والرأي الغالب أن سفر التثنية من كتابة عزرا . ويبدو أن أسفار التوراة الخمسة قد اتخذت صورتها الحاضرة حوالي عام ٣٠٠ ق م .

ويقرر أيضاً : أن أسفار العهد القديم جمعت لأول مرة في بابل . ثم ظهرت في القرن الخامس قبل الميلاد . ويربط ذلك بأهمية الأسر البابلي على اليهود ، فيقرر أن اليهود لم يكونوا قبل الأسر شعباً متحضراً ولا متحداً . وربما لم يكن فيهم إلا قلة ضئيلة تستطيع القراءة والكتابة . ولم يظهر في تاريخهم قط أن أسفاراً كانت تقرأ قبل الأسر . ولكن الأسر البابلي مدنهم ووحدهم ، وأبرز حاجة الشعب العبراني إلى جمع تاريخه ورسم تقاليده ، فبدؤوا يدونون الأسفار من مصادر مختلفة لهدف واحد هو خدمة مستقبلهم . فلما عادوا من الأسر كانوا شعباً يختلف اختلافاً عظيماً عن الشعب الذي خرج .

ويذكر أيضاً أن الحقيقة المجردة المستخلصة من رواية الكتاب المقدس هي أن اليهود ذهبوا إلى بابل همجاً ، وعادوا منها ممدنين . خرجوا جمهوراً منقسماً على نفسه ، لا يربطه وعي ذاتي ، وعادوا بروح قومية شديدة وجنوح

---

(١) في قصة الحضارة ٢/٣٦٧ـ٣٦٨ . انظر اليهودية لأحمد شلبي ص ٢٦٢ .

إلى الاعتزال . ذهبوا وليس لهم أدب مشترك ، وعادوا ومعهم شطر كبير من مادة العهد القديم[١] ١هـ .

وقد أصاب هذا المحقق كثيراً من الحقائق ، وأوضح كثيراً من الأمور . لكنه جانب الحقيقة عندما قال : « ولم يظهر في تاريخهم قط أن أسفاراً كانت تقرأ قبل الأسر » فمما لا شك فيه أن التوراة أنزلت على موسىٰ ـ عليه السلام ـ وأنه قد بلغ الرسالة وأدى الأمانة . لكن بني إسرائيل أضاعوها من بعده . وما تناقلوه منها فيه تحريف لفظي ومعنوي كما سيأتيّ إن شاء الله .

وجاء في كتاب (التوراة تاريخها وغاياتها)[٢] : بينما كان زعماء اليهود المنفيين في بابل يتحرقون في المنفىٰ دون أن يستطيعوا المقاومة ، تفتقت عبقرية التآمر لديهم عن فكرتي (الشريعة والوعد) وغايتهم المحافظة على أنفسهم عرقاً متمرداً منظماً تنظيماً شبه عسكري ، منطوياً على نفسه غير قابل للاندماج مع غيره .

تقول الموسوعة اليهودية : وأصبحت الحياة اليهودية منذ ذلك الحين منظمة حسب تعليمات الفريسيين ، كما أعيد وضع كل تاريخ اليهود من وجهة نظر فريسية . وأعطي وجه جديد للتشريعات السابقة (السنهدرين)[٣] . كما حلت سلسلة جديدة من التقاليد محل التقاليد القديمة . وقد كيفت الفريسيّة طبيعة اليهود . وكذلك حياة اليهودي وتفكيره للمستقبل كله .

وقد أعلن بحاثة يهودي مرموق ، أصبح فيما بعد أستاذ علم الاجتماع في الجامعة العبرية في القدس : أن الأسس التاريخية لهذه العقيدة اليهودية

---

(١) اليهودية لأحمد شلبي ص ٢٦٢ـ٢٦٣ ، وهو ينقل عن كتابيه : (قصة الحضارة) و (بعيداً عن التاريخ) .

(٢) تعريب سعيل ديب ص ١٦ـ١٧ و ص ٢٠ و ص ٢٥ و ص ٣٩ .

(٣) السنهدرين : مجلس الشيوخ ، ويتألف من سبعين شيخاً . والفريسيون : كتبة توراة اليهود .

الأرثوذكسية[1] ، قد أعطيت لليهود في تشريعات عزرا ونحميا حوالي سنة ٤٠٠ ق م . ثم عدلت ونقحت في القرون التالية في الشريعة غير المكتوبة - أي الشفوية وتلمود بابل -.

إن علماء الكتاب المقدس كلهم مجمعون على أن العهد القديم جرى وضعه خلال النفي في بابل وبعده . ويجمع العلماء والباحثون - وعلى رأسهم باحثو اليهود وعلماؤهم - على أن كتاب حز قيال وضع أولاً ، ثم ركبت من حوله الكتب الأخرىٰ .

وذكر بعضهم أن نبوءة حزقيال الموضوعة بين السنتين ٥٩٢-٥٧٠ ق م كانت بداءة سيطرة المبدأ الفريسي على اليهودية ١ هـ .

وجود نسختين مختلفتين للتوراة بعد العودة :

يقول الدكتور أحمد يسري في كتابه « الشرائع الدينية »[2] : وعقب العودة من السبي ، وضع عزرا بتأييد من الفرس نظاماً للجماعة اليهودية ، برئاسة الكاهن الأكبر ومجلس الكهنة « السنهدرين » لتسيير أمور الجماعة ، دون أن يكون لها كيان سياسي بأي وجه . وخضع لهذا النظام اليهود في الخارج ، ولكن السامريين ، وهم من بقايا مملكة إسرائيل لم يعترفوا بهذا النظام ١ هـ.

وجاء في سفر عزرا ٧/ ٢٥-٢٦ من رسالة الملك أرتحشتا إلى عزرا : أما أنت يا عزرا ، فحسب حكمة إلهك التي بيدك ضع حكاماً وقضاة يقضون لجميع الشعب الذي في عبر النهر ، من جميع من يعرف شرائع إلهك ، والذين لا يعرفون فعلموهم ، وكل من لا يعمل بشريعة إلهك وشريعة الملك ، فليقض عليه عاجلاً إما بالموت أو بالنفي أو بغرامة المال ، أو بالحبس ١ هـ.

---

(١) الأرثوذكس . كلمة يونانية معناها : العقيدة القويمة الملتزمة .

(٢) ص ٦٥ .

وهكذا رفض السامريون من أول الأمر سيادة مجمع كهنة أورشليم عليهم ، مما أدى إلى وجود نسختين مختلفتين من التوراة بعد أن كانت واحدة .

ويظهر والله أعلم أن التوراة العبرانية والسامرية كانتا في الأصل توراة واحدة ، كتبت في أثناء السبي وبعده . لكن الخلاف الذي بدأ في بابل استفحل بعد العودة إلى فلسطين ؛ ففي السنة الثانية من عودة اليهود من السبي شرعوا مسرعين في بناء الهيكل تحت إشراف الوالي زربابل بن شألتئيل ورئيس الكهنة يشوع بن صاداق ، بيد أنهم لم يلبثوا حتى جاء السامريون الذين كان الآشوريون والبابليون قد استبقوهم وخلطوهم بشعوب أخرىٰ . وطلبوا أن يشتركوا في بناء الهيكل ، فرفض أولئك طلبهم ، لأنهم كانوا أقرب إلى الوثنيين في عقائدهم وعاداتهم منهم إلى اليهود . ومن ثم راح السامريون يناوئونهم ، ويحولون بينهم وبين المضي في بناء الهيكل[1] .

وهكذا تفاقم الخلاف بين السامريين وسائر اليهود . الأمر الذي أدىٰ بالسامريين إلى مراجعة أمورهم وانفصالهم بتوراة خاصة بهم لا تضم إلا الأسفار الخمسة ، ورفض ما عداها . وكل من الفريقين يدعي أنه على حق .

يقول الدكتور أحمد حجازي السقا في تعريفه بالتوراة السامرية وتقديمه لها[2] : ولما رجع بنو إسرائيل من بابل بتوراة عزرا ، وسكن العبرانيون في مدنهم ، وسكن السامريون في مدنهم ، ظهر عداء شديد بين العبرانيين والسامريين ، اختلفت بسببه التوراة العبرانية عن السامرية . ويقول العبرانيون : إننا على حق . ويقول السامريون لهم : بل نحن وحدنا على الحق ، وأنتم الذين حرفتم وغيرتم وزدتم وأنقصتم من كتاب الله .

---

(١) اليهود لزكي شنودة ص ١٤٥-١٤٦ .

(٢) ص ٦ و ٢١ ، وانظر هداية الحيارىٰ ص ٥٨١ . وتقديم شفاء الغليل لأحمد حجازي ص ١٢ .

ثم ينقل عن « التاريخ مما تقدم عن الآباء » أن السامريين يقولون إن التوراة العبرانية كتبها عزرا وساعده زر بابل بن شألتئيل اهـ.

وهذا يعني أن توراتهم هي التوراة الحقيقية الموروثة عن موسى ـ عليه السلام ـ وليست من كتابة أحد من بعده . ويكاد العلماء يجمعون ، ولا سيما علماء اليهود ، على أن التوراة جرى تأليفها في القرن السادس قبل الميلاد في أثناء سبي بابل[1] .

التوراة إبان حكم اليونان :

ظل اليهود تحت سيطرة الفرس زهاء قرنين من الزمان ، إلى أن هزم الاسكندر الأكبر الدولة الفارسية واستولى على بلاد الشام عام ٣٣٢ ق م . وما إن علم رئيس كهنة اليهود « يروع » باقترابه من القدس ، حتى أمر اليهود بتزيين المدينة بالزهور والرياحين ، وفتح أبوابها أمامه ، ثم خرج للقائه مرتدياً حلة من الذهب والأرجوان ، يتبعه الكهنة بحللهم البيضاء المزركشة ، ثم عامة الشعب اليهودي ، يرتدون الملابس الزاهية . فقدم له فرض الطاعة ، وهتف اليهود له . وحين دخل الهيكل أطلعه على نبوءات دانيال التي تقول بأن ملكاً عظيماً سيقوم ويقضي على دولة الفرس . فطرب الملك لذلك .

وهكذا دان اليهود جميعاً من عبرانيين وسامريين لليونان . بيد أن السامريين لم يلبثوا أن قتلوا الحاكم الذي عينه الاسكندر على سورية . فحنق عليهم ، وقتل عدداً منهم ، وطرد الباقين من السامرة ، وأقام مكانهم جالية من المقدونيين .

وبعد موت الإسكندر عام ٣٢٣ ق م عقد قواده من بعده مؤتمراً في بابل ، وتقاسموا إمبراطوريته فيما بينهم . وخضع اليهود لخلفائه من بعده . وفي عهد بطليموس الخامس الذي كان حاكماً على بعض البلاد ، ومنها الأرض التي كان

---

(١) التوراة بين الوثنية والتوحيد لسهيل ديب ص ٣٨ ، شفاء الغليل ص ٣١ .

يسكنها اليهود ، هاجم انطيوخوس الثالث بلاده واستولىٰ على بعض ممتلكاته ، ومنها أرض اليهود . وما إن علم اليهود باقتراب انطيوخوس من بلادهم ، حتى خرجوا للقائه ، وفي أيديهم مفاتيح مدنهم وحصونهم . وحين دخل القدس خَفّ لاستقباله رئيس الكهنة وشيوخ اليهود في احتفال عظيم ، وساعدوه على طرد الحامية البطليمية التي كانت لا تزال تعتصم في قلعة القدس ، فانتهى بذلك عهد البطالمة .

وفي عهد أنطيوخوس الرابع بدأ اليهود يتشبهون باليونان ، ويتعودون بعاداتهم ، ويعتنقون ديانتهم . وكان منهم قوم لا يفتؤون يتقربون إلى الملك ، ويتزلفون إليه طمعاً في المناصب والمكاسب .

ولما هاجم بطليموس السادس سورية دحره انطيوخوس الرابع ، وتبعه إلى مصر ، وقتله هناك . ولكن أشيع العكس في أورشليم . فقام رئيس الكهنة السابق (ياسون) الذي خلعه أنطيوخوس بوشاية من اليهود ، وانقض على المدينة بمن معه ، وقتل الحراس . فهرب الحاكم إلى القلعة ، وحوصر فيها . وطفق ياسون يذبح الأهالي من معارضيه . وعاد أنطوخوس الرابع بجيش ضخم ، فدخل أورشليم وأمر جنوده بقتل كل من يرونه من اليهود ، ثم اقتحم الهيكل واستولى على ما فيه ، وأحرق جميع نسخ كتب العهد القديم . وبعد عودته من أنطاكية أمر بذبح كل بالغ من الرجال ، وببيع النساء والأطفال في أسواق الرقيق . ثم لم يلبث حتى قرر توحيد الديانة في جميع البلاد الخاضعة لحكمه ، وإلزام شعوبها بعبادة آلهة اليونان . فأصدر أمره إلى أهل أورشليم وسائر المدن اليهودية بالامتناع عن ممارسة العبادات والعادات اليهودية . وأمر ببناء مذبح للأصنام في الهيكل وفي كل مدينة يهودية . ومزق الجنود كل ما وجدوه من نسخ التوراة وأسفار الشريعة وأحرقوه بالنار . وتتبعوا كل من يخفي نسخة من العهد القديم أو يؤدي رسماً من رسوم الشريعة كما قتلوا كل امرأة ختنت أولادها ، وعلقوا الأولاد المختونين من أعناقهم . وكان ينفذ ذلك علناً

كل شهر . فلم يعد أحد يعترف أنه يهودي أصلاً[1] .

ولنتدارس الآن أحوال التوراة إبان تلك المدة من حكم اليونان :

لا شك أن التوراة التي كتبها عزرا وغيره كانت عند كهنة اليهود ، ولم تكن عند عامتهم . وعلى أحسن تقدير فإن كل كاهن كان يحفظ قسماً منها . وإذا كان الملك قد قتل معظم الكهنة ، وأمر بقتل كل من يوجد عنده نسخة منها أو يؤدي مراسم الشريعة . وكان التفتيش والقتل يجري كل شهر كما هو مذكور في سفر المكابيين الأول في الإصحاح الأول منه . فكيف تبقى التوراة بعد هذا كله ؟ .

يقول الشيخ رحمة الله الهندي في (إظهار الحق)[2] : وكانت هذه الحادثة قبل ميلاد المسيح بمائة وإحدى وستين سنة ، وبقيت ثلاث سنوات ونصف ، كما هو مفصل في تواريخهم ، ولا سيما تاريخ يوسيفوس اليهودي . فانعدمت في هذه الحادثة جميع النسخ التي كتبها عزرا ١هـ.

وإذا كان ثمة نسخة بقيت عند شخص ما في بلاد اليهود أو خارجها ، فإنها مظنة التحريف والتبديل . وإذا استبعدنا التحريف ، فإن بقاءها أمر احتمالي . ونحن إنما نطالبهم بتوراة لها سند متصل على أقل تقدير .

التوراة إبان حكم المكابيين :

كان في مدينة (مودين) اليهودية كاهن متعصب اسمه (متاثيا بن يوحنا) من سبط لاوي . وله خمسة أولاد . فرأى ذات يوم يهودياً يقدم ذبيحة لإله اليونان ، فوثب عليه وقتله على المذبح . ثم قتل مندوب الملك في المدينة ، وهرب مع أولاده إلى الجبال . فتبعهم بعض اليهود واعتصموا معهم . ثم لم يلبثوا حتى انضم إليهم كثير من اليهود . وأصبحوا مصدر إزعاج للحكام .

---

(١) اليهود لزكي شنودة ص ١٤٩-١٥٠ وص ١٥٢ وص ١٥٤-١٥٦ ، إظهار الحق ٣٢٧/١.

(٢) إظهار الحق ٣٢٧/١.

وفي عام ١٦٧ ق م مات متاثيا وخلفه ابنه يهـوذا المسمىٰ (مكابيـوس) فكثر أتباعه . ولم يستطع الملك أن يقضي عليه رغم حملاته المتكررة .

وفي عـام ١٦٤ ق م تمكن يهوذا ورجـالـه من الاستيـلاء على أورشليم والوصول إلى جبل صِهْيَوْن . فأزالوا كـل معالم الـوثنية من الهيكـل ، وأعدوه للعبادة . ثم دشنوه من جديد .

وهكذا أصبحت أورشليم خاضعة ليهوذا (مكابيوس) واستتب لـه الأمر فيها ، وصار أتباعه يدعون بالمكابيين . لكنه ما زال في صراع مع اليونانيين . وكذلك خلفاؤه من بعده .

وفي عهـد الملك (أرستبولس) المكـابي اقتحم الرومـان أورشليم عام ٦٣ ق م ودخلوا الهيكل حتى وطئوا قدس الأقداس ، وهدموا أسوار القدس ، وأسروا أرستبولس وأولاده ، وأخذوهم إلى عاصمتهم روما .

وفي عام ٣٧ ق م اقتحمت جيوش أنطونيوس ملك الرومان أورشليم بعد تمرد يهودي ، فنهبتها ، وأشاعت فيها القتل والخراب والدمـار . وقتل الملك المكابي (أنتيجوس) فانقضى بقتله عهد المكابيين في اليهودية بعد أن ظلوا في الحكم قرابة (١٣٠) عاماً[١] .

ولا شك أن التوراة في عهد المكابيين إنما هي التوراة المظنونة أو النقول المتبقية بعد الاضطهادات في عهد اليونان . وهكذا انعدمت نهائياً نقول عـزرا وغيره .

التوراة إبان حكم الرومان :

بعد مقتل أنتيجوس انتقلت السلطة بأمر الرومان إلى هيرودس بن انتيباتر المعروف بهيرودس الكبير . وهو يهودي من أصل أدومي . كان شديد الخضوع

---

(١) اليهود لزكي شنودة ص ١٥٦ـ١٥٩ و ١٦٢ـ١٦٥ و ١٨٦ـ١٨٧ و ١٩٠ ، الشرائع الدينية ص ٦٥ـ٦٦ ، اليهودية لأحمد شلبي ص ٩٣ـ٩٤ .

للرومان . ومع ذلك عمل كثيراً لاسترضاء اليهود ؛ فبنى لهم هيكلاً على نسق هيكل سليمان عام ٢٠ ق م لكنهم ظلوا على كراهيتهم له . لأنه ليس من أصل يهودي . فنكل بهم أشد تنكيل .

وبعد موته وقع خلاف كبير بين أولاده ، وكانوا عنيفين كأبيهم ، فتظلم الشعب لدى الأمبراطور الروماني ، فما كان منه إلا أن عين والياً رومانياً على اليهودية والسامرة وأدومية ، وكان ذلك سنة ٦ م تقريباً . فكان هذا أول حاكم روماني يتولىٰ حكم اليهودية مباشرة .

وفي سنة ٢٦ م عين الامبراطور الروماني طيباريوس ، الذي جلس على كرسي الملك عام ١٤ م ، عين على اليهودية حاكماً اسمه بيلاطس بونتيوس ، وهو الذي اشتهر بلقب النبطي . وبقي مدة عشر سنين حاكماً على اليهودية . وفي عهده طلب مجلس « السنهدرين » اليهودي إعدام المسيح ـ عليه السلام ـ[1] .

وقد ولد المسيح في مملكة العبرانيين وتربى فيها ، وكان يتعلم في هيكل سليمان بالقدس . وفي زمنه كان العداء على أشده بين العبرانيين والسامريين . وقد آمن بدعوته حال حياته كثير من السامريين ولم يطلبوا قتله . وحدثت مناظرات بينه وبين العبرانيين ؛ ففي إنجيل يوحنا الإصحاح الثامن يتهمهم بأنهم أتباع إبليس والشهوات ، فيردون عليه بأنه سامري وبه شيطان . ثم يطلبونه ليقتلوه ، فيختفي من الهيكل[2] .

ولم يلبث الرومان أن ضاقوا ذرعاً بخبث اليهود ومكرهم وعنادهم وتمردهم وما يحيكونه من دسائس وما يضرمونه من ثورات ، فأرسلوا إليهم عام ٧٠ م جيشاً ضخماً بقيادة فسباسيان ، فحاصر القدس ، وظل يضيق الخناق

---

(١) اليهود لزكي شنودة ص ١٩٠-١٩١ و ٢٠٣-٢٠٤و٢٠٦ .

(٢) تعريف بالتوراة السامرية لأحمد حجازي ص ٧و٩و١٠-١١ .

عليهم . وفي هذه الأثناء انتخبه الجيش امبراطوراً ، فعاد وخلفه في القيادة ابنه تيطُس ، فاستمر في الحصار وواصل الضغط ، حتى وقعت في قبضته ، فاقتحم أسوارها ، وأشاع فيها الخراب والدمار ، وأضرم النار في هيكلها بعد أن سلب ما فيه ، ثم راح يذبح اليهود ويتتبعهم . وقد صمم على أن يفنيهم عن آخرهم ويقطع دابرهم ، حتى لقد تجاوز عدد المذبوحين والمصلوبين المليون .

ولما اندلعت الثورة الثانية لليهود عام ١٣٠-١٣٥ م ، وقضىٰ عليها الأمبراطور الروماني أدريانوس ، أزال معالم مدينة القدس والهيكل تماماً ، فحرث الأرض وزرعها . وتخلص من اليهود نهائياً ، فلاحقهم وفتك بهم . فلم يبق بفلسطين يهودي واحد . ثم أقام مكان الهيكل هيكلاً وثنياً باسم (جوبيتار) رب الآلهة عند الرومان . وبقي هذا الهيكل إلى أن قويت النصرانية في أورشليم، فدمره النصاري من أساسه في عهد الامبراطور قسطنطين .

وهكذا ألحق الرومان الخراب والدمار بالقدس عاصمة اليهود ، وبأكثر من ألف مدينة وقرية من مدنهم وقراهم . وأبادوا معظم اليهود ، فلم يبق منهم إلا عدد قليل تفرقوا هائمين على وجوههم في شتى أنحاء الأرض ، وظلوا على مر العصور غرباء مشردين مطرودين مكروهين محتقرين من الناس في كل أرض ولدى كل جيل(١) .

وصفوة القول : إن اليهود قد نالهم الاضطهاد من قبل الكلدانيين والبابليين والفرس ، فاليونان فالرومان والنصارىٰ . وما من أمة من الأمم إلا وقد قصدتهم أشد القصد . فأي توراة تبقى مع هذا كله . وأشد ذلك ما نالهم من ملوكهم العصاة المرتدين . .

---

(١) اليهود لزكي شنودة ص ٢٠٩-٢١١، الشرائع الدينية ص ٦٦، اليهودية لأحمد شلبي ص٩٤ .

واستمر اليهود مشردين طوال ألفي عام تقريباً حتى أقاموا دولتهم « إسرائيل » عام ١٩٤٨ م على أشلاء شعب فلسطين . ولا يدري إلا الله متى يتحقق ما أخبر به رسول الله ﷺ فيقتلهم المسلمون ويطردونهم من فلسطين ، وليتمنّ هذا الأمر بإذن الله .

التوراة التي اعتمدها النصارىٰ :

تضمنت الأناجيل بعض العبارات التي تقر التوراة ، وتدعو للأخذ بتشريعها . ففي إنجيل متى ٥/١٧ـ١٨ يُعزى للمسيح قوله : لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء ـ وفي بعض الترجمات : لأبطل الشريعة وتعاليم الأنبياء ـ ما جئت لأنقض بل لأكمل . فإني الحق أقول لكم : إلى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل .

وفي بعض الترجمات : قبل أن تزول السماء والأرض لن يزول حرف أو نقطة من الشريعة حتى يتم كل شيء .

فالمسيح ـ عليه السلام ـ بين لبني إسرائيل أنه ما جاء لينسخ شريعة التوراة . بل إنما جاء للتبشير بالخبر المفرح . وقد طلب منهم أن يعملوا بأحكام التوراة كلها إلى أن يأتي وعد الله .

وقد اعتمد النصارى التوراة العبرية ولم يلتفتوا للسامرية للأمرين التاليين :

١ ـ كون المسيح ـ عليه السلام ـ ولد في مملكة العبرانيين وتربىٰ فيها .

٢ ـ ثمة نص في إنجيل متى يشير إلى ذلك ـ أو فهموا منه ذلك ـ ففي ٢٣/١ـ٣ : حينئذ خاطب يسوع الجموع وتلاميذه قائلاً : على كرسي موسىٰ جلس الكتبة والفريسيّون . فكل ما قالوا لكم أن تحفظوه فاحفظوه وافعلوا . ولكن حسب أعمالهم لا تعملوا . لأنهم يقولون ولا يفعلون . .

والتشريع عند النصارىٰ يؤخذ معظمه من العهد القديم ، وبعضه من

العهد الجديد . فقد تضمنت الأناجيل بعض عبارات للمسيح تتصل بالتشريع مع إقراره بالتشريع اليهودي القائم حال وجوده في الأرض . وبعد رفعه إلى السماء أقام القسس على أساس هذه العبارات مع العهد القديم نظاماً قانونياً للكنيسة . فمن أجل ذلك حمل النصارى التوراة العبرانية وكتب الأنبياء والأناجيل وما ألحق بها ووضعوها في كتاب واحد سمَوْه (الكتاب المقدس)[1] .

---

(١) تعريف بالتوراة السامرية لأحمد حجازي ص ١١-١٢، الشرائع الدينية لأحمد يسري ص ١٦٠-١٦١.

اللغات التي كتب بها العهد القديم

وسائر كتب اليهود المقدسة

استخدم في تأليف أسفار العهد القديم وشروحها وترجمتها الأولى ثلاث لغات هي العبرية والآرامية واليونانية :

فبالعبرية القديمة كتبت أسفار العهد القديم . ولذلك تسمىٰ بعبرية العهد القديم . ثم باللغة الآرامية ـ وهي فرع من العبرية ـ كتبت فصول وفقرات من بعض أسفار العهد القديم . وإلى اللغة الآرامية ترجمت أسفار العهد القديم من أصلها العبري أحياناً ومن ترجمتها اليونانية أحياناً أخرىٰ .

جاء في دائرة المعارف البريطانية : إن التوراة تتكون من مجموعة من الكتب استغرق تأليفها قروناً عديدة ، وأنها لم تكتب بلغة واحدة . بل كتبت باللغة العبرانية ، ثم استكملت باللغة الآرامية ، وختمت آخر كتبها باللغة الإغريقية ١هـ[1] .

وقد أشار أدموند جاكوب في دراسته للعهد القديم إلى أنه لم يكن في البدء نص واحد للتوراة . بل كان هناك عدة نصوص . ففي القرن الثالث قبل الميلاد كان هناك على الأقل ثلاث مدونات : النص المحقق (الماسوري)[2] ،

---

(١) الأسفار المقدسة لعلي ص ١٢ و١٧ـ١٨ ، تعريف بالتوراة السامرية لأحمد حجازي ص ٣٠ـ٣١ ، هذه عقائدنا لـج . كلايد ص ٨ .

(٢) (الماسوري) هي التسمية الرسمية للتوراة العبرية ، والكلمة غامضة المعنى والمصدر . والعلماء الماسوريّون الذين وضعوا النص العبري النهائي هم الذين اخترعوا الحركات =

والنص الذي استخدم جـزئياً على الأقـل في الترجمـة إلى اليونـانية ، والنص المعروف بالسامري ، أو أسفار موسى الخمسة .

وكان في القرن الأول قبل الميلاد اتجاه إلى تدوين نص واحد . بيد أن تـدوين الكتـاب المقـدس لم يتم إلا في القـرن الأول بعـد الميـلاد . وتلك المدونات لا وجود لها الآن البتة[1] .

هل هناك نص عبري للعهد القديم ؟ :

إن النص العبري القانوني المعمول به اليوم لم يصل إلى شكله النهائي المعروف إلا في أواخر القرن الثامن الميلادي ؛ ففي أثناء كتابة النص اللاتيني عام ٤٠٦ م تقريباً باشر العلماء اليهود الماسوريّون بتحرير العهد القديم باللغة العبرية . لكن هذا التحرير لم ينته إلا في أواخر القرن الثامن الميلادي[2] .

وكان الشك قائماً لـدى العلماء : هـل هناك حقيقـة نص عبري للعهـد القديم ؟ أو أن الكتبة اقتبسوا النصوص المتداولة لدى الكنيسة تسهيلاً للأمور ، وذراً للرماد في العيون ؟ والحقيقة والواقع أن كتابهم المقدس الحقيقي إنما هو التلمود الذي يختلف جوهرياً عن العهد القـديم . وكان إلى زمن قـريب بالـغ السرية وممنوع التداول[3] .

إن أقدم نص عبري للتوراة يرجع عهده إلى القرن التاسع بعد الميلاد ،

الصوتية بوضع رموز فوق الحـرف أو تحته لإعـطاء اللفظ الصحيح ، وللمحـافظة على طريقة لفظ اللغة العبريـة . والنص الذي لـدى اليهود يعـرف بالمـاسورة أي التقليـدي المعترف به . التوراة بين الوثنية والتوحيد لسهيل ص ٩ وهو ينقل عن د . أنيس فريحه ص ٨٩ من كتابه في اللغة العربية وبعض مشكلاتها .

(١) دراسة لموريس بوكاي ص ١٨-١٩ .
(٢) التوراة بين الوثنية والتوحيد ص ٩ و٢٣ و٨٤.
(٣) المصدر السابق ص ٨٤.

فالنسخة الوحيدة المتبقية من النص الماسوري يعود تاريخها إلى عام ٨٩٥ م . وهذا إذا استثنينا بردية الوصايا العشر ، وبعض مخطوطات ناقصة ترجع إلى القرن الخامس بعد الميلاد في كنيزه ـ أي مستوع ـ المعبد اليهودي في القاهرة[١] .

أما مخطوطات البحر الميت المعروفه باسم لفائف وادي قمران ، فهي تعطي لأول مرة نصاً باللغة العبرية سابقاً للنص الرسمي . بيد أن هذه المخطوطات من وضع فئة خارجة عن اليهود كما سيأتي إن شاء الله ، وهذا يدل على اندثار وفقدان الأصول[٢] .

اللغة الآرامية :

جرىٰ تداول التوراة باللغة الآرامية أيضاً مراعاة لحاجات وطقوس الجماعات التي اعتنقت اليهودية ممن لا يتكلم العبرية . فقد وضع اليهود عدة تراجم إلى الآرامية . ثم أصبحت رسمية ومقبولة ، وثبتت بشكلها النهائي في القرن الخامس للميلاد .

وأشهر هذه التراجم اثنتان : ترجمة ـ أو ترجوم[٣] ـ بابل ، وترجمة ـ أو

---

(١) دراسة لموريس ص ١٨ـ١٩ ، التوراة بين الوثنية والتوحيد ص ٩ و ٨٤ . قال ابن القيم في هداية الحيارىٰ ص ٥٨١ : واليهود تقرأن سبعين كاهناً اجتمعوا على اتفاق من جميعهم على تبديل ثلاثة عشر حرفاً من التوراة . وذلك بعد المسيح في عهد القياصرة الذين كانوا تحت قهرهم ١هـ.

(٢) التوراة بين الوثنية والتوحيد ص ٩ـ١٠ .

(٣) ترجوم : من الترجمة . والجيم العبرية تلفظ كالجيم المصرية . وترجوم بابل هو الترجمة الوحيدة المتفق على أنها من وضع علماء اليهود . وأول ما وضعت في القرن الخامس الميلادي . ثم صدرت بشكل عام في القرن الخامس عشر الميلادي . وقد أطلق عليها خطأ اسم ترجوم يوناثان ؛ ففي القرن الرابع عشر الميلادي وضع أحد الكتبة على هامش النص الحرفين (.T.J) رمزاً لاسم الكتاب باللاتينية (tAr8um, jerushAimi) فجاء آخر من بعده فكتب التوضيح التالي لما رمز إليه سلفه (tAr8um, jnAthAn) وبقي هذا الخطأ شائعاً إلى اليوم كما ذكرت الموسوعة البريطانية ـ انظر التوراة بين الوثنية والتوحيد ص ٣٦ و ٤١ .

ترجوم - أورشليم . والترجوم الأخير أكثر دقة ، وقد أصبح الرسميَّ المعتمد[1] .

اللغة اليونانية :

إن أقدم ترجمة للعهد القديم هي الترجمة اليونانية التي اشتهرت باسم الترجمة السبعينية (sEptuA8int - I ××) وقد تم وضعها في مصر خلال القرن الثالث قبل الميلاد - وقيل عام ٢٨٢ ق م - على يد اثنين وسبعين حبراً من يهود الاسكندرية - أي بمعدل ستة من كل سبط من الأسباط الاثني عشر - بأمر من الملك بطليموس الثاني (فيلا دلفوس) . ومراعاة لعدد من قام بها سميت بالترجمة السبعينية . وهم إنما ترجموا الأسفار الخمسة[2] . ثم ترجمت مرات

---

(١) التوراه الوثنية والتوحيد ص ٢٤-٢٥ و ص ٤١ .

(٢) من الملحوظ أن سهيل ديب يشكك في عدة مواضع من كتابه التوراة بين الوثنية والتوحيد في أن اليهود قاموا بالترجمة السبعينية ، وأن عددهم كان اثنين وسبعين : ففي ص ٢٣ يذكر ذلك بصيغة التمريض فيقول : « إذ يقال إن سبعين أو اثنين وسبعين عالماً من اليهود . قاموا بهذا العمل الذي دام على ما يقال مائة عام تقريباً » ويقول ص ٣٦ : « الاعتقاد السائد أن الترجمة السبعينية قام بها علماء اليهود ، إلا أنه أمر هُويتهم ليس مؤكداً » ويقول ص ٣٧ : « أما مترجم النص السبعيني ، فإما عبري يتكلم اليونانية ، أو يوناني يتكلم العبرية . وهو على الأغلب من الفئة الأخيرة » وينص أيضاً على أن الترجمة السبعينية كانت لكامل العهد القديم . وليس للأسفار الخمسة فقط ؛ فيقول ص ١٠ : « وترجمة العهد القديم بكامله إلى اليونانية والمعروفة بالسبعينة والموضوعة خلال القرن الثالث قبل الميلاد تفترض بالواقع وجود نص أصلي متكامل جرت الترجمة عنه » ويقول ص ٣٥-٣٦ : « لقد رأينا أول ترجمة من العبرية للعهد القديم بكامله كانت إلى اليونانية خلال القرن الثالث قبل الميلاد ، وهي الترجمة السبعينية » كل ذلك بدون دليل أو نقل عن باحث مع أنه يخالف غيره من المحققين في أن الاثنين والسبعين إنما ترجموا الأسفار الخمسة ، ثم أضيفت إليها فيما بعد تلك الأسفار . ويذكر ص ٢٣ أنه يوجد من الترجمة السبعينية أجزاء تبلغ مائتي مخطوط موزعة في مختلف متاحف العالم .

أما ابن تيمية فيقول في الجواب الصحيح ١٢/ ١٩ : « وهم يذكرون أن من الملوك من أمر اثنين وسبعين حبراً منهم بنقلها واعتبار بعض النسخ ببعض . وهذا إن كان صدقاً لا =

أخرى إلى اليونانية أيضاً . أما أسفار الأنبياء ، فقد ترجمها آخرون إلى اللغة اليونانية ، وضموها إلى الأسفار الخمسة . كما تُرجمت أيضاً إلى تلك اللغة الأسفار الزائدة عن الأصل العبري[١] .

الترجمة السداسية :

وأضخم محاولة لتثبيت نص التوراة هي الترجمة التي قام بها . عالم لاهوتي من الإسكندرية اسمه (أوريجين ـ ori8en) وذلك عام ٢٣٠ م في مدينة قيصرية في فلسطين . وقد حاول بمفرده أن يَفْصِل في تعداد النصوص والترجمات والاختلافات بينها . فكتب خلال عشر سنوات العهد القديم بكامله على أوراق كبيرة ، تحمل ستة أعمدة متقابلة فيها على التوالي : النص العبري . وهو لا يعد نصاً يهودياً قانونياً . ثم النص العبري نفسه ، لكن بالأحرف اليونانية . وذلك محاولة منه للمحافظة على طريقة النطق بالعبرية[٢] . فهو نص مزدوج ، لكن كاتبه يوناني ولا يعلم من أين أخذه . وقد قام به بعد الترجمة السبعينية بخمسة قرون تقريباً . ولم يبق من هذا النص العبري بالأحرف العبرية واليونانية أي أثر . ثم ترجمتان معمول بهما في ذلك الزمن . ثم الترجمة السبعينية . ثم ترجمة أخرى من وضعه هو . ولذلك يسمى هذا

= يمنع أن يكون الغلط وقع في بعض ألفاظها قبل ذلك . إلا أن يثبت أنه مأخوذ عن نبي معصوم ، أو أقر جميع ألفاظها نبي معصوم . فما قاله المعصوم حق . وما نقل بالتواتر حق » .

(١) الأسفار المقدسة لعلي ص ١٢و١٧ـ١٨ ، تعريف بالتوراة السامرية ص ٣٠ـ٣١، التوراة بين الوثنية والتوحيد ص ٢٣و ص ٣٦ .

(٢) اللغة العبرية بسيطة خالية من النحو الصرف وحروف العلة . ولم تكن إلى زمن قريب تحوي حركات صوتية أو نقاطاً على الحروف . لذا فإن قراءة أي نص منها ـ ولا سيما قبل تحسينها وضبطها من قبل الماسوريين ـ يختلف بين قارىء وآخر ـ التوراة بين الوثنية والتوحيد ص ٣٧ ـ.

النص (بالهيكزابلا) أي السداسي . وقد اندثر أكثر هذا العمل . ولم يبقَ في المتاحف إلا بعضه[1] .

الترجمة اللاتينية :

في عام ٤٠٦ م وضع إيرونيموس الترجمة اللاتينية المسماة (فولغاتا ـ vul8AtA) أي الشائعة ، منطلقاً من النص السبعيني أول الأمر . ثم قارنها بنصوص أخرى عبرية أو آرامية متوفرة لديه . وقد لاحظ التفاوت بين النسخ . فأشار إلى الأسفار المذكورة في الترجمة السبعينية دون غيرها بكلمة (أبو كريفا) أي المخفية أو التي سحبت من التداول بعد الترجمة السبعينية . وقد ضم إلى ترجمته اللاتينية كل الأسفار التي انفردت بها السبعينية . لكن لم يعرف حتى الآن ما هذا النص العبري أو الآرامي الذي توفر لديه في ذلك الوقت[2] .

وعن الترجمتين اليونانية واللاتينية ترجم العهد القديم إلى معظم لغات العالم قديمها وحديثها ، قام بها طوائف من النصارىٰ . ومن المعلوم أن أي خطأ وقع في إحداهما قد انتقل بشكل قطعي إلى اللغات الأخرىٰ عبر القرون السابقة أو اللاحقة ، دون أي أمل في إصلاحه[3] .

---

(١) التوراة بين الوثنية والتوحيد ص ٢٥ـ٢٦و٣٧و٨٣ .

(٢) منه ص ٣٦ـ٣٧و ١٠٨ـ١٠٩ ، الموسوعة العربية الميرة ٢ / ١٤٤١ .
وعما توفر لديه من النصوص للمقابلة يقول موريس ص ١٨ـ١٩ « يحتمل أنه استخدم في ترجمتها وثائق عبرية ترجع إلى السنوات الأولى من القرن الخامس بعد الميلاد » لكن سهيل ديب يتساءل ص ٣٧ ما هذا النص العبري ؟ فإن هذه الترجمة وضعت سنة ٤٠٦ م ولم يكن هناك أي نص عبري متوفر له . أهو النص الذي وضعه أوريجين والذي لا يعد قانونياً ؟ . ثم يؤكد ذلك ص ٤٨ فيقول : لكن النص اللاتيني اعتمد على السبعيني وعلى سداسية أوريجين المندثرين بشكل شبه كامل .

(٣) الأسفار المقدسة لعلي ص ١٧ـ١٨ .

التلمــود:

ألفت المشناة باللغة العبرية الربانية أو التلمودية. وهي تختلف عن عبرية العهد القديم اختلافاً بيناً. أما شروحها (الجمارا) فقد ألفت بـاللغة الآراميـة. فكان يدون المتن (المشناة) بالعبرية، والشرح (الجمارا) بالآرامية. وعن هاتين اللغتين ترجم التلمود إلى كثير من لغات العالم قديمها وحديثها[1]. وآخر هذه التــراجم هي التي وضعهــا الــدكتــور (إيــزودور إيشتــايــن) بيـن عــامي ١٩٣٥ ـ ١٩٥٢ م باللغة الإنكليزية. وقد اشتملت على خمسة وثلاثين مجلداً.

ومن الجـدير بـالذكـر أن التراجم العـديدة للتلمـود يحـذف منهـا كلهـا الحواشي والأقسام التي لا يجوز لغير الحاخامات المتقدمين في العلم الاطلاع عليها.

وقد جرى حديثاً في فلسطين المحتلة إعادة طبع النسخة العبرية الأصل من تلمود بابل. وذلك بعد مائة سنة من آخر طبعة منهـا. وقد قـام على طبعها الحاخام (آدين شتاينز) وقد أعلن وقتئذٍ أنه سيطبع ستة آلاف نسخة فقط. بينما تطبع الملايين من نسخ الكتاب المقدس الذي يشمل التوراة كل سنة. مما يدل على حرص اليهود على المحافظة على سرية التلمود. وحدث أن طبع التلمود بشكله الأصلي في بعض البلدان التي توصل بها اليهود إلى شيء من السيطرة سابقاً. فأدى ذلك إلى كثيرٍ من المتاعب والاضطهادات والحـرق العلني لنسخ التلمود، بسبب ما حواه من أشياء مستنكرة. ومنذ ذلـك الحين أصبح التلمـود قـطعاً نـادراً. حتى قيـل: إن نصـه الأصلي الكـامـل المـطبـوع في البنـدقيـة عام ١٩٢٠ ـ ١٩٢٣ م لا يوجد منه سوى ثلاث نسخ فقط[2].

---

(١) الأسفار المقدسة لعلي عبد الواحد ص ١٠ ـ ١١ و ٢٢ ـ ٢٣.

(٢) التلمود تاريخه وتعاليمه لظفر الإسلام خـان ص ٤٠ ـ ٤٩، التوراة تـاريخها وغـاياتها تعريب سهيب ديب ص ٨٢.

أشهر المخطوطات المتبقية من الكتاب المقدس:

قال ج. كلايد تارنر[1]: لقد كتب الكتاب المقدس باللغتين العبرية واليونانية - بالإضافة إلى الآرامية - فالعهد القديم كتب باللغة العبرية، والجديد باليونانية - أي ما عدا إنجيل متي، فهو بالآرامية - وكان عدد النسخ قليلاً جداً لصعوبة النسخ باليد. لذا فقدت المخطوطات الأصلية. وكل ما بين أيدينا اليوم نسخ عن النسخ الأصلية. وكتابنا المتداول اليوم هو ترجمة لهذه النسخ القديمة اهـ.

إن أقدم. نص عبري للتوراة يرجع عهده إلى القرن التاسع بعد الميلاد - كما سلف - وهذا إذا استثنينا لفائف البحر الميت وبردية الوصايا العشر. وبعض مخطوطات ناقصة ترجع إلى القرن الخامس بعد الميلاد في كنيزة المعبد اليهودي بالقاهرة[2].

والنصوص اليونانية الأصلية التي يستخدمها النصارى عموماً أشهرها ما يلي:

١ - المخطوط المحفوظ في الفاتيكان، وهو من القرن الرابع.

٢ - المخطوط السيناوي، وهو يوناني من القرن الرابع موجود في المتحف البريطاني.

٣ - المخطوط الإسكندري، وهو يوناني من القرن الخامس موجود في المتحف البريطاني.

٤ - مخطوط بيره، وهو يوناني ولاتيني من القرن السادس موجود في كمبردج[3].

---

(١) في كتابه هذه عقائدنا ص ٨.

(٢) دراسة لموريس بوكاي ص ١٨ - ١٩.

(٣) المرجع السابق، والموسوعة العربية الميسرة ٢/١٤٤١.

وهناك أيضاً المدونات الآرامية والسريانية، وهي جزئية غير كاملة(1).

لفائف البحر الميت:

في عام ١٩٤٥ م فَقَد راعٍ أحد خرافه في وادي قمران، فطفق يبحث عنه في الشقوق والمغاور. فوجد في إحدى المغاور مجموعة كبيرة من الطوامير واللفائف العريقة في القدم. فأخذها وراح يبيعها أقساماً إلى هواة الأثريات الذين لم يدركوا أهميتها، ولم يحاولوا فك رموزها.

وفي عام ١٩٥٢ م اكتشف راعٍ آخر مغارة أخرىٰ مليئة باللفائف أيضاً. وكانت تبعد عن المغارة الأولى مائة مترٍ تقريباً.

وكان اهتمام الأثريين قد شحذ بعد أن أخضعت لفائف الراعي الأول للدراسة. فما إن أتت مكتشفات المغارة الثانية حتى أخضعت المنطقة كلها لعملية تمشيط وبحث دقيقين. وتوالت الاكتشافات إلى أن بلغ عدد المغاور إحدى عشرة. واكتشف المنقبون في المغارة الثالثة لفائف نحاسية نقشت عليها نصوص بأحرف عبرية مربعة يعود عهدها إلى عشرين قرناً مضت على الأقل.

وكان آخر اكتشاف عام ١٩٥٦ م حيث اكتشفت المغارة الحادية عشرة، وفيها أربع لفائف كاملة. وكانت حصيلة المكتشفات بضع عشرة لفافة شبه كاملة، ومعها أجزاء من أكثر من ستمائة كتاب مختلف تشكل كتب العهد القديم. وبنسخ متعددة من كل منها باستثناء سفر أستير. وما يتعلق بالأسفار يشكل ربع الوثائق المكتشفة. أما الباقي فدراسات وتعليقات أهمها التعليق على سفر حبقوق. وهي بلغات متعددة منها العبرية القديمة وعبرية أحدث واليونانية والآرامية والنبطية.

وقد ثبت أن هذه اللفائف تعود للقرنين الثاني والأول قبل الميلاد، وللقرن الأول بعد الميلاد. بل هي تنتهي تاريخياً بعام ٧٠ م دون انقطاع(2).

---

(١) دراسة لموريس ص ١٩.

(٢) التوراة بين الوثنية والتوحيد ص ٨٥ ـ ٨٧ وص ٩٤ وص ٩٧.

وقد أثارت هذه المخطوطات ثائرة العلماء ورجال الدين في جميع عواصم العالم. وأهميتها تكمن في أنها أقدم مخطوطات للكتاب المقدس عثر عليها، وأن مما تقرره أن المسيح ـ عليه السلام ـ كان مسياً المسيحيين، وأن هناك مسيًّا آخر[1].

وقد اتضح من المكتشفات والآثار والتحاليل والدراسات ما يلي:

١ ـ إن الفئة التي كانت تسكن في تلك المواقع كانت فئة متنسكة في حياتها اليومية وفي طقوسها الدينية. كما كانت مضطهدة لفترة لا تقل عن ثلاثمائة سنة متتالية.

٢ ـ هذه الفئة كانت تخاف على نفسها وعلى معتقداتها. ولذلك جمعت كل ما لديها من كتب دينية قبل المسيح وبعده، ووضعتها في أمكنة سرية يصعب الوصول إليها.

٣ ـ اتفق العلماء على أنها فئة خارجة عن اليهودية التقليدية وعن المحتلين الرومان بيد أنهم اختلفوا في تحديدها. وقد رجح أكثرهم أنها من فئة الأبيونيين (Ebionities) القدماء، وهم يهود تبعوا المسيح ـ عليه السلام ـ وسبب الترجيح أنه أشير في المخطوطات إلى شخص رئيس أو عظيم باسم أستاذ العدل. وهو يشبه بتصرفاته وأقواله وأعماله المسيح ـ عليه السلام ـ إلى حدٍّ بعيد كما ترويها الأناجيل. حتى إن بعضهم ليجزم بأنه المسيح. وإلا فمن أستاذ الحق رئيس تلك الفرقة الذي لم يسم باسمه ولا مرة، إن لم يكن هو المسيح؟[2].

الترجمة التي اعتمدها النصارىٰ:

دونت أسفار العهد القديم جميعها تقريباً باللغة العبرية ـ كما سلف ـ بيد

---

(١) محمد رسول الله هكذا بشرت الأناجيل لبشرى ميخائيل ص.

(٢) التوراة بين الوثنية والتوحيد ص ٨٨ ـ ٩٠ وص ٩٧. قلت: وقد سمعتُ نبأ اكتشاف هذه اللفائف من إذاعات كثيرة وقتئذٍ. وذكر بعضها أن كنيسة الفاتيكان وضعت يدها عليها، ثم أحيط معظمها بالسرية.

أن التراكيب والأساليب وبعض المفردات تختلف باختلاف هذه الأسفار، وتنم عن العصور التي ألف فيها كل سفر. ويستثنى من ذلك أجزاء يسيرة وبعض أجزاء ألفت من أول الأمر باللغة الآرامية.

والنصارىٰ لم يأخذوا عن التوراة العبرانية مباشرة. بل إنما أخذوا عن الترجمة اليونانية التي تعرف بالترجمة السبعينية. فقد كان قدماؤهم لا يعتقدون بالنسخة العبرية التي لدى اليهود، ويرونها محرفة. ولا سيما في آخر القرن الثاني الميلادي، فإنه لم يلتفت إليها منهم أحد[1].

وظلت الترجمة السبعينية اليونانية هي المعتمدة لدى النصارىٰ حتى القرن السابع بعد الميلاد، حيث اعتمدت الكنيسة الرومانية الترجمة اللاتينية. وقد أقرت الكنيسة الكاثوليكية جميع الأسفار والأجزاء التي تزيد بها الترجمة اللاتينية عن الأصل العبري، وجعلتها أسفاراً وأجزاءً مقدسة من أسفار العهد القديم وأجزائه[2].

ولا زالت الكنيسة اليونانية والكنائس الشرقية إلى هذا الحين مجمعة على صحة الترجمة اليونانية واعتمادها[3].

أما الكنيسة البروتستانتية، فلم تأخذ إلا بالأسفار المعترف بها لدى اليهود. وتوراة اليهود تضم عدداً من الأسفار دون العدد القانوني لدى الكنيسة، مع أن الكنيسة أخذت هذه الأسفار من اليهود دون غيرهم، والرواية اليهودية الرسمية تقول: إن مؤتمراً عقد في مدينة (جبنة) في فلسطين غربي القدس عام ٩٠ م أو ١٠٠ م، وقد حدد الأسفار المقبولة وغير المقبولة قانوناً.

فاليهود اعترفوا بعدد أقل من الأسفار، وليس بعدد أكبر كما كان متوقعاً

---

(١) إظهار الحق ١/٣٣٨، دراسة لموريس ص ٥ المقدمة.

(٢) دراسة لموريس ص ١٨ - ١٩، الأسفار المقدسة لعلي ص ١٨ - ١٩، التوراة بين الوثنية والتوحيد ص ٣٦.

(٣) إظهار الحق ١/٢١٨، تقديم كتاب شفاء الغليل للدكتور أحمد حجازي ص ١٣.

بعدما أعلنوا النص الماسوري. وهم يدخلون جميع ما تزيد به الترجمتان اليونانية السبعينية واللاتينية ضمن القسم المسمىٰ بالأسفار الخفية.

والبروتستانت أخذوا الأسفار المقبولة يهودياً في القرن السادس عشر للميلاد. وأول توراة لم تضم الأسفار الخفية هي المعروفة باسم توراة (مايلز كوفرديل) ويعود تاريخها إلى عام ١٥٣٥ م[1]. ولذلك قرر مجمع (ترنتو) في ٨/٤/١٥٤٦ م أن كل كتب العهد القديم والجديد قانونية، ولا سيما ترجمة أيرونيموس اللاتينية (فولغاتا) وأرفق بقراره قائمة محددة لها. وهو ما أكده مجمع الفاتيكان الأول عام ١٨٦٩ م[2].

(١) الأسفار المقدسة لعلي ص ١٨ ـ ٢٠، التوراة بين الوثنية والتوحيد ص ١٢ وص ١٠٧ ـ ١٠٨.

(٢) الشرائع الدينية لأحمد يسري ص ١٦٠.

يتبين مما تقدم أن التوراة الحقيقية ضاعت خلال عصيان اليهود وارتدادهم. ثم ضاع بديلها في أثناء الغارات المتتالية على القدس. وأن ما يسمى اليوم بالتوراة، إنما هو مجموعة من القصص والروايات التي كانت مشتهرة بين اليهود، قام أحبارهم بجمعها وكتابتها بعد موسى بزمن طويل، من غير تدقيق ولا تثبت[1]. ويظهر ذلك من النواحي التالية:

١ ـ عدم وجود سند لها:

ليس للتوراة التي بين أيدي اليهودي والنصارىٰ شبه سند، فضلاً عن أن تكون منقولة بالتواتر. فإن موسى ـ عليه السلام ـ لم يبد لعامة بني إسرائيل إلا نصف سورة. ودفع بقية التوراة إلى أولاد هارون، وجعلها فيهم، وصانها عمن سواهم كما سلف.

فالهارونيون وحدهم هم الذين كانوا يعرفون التوراة، ولم يكن حفظها غيباً فرضاً عندهم ولا مستحباً. بل إنما كان كل واحد منهم يحفظ فصلاً منها. ومن العجب أن اليهود والنصارى يقرون أن التوراة كانت طوال مملكة بني إسرائيل عند الكاهن الهاروني الكبير وحده، ثم يدعون إنها متواترة!

وهبها كانت متواترة بين أولاد هارون في زمن موسىٰ وبُعيده. فإن تواترها

(١) إظهار الحق ١/٥٩.

قد انقطع خلال عصيان اليهود وارتدادهم إبان عهد القضاة والملوك. وحادثة الملك يوشيا خير دليل على ذلك. فالنسخة التي زعم أنها وجدت بعد سبعة عشر عاماً من حكمه لا اعتماد عليها كما سلف. إذ لا يمكن أن يثبت بها سند كما هو معروف في علم الرواية ونقل الأخبار. ولو سلمنا بأنها هي، فإنه لم يعمل بها إلا مدة ثلاث عشرة سنة، وهي الفترة المتبقية من حكمه. أما بعد موته فلم يعلم حالها ولا مصيرها. والظاهر أنه لما رجع الكفر والارتداد وتمكنا من أولاد يوشيا زالت التوراة. فإن ابنة (يهواحاز) الذي حكم من بعده ارتد وأشاع الكفر، ثم أكمل إخوته من بعده الفساد الذي بدأ به. ولا سيما (يهواقيم) فإنه قتل الأنبياء وأحرق كتبهم. ولو فرض بقاؤها، فالمقطوع به أنها انعدمت هي وسائر كتب العهد القديم عن صفحة الوجود في حادثة بختنصر. مع أن كتب التاريخ شاهدة بأن العهد القديم، كان أبتر قبل حادثة بختنصر، أما بعدها فما بقي له إلا الاسم، ولو لم يُدوّن عزرا وغيره هذه الكتب مرة أخرىٰ لانعدمت في زمانه، فضلاً عن الزمان الآخر. وأهل الكتاب جميعاً مقرون بهذا.

والتوراة التي كتبها عزرا ليست هي التوراة التي أنزلت على موسىٰ ـ عليه السلام ـ وأهل الكتاب يقولون: إنه بعد انعدامها كتبها عزرا بإلهام مرة أخرىٰ، وقارنها ببعض النصوص، وأعانه في بعضها الرسولين: حجي وزكريا. ولو كانت إياها لرجع إليها مباشرة ونقل على حسبها ولم يخالفها ويعتمد على الأوراق الناقصة التي لم يقدر على التمييز بين الغلط والصحيح منها. وعليه فلا تكون هذه التوراة معتمدة حتى لو نقلها عزرا أو أملاها.

ثم ضاع أيضاً ما كتبه عزرا وغيره في حادثة أنتيوخوس الرابع، ثم في حادثة تيطس الروماني. فلا يصح شيء مما ذكروه من الكتب[1].

---

(١) هداية الحيارىٰ ص ٥٨١ وص ٥٨٤، إظهار الحق ١/ ٥٨ و٢٢٨ ـ ٢٢٩ و ٢٢٦، تنقيح الأبحاث لابن كمونة ص ٢٧ و ص ٢٩، الجواب الصحيح ٢/ ١٨ ـ ١٩.

شهادة المحققين والباحثين:

قرر العالم ول. ديورانت[1]: أنه لم يبق لدينا من شريعة موسىٰ ـ عليه السلام ـ سوى الوصايا العشر.

وقال أدموند جاكوب[2]: كان الكتاب المقدس قبل أن يكون مجموعة أسفار تراثاً شعبياً لا سند له إلا الذاكرة. وهي العامل الوحيد الذي اعتمد عليه في نقل الأفكار. وكان هذا التراث يغنىٰ به في مختلف المناسبات مثل أغاني الطعام والاحتفال بنهاية الحصاد وأناشيد العمل[3].

وقال العالم الكاثوليكي جان ميلز[4]: اتفق أهل العلم على أن نسخة التوراة الأصلية، وكذا نسخ كتب العهد القديم ضاعت في أيدي عسكر بختنصر. ولما ظهرت نقولها بوساطة عزرا ضاعت تلك النقول أيضاً في حادثة أنتيوخوس.

وجاء في المجلد العاشر من دائرة المعارف (يابيني)[5] أن الدكتور إسكندر كيدس، وهو من المعتمدين لدى النصارىٰ قال في مقدمة الكتاب المقدس ما يلي: ثبت لي بظهور الأدلة الخفية ثلاثة أمور جزماً:

---

(١) في كتابه (قصة الحضارة). انظر اليهودية لأحمد شلبي ص ٢٥٩.

(٢) انظر دراسة لموريس ص ٢٠.

(٣) يحاول سهيل ديب في كتابه (التوراة بين الوثنية والتوحيد) إبطال الفكرة القائلة بانتقال العهد القديم شفوياً من جيل إلى جيل حتى تمت كتابته بعد الميلاد بقرن أو أكثر كما في ص ١٠ و ص ٢٣ ـ ٢٤ وص ٣٦ وص ٨٧ ـ ٨٨ وغير ذلك. وبرهانه إنما ينحصر في وجود التشابه بين النصين السبعيني والعبري وبين مكتشفات البحر الميت. لكنه لم يذكر من قام بالمقارنة أو عن أية جهة صدر هذا القول. وإذا كان هو الذي قام بالمقارنة فكان الأولى أن يصرح بذلك. ولو سلمنا بوجود التشابه ـ مع أن الخلافات كثيرة كما سيأتي إن شاء الله ـ فإن هذا لا يقف أمام تلك الأدلة والإثباتات التي ذكرت فتأمل ذلك.

(٤) إظهار الحق ١/ ٢٢٩.

(٥) إظهار الحق ١/ ٦١.

ـ الأول: إن التوراة الموجودة ليست من تصنيف موسىٰ.

ـ الثاني: إنها كتبت في كنعان أو أورشليم. ولم تكتب في عهد موسىٰ حيث كان بنو إسرائيل في ذلك الوقت في الصحارىٰ.

ـ الثالث: لا يثبت تأليفها قبل حكم داود، ولا بعد زمان حزقيال. بل أنسب تأليفها إلى زمان سليمان. أي قبل ألف سنة من ميلاد المسيح تقريباً.

وقال العالم نورتن[1]: ليس ثمة فرق يعتد به في محاورة التوراة ومحاورات سائر الأسفار من العهد العتيق التي كتبت في الزمن الذي أطلق فيه بنو إسرائيل من أسر بابل، مع أن ما بين هذين الزمانين تسعمائة عام. وقد علم بالتجربة أنه يقع الفرق في اللسان بحسب اختلاف الزمان. ولذلك ظنَّ ليوسلن الذي له مهارة كاملة في اللسان العبراني أن هذه الكتب صنفت في زمان واحد.

وصفوة القول: إنه قد ظهر للباحثين، ولا سيما في القرن التاسع عشر، من ملاحظة اللغات والأساليب التي كتبت بها هذه الأسفار، وما تشتمل عليه من موضوعات وأحكام تشريعية، ومن ملاحظة البنية الاجتماعية والسياسية التي تنعكس فيها، أنها ألفت في عصور لاحقة لعصر موسىٰ بأمد غير قصير. كما تبين لهم أنها جميعاً مكتوبة بأقلام يهود، وتتمثل فيها عقائد وشرائع مختلفة تعكس الأفكار والنظم المتعددة التي كانت سائدة لديهم في مختلف أدوار تاريخهم الطويل كما سيأتي[2].

٢ ـ جهالة الكتاب الحقيقيين لأسفار العهد القديم:

العهد القديم كتاب تاريخ مؤلف تأليفاً كما هو واضح من نصوصه. وهو يشمل فترة طويلة لا تقل عن ألفي سنة سبقت الميلاد. وقد استمر هذا

---

(١) المصدر السابق، الصفحة ذاتها.

(٢) الأسفار المقدسة لعلي ص ١٦.

التأليف ـ : إذا نظرنا إلى المراحل المختلفة من تاريخ اليهود ـ قرابة (١٣٠٠) سنة، أي من تاريخ الخروج التقديري عام ١٤٥٠ ق.م. إلى تاريخ وضع سفر دانيال عام ١٣٠ ق.م. لكن الحقيقة أن هذا التأليف ابتدأ قُبيلَ العودة من بابل إلى أن كُتب سفر دانيال. وهذا إذا استثنينا الأسفار الخمسة. وقد حرر معظمه بعد سنوات عديدة من وقوع الأحداث الموصوفة فيه. قد تبلغ مئات السنين. وهذا ما أدى إلى غموض تاريخه ونشأته.

أما تسجيله في نص متكامل على الشكل الذي نعرفه اليوم، فلم يتم إلا بعد فترات زمنية طويلة جداً. ونتيجة لذلك كان على الكتبة أن يعتمدوا على الذاكرة الجماعية والأساطير والقصص المنقولة شفوياً من جيل إلى آخر. وقد سجل كل منهم تاريخه على طريقته الخاصة، وبمعزلٍ عن التواريخ المجاورة أو المزامنة له:

ويحمل كل سفر منه اسم مؤلفه المفترض أنه أحد أنبياء بني إسرائيل. لكن الحقيقة والواقع أن مؤلفيه الحقيقيين مجهولون، وهم موضع تخمين يفتقر إلى التوثيق[1]. وقد أثبتت التحقيقات والتحريات العلمية أن هذه الأسفار تنسب لأشخاص لم يكتبوها، وأن بعض من نسبت إليهم ليس لهم وجود في التاريخ. وقد وضعت تلك القصص وضعاً لهدف معين. كما أن بعض الأسفار ليس في الحقيقة إلا أساطير وأغنيات شعبية، لصقها الكتاب ببعض الأنبياء أو المتنبئين من اليهود[2].

من كتب التوراة؟

ظل اليهود والنصارى لقرون طويلة يعتقدون أن موسىٰ ـ عليه السلام ـ هو كاتب التوراة التي بين أيديهم. وربما كان الدافع إلى ذلك ما جاء في بعض الأسفار موهماً به:

---

(١) التوراة بين الوثنية والتوحيد ص ١٢ ـ ١٣، وانظر المقدمة ص ٤ ـ ٥.

(٢) إظهار الحق ١/٥٩، دراسة لوريس ص ٢٣، اليهودية لأحمد شلبي ص ٢٥٩.

ففي سفر الخروج ١٧/١٤: فقال الرب لموسى: اكتب هذا تذكاراً في الكتاب، وضعه في مسامع يشوع. فإني سوف أمحو ذكر العماليق من تحت السماء.

وفي سفر العدد ٣٣/٢: وكتب موسى مخارجهم برحلاتهم حَسَبَ قول الرب.

وفي سفر التثنية ٣١/٩: وكتب موسى هذه التوراة، وسلمها للكهنة بني لاوي حاملي تابوت عهد الرب ولجميع شيوخ إسرائيل.

أما اليوم فقد هجر هذا الفرض هجراً تاماً. وعلماء اليهود والنصارى في عصرنا يعترفون بأن التوراة الحالية لم يكتبها موسى، وأن ازدياداً تدريجياً قد وقع فيها، سببته مناسبات وملابسات دينية واجتماعية، وضعه كتاب عديدون بعد موسى، ويذكر الأب ديغو أن التراث اليهودي الذي امتثل له عيسى ـ عليه السلام ـ والرسل كان مقبولاً حتى نهاية القرون الوسطى[1].

ومن يقرأ التوراة السامرية والعبرانية وما ترجم عنهما يجزم بأن موسى ـ عليه السلام ـ لم يكتبها البتة. والنصوص التالية شاهدة بذلك:

١ ـ جاء في سفر التكوين ٢٢/١٤: فدعا إبراهيم اسم ذلك الموضع (يَهْوَه يِرْأَه) حتى إنه يقال اليوم: (في جبل الرب يرىٰ).

وفي التوراة السامرية: ودعىٰ إبراهيم اسم ذلك الموضع (الله ينظر) الذي يقال اليوم: في جبل الله يستجاب.

وقد ذكر المفسر آدم كلارك في مقدمة تفسير سفر عزرا أنه لم يطلق على هذا الجبل اسم (جبل الله) إلا بعد بناء الهيكل في عهد سليمان، أي بعد وفاة موسى بـ (٤٥٠) سنة. وحكم بأن هذه الجملة ملحقة[2].

---

(١) دراسة لموريس ص ٢٧، وهو ينقل عن مقدمة الكتاب المقدس الطبعة الكاثوليكية سنة ١٩٦٠ م، التوراة بين الوثنية والتوحيد ص ١٣.

(٢) إظهار الحق ١/٢٤٢.

٢ ـ وفي ٣١/٣٦ من السفر نفسه: وهؤلاء هم الملوك الـذين ملكوا في أرض أدوم، قبلما مَلَكَ مَلِكٌ لبني إسرائيل.

ولا يمكن أن تكون هذه الفقرة من كلام موسى ـ عليه السلام ـ لأنها تدل على أن قائلها إنما عاش بعد قيام مملكة إسرائيل. وكان أولَ ملك لهم شاؤل ـ طالوت ـ وقد ملك بعد وفاة موسى بـ (٣٥٦) عاماً. قال المفسر آدم كلارك في المجلد الأول من تفسيره: غالب ظني أن موسى ما كتب هذه الفقرة، ولا الفقرات التي بعدها إلى الفقرة (٣٩) بل هذه الفقرات هي فقرات السفر الأول من أخبار الأيام. وأظن ظناً قوياً أنها كانت مكتوبة على حاشية نسخة من التوراة. فظن الناقل أنها جزء من المتن، فأدخلها فيه اهـ. وقد ذكر المفسر البروتستانتي هورن نحو ذلك في المجلد الأول[١].

٣ ـ وجاء في سفر التثنية ١٤/٣: يائير بن مُنَسَّى أخذ كل كورة أرجوب إلى تخم الجشوريين والمعكيّين. ودعاها على اسمه باشان حَوّوت يائير إلى هذا اليوم.

وهذه الفقرة لا يمكن أن تكون من كلام موسى ـ عليه السلام ـ لأن المتكلم بها لا بد أن يكون متأخراً عن (يائير) بزمن طويل. كما يشعر قوله (إلى اليوم) لأن أمثال هذا اللفظ لا تستعمل إلا في الزمن الأبعد. ولو كان المصنف هو موسى نفسه لما قال ذلك. ويظهر أن المصنف كان بعد زمن إقامة اليهود في فلسطين كما قال المفسر هورن في المجلد الأول. ورجح أن ثمة ألفاظاً كانت في الحاشية، ثم ألحقت في الأصل. لكنه لم يذكر دليلاً على ذلك، واكتفى بالظن[٢].

---

(١) المرجع السابق ١/٢٣٩ ـ ٢٤٠.

(٢) إظهار الحق ١/٢٤٠ ـ ٢٤١. وقد نبه المؤلف إلى أن (يائير) ليس ابن (مُنَسَّى) بل هو ابن (ساغب) كما في السفر الأول من أخبار الأيام.

٤ ـ جاء في سفر العدد ١٢/٣: وأما الرجل موسى فكان حليماً جداً أكثر من جميع الناس الذين على وجه الأرض.

فمن الملاحظ أن الكاتب عبر عن موسى بصيغة الغائب. وقد ورد كثير مثله في جميع أسفار التوراة. ولا يستطيع عاقل أن يدعي أن هذه الفقرات من كلام موسى. إذ لو كانت من كلامه لعبر عن نفسه بصيغة المتكلم، أو على الأقل في بعض المواضع. لأن التعبير بصيغة المتكلم يقتضي زيادة الاعتبار.

ويظهر أن الكاتب جمع هذا الكتاب من الروايات والقصص المشتهرة فيما بين اليهود. وميَّزَ بين هذه الأقوال بأن أدرج ما كان في زعمه قولاً لله أو قولاً لموسى، تحت (صيغة قال الله أو قال موسى) وعبَّر عن موسى في جميع المواضع بصيغة الغائب[1].

٥ ـ جاء في سفر التثنية ٣٤/٥ ـ ٦): فمات هناك موسى عبد الرب في أرض مؤاب حسب قول الرب. ودفنه في الجواء في أرض مؤاب مقابل بيتِ فَغورَ. ولم يعرف إنسان قبره إلى هذا اليوم.

٣٤/٧: وكان موسى ابن مائة وعشرين سنة حين مات. ولم تكل عينه، ولا ذهبت نضارته.

٣٤/٨: فبكى بنو إسرائيل موسى في عَرَبات مؤاب ثلاثين يوماً..

٣٤/٩: ويشوع بن نون كان قد امتلأ روح حكمة. إذ وضع موسى عليه يديه، فسمع له بنو إسرائيل..

٣٤/١٠: ولم يقم بعد نبي في إسرائيل مثل موسى الذي عرفه الرب وجهاً لوجه.

وفي السامرية: ولا يقوم أيضاً نبي في إسرائيل كموسى الذي ناجاه الله شفاهاً.

---

(١) إظهار الحق ١/٦٠.

والعقول تستبعد كل الاستبعاد أن يكون هذا الباب نزل على موسىٰ حال حياته. ثم أخبر به موسى وهو حي بلسان الماضي يحكي فيه موته ودفنه وبكاء الناس عليه وعدم معرفتهم لقبره.. أما عدم قيام نبي من بعده في بني إسرائيل مثله، فمن الواضح أن مثل هذه العبارة لا تقال إلا بعد موته بزمن ليس بالقصير[1].

وقد أشار (كارلتشاد)[2] في القرن السادس عشر إلى استحالة أن يكون موسى ـ عليه السلام ـ كتب بنفسه كيف مات.

وزعم بعض أهل الكتاب أن يوشع بن نون أمره الله أن يكتب ذلك في آخر التوراة، ويجعله منها. لكن ثمة فقرات تدل دلالة يقينية على أن مؤلف هذا الكتاب لا يمكن أن يكون قبل عصر داود البتة. وعلماء النصارى يقولون رجماً بالغيب: إنها من ملحقات نبي من الأنبياء.

وهذا مردود لأمرين:

الأول: إن الفقرة ٣٤/٩ عبرت عن يشوع بضمير الغائب. فلا يعقل أن يكون هذا من كلامه.

الثاني: إنه ادعاء بدون برهان. إذ لم يكتب نبي من الأنبياء في كتابه أنه ألحق الفقرة الفلانية في الباب كذا من السفر كذا. أو أن غيره من الأنبياء ألحق كذا بكذا. ولم يثبت هذا أيضاً بنقل قطعي. فما لم يقم دليل قوي على الإلحاق، تكون هذه الفقرات والأبواب أدلة كاملة على أن هذا الكتاب الذي يسمونه التوراة ليس من تصنيف موسى ـ عليه السلام ـ. هذا هو الظاهر من حال توراتهم. والذي يشهد له الظاهر مقبول ما لم يقم دليل قوي على خلافه. ومن ادعىٰ خلاف الظاهر فعليه البيان[3].

---

(١) الفصل ١/١٨٥ ـ ١٨٦، الأجوبة الفاخرة ص ٨٥.

(٢) دراسة لموريس ص ٢٧.

(٣) إظهار الحق ١/٥٨ ـ ٦٠ و ٢٢٨ ـ ٢٢٩ و ٢٨٩.

وقد قرر اليهودي العبراني الفيلسوف (سبينوزا) في كتابه (رسالة في اللاهوت والسياسة) بأدلة من التوراة العبرانية، أن موسى لم يكتب هذه التوراة. أما كاتبها، فلا يمكن أن يشتبه إلا في أنه عزرا. كتبها ببابل في أثناء سبي بختنصر. واستشهد بعبارات للحبر إبراهيم بن عزرا[1].

وورد في معجم الكتاب المقدس الذي طبع في أمريكا وإنكلترا والهند، والذي شرع في تأليفه (كالمنت) ثم أكمله (زابت) و (تيلر) أن بعض الجمل في كتب موسى تدل صراحة على أنها ليست من كلامه، مثل الآية (٤٠) من الباب (٢٢)، من سفر العدد، والآية (١٤) من الباب (٢) من سفر الاستثناء. وكذلك فإن بعض أبواب هذا الكتاب، ليست على محاورة كلام موسى. ولا نقدر أن نقول جزماً إنَّ فلاناً ألحق هذه الجمل والعبارات. لكن نقول بالظن الغالب: إن عزرا النبي ألحقها كما ينبىء عنه الباب التاسع والعاشر من كتابه والباب العاشر من كتاب نحميا[2].

قال (كليمنس إسكندر يانوس): إن الكتب السماوية ضاعت، فألهم عزرا أن يكتبها مرة أخرىٰ اهـ.

وقال تيهو: إن الكتب المقدسة انعدمت رأساً، فأوجدها عزرا مرة أخرى بإلهام اهـ.

إذاً ليس في التوراة ما يدل على اسم الكاتب. وأهل الكتاب يشتبهون في أن عزرا كتبها من حفظه بعد انقطاع أثرها بإلهام الروح القدس، لعبارات وردت في سفري عزرا ونحميا:

ففي سفر عزرا ٧/ ١٠ ورد أن عزرا قام بكتابة التوراة من جديد على بقايا التوراة السابقة المفقودة، بعد أن هيأ قلبه لطلب شريعة الرب والعمل بها اهـ.

---

(١) تعريف بالتوراة السامرية لأحمد حجازي ص ٢١ .

(٢) إظهار الحق ١/ ٢٤٢ .

ويظهر أن عزرا جمع من محفوظاته، ومن الفصول التي يحفظها الكهنة ما لفق منه هذه التوراة التي بين أيديهم. وقد زاد فيه ونقص بحسب أغراضه ـ أو أغراضهم ـ فهي في الحقيقة كتاب عزرا، وليست كتاب الله. ولذلك بالغوا في تعظيمه غاية المبالغة[1].

قال الشيخ رحمة الله الهندي[2]: فهؤلاء العلماء ما قدروا أن يبينوا اسم الملحق، وإنما نسبوا إلى عزرا ظناً. وهذا الظن ليس بشيء. فإنه لا يظهر من الأبواب المذكورة أن عزرا ألحق شيئاً في التوراة ـ أي قال: هذا من التوراة، وهذا ألحقته بها ـ لأنه يفهم من كتاب عزرا أنه تأسف على أفعال بني إسرائيل واعترف بالذنوب. ويفهم من كتاب نحمياً أن عزرا قرأ التوراة عليهم اهـ.

ويؤكد ريشار سيمون في كتابه: «التاريخ النقدي للعهد القديم» على الصعوبات الخاصة بتسلسل الأحداث والتكرار، وفوضى الروايات، وفوارق الأسلوب في أسفار موسى الخمسة[3].

ويقول الباحث ج. سميث عن سفر الخروج: إن هذا السفر لم يكتب إلا بعد فترة طويلة من الأحداث الواردة فيه، وربما كانت هذه الأحداث محفوظة جيلاً عن جيل، إذ كان بعضها ـ كما لا يزال حتى الآن ـ ضمن التلاوة الدينية التي يرتلها رجال الدين في المناسبات. وبخاصة في عيد الفصح[4].

ونقل محمد فريد وجدي في دائرة معارفه ٢/٧٠٢ عن دائرة معارف لاروس أن الأبحاث المستفيضة في الآثار القديمة والتاريخ وعلم اللغات، أثبتت أن التوراة لم يكتبها موسىٰ، وأنها من عمل أحبار لم يذكروا اسمهم

---

(١) إظهار الحق ١/٢٢٨ ـ ٢٢٩، هداية الحيارىٰ ص ٥٨٤، تنقيح الأبحاث ص ٢٩، تعريف بالتوراة السامرية ص ٢١، الأجوبة ص ٧٩.

(٢) إظهار الحق ١/٢٤٢.

(٣) دراسة لموريس ص ٢٧ ـ ٢٨.

(٤) اليهودية لأحمد شلبي ص ٢٦٠.

عليها، ألفوها على التعاقب معتمدين في تأليفها على روايات سماعية، سمعوها قبل سبي بابل اهـ.

ويتضح من كل ذلك أن خمسة الأسفار المنسوبة إلى موسى ـ عليه السلام ـ مكونة من أقوال موروثة، وقصص وروايات مختلفة، كانت مشتهرة بين اليهود، جمعها أحبارهم. فوضعوا ما جمعوه جنباً إلى جنب من غير نقد تارة، وغيروا من شكل هذه الروايات تارة أخرى، بهدف إيجاد وحدة مركبة تاركين للعيون أموراً غير مقبولة، بل متنافرة. فكان من شأنها أن قادت الناس إلى البحث الموضوعي عن المصادر[1]. وقد تمكن العلماء بعد دراسات طويلة وعميقة من تحديد أربع مدارس أو مجموعات من المؤلفين، قامت بهذه المهمة. وهي:

أ ـ المدرسة اليهوية:

ويعود إليها تأليف القسم الذي يسيطر فيه الإله (يهوه) على الأمور. ولذلك نسبت إليه.

لغة هذه المدرسة فجة واقعية غير منمقة. تسمي الأشياء بأسمائها. وهي صريحة لا تستعمل التورية عند وصف بعض الأعمال أو الوقائع.

والفكرة الدينية أو السياسة السائدة لدى هذه المدرسة، إثبات أن شعب إسرائيل هو شعب الله المختار في أرض كنعان. وهي شغلها الشاغل.

ب ـ المدرسة الإيلوهية:

نسبة إلى (أيلوهيم) إله إسرائيل الثاني. أو الاسم الثاني لإلههم.

ولغة هذه المدرسة أكثر تنميقاً وتهذيباً وعمقاً من لغة الأولىٰ. وهي تعتمد على التشابيه والتورية لتوجيه رسالتها.

---

(١) دراسة لموريس ص ٢٩، إظهار الحق ١/٥٩ ـ ٦٠، وانظر عند موريس الصفحات ٢٣ و٢٨ ـ ٣٠ و٦١ فهناك تمييز لعدد مصادر بعض الأسفار.

ويعود لهاتين المدرستين تحرير معظم سفري التكوين والخروج.

جـ ـ المدرسة الدينية ـ ومدرسة الكهنوت ـ :

وتمتاز هذه المدرسة بإعطاء التعليمات عن الطقوس الدينية وكيفية تطبيق تعاليم الدين. وهي تستعمل أيضاً عبارة (أيلوهيم) للإشارة إلى الله، دون (يهوه)[1].

ولغتها جافة. ولعل ذلك عائد إلى المواضيع التي تتطرق إليها مثل تحديد الأصول والأنساب ونحو ذلك. ويعود لهذه المدرسة تحرير سفر العدد وبعض السفرين السابقين.

٤ ـ مدرسة التثنية:

وتمتاز بلهجتها الخطابية التي تدعو فيها اليهود إلى اتباع الشريعة وتطبيق العهد.

---

(١) لعل الزمن الطويل الذي انقضى بين تأليف التوراة بعد ضياعها وبين تحريرها بشكلها النهائي هو أحد أسباب ما انفرد به اليهود في عدم معرفتهم الأكيدة لاسم إلههم. وجرى العرف على تفسير ذلك بأن طريقة لفظ اسم الجلالة المقدس غير معروفة. وذلك لتحريم نطقه على العامة من اليهود حتى لا يساء استعماله ويفرغ من مضمونه. ثم اندثرت طريقة لفظه بعد ذلك. والأقرب للواقع هو أن الفترة الطويلة المتعاورة بين تعدد الآلهة والتوحيد، جعلت اسم الإله مسألة ثانوية ريثما يتم الاجماع على التوحيد. وعندما يتم ذلك تأتي الصعوبة في تحديد الاسم وتثبيته بشكل نهائي. وكلما أدلى أحد مشاركي التأليف بدلوه في وضع الشريعة أتت المحاولة مختلفة عن السابقة في الأسلوب الأدبي واللغوي. وكذلك في اسم الإله الواحد. ومن ثم تعددت الأسماء التي أطلقت على هذا الإله بحسب الطوائف والقبائل وامتداد الزمن. ومن أسماء الإله عندهم ما يلي: (إيل) أي الله باللغات السامية ومنها العبرية. وهي التسمية التي استخدمها الموحدون الحقيقيون. (إيلوهيم) أي الآلهة بصيغة الجمع. ولعلها التسمية التي أطلقها المشركون الذين رأوا فيما بعد أن التوحيد إنما هو انصهار جميع الآلهة في إله واحد. (آدوناي) أي سيدي باللغات السامية. (يهوه) وهو اسم أحد آلهة العبرانيين القبلية. انظر التوراة لسهيل ص ١٥ ـ ١٦.

ويعود لهذه المدرسة تحرير أسفار الشريعة[1].

وصفوة القول: إن التوراة التي بين يدي أهل الكتاب تختلف كل الاختلاف عن التوراة التي أنزلها الله على موسى والتي فيها هدىً ونور. وإلى هذا يشير الله تعالى بقوله: ﴿ **فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم، ثم يقولون: هذا من عند الله * ليشتروا به ثمناً قليلاً * فويل لهم مما كتبت أيديهم * وويل لهم مما يكسبون** ﴾ ـ البقرة/ ٧٩ ـ .

وبقوله: ﴿ **من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه** ﴾ ـ النساء/٤٦ ـ .

وبقوله: ﴿ **فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية * يحرِّفون الكلم عن مواضعه، ونسوا حظاً مما ذكروا به** ﴾ ـ المائدة/٨٣.

من كتب سائر الأسفار؟

قرر الباحثون والمحققون أن مؤلفي سائر أسفار العهد القديم كانوا متأخرين في الزمن جداً عمن نسبت إليهم ـ كما سلف ـ وأنه لا تعرف أسماؤهم وأحوالهم على وجه راجح. والأمثلة التالية فيها إيضاح لذلك:

١ ـ سفر يشوع:

لم يعرف حتى الآن على وجه الجزم اسم مؤلفه ولا زمان تأليفه. ولهم في ذلك خمسة أقوال:

أ ـ المشهور أنه من تصنيف يوشع بن نون.

ب ـ ويرى بعضهم، ومنهم الدكتور لائت فت، أنه من تصنيف فنيحاس.

جـ ـ وقال كالون: إنه من تصنيف اليعازر.

د ـ وقال وانتل: إنه من تصنيف صموئيل.

---

(١) التوراة بين الوثنية والتوحيد لسهيل ص ١٣ ـ ١٥ وهو يأخذ عن دراسات الدكتور فريحة ص ٧٩.

هـ ـ ويرى بعضهم، ومنهم هنري، أنه من تصنيف إرمياء. وبين يوشع وإرمياء أكثر من ثمانية قرون. فوقوع مثل هذا الاختلاف الفاحش دليل على عدم وجود سند لهذا الكتاب عندهم.

أما زمان كتابته، فيستحيل أن يكون في زمن يوشع. لأن فيه فقرات لا يمكن أن تكون من كلام يوشع، ويدل بعضها على أن المؤلف كان معاصراً لداود أو بعده:

فلو قارنا الفقرة (١٥/٦٣) منه، مع الفقرات (٥/٦ ـ ٧ ـ ٨) من سفر صموئيل الثاني، لظهر أن هذا الكتاب كتب قبل السنة السابعة من جلوس داود على كرسي الملك. كما قال جامعو تفسير هنري وإسكات في تعليقهم على شرح هذه الفقرة.

وتدل الفقرة (١٠/١٣) منه على أن مصنفه ينقل بعض الأمور عن كتاب اختلفت التراجم في بيان اسمه. ولم يعلم حاله ولا حال مصنفه ولا زمانه. غير أنه يفهم من الفقرة (١/١٨) من سفر صموئيل أن مصنفه معاصر لداود أو بعده.

فالغالب على الظن أن يكون مؤلف كتاب يوشع بعد داود. وعلماء النصارى يقولون رجماً بالغيب: إن هذه الفقرات من ملحقات نبي من الأنبياء بدون أدنى دليل. أضف إلى ذلك التناقض الذي بينه وبين التوراة كما سيأتي إن شاء الله[1].

٢ ـ سفر القضاة:

وفيه اختلاف كبير: فقد نسبه بعضهم إلى فنيحاس، ونسبه آخرون إلى حزقيا. وعليه فلا يكون إلهامياً. وقال بعضهم: إنه من تصنيف إرمياء. وقال بعضهم: حزقيال. وقال آخرون: عِزرا. وبين عزرا وفنيحاس أكثر من تسعة قرون.

---

(١) إظهار الحق ١/٦٦ ـ ٦٧، الأسفار المقدسة لعلي ص ١٧.

وهذه الأقوال كلها يرفضها اليهود. وهم ينسبونه رجماً بالغيب أيضاً إلى صموئيل. فصار فيه ستة أقوال. ولو كان ثمة سند لما وقع هذا الاختلاف الفاحش[1].

٣ - سفر راعوث:

قال بعضهم: إنه من تصنيف حزقيا. وعليه فلا يكون إلهامياً. وقال بعض آخر: عزرا. وقالت اليهود وجمهور النصارىٰ: إنه من تصنيف صَمْوئيل.

وقد كتب في مقدمة الكتاب المقدس الذي طبع سنة ١٨١٩ م في (استاربرك): أن كتاب راعوث قصة بيت، وكتاب يونس حكاية. أي قصة غير معول عليها، وحكاية غير صحيحة[2].

٤ - سفرا أخبار الأيام:

ويرى جمهور أهل الكتاب أن هذين السفرين صنفهما عزرا بإعانة الرسولين حجي وزكريا[3].

٥ - سفر نَحَميا:

مختار أكثرهم أنه من تصنيف نحميا. وعليه، فليس إلهامياً. وقيل: من تصنيف عزرا.

وإذا قبلنا بالمذهب المختار فإن ستاً وعشرين فقرة من الباب الثاني عشر لم تربط بقصة ذلك الموضع ربطاً حسناً. وفي الفقرة ١٢/٢٣ جاء ذكر الملك الفارسي داريوس - أو دارا - وهو بعد مائة عام من موت نحميا. ومفسروهم يحكمون اعتسافاً بأنها ملحقة. ولذلك أسقطها المترجمون إلى العربية.

أما الفقرة ١٢/٢٦ فلا يمكن أن تكون من تصنيف نحميا. ونصها كما

---

(١) إظهار الحق ١/٦٨ و ١٧٤.

(٢) إظهار الحق ١/٦٩ و ١٧٤.

(٣) إظهار الحق ١/١٩٣، و ٢٢٨.

يلي: «كان هؤلاء في أيام يوياقيم بن يَشوع بن يوصاداق، وفي أيام نَحَميا الوالي وعزرا الكاهن الكاتب»[1].

٦ ـ سفر أستير:

لم يعلم مصنفه ولازمان تصنيفه: قال بعضهم: هو من تصنيف علماء المعبد الذين كانوا من زمن عزرا إلى زمن سيمون. وقال (فلو يهودي): هو من تصنيف (يهوكين بن يسوع) الذي جاء بعدما أطلق من سراح بابل. وقال (اكستاين): هو من تصنيف عزرا. وقال آخرون: هو من تصنيف (مردكي) و (أستير)[2].

فهو مطعون بصحته أو على الأقل بأجزاء كثيرة منه. وبخاصة عشر فقرات من الباب العاشر وستة الأبواب التي هي من الحادي عشر حتى السادس عشر. ويلاحظ ذلك لدى قراءة النسخة العربية الكاثوليكية من الكتاب المقدس[3].

٧ ـ سفر أيوب:

وفيه اختلاف كثير، يصل إلى أربعة وعشرين وجهاً. وقد اتفق العالم اليهودي الشهير (رب ممائي ديز) وكثير من علماء النصارىٰ على أن اسم أيوب فرضي، والكتاب محض حكاية باطلة.

والذين اعتمدوا الكتاب لم يتعين عندهم اسم مصنفه. وهم ينسبونه إلى أشخاص رجماً بالغيب. ولو فرضنا أنه من تأليف (أليهو) ـ كما يقول بعضهم ـ أو رجل من أهله، أو رجل مجهول الاسم معاصر لمنسّىٰ، فإنه لا يثبت كونه إلهامياً كما ادعوا[4].

---

(١) إظهار الحق ١/٦٩ و ١٧٤.

(٢) المصدر السابق ١/٧٤.

(٣) إظهار الحق ١/١٧٣ ـ ١٧٤، التوراة لسهيل ص ٨٧.

(٤) إظهار الحق ١/٦٩ ـ ٧٠ و ١٧٤.

٨ ـ مزامير داود:

اختلف أهل الكتاب في اسم كاتبه؛ ولم يعلم مصنف كل مزمور على وجه اليقين:

ذهب فارجن وكريزاستم واكستاين وغيرهم من قدماء النصارىٰ إلى أن هذا الكتاب كله من تصنيف داود ـ عليه السلام ـ لكن هليري وجيروم ويوسي بيس وغيرهم أنكروا قولهم. قال هورن: إن هذا القول غلط محض.

وقال كامت: إن المزامير التي صنفها داود خمسة وأربعون. أما الباقية فهي من تصنيف آخرين.

وقال القدماء من علماء اليهود: إن هذه المزامير من تصنيف الأشخاص التالية أسماؤهم: آدم، إبراهيم، موسىٰ، أساف ـ وهو رئيس المغنين في عهد داود، وقد عينه في هذا المنصب، واشتهر فيما بعد على أنه شاعرٌ ونبيٌّ، وإليه تنسب المزامير: (٥٠) و(٧٣) و(٨٣) ـ همان، جدوتهن، ثلاثة أبناء قورح ـ وهم مغنون في عهد داود ـ أما داود، فقد جمعها في مجلد واحد، ليس غير.

وقال هورن: المختار عند المتأخرين من علماء اليهود وجميع مفسري النصارىٰ أن هذا الكتاب من تصنيف موسىٰ، داود، سليمان، أساف، همان، أتهان، جدوتهن، ثلاثة أبناءقورح.

واختلفوا أيضاً في جمع المزامير في مجلد واحد:

قال بعض المفسرين إن بعض المزامير صنفت في زمان مقابيس. لكن هورن ضعف هذا القول.

وقال بعضهم: إنها جمعت في زمن داود. وقال غيرهم: جمعها أحباء حِزقيال في زمانه.

وقال آخرون: جمعت في أزمنة مختلفة.

وكذلك اختلفوا في أسماء المزامير: قال بعضهم: إنها إلهامية. وقال

آخرون: إن شخصاً من غير الأنبياء سماها بهذه الأسماء[1].

٩ ـ سفر أمثال سليمان:

ادعىٰ بعضهم أنه كله من تصنيف سليمان. وهـذا باطـل يرده اختـلاف المحاورة وتكرار الفقرات. كما ترده الفقرتـان ٣٠/١: «كلام أُجُـور ابن مُتّقية مَسّا. وَحْيُ هذا الرجل إلى إيثيئيل» و ٣١/١: «كلام لَموئيل ملكِ مَسَّا. علمته إياه أمه». وعليه فهذان البابان ليسا بإلهاميين يقيناً.

ولـو فرضنـا أن بعضه من تصنيف سليمـان، فالـظاهر أنـه لم يجمع في عهده. لأن خمسة أبواب منه، وهي التي من ٢٥ حتى ٢٩ جمعها أحباء حزقيا كما تدل الفقرة ٢٥/١: «هذه أيضاً أمثال سليمان التي نقلها رجال حَزَقِيّا ملكِ يهوذا» وكان هذا الجمع بعد (٢٧٠) سنة من وفاة سليمان.

وقـال آخـرون: إن تسعـة أبـواب من أول الكتـاب ليست من تصنيف سليمان، والباب الثلاثون من تصنيف آجـور، والحادي والثـلاثون من تصنيف لَموئيل.

ولم يتحقق لمفسريهم من هذان الرجلان، ومتى كـانا، كمـا لم تتحقق نُبُوَّتهما. لكنهم على حسب عادتهم يقولون رجماً بالغيب: إنهما كـانا نبيين، وإلا لما دخل هذان البابان في الكتب القانـونية. وهـذا مردود. لأن قـدماءهم

---

(١) إظهار الحق ١/٧٠ ـ ٧١.

وذكر الشيخ رحمة الله الهندي أن في الترجمة الفارسية للزبور والمطبوعة سنة ١٨٤٥ م الفقرة ٧٢/٢٠ وترجمتها «وقد انتهت أغنية داود بن يَسِّي» وقال هذا هو المزمور رقم ٧١ في التراجم العربية، وهذه الفقرة ساقطة منها. فالظاهر أن المترجمين أسقطوها ليوهموا أن الكتاب كله من تصنيف داود، كما هـو رأي الفرقـة الأولىٰ، ويمكن أن تكون هـذه الفقرة من إلحاقات الفرقة الثانيـة. وعلى كلٍ التحـريف لازم بالـزيادة أو النقصـان اهـ قلت: وقـد وجـدت في طبعـة ١٩٨٤ م عبـارة (تمت صلوات داود بن يسي) في آخـر المـزمور الثـاني والسبعين لكن دون أن تعطىٰ رقمـاً، وكأنهـا من عمل المشـرف على الطبعة. أما الأرقام فتختلف بين الكاثوليك والبروتستانت.

أدخلوا كتباً كثيرة في الكتب القانونية، وهي مردودة عندهم. ففعلهم ليس بحجة. وما ظنه بعضهم أن (لموئيل) هو اسم سليمان، ردَّة محققوهم.

وصفوة القول: إنه لا يمكن لأحد أن يدعي أن هذا الكتاب كله من تصنيف سليمان، أو أنه هو الذي جمعه. ولذلك اعترف أكثرهم أن أشخاصاً كثيرين مثل حزقيا واشعيا، وربما عزرا أيضاً جمعوه(١).

١٠ ـ سفر الجامعة:

وفيه اختلاف كبير: قال بعضهم: إنه من تصنيف سليمان. وقال العالم اليهودي الشهير (رب قمجي): إنه من تصنيف أشعيا. وقال التلمود: إنه من تصنيف حزقيا. وقال كروتيس: إن (زر بابل) صنفه لتعليم ابنه (أبيهود). وقال العالم النصراني (جهان) وبعض العلماء الألمان: إنه قد صنف بعدما أطلق بنو إسرائيل من أسر بابل. وقال (زر قيل) إنه صنف في زمان (أنتيوكس إيبي فانس) وأن اليهود بعدما أطلقوا من الأسر أخرجوه من الكتب الإلهامية. لكنه أدخل فيما بعد(٢).

١١ ـ سفرنشيد الأناشيد:

قال بعضهم: إنه من تصنيف سليمان أو أحد معاصريه. وقال الدكتور (كني كات) وبعض المتأخرين: إن القول بأنه من تصنيف سليمان غلط محض، بل إنه صُنّف بعد مدة من وفاته.

وقد ذمَّ القَس (تهيودور) ـ وهو من القرن الخامس ـ هذا الكتاب وكتاب أيوب ذماً كثيراً. وكان سيمون وليكلرك لا يسلمان بصدقه. وقال (وستن) وبعض المتأخرين: إنه غناء فسقي، فليخرج من الكتب المقدسة، وقال (وارد) الكاثوليكي: حكم (كاستيلو) بإخراج هذا الكتاب من كتب العهد القديم لأنه

---

(١) إظهار الحق ١/٧٢ ـ ٧٣ و ١٧٤.

(٢) إظهار الحق ١/٧٣ ـ ٧٤ و ١٧٤.

غناء نجس. وقال (سِمْلر): الظاهر أن هذا الكتاب جُعلي[1].

١٢ ـ سفر إشَعْياء: ـ

قال العالم الألماني الشهير (أستاهلن): «لا يمكن أن يكون الباب الأربعون وما بعده حتى الباب السادس والستين من تصنيف إشعيا» فأسقط منه سبعة وعشرين باباً[2].

١٣ ـ سفر إرِمياء:

ويحمل نقضَه ما جاء في طياته: فالباب الثاني والخمسون ليس من تصنيف إرِمياء قطعاً. لأن الفقرة (٥١/٦٤) جاء في آخرها ما يلي: «إلى هنا كلام إرمياء» ثم جاء بعد ذلك الباب الثاني والخمسون. والفقرة (١٠/١١). ليست من تصنيفه يقيناً. لأنها وحدها باللغة الكَسْديّة، وسائر الكتاب باللغة العبرانية. قال القس (ونما): «إنها ملحقة بالباب، ولا يعلم من الذي ألحق الباب والفقرة». وقال جامعو تفسير (هنري واسكات): يُعلم أن عزرا أو شخصاً آخر ألحق هذا الباب لتوضيح أخبار الحوادث الآتية التي تمت في الباب السابق، ولتوضيح مرتبته. وقال المحقق هورن في تفسيره (٤/١٩٥): ألحق هذا الباب بعد وفاة إرمياء، وبعدما أُطلق اليهود من الأسر. . . ثم قال: إن جميع ألفاظ هذا الكتاب باللسان العبري، إلا الفقرة (١٠/١١) فإنها بلسان الكسدينز[3].

---

(١) إظهار الحق ١/٧٤ و١٧٤.

(٢) إظهار الحق ٧٥ ـ ٧٦ و ١٧٤.

ذكر الشيخ رحمة الله الهندي في ١/٧٥ ـ ٧٦ أن مباحثة وقعت بين عالم كاثوليكي اسمه (كاركرن) وعالم بروتستانتي اسمه (وارن) حول هذا السفر. وقد طبعت المناظرة في مدينة أكبر أباد عام ١٨٥٣ م.

(٣) إظهار الحق ١/٧٥.

١٤ ـ سفر دانيال:

إن غناء الأطفال الثلاثة والبابين الثالث عشر والرابع عشر تسلم بها فرقة الكاثوليك، وهي موجودة في الترجمة اللاتينية ولدى جميع تراجم الروم الكاثوليك، وكذلك في الترجمة اليونانية لـ (تهيودسن) بينما تردها فرقة البروتستانت وتحكم بكذبها[1]. وقد خلت الطبعة العربية عام ١٩٨٤ م والصادرة عن دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط منها.

وعلى كل حال، لا يمكن أن يكون هذا السفر كتب في زمن دانيال أي عندما سقطت بابل في يد الملك الفارسي كورش عام ٥٣٨ ق.م. بل لا بد أنه كتب بعد ذلك بثلاثة قرون أو أربعة لما يلي:

أ ـ إنه يتضمن كلمات مكدونية، مع أن اليهود في زمن الأسر لم يكونوا خالطوا اليونانيين.

ب ـ فيه وصف للكلدانيين، لا يمكن أن يأتي به كاتب سبق عصر الإسكندر.

جـ ـ اقتبس طرفاً من أقوال إرمياء، وحز قيال وزكريا، مع أن هؤلاء لم يكونوا قد خلقوا إبان الأسر البابلي[2].

١٥ ـ ومما اختلف النصارى فيه أيضاً وطعن بعضهم في كونه إلهامياً: سفر طوبيا، وباروخ، يهوديت، الحكمة، المكابيين الأول والثاني، فهي أجزاء من العهد القديم عند الكاثوليك كما سلف. وقد بين البروتستانت ببيانات شافية أنها ليست إلهامية، ولا واجبة التسليم. ومن قبلهم اليهود، فإنهم لم يسلموا بإلهاميتها.

---

(١) إظهار الحق ١/٧٤ و ١٧٣ ـ ١٧٤.

(٢) اليهودية لأحمد شلبي ص ١٨٢ وهو يأخذ عن كتاب (محنة التوراة على أيدي اليهود) لعصام حفني ناصيف ص ١٥٩ ـ ١٦٠.

أما السفر الثالث لعزرا، فمعترف به لدى الإغريق ، وهو جزء من العهد القديم عندهم، وقد بين كل من الكاثوليك والبروتستانت بأدلة واضحة أنه ليس إلهامياً[1].

ومثل ذلك يقال في سائر الأسفار المعترف بها أو المختلف فيها. فقد جاء في دائرة المعارف الأمريكية ما يلي: لم يصلنا أية نسخة بخط المؤلف الأصلي لكتب العهد القديم. أما النصوص التي بأيدينا، فقد نقلتها أجيال عديدة من الكتبة والنساخ اهـ.

وبهذا يتضح أن العهد القديم يتكون من مجموعة من المؤلفات الأدبية، لا تتساوى في الطول، وتختلف في النوع. بل هي متنافرة النصوص. وقد كتبت على مدى يربو على تسعة قرون بلغات مختلفة اعتماداً على التراث المنقول شفوياً. وقد صححت وأكملت أكثرية هذه الأسفار، بسبب أحداث حدثت، أو بسبب ضرورات خاصة في عصور متباعدة. بحيث أصبح التعرف على مصادر هذه النصوص اليوم عسيراً جداً[2].

تغير موقف الكنيسة من العهد القديم على التوالي:

إن حال الكتب المقدسة لدىٰ النصارىٰ كحال الأنظمة والقوانين الوضعية، يطرأ عليها تعديل بين حين وآخر.

ألا ترى أن الترجمة اليونانية للعهد القديم كان معترفاً بها إلى القرن الخامس عشر، وكانوا يعتقدون أن النسخة العبرانية محرفة. ثم انعكس الأمر بعد ذلك لدى البروتستانت، فصارت المحرفة صحيحة والصحيحة محرفة. وأن سفر دانيال كان معترفاً به لدى أسلافهم وفق الترجمة اليونانية، ثم حكم (أرجن) بعدم صحته فتركوه وأخذوه من ترجمة (تهيودوش). وأن كثيراً من الكتب التي سلم بها أسلافهم يرونها اليوم موضوعة مكذوبة[3].

---

(١) إظهار الحق ١/١٧٣ - ١٧٤.

(٢) دراسة لموريس ص ٢٣ و ص ٢٨٤.

(٣) إظهار الحق ١/١٠٤ طبعة قطر.

وكانت مقدمات الكتاب المقدس تسوق الأمور بشكل يختلف عن نظرة الباحثين المحققين، فهي تسكت عن الأمور الأساسية الخاصة بتدوين الكتب، وتحتفظ بغموض يضلل القارىء، بحيث تعطي فكرة خاطئة عن الواقع الذي حدث فعلاً. وكانت الكنيسة الكاثوليكية تؤكد على عقيدة الإلهام. ففي مجمع الفاتيكان المنعقد عام ١٨٦٩ ـ ١٨٧٠ م تقرر أن الكتب القانونية التي سلمت بها الكنيسة لكل من العهدين قد كتبت بإلهام الروح القدس. غير أن الكنيسة عادت بعد نحو قرن من الزمن لتواجه الحقائق وتعترف بها، وتخفف من التصلب الذي كان سائداً. وذلك بإدخال تحفظ على أسفار العهد القديم. فقد بحث المجمع المسكوني الثاني للفاتيكان بين عامي ١٩٦٢ ـ ١٩٦٥ م المشكلة التي تتعلق بوجود أخطاء في بعض نصوص العهد القديم. وقد قدمت للمجمع خمس صور مقترحة. وبعد ثلاث سنوات من الجدل والمناقشة، تم قبول صيغة حظيت بأغلبية (٢٣٤٤) صوتاً ضد ستة أصوات. وأدرج في الوثيقة المسكونية الرابعة عن التنزيل فقرة تختص بالعهد القديم، جاء في الفصل الرابع منها، وفي الصفحة ذات الرقم (٥٣) منه ما يلي: «بالنظر إلى الوضع الإنساني السابق على الخلاص الذي وضعه المسيح، تسمح أسفار العهد القديم للكل بمعرفة من هو الله، ومن هو الإنسان، بما لا يقل عن معرفة الطريقة التي يتصرف بها الله في عدله ورحمته مع الإنسان. غير أن هذه الكتب تحتوي على شوائب وشيء من البطلان. ومع ذلك فيها شهادة عن تعليم إلهي»[1].

وجاء في تقديم الكتاب المقدس طبعة الكاثوليك عام ١٩٦٠ م لأسفار موسى الخمسة ما يلي: «كثير من علامات التعجب تظهر في رواية هذا الكتاب وشرائعه، مما حث المفكرين ـ من كاثوليك وغيرهم ـ على التنقيب عن أصل

---

(١) دراسة لموريس ص ٢٦ و٥٣ و ٥٩ ـ ٦٢، مجلة الجامعة العدد ٤٩ ص ١٥٩ ـ ١٦٠ ندوة الخرطوم.

الأسفار الخمسة الأدبي. فما من عالم كاثوليكي في عصرنا يعتقد أن موسى ذاته كتب الأسفار الخمسة منذ قصة الخلق إلى قصة الموت. كما أنه لا يكفي أن يقال: «إن موسى أشرف على وضع النص الملهم الذي دونه كتبة عديدون في غضون أربعين سنة...».

وقال القَسّ (راعون) في التقديم أيضاً: «من المحتمل أن يكون الكاتب قد استعان بالبدء بذكريات تقليدية غير واضحة الظروف تماماً، ثم أضاف إليها عدداً من التفاصيل، تجعل الرواية أكثر حياة، وتعطيها قيمة أدبية[1].

وهكذا حصحص الحق، وظهر أمر الله، فبدؤوا يعترفون تدريجياً بجعلية بعض العهد القديم. ولعل الحق والإنصاف يستوليان عليهم، فيحكمون بجعلية الباقي إن شاء الله.

٣ ـ وجود ثلاث نسخ مختلفة للعهد القديم:

ثمة ثلاث نسخ رئيسية للعهد القديم معتمدة لدى أهل الكتاب في زماننا هذا. وهي:

أ ـ النسخة العبرانية:

وهي المعول عليها لدى اليهود وجمهور علماء البروتستانت.

ب ـ النسخة اليونانية:

وهي المعروفة بالترجمة السبعينية. وكان النصارى إلى القرن الخامس عشر شبه مجمعين على صحتها واعتقاد التحريف في النسخة العبرانية. وهم يدعون أن اليهود حرفوها عن قصد عام ١٣٠ م[2].

جاء في المجلد الأول من تفسير (هنري واسكات) قول (اكستاين)[3]:

---

(١) ندوة الخرطوم في مجلة الجامعة ص ١٦٠.

(٢) إظهار الحق ١/٢١٧.

(٣) منه ١/٣٣ ـ ٣٤ و ٢٢١.

إن اليهود قد حرفوا النسخة العبرانية في بيان زمان الأكابر الذين كانوا قبل زمن الطوفان وبعده إلى زمن موسى. وفعلوا هذا الأمر لتصير الترجمة اليونانية غير معتبرة. ولعناد الدين المسيحي اهـ.

ولا زالت الكنيسة اليونانية والكنائس الشرقية إلى هذا اليوم مجمعة على صحة الترجمة اليونانية واعتمادها. أما الكنيسة الرومانية، فقد اعتمدت الترجمة اللاتينية كما سلف.

وجمهور علماء البروتستانت قد عكسوا الأمر الذي كان عليه أسلافهم تماماً. فاعتمدوا النسخة العبرانية، وقالوا في حق اليونانية ما قاله إسلافهم في حق العبرانية. أما الترجمة اللاتينية، فقد أجمع علماء البروتستانت على أنها محرفة تحريفاً لم تحرف ترجمة مثله قط. بل قالوا: إنه قد أدخل فيها بعض فقرات من العهد الجديد، كما أدخل في متنها عبارات الحواشي. ولهم على ذلك أدلة شافية.

وإذا كان هذا فعلهم في ترجمتهم المقبولة المتداولة. فالأظهر أن من بادر منهم إلى تحريف الترجمة، بادر إلى تحريف الأصل، ليكون لفعله ستر عند قومه [١].

جـ ـ النسخة السامرية:

وهي المعتمدة لدى السامريين من اليهود. كما أن كثيراً من علماء البروتستانت يُعَوِّلون عليها دون العبرانية. ويعتقدون أن اليهود حرفوا العبرانية. ولهم على ذلك أدلة وافرة. بل إن جمهور علماء البروتستانت ليلجأون في بعض المواضع إلى السامرية، ويقدمونها على العبرانية.

وهذه النسخة إنما تحتوي على الأسفار الخمسة دون غيرها كما سلف.

---

(١) منه ١/٢١٨ و ٢٣٨.

وبعض السامريين يضيف إليها كتاب يوشع وكتاب القضاة. ولا يسلمون بسائر كتب العهد القديم(١).

وصفوة القول: إنه ما من نسخة إلا ورميت بالتحريف والتبديل. كما أن جميع النسخ يختلف بعضها عن بعض اختلافاً يدعو إلى سقوطها. وليس لواحدة منها سند صحيح يقويها. فسقطت جميعها.

الفروق بين النسخ الثلاث:

التوراة التي اعتمدها النصارى تخالف التوراة التي لدى عامة اليهود. أما التوراة التي لدى السامرة، فمخالفة للنسختين معاً في مواضع كثيرة. وما من ترجمة إلا وأتت مخالفة لأصلها زيادة أو نقصاناً، فضلاً عن الاختلاف في المعاني. وبهذا تتضح ضخامة ما أضافه الإنسان إلى العهد القديم، وتتبين التغييرات التي أصابت النص الأول من نقل إلى نقل ومن ترجمة إلى أخرى خلال ألفي عام.

فالفروق بين السامرية والعبرانية كثيرة جداً في الألفاظ والمعاني وهما تتخالفان حتى في الوصايا العشر وإعلان الله ذاته للإنسان والنص على يوم القيامة. فالعبرانيون لم يصرحوا بيوم القيامة في توراة موسىٰ، وإنما صرحوا به في أسفار الأنبياء. أما السامريون فقد صرحوا به في توراة موسىٰ. وقد ذكر كذلك في السامرية من استقبال الطور ما لم يذكر في العبرانية(٢).

هذا. وقد اعتنى كثير من العلماء بذكر الفروق بين السامرية والعبرانية؛ فقد طبع الكتاب المقدس عدة مرات، وذكرت فيه الفروق(٣).

---

(١) منه ١/٢١٨ و ٣٣٨ وانظر ٢/٢٢١ ـ ٢٢٢.

(٢) الجواب الصحيح ٢/٢١ ـ ٢٢، هداية الحيارىٰ ص ٥٢٣، تنقيح الأبحاث ص ٣١، إظهار الحق ٢/٨٨ ـ ٨٩ و ٩١، تعريف بالتوراة السامرية لأحمد حجازي ص ١٤ و ٣٠.

(٣) ومن ذلك ما يلي:

١ ـ الكتاب المقدس الذي طبعته جمعيات الكتاب المقدس في الشرق الأدنىٰ ببيروت =

أما الترجمة السبعينية، فإنها تشتمل على عدة أسفار ليس لها وجـود في الأصل العبري. وهي سفر طوبيا، وسفر الحكمة المنسوب لسليمـان، وأسفار المكـابيين وعددهـا أربعة، وسفـريهوديت، وسفـر الكهنوت، وسفـر الحكمـة ليشوع بن شيراخ، ونشيد الأطفال الثلاثة، وسفر سوزان، وسفـر بعل والتنين،

= عام ١٩٧٦ م وفي هامشه الفروق بين السامريـة والعبرانيـة، وبين العبرانيـة وجميع التراجم القديمة.

٢ ـ الكتاب المقدس الذي طبعه البروتستانت بمصر عام ١٩٧٠ م.

٣ ـ الكتاب المقدس الذي طبعه الآباء اليسوعيون (الكاثوليك) ببيروت عام ١٩٦٠.

٤ ـ كتاب التاريخ مما تقدم عن الآباء المطبوع بألمانيا مع تعليقات المسيو دلمار.

٥ ـ الفروق التي صنفها العالم ليكلرك. وذكرها الشيخ رحمة الله الهندي في إظهار الحق ٢/٨٨ ـ ٨٩ حيث قـال: استخـرج المحقق ليكلرك اختـلافـات بين الســامـريــة والعبرانية، قسمها إلى ستة أقسام:

أ ـ الاختلافات التي فيها السامرية أصح من العبرانية. وهي (١١) اختلافاً.

ب ـ الاختلافات التي تقتضي القرينة والسيـاق فيها صحـة ما في السـامريـة. وهي سبعة.

جـ ـ الاختلافات التي توجد فيها زيادة في السامرية. وهي (١٣) اختلافاً.

د ـ الاختلافات التي حـرفت فيها السـامريـة، والمحرف محقق فـطن، وهي (١٧) اختلافاً.

هـ ـ الاختلافات التي فيها السامرية ناقصة، وهما اختلافان اثنان.

ثم قال الشيخ ٢/٩١: ولا يظنن أحد انحصـار مواضـع المخالفـة في الستين التي حققها ليكلرك. بل مقصوده ضبط المواضع التي فيها مخالفة كثيـرة بين النسختين عنده اهـ.

٦ ـ الفروق التي وضعتها لجنة الكتاب المقدس على هامش الطبعة العربية للعبرانية.

٧ ـ وقد توّج ذلك الدكتـور أحمد حجـازي السقا، فـراجع التـوراة العبرانيـة بطبعـاتها وترجماتها المختلفة في اللغة العربية وغيرها بعد أن راجـع التوراة السـامريـة التي ترجمها الكاهن السامري أبو الحسن إسحاق الصوري، وراجع غيرها أيضاً. وقارن بينهما إصحاحاً إصحاحاً، فأثبت كثيراً من الفروق، وأفردها بقسم خاص من ص ٣٤٧ إلى ص ٣٩٤. انظر التوراة السامرية طبعة دار الأنصار بالقاهرة سنة ١٩٧٨ م.

وثـلاثة أسفـار منسوبـة لعزرا، زيـادة على السفر المثبت في الأصـل العبري، وبعض زيادات في سفر دانيال.

وعن الترجمة السبعينية ترجمت أسفار العهد القديم إلى اللغة اللاتينية، لكنها لم تأت مطابقة لها من حيث الزيادة والنقصان كل المطابقة، فقد اشتملت على سفرين للمكابيين بدلاً من أربعة في الأصل. كما حذفت منها أسفار عزرا الثلاثة التي زيـدت في السبعينية عن الأصـل العبري، وزيـدت سفر بـاروخ. فالترجمتان اليونانية واللاتينية لا تنطبقان تمام الانطباق على الأصل العبري في بعض المواضع، فضلاً عن الأسفار والأجزاء التي تزيدان بها عنه. ولم يعرف حتى الآن على وجـه اليقين الأسبـاب التي دعت إلى هـذه الـزيـادة وهـذا الاختلاف[1].

ولو قارن قارىء أيضاً بين الترجمة السبعينية اليونانية وبين التراجم اليونانية الأخرىٰ التي ترجمت فيما بعد، لوجد اختلافاً وفروقاً تضارع الفروق التي بين السامرية والعبرانية[2].

والترجمات الحديثة لم تخل أيضاً من الخـلاف. فترجمـة البروتستـانت للفقرات ١٩/ ٢٥ ـ ٢٧ من سفر أيوب تثبت أن البعث يكون يوم القيامة بالروح دون الجسد «أما أنا فقد علمت أن وليّ حي، والآخر على الأرض يقوم. وبعد أن يفنىٰ جلدي هذا، وبدون جسدي أرى الله. . .» بينما تثبت ترجمة الآبـاء اليسوعيين أنه بالروح والجسد معاً. وهم يدافعون عن ذلـك في تعليقهم على النص[3].

أما اليهود، فقد كانوا يترجمون ـ على حد قولهم ـ عن الأصل العبـراني

---

(١) الأسفار المقدسة لعلي ص ١٧ ـ ١٨.

(٢) تعريف بالتوراة السامرية لأحمد حجازي ص ٣١

(٣) تعريف بالتوراة السامرية ص ١٤، وهـو ينقل عن الكتـاب المقدس لـلآباء اليسـوعيين ١٦/١ في الحاشية طبعة بيروت عام ١٩٦٨ م.

مباشرة. وليس من شك في أن ترجمة النصارى ليست بأفضل من ترجمة اليهود. للخلاف الذي بينهما في العقيدة من جهة، ولأن اليهود أعرف بلغة كتابهم من جهة ثانية. إذ من المعلوم أن اعتناء اليهود بالتوراة أعظم من اعتناء النصارى[1]. فعلى سبيل المثال ترجم النصارى أول سفر التكوين كما يلي ١/١ ـ ٢: «في البدء خلق الله السماوات والأرض. وكانت الأرض خربة وخالية. وعلى وجه القمر ظلمة. وروح الله يرف على وجه المياه». أما ترجمة اليهود فتقول (ريح الله) بدلاً من (روح الله). وفي السامرية: «ورياح الله هابة على وجه الماء» ويظهر أن غرض النصارى من تلك الترجمة إثبات عقيدتهم في (الروح القدس)[2].

وقد قام جماعة من اليهود المنتمين إلى هيئات دينية متمركزة في إنكلترا عام ١٩٧٠ م بترجمة الكتاب المقدس بعهديه إلى اللغة الإنكليزية. وتختلف هذه الترجمة عن الترجمات الإنكليزية السابقة في أنها صيغت بأساليب اللغة العادية، لا بالأساليب الدينية التقليدية. وفي اتسامها بالتحرر الكامل من جميع قيود الترجمات السابقة والتزاماتها. وفي تصرفها في معنى النصوص ومغزاها بالانحراف بها إلى غير اتجاهها الأصلي، أو بإضافة أمور أخرى إليها. وفي اشتمالها على اثني عشر سفراً من الأسفار المعروفة بالأسفار الخفية لدى اليهود. ولا يعلم إلا الله ما يريده اليهود من خدمة النصارى بترجمة العهدين. وما أمر الترجمة السبعينية ببعيد[3].

نماذج عن الفروق بين النسخ الثلاث:

١ ـ إن مدة الزمان منذ أن خلق آدم إلى طوفان نوح على وفق العبرانية (١٦٥٦) سنة، وعلى وفق اليونانية (٢٢٦٢)، وعلى وفق السامرية (١٣٠٧) سنة.

---

(١) الجواب الصحيح ٢/٢٢، الأسفار المقدسة لعلي ص ٢٠، تعريف بالتوراة السامرية ص ١٢.

(٢) تعريف بالتوراة السامرية ص ١٣.

(٣) الأسفار المقدسة لعلي ص ٢٠.

وهذا اختلاف فاحش بحيث لا يمكن التوفيق بين النسخ. ولذلك لم يعتمد المؤرخ اليهودي الشهير (يوسيفس) على نسخة منها. بل اختار أن المدة هي (٢٢٥٦) سنة. فأين الوحي وأين الإلهام[١]؟!.

٢ - إن الزمان من الطوفان إلى ولادة إبراهيم على وفق العبرانية (٢٩٢) سنة، وعلى وفق اليونانية (١٠٧٢) سنة، وعلى وفق السامرية (٩٤٢) سنة.

وهذا أيضاً فاحش بحيث يمتنع التوفيق بينها. ولذلك نبذ المؤرخون النسخ الثلاث وراءهم ظهرياً وقالوا: إن الزمان المذكور هو (٣٥٢) سنة. أما المؤرخ اليهودي يوسيفس فقال: (٩٩٣) سنة[٢].

٣ - زيد في النسخة اليونانية بطن واحد بين أرفخشذ وبين شالخ، هو قينان. وليس له وجود في العبرانية أو السامرية، ولا في السفر الأول من أخبار الأيام[٣].

والزمان من خلق آدم إلى ميلاد المسيح على ما ذكرت العبرانية (٤٠٠٤) سنة، وعلى ما ذكرت اليونانية (٥٨٧٢) سنة، وعلى ما ذكرت السامرية (٤٧٠٠) سنة.

وفي المجلد الأول من تفسير (هنري واسكات) أن (أهيلز) أخذ التاريخ بعد تصحيح أغلاط يوسيفس واليونانية. وظهر بناء على تحقيقه أن الزمان من خلق العالم إلى ميلاد المسيح (٥٤١١) عاماً، ومن الطوفان إلى ميلاد المسيح (٣١٥٥) عاماً[٤].

---

(١) إظهار الحق ١/٢١٨ - ٢١٩ و ٢/٧٩.

(٢) منه ١/٢١٩ - ٢٢٠ و ٢/٧٩.

(٣) منه ١/٢١٩ و ٢/٧٩ حيث ذكر المؤلف أنه جاء في تاريخ يوسيفس ما يلي: «لكن لوقا الإنجيلي اعتمد على اليونانية فزاد قينان في بيان نسب المسيح. فعلى النصارى أن يعتقدوا بصحة اليونانية وغلط غيرها. لئلا يلزم كذب إنجيلهم».

(٤) إظهار الحق ٢/٨٠.

٤ ـ جاء في سفر التثنية من النسخة العبرانية ٢٧/٤: حين تعبرون الأردن تقيمون هذه الحجارة التي أنا أوصيكم بها اليوم في جبل (عِيبال)، وتكلّسُها بالكِلس.

وجاء في السامرية: ويكون عند عبوركم الأردن تقيمون الحجارة هذه التي أنا موصيكم اليوم في جبل (جِريزّيم)، وتشيدُها بشيد.

فيفهم من العبرانية أن موسىٰ أمر ببناء الهيكل على جبل عيبال، ومن السامرية على جبل جريزيم. وعيبال وجريزيم جبلان متقابلان كما يفهم من الفقرتين ٢٧/١٢ ـ ١٣، ومن الفقرة ١١/٢٩.

وقد وقع كذلك خلاف بين علماء البروتستانت في هذا الموضع: فالمحقق (كني كات) يدعي صحة السامرية، والمحققان (باري) و(درشيور) يدعيان صحة العبرانية. لكن الكثيرين يرون أن أدلة (كني كانت) لا جواب لها، ويجزمون بأن اليهود حرفوا ذلك لعداوة السامريين. فإن (جريزيم) ذو عيون وحدائق و(عيبال) جبل يابس. فإذا كان الأمر كذلك، كان الجبل الأول مناسباً لإسماع البركة، والثاني للعن. كما قال آدم كلارك في تفسيره[1].

٥ ـ جاء في سفر الخروج من النسخة العبرانية ١٢/٤٠: وأما إقامة بني إسرائيل التي أقاموها في مصر فكانت أربعمائة وثلاثين سنة (٤٣٠).

وفي السامرية واليونانية: وسُكنى بني إسرائيل وآبائهم ما سكنوا في أرض كنعان وفي أرض مصر ثلاثين سنة وأربعمائة سنة (٤٣٠).

قال الشيخ رحمة الله: والصحيح ما فيهما. وما في العبرانية غلط يقيناً[2].

---

(١) منه ٢/٨٠ و ١/٢٢٢، التوراة السامرية «الفروق بينها وبين العبرانية» لأحمد حجازي ص ٣٩٣.

(٢) إظهار الحق ٢/٨٣ وانظر التوراة السامرية ص ١٣٣.

٦ ـ جاء في سفر أخبار الأيام الأول ٩/٣٥: «وكان اسم أخته مَعْكَة».

ووقع في اليونانية واللاتينية والسريانية لفظ «زوجته» وقد تبع المترجمون هذه النسخ وتركوا العبرانية فالتحريف متعين[1].

٧ ـ جاء في سفر التكوين ٣/٥ من العبرانية: «وتكونان كالله عارفَين الخير والشر».

وفي السامرية: «وتصيران كالملائكة عارفي الخير والشر».

وقد رأيتُ أنه حيثما ورد في العبرانية ما يدل على أن الله ظهر للإنسان فرآه وكلمه أو نحو ذلك، فإن السامرية تذكر بدلاً من ذلك «ملائكة الله» وسيأتي في البحث التالي كثير من الأمثلة.

٨ ـ جاء في السفر الثاني لأخبار الأيام ١٣/٣: «وابتدأ أَبِيّا في الحرب بجيش من جبابرة القِتال أربعمائة ألف رجل مختار، ويَرْبعام اصطف لمحاربته بثمانمائة ألف رجل مختار، جبابرة بأس».

وجاء في الفقرة ١٣/١٧: «وضربهم أبيا وقومه ضربة عظيمة، فسقط قتلى من إسرائيل خمسمائة ألف رجل مختار».

ولما كانت هذه الأعداد بالنسبة إلى هؤلاء الملوك مخالفة للقياس، غيرت في أكثر نسخ الترجمة اللاتينية إلى أربعين ألفاً في الموضع الأول، وثمانين ألفاً في الموضع الثاني، وخمسين ألفاً في الموضع الثالث. ورضي مفسروهم بهذا التغيير، لأنه أهون الشرين وأخف الضررين[2].

٩ ـ وجاء أيضاً في النسخة العبرانية من السفر نفسه ٢٨/١٩: «لأن الرب ذَلَّلَ يهوذا بسبب آحاز ملك إسرائيل. لأنه أجمح يهوذا وخان الرب خيانة».

---

(١) إظهار الحق ٢/٨٣ و ١/٢٢٤.

(٢) منه ١/٢٣١ ـ ٢٣٢.

ووقع في النسخة اليونانية واللاتينية «ملك يهوذا».

ولفظ (إسرائيل) غلط هنا يقيناً لأن آحاز كان ملكاً على يهوذا لا على إسرائيل. وقد حكم ما بين عامي ٧٤٤ ـ ٧٢٨ ق.م. وكان رجلاً ضعيفاً وثنياً[١].

(١) منه ١/٢٢٥.

إثبات تحريف العهد القديم من واقع نصوصه

إن الناظر في الكتاب المقدس بعهديه نظرة أولية يقطع بوقوع التحريف والتبديل فيه. وعملية التحريف مستمرة، لم تقتصر على زمن دون زمن. فنظرة إلى طبعات الكتاب المقدس بين فرق أهل الكتاب، تظهر التخالف والتغاير بين النسخ والترجمات ـ كما سلف ـ حتى إن الطبعات التي تصدر عن فرقة واحدة لا تكون متطابقة تماماً.

ولا نزاع بين المسلمين والنصارىٰ في وجود التحريف المعنوي، ألا وهو ليّ الكلام عن مواضعه. لأن النصارىٰ يسلمون بصدوره عن اليهود في تفسير النصوص التي فيها إشارة في زعمهم إلى المسيح ـ عليه السلام ـ في العهد القديم، وفي تفسير الأحكام التي هي أبدية عند اليهود. وعلماء الكاثوليك والبروتستانت يرمي كل منهما الطرف الآخر رمياً شديداً بالتحريف في كتب العهدين.

أما التحريف اللفظي، ألا وهو تبديل الألفاظ أو زيادتها أو نقصانها، فهو ثابت أيضاً في كتبهم. وقد اعترف به كثير من علمائهم. ومما يدل على تحريف التوراة ما يلي:

أ ـ وصفها لله سبحانه بصفات يتنزه عنها

إن في أسفار العهد القديم، ولا سيما التوراة، مواضع كثيرة تدل على تجسيم الخالق وتشبيهه بالإنسان، ونسبة مشاعره الضعيفة إليه، على وجه

يستحيل معه التنزيه. ووصفه بكثير من صفات الحوادث والنقص التي يستحيل وصفه بها. وغير ذلك من الأمور التي تستبعدها العقول وتمنع وقوعها من قبل الله سبحانه، وتنزهه عنها. مما يدل على أن أسفارهم قد انتابها كثير من التحريف والتبديل، سواء كان قصداً أو بدون قصد. ومن ذلك ما يلي:

١ ـ رؤية الإنسان لله:

وردت نصوص كثيرة في توراتهم تدل على أن الله قد ظهر للإنسان، فرآه وخاطبه.. بل وصارعه:

فزعموا أن إبراهيم رآه:

جاء في سفر التكوين ١٧/١ ـ ٢٢: ولما صار أبرام ابن تسع وتسعين سنة، ظهر له الرب وقال له: أنا الله القدير.. فسقط أبرام على وجهه. وتكلم الله معه قائلاً: أما أنا فهو ذا عهدي معك، وتكون أباً لجمهور من الأمم. فلا يدعىٰ اسمك بعد أبرام. بل يكون اسمك إبراهيم.. فلما فرغ من الكلام معه صعد الله عن إبراهيم.

ومن الجدير بالذكر أن النص في التوراة السامرية هكذا: «تجلىٰ ملاك الرب لأبرام وقال له... وارتفع ملاك الله عن إبراهيم». ولا شك أن السامرية في هذا أقرب إلى الصواب كما سيأتي.

وزعموا أنه رآه مرة ثانية:

ففي سفر التكوين ١٨/١ ـ ٨ في قصة إهلاك قوم لوط وتدمير قريتي سدوم وعمورة ورد ما يلي: وظهر له الرب عند بَلّوطات (مَمْرا) وهو جالس في باب الخيمة... فرفع عينيه ونظر، وإذا ثلاثة رجال واقفون لديه، فركض لاستقبالهم، وسجد إلى الأرض وقال: يا سيد، إن كنت قد وجدت نعمة في عينيك، فلا تتجاوز عبدك...

وفي السامرية: وتجلى له الله في مروج (ممرا)، وهو جالس بباب الخباء

عند حَمْو النهار. فرفع عينيه ونظر، وهوَذا ثلاثة رسل قائمين حوله. فلما نظرهم نهض للقائهم من باب الخباء، وسجد إلى الأرض. وقال: يا مواليّ إن الآن وجدت حظاً عندكم. لا الآن تعبرون عن عبدكم. . اهـ.

ويذكر السفر إن إبراهيم قدم لهم ماءً فشربوا وغسلوا أرجلهم تحت ظل الشجرة، ثم قدم لهم فطائر وعجلاً حنيذاً ولبناً وزبداً، فشدوا رمقهم.

ثم سأل الإله إبراهيم عن زوجته سارة، كما في ١٨/٩ ـ ١٥، وبشرهما بأنه سيمر بهما في هذا الموعد من السنة القادمة، ويجدهما قد رزقا غلاماً ذكياً، اسمه إسحاق ـ أي الضحك والابتسام ـ .

ثم ذهب الملكان لتنفيذ المهمة، وودعهما إبراهيم، كما في ١٨/١٦ ـ ٣٣، وأطلع الله إبراهيم على مهمة الملكين، فاشتبك معه في نقاش حاد وجدال قوي، بغية أن يثنيه عن ذلك، لأن في القريتين أتقياء، ولا يصح أن يؤخذ المحسن بذنب المسيء.

وقد ذكر الله سبحانه هذه القصة على حقيقتها في القرآن الكريم في سورة هود/ ٦٩ ـ ٧٦: فبين أن الذين وفدوا على إبراهيم كانوا ملائكة في صورة بشر، فقدم إليهم طعاماً. فلما رأى أيديهم لا تصل إليه ـ لأن الملائكة لا تأكل ولا تشرب ـ نَكِرَهم وأوجس منهم خيفة. فقالوا: لا تخف، إنا أرسلنا إلى قوم لوط. . .

وتختم التوراة العبرانية القصة بقولها: وذهب الرب عندما انتهى من مخاطبة إبراهيم. وإبراهيم عاد إلى موضعه اهـ.

أما السامرية ففيها: فسار ملاك الله عندما انتهى من مخاطبة إبراهيم، وإبراهيم عاد إلى موضعه اهـ.

وعليه، فإن التوراة السامرية تفيد أن إبراهيم قد سجد للملائكة وخاطبهم بالعبودية. أو أن الله كان مع الملكين، لكن إبراهيم لم يعرفه.

بل وزعموا أنه ظهر ليعقوب وصارعه:

ففي سفر التكوين أن يعقوب كان في بلاد خاله (لابان) ولدى عودته في الليل تجلى له الله على شكل إنسان فصارعه يعقوب وصرعه وانتزع منه البركة بالقوة:

جاء في التوراة العبرانية ٣٢/٢٤ ـ ٣٠، فبقي يعقوب وحده، وصارعه إنسان حتى طلوع الفجر. ولما رأى أنه لا يقدر غليه، ضرب حُقَّ فخذه، فانخلع فخذ يعقوب في مصارعته معه، وقال: أطلقني. لأنه قد طلع الفجر. فقال: لا أطلقك إن لم تباركني. فقال له: ما اسمك؟ قال: يعقوب. فقال: لا يدعى اسمك فيما بعد يعقوب، بل إسرائيل، لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت[1]. وسأل يعقوب، وقال: أخبرني باسمك؟ فقال: لماذا تسألني عن اسمي؟ وباركه هناك. فدعا يعقوب اسم المكان (فنئيل) قائلاً: لأني نظرت الله وجهاً لوجه اهـ.

وفي السامرية: وتبقى يعقوب وحده. وصارعه رجل حتى ارتفع الدجى. ونظر أن ليس يقدر عليه. فدنا بحق وركه، ووهنت حق ورك يعقوب بمصارعته. فقال: أطلقني إذِ ارتفع الدجىٰ. فقال: لا أطلقك حتى تباركني. فقال: ما اسمك؟ فقال: يعقوب. فقال: لا يعقوب يقال أيضاً اسمك، بل إسرائيل. إذ رأست مع الملائكة ومع الناس وقدرت. وسأل يعقوب وقال: خَبِّرني الآن ما اسمك؟ فقال: لماذا تسأل عن اسمي؟ وباركه هناك. ودعا يعقوب اسم الموضع حضرة القادر. إذ نظرت الملائكة وجهاً لوجه، وخلصت نفسي. . . اهـ.

---

(١) أي كنت قوياً على الله، فكيف على الناس. وهذا هو أحد معاني هذه الكلمة في اللغة العبرية.

وانظر في ذلك الفصل ١/١٤١ ـ ١٤٢، هداية الحيارىٰ ص ٥٨٣، الأسفار المقدسة لعلي ص ٢٦، الشرائع الدينية ص ٥٥ ـ ٥٦.

فالعبرانية تذكر أن المصارعة والمجاهدة كانت مع الله ـ تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ـ وأن يعقوب انتزع منه البركة بالقوة، وإلا لما خلىٰ سبيله. وأنه نظر إلى الله وجهاً لوجه.

أما السامرية، فتذكر أن الجهاد كان مع الملائكة، لا مع الله، وأنه رأى الملائكة ولم ير الله.

وادعوا أنه رآه مرة أخرىٰ:

ففي سفر التكوين ٣٥/٩ ـ ١٣: وتجلى الله ليعقوب عند إتيانه من فَدَّان آرام، وباركه الله. وقال له الله: اسمك يعقوب لا يدعىٰ. بل إسرائيل يكون اسمك. ودعا اسمه إسرائيل. وقال له: أنا القادر الكافي... ثم صعد الله عنه اهـ.

وفي السامرية: وارتفع عنه ملاك الله من الموضع الذي خاطبه..

٣٥/١٥: ودعا يعقوب اسم الموضع الذي خاطبه هناك الله: بيت القادر [بيت إيل].

وزعموا أن موسى رآه:

ففي سفر الخروج ٣/٥ ـ ٦: أن موسى كان راعي غنم لحميه إمام مدين، وساق الغنم إلى أقصى البرية، حتى جاء إلى جبل الله. فتجلى له الله وناداه يا موسىٰ يا موسىٰ... فستر موسىٰ وجهه، لأنه خاف أن ينظر إلى الله...

وفي السامرية: ... حتى جاء إلى جبل الله (حوريب) فتجلى له ملاك الله بشعلة نار من وسط العُلّيقة. والعليق ليس محترقاً. فناداه الله من وسط العُلَّيْق وقال: يا موسىٰ يا موسىٰ.. ثم قال: أنا الله إله آبائك؛ إله إبراهيم وإله إسحاق وإله يعقوب. فستر موسى وجهه، إذ خاف من التأمل إلى ملاك الله...

وقد ذُكرت القصة في سورة طه ٩ ـ ٤٨ وهي خالية من الرؤية حتى إلى

ملاك الله. قال تعالىٰ: ﴿ **وهل أتاك حديث موسى * إذ رأى ناراً فقال لأهله: امكثوا إني آنست ناراً لعلي آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدىٰ * فلما أتاها نودي: يا موسىٰ * إني أنا ربك، فاخلع نعليك إنك بالواد المقدس طوى * وأنا اخترتك، فاستمع لما يوحىٰ * إنني أنا الله، لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري. . .** ﴾.

وفي سورة الأعراف الآية ١٤٣: ﴿ **ولما جاء موسىٰ لميقاتنا، وكلمه ربه، قال: رب أرني أنظر إليك* قال: لن تراني، ولكن انظر إلى الجبل، فإن استقر مكانه فسوف تراني* فلما تجلىٰ ربه للجبل جعله دكاً * وخرَّ موسىٰ صَعِقاً* فلما أفاق قال: سبحانك تبت إليك، وأنا أول المؤمنين** ﴾.

بل وادعوا أنه رآه مرة أخرىٰ هو وسبعون من شيوخ إسرائيل:

ففي سفر الخروج ٢٤/٩ ـ ١١: ثم صعد موسى وهارون وناداب وأبيهو وسبعون من شيوخ إسرائيل. ورأوا إله إسرائيل، وتحت رجليه شِبه صنعةٍ من العقيق الأزرق الشفاف، وكذات السماء في النقاوة. ولكنه لم يمد يده إلى أشراف بني إسرائيل. فرأوا الله وأكلوا وشربوا.

وفي السامرية: وصعد موسى وهارون ونَدَب وأبيهو وألعزر وإيثمر وسبعون من شيوخ إسرائيل. ونظروا وَليّ إسرائيل، وتحت رجليه كصنعة حجر المها، وكجِرم السماء من النقاء. وإلى جانب بني إسرائيل لم يمد يده. فلما شاهدوا ملاك الله أكلوا وشربوا.

ومع ملاحظة الفرق بين النصين، فإن التوراة السامرية كعادتها تنفي رؤية الله وتثبتها للملائكة. والقصة مذكورة في سورة الأعراف ١٤٧ ـ ١٥٧: فإن قوم موسى عبد أكثرهم العجل الذهبي الذي صنعه لهم السامري في غياب موسىٰ وعصوا هارون ـ عليهما السلام ـ ثم أمر الله موسى أن يأتي بسبعين ممّن لم يعبدوا العجل للاعتذار عن فعل السفهاء. قال تعالىٰ: ﴿ **واختار موسى قومه سبعين رجلاً لميقتنا. * فلما أخذتهم الرجفة قال: رب لو شئت أهلكتهم من**

قبل وإياي * أتهلكنا بما فعل السفهاء منا؟ إن هي إلا فتنتك[1] * تضل بها من تشاء، وتهدي من تشاء، أنت ولينا، فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين ﴾.

بل إن القرآن نفىٰ إمكانية رؤيتنا لله سبحانه في الحياة الدنيا بقوله تعالىٰ: ﴿ لا تدركه الأبصار، وهو يدرك الأبصار، وهو اللطيف الخبير ﴾ ـ الأنعام/١٠٣ فحاشا لله أن يظهر ويُرى في الدنيا.

ووجهة نظر النصارىٰ في ذلك أن الله سبحانه قد أعلن ذاته للإنسان في التوراة بوسائل مختلفة، لكي يدعوه إلى الإيمان به، والعمل بوصاياه، وانتظار الخلاص الذي هيأه له ـ أي بصلب المسيح كما يدعون ـ وقد تنوعت مظاهر إعلان الله لذاته: فكان بعضها مباشراً، بأن يظهر الله للإنسان ويخاطبه في هيئة بشرية، وفي أثناء يقظته، أو في حلم في أثناء نومه. وكان بعضها الآخر غير مباشر، بأن يرسل إليه ملاكاً يتراءىٰ له ويخاطبه، أو يرسل إليه نبياً يوحي إليه بما يشاء من أوامر ونواه[2].

وأنت ترى أنهم قد أعظموا الفِرية على الله بادعائهم أنه تجسد وأنهم رأوه وصارعوه. فخلطوا الغث بالثمين. قال تعالىٰ: ﴿ وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب * أو يرسل رسولاً فيوحي بإذنه ما يشاء ﴾ ـ الشورى/ ٥١.

٢ ـ ورود نصوص تنافي الوحدانية:

جاء في سفر التكوين ٣/٢٢: وقال الله: هذا آدم صار كواحد منا في معرفة الخير والشر. . .

وفي السامرية: وقال القديم الله: إن آدم صار كالأصل، منه معرفة الخير والشر. والآن كيلا يمد يده ويأخذ أيضاً من شجرة الحياة، ويأكل ويحيا للأبد.

---

(١) أي: محنتك وابتلاؤك

(٢) السهود لزكي شنودة ص ٣٦٩ ـ ٣٧٠.

فهذا النص، ولا سيما في العبرانية، يفيد تعدد الآلهة وينافي الوحدانية. مع أنه لـو كان في السمـاء والأرض آلهة إلا الله لفسـدتا. فسبحـان الله عمـا يصفون.

وجعلوا موسى إلهاً:

جاء في سفر الخروج ٧/١: فقال الرب لموسىٰ: انظر. أنا جعلتك إلهاً لفرعون. وهارون أخوك يكون نبيك.

فهل أصبح موسى في مقام الألوهية بحيث يكـون له أنبيـاء؟ حاشـا أن يكون ذلك. لكنه التحريف والتلاعب بالألفـاظ. ويدل على ذلـك ما جـاء في السامرية: انظر جعلتك سلطاناً على فرعون. وهارون أخوك يكون منبياً عنك.

إله واحد. أم إلهان يتحاوران؟

المزمور ١١٠/١ قال الرب لربي: اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك[١].

فمن الرب المتكلم؟ ومع أي رب آخر يتكلم؟ إن هذه العبارة تدل على وجود إلهين أحدهما أقوى من الآخر. ويظهر أن النص العبري هكذا: «قال يهوه لأدوناي» على أساس تعدد أسماء الإله عند اليهود. . ولقد كان هذا التعدد أكبر مصدر للصعوبات والأخطاء بالترجمة. وكان ذلـك يبلغ أشده عنـدما تتنـاقض التسميات في متن واحد، أو في عبارة واحدة، فتجعل النص غريباً طريفاً. لكن (يهوه) هنا غير (أدوناي). لأن أحدهما يحاور الآخر[٢].

من ملكي صادَق؟ (ملكيصادَق):

المزمور ١١٠/٤ ـ ٥ أقسم الرب ولن يندم. أنت كـاهن إلى الأبد على رتبة ملكي صادق ـ وعند الكاثوليك: ملكيصادق ـ الرب عن يمينك يحطم في

---

(١) إن ترقيم المزامير يختلف بين الكاثـوليك والبـروتستانت. فـالبروتستـانت يزيـدون في الأعداد عن الكاثوليك. وهذا النص هو من المزمور ١٠٩ لدى الكاثوليك.

(٢) التوراة بين الوثنية والتوحيد ص ٣٠ ـ ٣٣.

يوم رِجْزه ملوكاً ـ وعند الكاثوليك: السيد عن يمينك يحطم الملوك يوم غضبه.

فمن يجلس عن يمين من؟ من المتكلم ومن المخاطب؟ هل المخاطب داود صاحب المزمور؟ والإلهان يهوه وأدوناي يجلس أحدهما إلى يمين الآخر دون أن يُعرف من منهما إلى اليسار ومن منهما إلى اليمين؟ والموسوعة اليهودية إنما تشير في العمود ١٢٨٨ إلى صعوبة تفسير النص دون أن تعلق عليه بشيء. لكنْ يظهر من نص المزمور أن رتبة ملكي صادق رفيعة جداً[1].

٣ ـ نسبة البنوة إلى الله:

جاء في سفر التكوين ٦/١ ـ ٥: وحدث لما ابتدأ الناس يكثرون على الأرض، وَوُلد لهم بنات، أن أبناء الله رأوا بنات الناس أنهن حسنات، فاتخذوا لأنفسهم نساءً من كل ما اختاروا. فقال الرب: لا يدين روحي في الإنسان إلى

---

(١) منه ص ٣٣ ـ ٣٤ و٣٨. هذا. وقد ورد ذكر ملكي صادق في سفر التكوين ١٤/١٨: وملكي صادق ملك شاليم أخرج خبزاً وخمراً. وكان كاهناً لله العلي. وباركه وقال: مبارك أبرام من الله..

وفي السامرية: والملك العادل ملك ساليم أخرج طعاماً وخمراً، وهو إمام للقادر العالي. وبارك أبرام وقال..

ويغيب ملكي صادق من العهد القديم ليظهر في الجديد برتبة أعلى. ففي رسالة بولس إلى العبرانيين ٥/٦ أن الله قال للمسيح «أنت كاهن إلى الأبد على رتبة ملكي صادق» ٥/١٠ «لأن الله دعاه كاهناً أعلىٰ على رتبة ملكي صادق».

وورد نحو ذلك في ٦/٢٠، وعرفه في ٧/١ ـ ٣ فقال: «وكان ملكي صادق هذا ملك ساليم وكاهن من الله تعالىٰ خرج لملاقاة إبراهيم... وتفسير اسمه أولاً ملك العدل، ثم ملك ساليم، أي ملك السلام. وهو لا أب له ولا أم ولا نسب، ولا لأيامه بداءة، ولا لحياته نهاية. ولكنه على مثال ابن الله يبقى كاهناً إلى الأبد» ٧/١٥ ـ ١٦: «وعلى مثال ملكي صادق ظهر الكاهن الآخر ـ أي المسيح ـ لا على أساس نسب بشري بل بقوة حياة لا تزول»، ويبدو أن ملكي صادق شخص أسطوري كشأن الكثيرين من أبطال العهد القديم. لكن بولس استغل ذلك ليدلل على ألوهية المسيح. انظر في ذلك التوراة بين الوثنية والتوحيد ص ٣٥ و٣٧ ـ ٤١.

الأبـد. . . وبعد ذلـك أيضاً إذ دخـل بنو الله على بنـات النـاس، وولـدنَ لهم أولاداً. هؤلاء هم الجبابرة الذين منذ الدهر ذوو اسم اهـ.

وفي السامرية: وكان لما ابتدأ الناس للكثرة على وجـه الأرض، وبنات ولدن لهم. نظر بنو السلاطين بنات الناس، إذ حسان هن. فأخذوا لهم نسوة من كل ما اختاروا. . . . وأيضاً بعد ذلك دخـل بنو السـلاطين إلى بنات النـاس، فولدن لهم. هم الجبابرة الذين من العالم ذوي الاسم اهـ.

مع أن الله سبحانه لم يلد ولم يولد. ولم يتخذ صاحبة ولا ولداً. ولم يكن له كفُواً أحد. فتعالى الله الملك الحق.

٤ ـ نسبة مشاعر الإنسان الضعيف إلى الله:

فقد نسبوا إليه سبحانه البداء[1] والندم والحزن والبكاء:

جاء في سفر التكوين ٦/ ٥ ـ ١٢: ورأى الرب أن شر الإنسان قد كثر في الأرض، وأن كل تصور أفكار قلبه إنما هو شرير كل يوم. فحزن الرب أنه عمل الإنسان في الأرض، وتأسف في قلبـه. فقال الـرب: أمحو عن وجـه الأرض الإنسان الذي خلقته. . . لأني حزنت أني عملتهم.

أي إن الله سبحانه لم يكن يدرك أن فساد البشر سيكثر هكذا، فندم على خلقهم بعد أن رأى ذلك منهم.

وفـي السـامريـة: ونظر الله أن كثـرت سيئات الإنسـان في الأرض. . . وتواجد الله لما صنع الناس في الأرض، واشتد على خصيصه. وقال الله: أمحو الناس الذين خلقت من على وجه الأرض. من إنسان إلى بهيمة إلى دبيب إلى طير السماء. إذ تواجدت لما صنعتهم.

وجاء في السفر نفسـه ٨/ ٢٠ ـ ٢٢: وبنىٰ نوح مـذبحاً لله ـ أي بعـد أن ذهبت مياه الطوفان ونزل إلى الأرض ـ وأخذ من كل البهائم الطاهرة، ومن كل الطيور الطاهرة، وأصعد صعائد على المذبح. فتنسَّم الله رائحةَ الرضا، وقـال

---

(١) البداء: تغير الرأي لأمر لم يكن في الحسبان.

الرب في قلبه: لا أعود ألعن الأرض أيضاً من أجل الإنسان. لأن تصور قلب الإنسان شرير منذ حداثته. ولا أعود أيضاً أميت كل حي كما فعلت. مدة كل أيام الأرض زرع وحصاد، وبردٌ وحر، وصيف وشتاء، ونهار وليل لا تزال.

قال ابن القيم[1]: ومن العجب تواطؤهم على امتناع النسخ على الله فيما شرعه لعباده، لئلا يلزم منه البداء، ثم يقولون: إن الله ندم وبكىٰ على الطوفان، وعض أنامله حتى رمدت عيناه، وعادته الملائكة . . .

وجاء في سفر الخروج ٣٢/١٠ ـ ١٤: أن الله سبحانه غضب على بني إسرائيل بسبب عبادتهم للعجل الذهبي. فقال لموسى: دعني أغضب عليهم وأهلكهم. وأن موسىٰ رغب إليه وقال: تذكر إبراهيم وإسرائيل وإسحاق. فَحَنَّ السيد، ولم يتم ما أراد من إنزاله المكروه بأمته. فندم الرب على الشر الذي قال: إنه يفعله بشعبه اهـ.

وفي السامرية: وعلى هارون تواجد الله جداً لاستئصاله. فشفع موسى بسبب هارون وابتهل في حضرة الله إلهه وقال: لا ـ يا ألله ـ يشتد وجدك على قومك الذين أخرجت من مصر. . . عُدْ عَن حمية وجدك، واصفح عن سيئة قومك. راعِ إبراهيم وإسحاق ويعقوب عبيدك. . فصفح الله عن البلية التي تواعد أن يحلها بقومه اهـ.

وفي السفر الأول لأخبار الأيام ٢١/١٥: وأرسل الله ملاكاً على أورشليم لإهلاكها. وفيما هو يُهلِك، رأىٰ الربُّ. فندم على الشر، وقال للملاك المهلِك: كفى الآن ردَّ يدك.

وفي سفر صموئيل الأول ١٥/١٠ ـ ١١: «وكان كلام الرب إلى صموئيل قائلاً: ندمت على أني جعلت شاؤل ملكاً. لأنه رجع من ورائي ولم يقم كلامي» ١٥/٣٥: والرب ندم لأنه مَلَّك شاؤل على إسرائيل اهـ.

---

(١) هداية الحيارىٰ ص ٥٨٣ و ص ٥٩٠.

وفي سفر يونان ٣/ ١٠ : فلما رأى الله أعمالهم، أنهم ـ أي أهل نينوى ـ رجعوا عن طريقهم الرديئة، ندم الله على الشر الذي تكلم أن يصنعه بهم، فلم يصنعه اهـ.

ولا شك أن هذه الأمور من صفات المخلوق الضعيف. فلا تليق بذات الله وجلاله. والعقل السليم والفطرة غير المنحرفة يؤديان إلى أن الخلاق العظيم واحد أحد متصف بكل كمال مُنَزَّه عن كل نقصان، يعلم ما كان وما سيكون، لا يخفى عليه شيء، وهو علام الغيوب.

ونسبوا إليه أيضاً الإفادة من القرابين والانتعاش بدخانها:

فقد قرر سفر الخروج ٢٩/ ٣٨ ـ ٤٣ : أن إلههم يفيد من الضحايا والقرابين التي تقدم إليه. وينتعش من رائحة الدخان المتصاعد من حرقها.

وفي السامرية ٢٩/ ٤١ ـ ٤٢ : رائحة الرضى، ناري لله صعيدة، دائماً لأجيالكم..

وسبق ما جاء في سفر التكوين ٨/ ٢٠ : وبنى نوح مذبحاً لله، وأخذ من كل البهائم الطاهرة، ومن كل الطيور الطاهرة، وأصعد صعائد على المذبح، وأرضى الله رائحةُ الرضى..

هذا. ويذكر سفر اللاويين في أكثر من موضع أن الضحايا المحرقة ـ ـ وهي التي تحرق في المذبح تحت إشراف أحد اللاويين ـ يرتاح لها الإله، ويفيد منها، وينتعش من رائحة الدخان المتصاعد من حرقها، وأنه يغضب كل الغضب إذا لم تقدم إليه، أو إذا قدمت على غير الصورة المقررة في شريعتهم اهـ.

أما القرآن الكريم، فقد جاء فيه رد عليهم، وتنزيه لله عما لا يليق به، فقال سبحانه: **﴿ لن ينال اللَّهَ لحومُها ولا دماؤها، ولكن يناله التقوى منكم ﴾** ـ الحج/ ٣٧ ـ .

علماً بأن الهَدْيَ والأضحيات وكل ما يتقرب إلى الله بذبحه من نذر وغيره لا يجوز إحراقها وإضاعتها في شريعة محمد ﷺ بل إنما يؤكل منها ويوزع الباقي على الفقراء، أو توزع كلها على الفقراء، تبعاً لنوع القربة.

٥ ـ وصفه سبحانه بكثير من صفات الانتقاص:

فقد نسبوا إليه التعب بعد العمل والحاجة إلى الراحة والتنفس:

جاء في سفر التكوين ٢/٢ ـ ٣: وفرغ الله في اليوم السابع ـ وفي السامرية: السادس ـ من عمله الذي عمل. فاستراح في اليوم السابع من جميع عمله الذي عمل. وبارك الله اليوم السابع وقدسه. لأنه فيه استراح من جميع عمله الذي عمل الله خالقاً ـ وفي السامرية: لأن فيه بطل في جميع صناعته التي صنع الله للفعل.

وجاء في سفر الخروج ١٣/٣١ ـ ١٧: وكلم الرب موسى قائلاً: وأنت تكلم بني إسرائيل قائلاً: سبُوتي تحفظونها لأنه علامة بيني وبينكم في أجيالكم. . . فتحفظون السبت لأنه مقدس لكم. مَن دنَّسه يقتل قتلاً. . لأنه في ستة أيام صنع الرب السماء والأرض، وفي اليوم السابع استراح وتنفس.

وفي السامرية: قل لبني إسرائيل قولاً: بل سبوتي تحفظون. إنها آية بيني وبينكم لأجيالكم. . مبذلها قتلاً يقتل. . . ستة أيام تصنع صناعة، وفي اليوم السابع أعطل. . إن في ستة أيام صنع الله السماوات والأرض، وفي اليوم السابع عطل وأراح.

فالله بزعمهم ضعيف كالبشر يحتاج إلى الراحة والتنفس بعد بذل الجهد؛ فبعد أن فرغ من خلق السموات والأرض في ستة أيام، استراح في اليوم السابع وتنفس. وكان ذلك اليوم يوم سبت. ولذلك بارك الله هذا اليوم وحرم العمل فيه. ومن استباحه فإنه يقتل قتلاً، ولتقطع تلك النفس من بين قومها ولقد رد القرآن على زعمهم هذا بقوله تعالىٰ: ﴿ **ولقد خلقنا السموات والأرض وما**

بينهما في ستة أيام * وما مسنا من لغوب ﴾[1] ـ ق/٣٨ ـ .

ونسبوا إليه المخادعة والجهل:

ففي سفر التكوين ٢/١٥ ـ ١٧: وأخذ الرب الإله آدم ووضعه في جنة عدن ليعملها ويحفظها. وأوصى الرب الإله آدم قائلاً: من جميع شجر الجنة تأكل أكلاً. وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها. لأنك يوم تأكل منها موتاً تموت.

٢/٢١ ـ ٢٥: فأوقع الرب الإله سباتاً على آدم فنام، فأخذ واحدة من أضلاعه، وملأ مكانها لحماً. وبنى الرب الإله الضلع التي أخذها من آدم امرأة وأحضرها إلى آدم. فقال آدم: هذه الآن عظم من عظامي ولحم من لحمي هذه تدعى امرأة، لأنها من امرىء أُخذت. . . وكانا كلاهما عُريانين، وهما لا يخجلان.

٣/١ ـ ٧: وكانت الحية أحيل جميع حيوانات البرية التي عملها الرب الإله: فقالت للمرأة: أحقاً قال الله لا تأكلا من كل شجر الجنة؟ فقالت المرأة للحية: من ثمر شجر الجنة نأكل. وأما ثمر الشجرة التي في وسط الجنة فقال الله: لا تأكلا منه، ولا تمساه لئلا تموتا. فقالت الحية للمرأة: لن تموتا. بل الله عالم أنه يوم تأكلان منه تنفتح أعينكما، وتكونان كالله عارفين الخير والشر. . فأخذت من ثمرها وأكلت وأعطت رجلها أيضاً معها فأكل. فانفتحت أعينهما وعلما أنهما عُريانان، فخاطا أوراق تين وصنعا لأنفسهما مآزر.

وهذا الكلام يوحي بأن الله سبحانه كذب عليهما. لأنه يريد إبقاءَهما جاهلين كي لا يشاركاه في صفة من أخص صفاته، ألا وهي معرفة الخير والشر. لكن الحية الخبيثة كشفت هذه الكذبة.

٣/٨ ـ ١٤: وسمعا صوت الرب ماشياً في الجنة عند هبوب ريح النهار،

---

(١) أي تعب ونَصَب. ومقدار اليوم لا يعلمه إلا الله.

فاختبأ آدم وامرأته من وجه الرب في وسط شجر الجنة. فنادى الرب الإله آدم، وقال له: أين أنت؟ فقال: سمعت صوتك في الجنة، فخشيت لأني عريان فاختبأت. فقال: من أعلمك أنك عُريان؟ هل أكلت من الشجرة التي أوصيتك أن لا تأكل منها؟ فقال: آدم: المرأة التي جعلتها معي هي أعطتني من الشجرة فأكلت..

وفي هذه القصة من الافتراء على الله ما يأباه كل عاقل: ففيها نسبة الكذب والمخادعة إلى الله. وفيها تشبيهه بالمخلوقات، حيث يسير في الجنة، فيسمع آدم وحواء حركة سيره. وفيها نسبة الجهل إليه، حيث لا يعلم ما صنع آدم وحواء، ثم يختبئان منه، فيجهل مكانهما، فلا يكون منه إلا أن يناديهما مستفهماً عن مكان وجودهما. ثم يستنتج من أقوالهما أنهما أكلا من شجرة المعرفة، وأن الإنسان صار بذلك أحد الآلهة، فوجب أن يطرد من الجنة حتى لا تمتد يده إلى شجرة أخرى، هي شجرة الخلد، فيكفل لنفسه أرقى صفات الآلهة، ألا وهو البقاء.

وقد عرض القرآن الكريم في عدة سور عدة جوانب من قصة آدم وحواء وأكلهما من الشجرة بإغواء الشيطان، وخروجهما من الجنة، وتوبتهما. دون أن يكون في ذلك ما يتعارض مع كمال علم الله وقدرته، ومخالفته للحوادث، واتصافه بصفات الكمال.

وجاء في سفر التثنية ٣٢/١٩ ـ ٢٢: فرأى الرب ورَذَل من الغيظ بنيه وبناته، وقال: «أحجب وجهي عنهم، وأنظر ماذا تكون آخرتهم؟ إنهم جيل متقلب، أولاد لا أمانة فيهم. هم أغاروني بما ليس إلهاً. أغاظوني بأباطيلهم. فأنا أغيرهم بما ليس شعباً، بأمة غبية أغيظهم.

٣٢/٢٦ ـ ٢٧: قلت: أبددهم إلى الزوايا، وأبطل من الناس ذكرهم. لو لم أخف من إغاظة العدو من أن ينكر أضدادهم، من أن يقولوا: يدنا ارتفعت، وليس الرب فعل كل هذه.

وفي السامرية: فينظر الله ويرفض من كيد خواصه وخصيصاته.. لولا كيد العدو أكره، كي لا ينكر أضدادنا، كي لا يقولوا: أيدينا سامية، وليس الله فاعلاً كل هذا.

فالله يهم بالبطش بالعصاة من بني إسرائيل، لكنه يتراجع عن ذلك ـ في زعمهم ـ مخافة أن يفتخر أعداؤه وينسبوا إليه الضعف ولأنفسهم القوة.

وفي سفر إرمياء ٤/١٠: فقلت آه يا سيدُّ الربُّ، حقاً إنك خِداعاً خادعت هذا الشعب وأورشليم قائلاً: يكون لكم سلام. وقد بلغ السيف النفس.

ونسبوا إليه الغفلة والنسيان فاحتاج إلى ما يذكره:

جاء في سفر التكوين ٩/٨ . ١٧: وكلم الله نوحاً وبنيه معه قائلاً: وها أنا مقيم ميثاقي معكم ومع نسلكم من بعدكم.. فلا ينقرض كل ذي جسد أيضاً بمياه الطوفان.. وضعت قوسي في السحاب، فتكون علامة ميثاق بيني وبين الأرض. فيكون متى أنشر سحاباً على الأرض وتظهر القوس في السحاب أني أذكر ميثاقي الذي بيني وبينكم فلا تكون أيضاً المياه طوفاناً لتهلك كل ذي جسد. فمتى كانت القوس في السحاب أبصرها لأذكر ميثاقاً أبدياً..

وفي السامرية: قوسي أجعل في الغمام، لتكون آية عهد بيني وبين الأرض، ويكون عند تغميمي غماماً على الأرض، وينظر القوس في الغمام، أراعي عهدي الذي بيني وبينكم.. ويكون القوس في الغمام وينظر تذكار عهد الدهر بين الله وبين كل النفس الحيوانية من كل البشر الذي على الأرض.

وجاء في سفر الخروج ٢/٢٣ ـ ٢٥: وتنهد بنو إسرائيل من العبودية وصرخوا. فصعِد صراخهم إلى الله من أجل العبودية. فسمع الله أنينهم، فتذكر الله ميثاقه مع إبراهيم وإسحاق ويعقوب. ونظر الله إلى بني إسرائيل وعلم الله.

وفي السامرية: فعلت مغوثتهم إلى الله من الخدمة، فسمع شهقتهم، وراعى الله عهده مع إبراهيم..

بل نسبوا إليه النوم وخاطبوه على وجه يستحيل معه التنزيه:

جاء في سفر الملوك الثاني ١٦/١٩ في دعاء حَزَقِيّا: أمِل يا رب أذنك واسمع، افتح يا رب عينيك وانظر، واسمع كلام سنحاريب. (١).

وفي سفر نحميا ٦/١: لتكن أذنك مُصْغِية وعيناك مفتوحتين، لتسمع صلاة عبدك الذي يصلي... وفي المزمور ٦٥/٧٨: فاستيقظ الرب كنائم، كجبار مُعَيّط من الخمر، فضرب أعداءه...

فاتهموا الله سبحانه بأنه راقد عنهم، فعليهم أن ينبهوه. أما القرآن الكريم فقد نزه الله عما لا يليق به حيث جاء فيه: ﴿ **الله لا إله إلا هو الحي القيوم، لا تأخذه سنة ولا نوم، له ما في السموات وما في الأرض* من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه* يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم، ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء* وسع كرسيه السموات والأرض* ولا يؤوده حفظهما* وهو العلي العظيم** ﴾ ـ البقرة/٢٥٥ ـ

فلا ريب أن الله منزه عن هذا كله. وكل عاقل يقطع ببراءة التوراة التي أنزلها الله على موسىٰ من هذه المستحيلات على الله. بدليل نص التوراة التي بأيديهم. فإن النهي عن التشبيه والتمثيل مذكور في عدة مواضع منها، فثانية الوصايا العشر المكتوبة على اللوحين هي النهي عن اتخاذ إله من دون الله، وعن الإشراك به، وعن التمثيل والتشبيه والتخييل.

ولا شك في أن الديانة اليهودية التي جاء بها أنبياء بني إسرائيل، كانت ديانة توحيد، لا تصف الذات العلية إلا بصفات الكمال والوحدة، وتنزهه عن جميع مظاهر النقص والتشبيه. جاء في سفر أيوب ٣٢/٩: «لأنه ـ أي الله ـ ليس إنساناً مثلي، فأجاوبه، فنأتي جميعاً إلى المحاكمة» فهذا التناقض يدل على أن التوراة التي بأيديهم محرفة مبدلة، وقد دُس فيها ما دس، ونزع منها ما نزع.

---

(١) وقد ذكرت هذه العبارة أيضاً في سفر إشعياء ١٧/٣٧ وفي سفر دانيال ١٨/٩.

ويظهر من استقراء تاريخ اليهود، وما ورد في أسفارهم، أن فهم أكثرهم للذات العلية. لم يكن في عصر من العصور مطابقاً لذلك. وكأن نفوسهم كانت لا تطمئن إلى عبادة إله لا يستطيعون رؤيته؛ فحينما رأوا قوماً يعكفون على أصنام لهم، طلبوا من موسى ـ عليه السلام ـ أن يجعل لهم إلهاً يحسونه، كما لهؤلاء آلهة. قال تعالىٰ: ﴿ **وجاوزنا ببني إسرائيل البحر، فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم* قالوا: يا موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة* قال: إنكم قوم تجهلون* إن هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون * قال: أغير الله أبغيكم رباً، وهو فضلكم على العالمين** ﴾ ـ الأعراف/١٣٨ ـ ١٤٠.

ولما ذهب موسىٰ للميقات الذي عينه الله له لاستلام الألواح، ورأوا أن موسىٰ قد تأخر، صنع لهم السامري العجل الذهبي. فعبدوه وقالوا: هذا إلهكم وإله موسىٰ. قال سبحانه: ﴿ **واتخذ قوم موسى من بعده من حُليهم عجلاً جسداً له خوار* ألم يروا إنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلاً؟! اتخذوه وكانوا ظالمين** ﴾ ـ الأعراف/١٤٨ ـ وما أكثر ارتدادهم عن عبادة الله، وعبادتهم للأصنام، ولا سيما إبان حكم القضاة والملوك العصاة، كما تخبر بذلك أسفارهم.

هذا. **وقد حاول بعض اليهود أن يحمل تلك النصوص وأمثالها على المجاز.**
قال ابن كمونة اليهودي[1]: وأما استنشاق قُتار القرابين، فهو كناية عن تقبلها. كما يقال: سمع الله دعاءه. بمعنى تقبله. ومن يفعل ما يفعله النادم منا، يسمىٰ نادماً بالمجاز. وقد نطقت التوراة وكتب النبوات بأن الله لا يصح عليه الندم. فلا بد من حمل الندم المنسوب إليه على التأويل بما قلناه. وذلك أنه لما أهلك الخلائق بالطوفان، أخبر قبل ذلك أنه يهلكهم، وعبر عن ذلك بأنه ندم على خلقهم تمثيلاً بمن يندم على شيء فعله... ثم قال: وعلى مثل هذا تأويل كل ما ورد من ذلك وما يناسبه في كتب سائر الأنبياء الذين على ملة موسىٰ، وفي كتب الأحبار والعلماء اهـ.

---

(١) انظر تنقيح الأبحاث ص ٣٤ ـ ٣٥.

قلت: وما أقبح هذا المجاز، فإن نسبة الندم إلى الله نقيصة يتنزه عنها، سواء كانت حقيقة أو مجازاً. ومهما حاول المدافعون من اليهود التستر عن هذه العورات والتشبث بالمجاز، فإن ذلك لن يغنيهم من الحق شيئاً. لأن المجاز اللغوي هو اللفظ المستعمل في غير ما وضع له لعلاقة، مع قرينة مانعة من إرادة المعنىٰ الحقيقي. مثل «التقت قلوب المجتمعين» والمراد: الاتفاق ووحدة الكلمة. وإنما يعدل عن الحقيقة إلى المجاز لتحسين الكلام، وإضفاء صفة القوة والوضوح عليه، بحيث يقر كل من سمع ذلك أن المجاز هنا أولى، ووقعه على النفس أجمل[١]. أما مجاز اليهود فهو سمج قبيح ظاهر التعسف. ولو أنهم أبقوا الكلام على الحقيقة لكان خيراً لهم، وأصدق للكتاب الذي بين أيديهم. وإلا فما المجاز في مصارعة الله ليعقوب حتى الفجر، وإعيائه من ذلك، وانتزاع يعقوب البركة منه بالقوة؟! ما وجه المجاز هنا وما وجه الحقيقة؟ وكيف يؤولون اختباء آدم وزوجه بين الأشجار، عندما سمعا وقع خطوات الله، ثم مناداته عليهما، وإجراء التحقيق معهما لمعرفة أنهما أكلا من الشجرة. هل هذا المجاز لتحسين اللفظ أو لتحسين المعنىٰ؟ اتسع الخرق على الراقع[٢].

---

(١) انظر البلاغة الواضحة لعلي الجارم ص ٧١ طبعة دار المعارف لبنان.

(٢) هذا ما في التوراة. أما أسفار التلمود، فحدث ولا حرج عن إظهارها لإله إسرائيل متصفاً بكثير من صفات الحوادث والنقص. ولا سيما ما يذكر عن جسم الإله وضخامة أعضائه؛ فقد وصف سفر توما ـ وهو من أسفار التلمود ـ جبهة الخالق وعظم مساحتها فقال: إنها من أعلاها إلى أنفه خمسة آلاف ذراع. وكذلك ما يرويه التلمود عن نشاط الله وأعماله في الليل والنهار؛ فقد ورد في بعض أسفاره أنه يقضي الساعات الثلاث الأُولىٰ من النهار في مذاكرة الشريعة، والثلاث الثانية في شؤون الحكم بين الناس، والثلاث الثالثة في تدبير العيش لخلقه، والثلاث الأخيرة يقضيها في اللعب مع الحوت ملك الأسماك، وهو حيوان كبير يتسع حلقه لسمكة طولها ثلاثمائة فرسخ، من غير أن تضايقه. وأما ساعات الليل، فيقضيها في مذاكرة التلمود مع الملائكة، ومع ملك الشياطين الذي يصعد إلى السماء كل ليلة، ثم يهبط منها إلى الأرض بعد انتهاء الندوة العلمية. بيد أن هذا النظام قد تغير بعد هدم الهيكل وتشريد بني إسرائيل.

أما النصارى ـ وهم يعتقدون بهذه التوراة ـ فيقولون: إنما أراد الله أن يخاطب الإنسان على قدر إدراكه، ليدرك طبيعة الله وشريعته، وفي حدود منطقه ليستوعب تعاليمه ووصاياه. فالله إنما قصد بذلك مخاطبة الناس بما يفهمونه[1].

= ويصف التلمود حالة الإله بعد هدم الهيكل وتشريد بني إسرائيل: فقد اعترف بخطئه، وندم على ما فعله. وخصص ثلاثة أرباع الليل للبكاء والندم، وكان إذا بكى سقطت من عينيه دمعتان في البحر، فيُسمع دويهما في الآفاق، وتضطرب المياه، وترجف الأرض، وتحدث الزلازل. ويزعم التلمود أن الله يردد في أثناء بكائه ونحيبه عبارات الندم فيقول: «تباً لي أمرت بخراب بيتي وإحراق الهيكل وتشريد أولادي». وتذكر بعض أسفار التلمود أن رجلاً اسمه (إسماعيل) سمع اللَّهَ إثر خراب بيت المقدس يئن كما تئن الحمامة ويبكي، وهو يقول: «الويل لمن أخرب بيته، وضعضع ركنه، وهدم قصره وموضع سكينته، ويلي على ما فرقت من بنيّي وبناتي، قامتي منكسة، حتى أبني بيتي، وأرد إليه بنيّي وبناتي. فلما شعر بوجود إسماعيل بجواره، أخذ بثيابه وقال له: أسمعتني يا ابني إسماعيل؟ فقال: لا يا رب. فقال له الرب: يا ابني يا إسماعيل بارك علي. فبارك عليه ويقرر التلمود كذلك أن العصمة ليست من صفات الله. لأنه قد تستولي عليه نزوة الغضب، فيقسم ليأتين أعمالاً شريرة، أو غير عادلة. ثم يثوب إلى رشده، فيتحلل من يمينه؛ فقد غضب مرة على بني إسرائيل، فأقسم أن يبيدهم. لكنه ندم على ذلك بعد أن هدأ غضبه، فرجع عن عزمه، وتحلل من يمينه. لأنه فعل منافٍ للعدالة. ويستدل من أسفار التلمود على أنهم كانوا يخصصون عشرة أيام أول تشرين الثاني (نوفمبر) كل عام لعبادة الرب الصغير، وهو الملَك (صندلفون) خادم التاج الذي في رأس معبودهم. ففي رأس معبودهم تاج فيه ألف قنطار ذهب.

أما بصدد حرص الإله على أن تقدم له أضحية من الآدميين، فأسفار تلموذهم تحث على ذبح الآدميين من غير بني إسرائيل، وتقديمهم قرباناً لآلهتهم، ومزج دمائهم بعجين الفطائر المقدسة التي يتناولونها في أعيادهم وأفراحهم الدينية، وبخاصة عيد الفصح وعيد أستير ومراسيم ختان الأطفال. وكم تناقل الناس من هذه الغدرات وأنكروها. لكن سجلات القضاء حافلة بذلك. انظر الأسفار المقدسة لعلي ص ٢٧ ـ ٣٠، وهو بدوره ينقل عن الفصل لابن حزم ١٦٣/١ ـ ١٦٥، وانظر اليهودية لأحمد شلبي ص ٢٧٥، وهو ينقل عن التلمود شريعة إسرائيل ص ١٧ ـ ٢٩. وانظر بذل المجهود ص ١١ ـ ١٢ و ص ٤٠ ـ ٤٢.

(١) اليهود لزكي شنودة ص ٤٠٢ ـ ٤٠٣.

يقول المحامي زكي شنودة[1]: أراد الله أن يكون كلامه إلى اليهود قريباً من أفهامهم، فتنازل وخاطبهم باللغة التي يفهمونها، وأراد أن يكون تصويره لنفسه قريباً من مداركـهم، فتنازل وأعطى لهم الصورة التي يمكنهم أن يتصوروها، لعلهم يدركون طبيعته، ويعرفون شريعته، ويسيرون على مقتضى أحكامه.

ويعيب على اليهود أنهم لعمىٰ أبصارهم، وغلظة مشاعرهم، وغباء قلوبهم، ظنوا أن الله ليس إلا واحداً من تلك الآلهة الزائفة التي تتمثل في صورة الإنسان أو الحيوان، أو غير ذلك من الكائنات التي كان جيرانهم الوثنيون يعبدونها. ومن ثم أخذوا أقوال التوراة على ظاهرها غافلين عن جوهرها وفحواها، وتمسكوا بحرفيتها، متعامين عن روحها ودلالتها ومرماها. اهـ.

وقول هذا وذاك يدلان على اضطراب فكرة الألوهية والربوبية في عقول أهل الكتاب؛ ولذلك تصور اليهود ربهم في صورة مجسمة، ووصفوه بكثير من صفات النقص والضعف على وفق أهوائهم كما سلف. أما النصارى، فسلبوا من صفاته الوحدانية، وادعوا أنهم موحدون: ثلاثة أقانيم - أصول - في أقنوم واحد. كل أقنوم إله مستقل له إرادة متميزة. فليسمع العقلاء. ثم نسبوا إليه ولداً ضعيفاً وقالوا: هو الأقنوم الثاني. تعالىٰ الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

تلكم هي عقيدة أهل الكتاب **أما نحن المسلمين**، فعقيدتنا هي الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره:

فنحن نؤمن بربوبية الله تعالىٰ. فهو الرب الخالق الملك المدبر لجميع خلقه.

ونؤمن بألوهية الله تعالىٰ. فهو الإله الحق، وكل معبود سواه باطل.

ونؤمن بوحدانيته. فلا شريك له في ربوبيته، ولا في ألوهيته، وليس له صاحبة ولا ولد. **﴿ قل: هو الله أحد* الله الصمد * لم يلد ولم يولد * ولم**

---

(1) اليهود لزكي شنودة ص ٤٠٨.

يكن له كفُواً أحد ﴾. وهو الأول، فليس قبله شيء. وهو الآخر، فليس بعده شيء. قديم بلا ابتداء، دائم بلا انتهاء. قائم بذاته غني عن العالمين.

ونؤمن بأسمائه وصفاته. فله الأسماء الحسنىٰ، وله الصفات العليا الكاملة. لا شريك له في أسمائه وصفاته: ﴿ **رب السموات والأرض وما بينهما، فاعبده واصطبر لعبادته، هل تعلم له سميا** ﴾ ـ مريم/ ٦٥ ـ.

ونؤمن بثبوت كل ما أثبته لنفسه، أو أثبته له رسوله ﷺ من الأسماء والصفات، بلا تشبيه ولا تمثيل، ولا تكييف ولا تعطِيل[1]. «ليس كمثله شيء، **وهو السميع البصير** ﴾ الشورى/١١.

ونؤمن بانتفاء كلِ ما نفاه عن نفسه، أو نفاه عنه رسوله ﷺ وهذا يعني أنه سبحانه متصف بكل كمال منزه عن كل نقصان. ونسكت عما سكت الله عنه ورسوله ﷺ.

ونرى أن السير على هذا الطريق فرض لا بد منه. وذلك لأن ما أثبته الله لنفسه أو نفاه عنها، فهو خبر أخبر به عن نفسه. وهو سبحانه أعلم بنفسه وأصدق قيلاً وأحسن حديثاً. والعباد لا يحيطون به علماً. وما أثبته له رسوله ﷺ أو نفاه عنه، فهو خبر أخبر به عن الله سبحانه. وهو أعلم الناس بربه، وأنصح الخلق، وأصدقهم وأفصحهم.

---

(١) التمثيل أن يقول بلسانه أو بقلبه: صفات الله كصفات المخلوقين. والتكييف أن يقول بلسانه أو بقلبه: صفات الله تعالىٰ كذا كذا.

ب ـ وصفها لأنبياء الله بصفات تستحيل عليهم

إن أسفار العهد القديم الموروثة عن اليهود، تنسب لكثير من الأنبياء من الفحش والأعمال القبيحة ما يتنافى مع وضعهم الديني والاجتماعي، ويستحيل أن يوجد في حقهم، أو يصدر عنهم، عقلاً وشرعاً وعادة. بل إنه ليتعارض مع الخلق الكريم ذاته، ولا يمكن أن يُتصور وقوعُه إلا من سفلة الناس. مما يدل على أن هذه الأسفار قد لعبت بها الأيدي كثيراً، سواء أكان ذلك عن قصد أم عن غير قصد. وإليك بعض الأمثلة.

١ ـ رميهم لبعض الأنبياء بالزنىٰ:

فقد زعموا أن لوطاً ـ عليه السلام ـ سكر وزنى بابنتيه، وأنجب منهما:

ففي سفر التكوين ١٩ / ٣٠ ـ ٣٨: أنه لم ينج من قريتي سدوم وعمورة اللتين دمرهما الله لظلم أهلهما إلا لوطاً وابنتيه. فسكن مع ابنتيه في مغارة من الجبل. فقالت الكبيرة للصغيرة: إن أبانا قد أصبح شيخاً كبيراً. وليس ثمة إنسان يدخل علينا كسبيل كل الأرض. تعالي نسق أبانا خمراً، ونضطجع معه، لنبقي منه نسلاً. فسقتا أباهما خمراً في تلك الليلة. وأتت الكبيرة، واضطجعت مع أبيها. ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها. وكذلك فعلت الصغيرة في اليوم التالي. فحبلتا منه. وولدت الكبيرة ابناً، دعت اسمه (مؤاب) هو أبو المؤابيين إلى اليوم. وولدت الصغيرة أيضاً ابناً دعت اسمه (ابن عمي) هو أبو بني عُمون إلى اليوم.

وزعموا أن رؤبين بكر يعقوب ضاجع سرية أبيه:

ففي سفر التكوين ٣٥/٢١ ـ ٢٢: ورحل إسرائيل، ونصب مضربه وراء (مجدل عدر) وكان عند سكنىٰ إسرائيل في تلك الأرض، مضى رؤبين وضاجع (بلهة) سرية أبيه وسمع إسرائيل اهـ ـ سامرية عبرانية ـ وفي اليونانية زيادة: «وكان قبيحاً في نظره».

وزعموا أن يهوذا بن يعقوب زنىٰ بكنته:

ففي سفر التكوين ٣٨/٦ ـ ٣٠: أن (عير) بكر يهوذة مات ولم يخلف. فقال يهوذه لابنه (أونان): ادخل على زوجة أخيك والتزمها وأقم نسلاً لأخيك. وكان إذا دخل على زوجة أخيه أفسد في الأرض، كي لا يعطي نسلاً لأخيه. ثم مات الآخر. فقال يهوذا لـ (ثامار) كنته: أقيمي أرملة في بيت أبيك حتى يكبر (شيلة) ابني. فلما طالت المدة، وماتت زوجة يهوذة. فما كان منها إلا أن نزعت ثياب ترملها، واستترت بخمار وتنكرت وجلست عند أحد العيون في طريقه إلى (تِمنة) لجَزّ غنمه. فرآها يهوذا وظنها زانية. فاتفق معها، وأعطاها خاتمه ومنطقته وعصاه عربوناً. فزنىٰ بها. وحملت منه. ثم عرفته بالعربون عندما أراد أن يعاقبها. وولدت تَوْأمين هما فارض وزارخ ابنا يهوذا.

ومن العجيب أن توراتهم جعلت نسب داود ينتهي إلى فارض بن يهوذا المولود من تلك الطريقة الخبيثة. فجعلت بذلك نسب كثير من الأنبياء ـ بما فيهم سليمان والمسيح على زعمهم ـ يعود إلى تلك الطريقة.

ورموا داود بعشق جارته وزناه بها وتدبيره قتل زوجها:

ففي سفر صموئيل الثاني ١١/١ ـ ٢٧: أن داود ـ عليه السلام ـ وقع بصره وهو يمشي فوق سطح قصره على امرأة مفرطة الجمال تستحم، فشغف بها، وسأل عنها، فأخبر أنها زوجة أحد جنوده المرسلين في حملة حربية، واسمه (أوريا) فبعث في طلبها وقضى وطره منها. فعادت حاملاً منه إلى منزلها. ولما تبين لها ذلك عملت علىٰ إخباره. فاستدعىٰ زوجها، وتذرع بسؤاله عن حال الحملة وقائدها، ثم نفحه بعض الهدايا، وطلب منه أن يستريح الليلة في منزله. رامياً من ذلك أن يَقْرَبَ الرجل زوجته، لينسب الحمل إليه. لكن الرجل قضى ليلته مع خدم القصر الملكي، ورفض أن يكون مع زوجته في نعيم بيته، وأصدقاؤه في أتون الحرب. وعلم داود بذلك. فطلب منه أن يبقى يوماً آخر، ودعاه للطعام والشراب، وحرص على إسكاره ليفقد وعيه، ويذهب إلى زوجته، لكن

أوريا لم يفقد رشده، ولم يذهب إلى البيت. وضاق داود به ذرعاً، فأمره بالعودة إلى ساحة الحرب، وطلب من قائد جيشه (يؤاب) أن يضع أوريا في خطر، ثم يتخلىٰ عنه حتى يقتل. فصدع يؤاب بالأمر، ودبر قتل أوريا. فضم داود تلك المرأة إلى نسائه بعد أن انقضى حدادها على زوجها. ووضعت حملها من داود، وهي في عصمته.

ولا ريب في أن القصة محض افتراء، لا يتصور صدورها عن رجل كريم، فضلاً عن نبي عظيم: فداود يسترق النظر إلى جارته، وهي متجردة تغتسل، ثم يغريها فيزني بها، ثم يحاول ستر جريمته بجريمة أخرىٰ، ألا وهي نسبة ولد الزنىٰ إلى ذلك الرجل. ثم يسقي الخمر لجندي شريف[1] لا ذنب له: إلا المروءة والشهامة. ثم يدبر قتله مع قائده، وبذلك يوقع رجلاً في جريمة ليس له من ورائها مصلحة. وبعد نجاح المؤامرة يضم المرأة إلى نسائه، وينسب ولد السفاح إليه.

وهكذا يكون الجندي العادي أشرف على زعمهم من النبي. ولو أن هذه الجرائم المسلسلة وقعت في زماننا، لتناقلتها وكالات الأنباء، وصعق من هولها الشرفاء. ولا سيما إذا صدرت عن شخص له بعض المكانة، كضابط شرطة أو رئيس مخفر، لكن من هان عليه قتل الأنبياء، كان قذفهم عليه أهون.

وفي ١٢/٩ من السفر نفسه أن ناثان الذي أرسله الله إلى داود قال له مبلغاً: لماذا احتقرت كلام الرب لتعمل الشر في عينيه. قد قتلت أوريا الحِثي . . .

والعبارات التي ذكرت في القرآن عن داود ـ عليه السلام ـ واحتكام الخصمين له، لا تدل بأي شكل من الأشكال على أي وجه من هذا القبيل. فليتنبه القارىء وليتأمل العبارات وليحذر من الإسرائيليات.

---

(١) الخمر محرمة في جميع الشرائع السماوية. ولا زالت بعض النصوص في كتاب النصارى المقدس تدل على تحريمها. انظر تحقيق ذلك في كتابي فقه الأشربة وحدها ص ٥٨ ضمن سلسلتي تسهيل الفقه الإسلامي مع أدلته من المنقول والمعقول.

ونسبوا إليه أيضاً تعطيل الحدود:

فهو لم يأمر بإقامة الحد على نفسه، أو لم يمكنهم من ذلك، مع أن التوراة تنص عليه. ففي سفر التثنية ٢٢/٢٣: إذا وُجد رجل مضطجعاً مع امرأة زوجة بعل يُقتل الإثنان: الرجل المضطجع مع المرأة والمرأة. فتنزِع الشر من إسرائيل.

ولم يقم الحد على ابنه (أمْنون) الذي زنى بأخته (ثامار)؛ ففي سفر صموئيل الثاني ١٣/١ ـ ٢٢: أن أمنون أحب أخته ثامار. وكانت جميلة فتعلق بها ونحل جسمه. وأشار عليه ابن عمه (يوناداب) بعد أن أباح له بسره، أن يتمارض ويطلب منها أن تطعمه، فإذا اختلى بها ضاجعها. فعمل بنصيحته، وتم له ما أراد، ولما سمع داود بجميع هذه الأمور اغتاظ غيظاً شديداً. ولم يزد على ذلك.

وكذلك لم يقم الحد على ابنه الآخر (أبشالوم) ففي السفر نفسه ١٦/٢٠ ـ ٢٣: فقال (أخيتوفل) لأبشالوم: أدخل إلى سراري أبيك اللواتي تركهن لحفظ البيت.. فنصبوا لأبشالوم الخيمة على السطح. ودخل إلى سراري أبيه أمام جميع إسرائيل.

ولما قتل أبشالوم حزن داود وبكى ـ كما في ١٨/٣٣ ـ وكان يقول وهو يتمشى: يا ابني أبشالوم يا ابني يا ابني أبشالوم. يا ليتني مت عوضاً عنك. يا أبشالوم ابني يا ابني.

وفي ١٩/٤: وستر الملك وجهه وصرخ بصوت عظيم: يا ابني أبشالوم، يا أبشالوم ابني، يا ابني.

علماً بأن أمنون وأخاه أبشالوم يستحقان القتل بنص التوراة؛ ففي سفر اللاويين ٢٠/١٠ ـ ١١: وإذا زنى رجل مع امرأة: فإذا زنى مع امرأة قريبة فإنه يقتل الزاني والزانية. وإذا اضطجع رجل مع امرأة أبيه، فقد كشف عورة أبيه. إنهما يقتلان كلاهما. دمهما عليهما.

وداود كان ملكاً وبيده السلطة، فلم خالف كتاب الله كما يزعمون؟ مع أنه من أكبر الأنبياء عندهم!

الحقيقة إن هذا كذب فاضح على نبي الله داود ـ عليه السلام ـ وينقضه ما جاء في السفر نفسه الباب الثاني والعشرين، ولا سيما الفقرات التالية: ٢١/٢٢ ـ ٢٥، يكافئني الرب حَسَب بِري. وحسب طهارة يدي يرد عليَّ. لأني حفظت طرق الرب، ولم أعص إلهي. لأن جميع أحكامه أمامي، وفرائضه لا أحيد عنها. وأكون كاملاً لديه، وأتحفظ من إثمي. فيرد الرب عليَّ كَبِرِّي وكطهارتي أمام عينيه.

وينقضه أيضاً ما جاء في سفر الملوك الأول ٣/٦: فقال سليمان: إنك قد فعلت مع عبدك داود أبي رحمة عظيمة حسبما سار أمامك بأمانة وبر واستقامة قلب معك. فحفظت له هذه الرحمة العظيمة، وأعطيته ابناً يجلس على كرسيه كهذا اليوم.

وفي ١١/٣٤ من السفر نفسه: ولا آخذ كل المملكة من يده. بل أصيره رئيساً كل أيام حياته، لأجل داود عبدي الذي اخترته، الذي حفظ وصاياي وفرائضي.

ومحال أن يكون الزنى والقتل وتعطيل الحدود والنياحة على الميت وغير ذلك من البر والطهارة وحفظ وصايا الله وشريعته وأحكامه بأمانة. والعجيب أنهم يقولون: إن هذه الأسفار كتبت بإلهام، وهي واجبة التسليم، وكل ما فيها حق وصدق. مع أنك ترى هنا نصين متناقضين. فأيهما الصحيح؟![1]

إنه مما لا شك فيه أن النصوص الأخيرة هي التي تليق بحال نبي الله داود ـ عليه الصلاة والسلام ـ وقد جاء في القرآن إعلاء لمقام داود وابنه سليمان ـ عليهما السلام ـ وتنزيههما عن السقطات التي لا تليق بآحاد الناس. قال سبحانه: **﴿ ولقد آتينا داود وسليمان علماً * وقالا: الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين ﴾** ـ النحل/١٥ ـ.

وذكر الله شكر سليمان فقال سبحانه حكاية عنه: **﴿ وقال: رب أوزعني**

---

(١) قصص الأنبياء لعبد الوهاب النجار ص ٣١٣.

أنْ أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلىٰ والدي، وأن أعمل صالحاً ترضاه، وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين ﴾ ـ النحل/١٩ ـ .

وقال تعالىٰ أيضاً: ﴿ ولقد آتينا داود منا فضلاً ﴾.

وفي ذلك رد على تحريفات العهد القديم التي تلصق بهما أقبح التهم.

٢ ـ اتهامهم لبعض الأنبياء بالكفر والردَّة:

فقد اتهموا هارون بصنع العجل الذهبي لبني إسرائيل وبناء مذبح له:

جاء في سفر الخروج ١/٣٢ ـ ٦: ولما رأى الشعب أن موسى أبطأ في النزول من الجبل، اجتمعوا على هارون وقالوا له: اصنع لنا آلهة تسير أمامنا. فقال لهم هارون: انزعوا أقراط الذهب التي في آذان نسائكم وبنيكم وبناتكم وأتوني بها. ففعلوا. فأخذ ذلك من أيديهم، وصوره بالإزميل، وصنعه عجلاً مسبوكاً. فقالوا: هذه آلهتك يا إسرائيل التي أصعدتك من أرض مصر. فلما نظر هارون بنى مذبحاً أمامه. فنادى هارون وقال: غداً عيد للرب. فبكروا في الغد واصعدوا مُحرَقات، وقدموا ذبائح سلامة. وجلس الشعب للأكل والشرب، ثم قاموا للعب.

وقد ذكر الله سبحانه تفاصيل هذه القصة في سورتي الأعراف ١٤٨ ـ ١٥٢، وطه ٨٣ ـ ٩٨، فبين أن الذي قام بصنع العجل،وفتنهم به إنما هو السامري [الشمروني] وأن نبي الله هارون ـ عليه السلام ـ لم يأل جهداً في نهيهم ونصحهم، لكنهم أصروا على فعلتهم ولم يستجيبوا له. وأن كل ما أخذه موسى على هارون ـ عليهما السلام ـ أنه لم يتركهم ويلحق به ليخبره، أو لم يقاتلهم بمن بقي معه.

واتهموا سليمان بأنه ارتد تحت تأثير النساء وعبد الأصنام:

ففي سفر الملوك الأول ١/١١ ـ ١٠: وأحب الملك سليمان نساءً غريبة كثيرة. . من الأمم الذين قال عنهم الرب لبني إسرائيل: لا تدخلون إليهم، وهم لا يدخلون إليكم. لأنهم يميلون قلوبكم وراء آلهتهم. فالتصق سليمان

بهؤلاء بالمحبة. وكانت له سبعمائة من النساء السيدات، وثلاثمائة من السراري. فأمالت نساؤه قلبه في زمان شيخوخته وراء آلهة أقوام أخرىٰ. ولم يكن قلبه مع الرب إلهه كقلب داود أبيه. وعمل سليمان الشر في عيني الرب، وبنى المعابد لآلهة نسائه الغريبات اللواتي كن يوقدن ويذبحهن لآلهتهن. فغضب الرب على سليمان لأن قلبه مال عن الرب إله إسرائيل الذي تراءى له مرتين وأوصاه في هذا الأمر أن لا يتبع آلهة أخرىٰ: فلم يحفظ ما أوصى به الرب.

ولم يثبت من كتبهم أنه تاب: بل الظاهر أنه مات مشركاً مرتداً. وأين هذا من قوله تعالىٰ في القرآن حكاية عنهٰ: ﴿ **قال: هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر * ومن شكر فإنما يشكر لنفسه، ومن كفر فإن ربي غني كريم** ﴾ ـ النحل/ ٤٠ ـ .

٣ ـ افتراؤهم على الأنبياء ووصف بعضهم بصفات تتنافىٰ مع الخلق الكريم:

فقد اتهموا إبراهيم بالكذب وبمتاجرته بزوجه:

جاء في سفر التكوين ١٢/ ١٠ ـ ٢٠: وحدث جوع في الأرض. فانحدر أبرام ـ إبراهيم ـ إلى مصر ليتغرب هناك. لأن الجوع كان في الأرض شديداً. وحدث لما قرب أن يدخل مصر أنه قال لساراي ـ سارة ـ امرأته: إني قد علمت أنك حسنة المنظر. فيكون إذا رآك المصريون أنهم يقولون: هذه امرأته. فيقتلونني ويستبقونك. قولي: إنك أختي، ليكون لي خير بسببك. وتحيا نفسي من أجلك. فحدث لما دخل أبرام إلى مصر أن المصريين رأوا المرأة حسنة جداً. ورآها رؤوساء فرعون ومدحوها لدى فرعون. فأخذت المرأة إلى بيت فرعون. فصنع إلى أبرام خيراً بسببها. وصار له غنم وبقر وحمير وعبيد وإماء وأتن وجمال. فضرب الرب فرعون وبيته ضربات عظيمة بسبب ساراي امرأة أبرام. فدعا فرعون أبرام وقال: ما هذا الذي صنعت بي؟ لماذا لم تخبرني أنها امرأتك؟ لماذا قلت هي أختي حتى أخذتها لي لتكون زوجتي؟ والآن هوذا

امرأتك. خذها واذهب. فأوصى عليه فرعون رجالاً فشيعوه وامرأته وكل ما كان له.

بل وادعوا أنه كرر العملية ثانية: ففي سفر التكوين ٢٠/١ ـ ١٨: ورحل إبراهيم إلى أرض الجنوب، وسكن بين (قادش) وبين (شور) وتغرب في جَرَار. وقال إبراهيم عن سارة زوجته: هي أختي. فأرسل أبيمالك ملك (جرار) ـ وفي السامرية: ملك الخلوص ـ وأخذ سارة. فجاء الله إلى أبيمالك في حلم الليل ـ وفي السامرية: فأتىٰ ملاك الله إلى أبي مالك في حلم الليل ـ وقال له: إنك ميت بسبب المرأة التي أخذت، وهي ذات بعل ـ ولم يَقْرَبْها أبو مالك ـ فقال: يا مولاي أليس هو قال: هي أختي، وهي قالت: أيضاً: هو أخي؟ فقال له: أنا علمت بسلامة قلبك، لذلك ما مكنتك من الدنو منها. والآن أعد زوجة الرجل إليه. فهو نبي، ولعله يشفع لك. وإلا فاعلم أنك ستهلك مع مالك. وأصبح أبو مالك فاستدعىٰ إبراهيم وقال له: ماذا صنعت بنا؟ ولم قلت: هي أختي؟ فقال إبراهيم: خفت أن أقتل بسبب زوجتي. وأيضاً هي بنت أبي، وليست بنت أمي، وصارت لي زوجة. وكان لما أن خرجت من بلادي، قلت لها: في كل المواضع التي نأتي، قولي عني: هو أخي. فأعطاه أبيمالك غنماً وبقراً وعبيداً وإماءً ـ وفي السامرية: وألف درهم ـ وأعاد عليه زوجته، وقال له: هذه أرضي بين يديك، فاسكن فيما حسن عندك. فشفع إبراهيم إلى الله، فشفىٰ الله أبا مالك وزوجته وجواريه، وولدن.

ونسبوا إلى يعقوب وأمه الكذب والغش والخداع:

ففي سفر التكوين ٢٧/١ ـ ٤٦: أن إسحاق لما شاخ وكف بصره، دعى ابنه الكبير «العيس» وطلب منه أن يأخذ جعبته وقوسه ويذهب إلى الصيد، ثم يصنع له ألواناً من الطعام، فيأكل منه ويباركه قبل أن يموت. وكانت (ربقة) تسمع. فلما ذهب العيس، دعت يعقوب وكانت تحبه، فأمرته أن يأتي من الغنم بجديين طيبين، لتصنعهما ألواناً من الطعام. فيدخل يعقوب إلى أبيه، ويقدم الطعام على أنه العيس، فيحظى هو بالبركة. وأبدى يعقوب تخوفه من أن يلمسه

أبوه، فيكتشف الحقيقة، وتحل عليه اللعنة دون البركة. لأنه أملس، وأخوه ذو شعر. فقالت له أمه: أنا أعمل على دفع اللعنة عنك وقتئذٍ. ثم أخذت ثياب العيس وألبستها يعقوب، وجعلت على يديه وسلاسة عنقه جلود جديَيْ الماعز. ثم حمل الطعام ودخل على أبيه. فقال: من أنت يا بني؟ قال: أنا العيس، صنعت كما أمرتني، فقم وكل من صيدي حتى تباركني. فتقدم وباركه ودعا له.. ثم جاء العيس بطعامه. ولما اكتشف الأمر صرخ صرخة عظيمة وقال: باركني أيضاً أنا يا أبي. فقال: أخوك أخذ بركتك بمكر. فقال العيس: ألم تستخلص لي بركة يا أبي؟ وهل لك بركة واحدة؟ فأفهمه أبوه أن قد (سبق السيف العذل). آنئذٍ رفع العيس صوته بالبكاء. ثم عزم على قتل أخيه. لكن الأم نصحت يعقوب بالهرب إلى أخواله. وفي هذه القصة من العظائم ما يلي:

أولاً: اتهامهم يعقوب بأنه قد غش أباه وخدعه. ونسبتهم إليه الكذب في أربعة مواضع: حيث قال: أنا ابنك العيس وبكرك. وقال: صنعت ما قلت لي، فاجلس وكل من صيدي. وهو لم يصطد.

وثانياً: إخبارهم أن بركة يعقوب، إنما كانت مسروقة بغش وخديعة وتخابث.

وثالثاً: ادعاؤهم أن الله أجرى حكمه وأعطىٰ نعمته على طريق الغش والخديعة. وهذا تجهيل لله سبحانه. ولا يشك أحد في أن إسحاق حينما بارك يعقوب، إنما قصد بتلك البركة العيس، وأنه دعا له، لا ليعقوب. فأي منفعة للخديعة هنا[1]:؟.

وإذا كانت هذه الفعلة مستبعدة عمن كان فيه خير من البشر. فكيف تكون من نبي مع أبيه؟!

ولا شك في أن أنبياء الله معصومون مبروؤن من النقائص والفواحش والأعمال التي لا تليق بهم، ولا تتفق مع وضعهم الاجتماعي كما سلف في

(١) الفصل ١/١٣٧، الأسفار المقدسة لعلي ص ٥٠ ـ ٥٢، الأجوبة الفاخرة ص ١٥٠.
وانظر بذل المجهود ص ١٣ ـ ١٤ وص ٤٨ ـ ٥١ .

الكتاب الأول. وفي نسبة مثل هذه الأعمال إليهم استخفاف بهم وانتقاص لقدرهم، وحض على الفواحش.

والنصارى يعتقدون أن الأنبياء والحواريين الذين يسمونهم رسل المسيح، إنما هم معصومون عن الخطأ في التبليغ والتحرير ـ كما سلف ـ وإن لم يكونوا معصومين عن الذنوب والخطأ والنسيان في غير ذلك. بل منهم من يرى أن النبي يمكن أن يكون كذاباً أو غشاشاً أو زانياً أو ما أشبه ذلك من الفواحش. وبعضهم يحصر ذلك بما قبل البعثة دون ما بعدها.

والعجب كل العجب أن العصمة ليست شرطاً للأنبياء عندهم، وتشترط للكاهن أو القسيس الذي يدلي المذنبون باعترافاتهم بين يديه من غير أن يكتموا منها شيئاً، وإلا فلا تقبل توبتهم. ومن ثم تحصل الفضيحة وهتك أسرار البيوت أمام بشر مثلهم، مع أن الله حَيِيٌّ سِتِّير.

لقد رأى البروتستانت أن للكتاب المقدس سلطة جازمة قطعية في كل ما يتعلق بنواحي الدين. أما الكاثوليك، فقد ركزوا كرسي السلطة في الكنيسة. وهؤلاء يدَّعون بأن الكنيسة هي التي تعين ما على البشر أن يؤمنوا به، وكيف يجب أن يعيشوا. وبموجب هذه النظرية يكون كرسي السلطة فعلاً بيد أصحاب الرتب العالية في الكنيسة. وإذا كان إسحاق لا يملك إلا أن يبارك واحداً من أولاده فإن البابا في روما يملك أن يمنح الغفران لمن شاء فيدخل الجنة، ويحجبه عمَّن يشاء فيدخل النار ولا بد أن يكون من يملك مثل هذا الأمر معصوماً. فلعل منصب النبوة دون منصب الكهانة(1).

ومن الغريب أيضاً ما يقرره التلمود من أن الله سبحانه هو مصدر الشر كما أنه مصدر الخير؛ فقد أعطىٰ الإنسان طبيعة رديئة، وسنّ له الشريعة، لكنه لم

---

(1) إظهار الحق ١/٩ و ٢٣٠، هذه عقائدنا ج. كلايد تارنر ص ١٥، الأجوبة الفاخرة ص ١٤٦.

يستطع لطبيعته الرديئة أن يسير على نهج الشريعة. فوقف حائراً بين اتجاه الشر في نفسه، وبين الشريعة المرسومة له. وعلى هذا فإن داود لم يرتكب خطيئة بقتله أوريا واتصاله بامرأته. لأن الله هو السبب في ذلك[1].

ولا ريب أن هذا مخالف للحق والواقع، وفيه تنصل من الذنوب والجرائم. فكل مولود يولد على الفطرة.. لكن الفطرة كثيراً ما تنحرف وتفسد بعد ذلك كما سلف في الكتاب الأول.

جـ - ورود حكايات تستبعدها العقول ومخالفة ما فيها للحقائق العلمية والواقع

ورد في التوراة التي بين أيديهم حكايات تستبعدها العقول، بل تمنع من وقوعها. مثل ما سلف من قصة آدم واختبائه من رب العالمين، وقصة لوط ويهوذا وغير ذلك. فهي إلى الأساطير أقرب.

وقد ورد فيها أيضاً حكايات لا فائدة في ذكرها. مثل تفرع القبائل من نوح وأسمائهم ومواضعهم، وأولاد سيعير، ووصف الملوك الذين ملكوا في أدوم. وذكر عدد المنازل في سلوك بني إسرائيل إلى أرض الشام ونحو ذلك[2]. فكأن التوراة كتاب تاريخ وإحصاء جمع بدون تدقيق ولا تحقيق. وليست موعظة وتفصيلاً لكل شيء من الأحكام.

أضف إلى ذلك أيضاً مخالفة ما ورد فيها للحقائق العلمية المقررة وللواقع المشهور. كحديثها عن الأنهار ومصباتها، والذهب وأماكن وجوده، ومخالفة ذلك لما هو ثابت ومعروف. ولا سيما في سفر التكوين. وكخطئها من حيث

---

(١) اليهودية لأحمد شلبي ص ٢٧٥، وهو يستقي من (التلمود شريعة إسرائيل) ص ١٧ - ١٩.

(٢) تنقيح الأبحاث لابن كمونة ص ٣٥.

العد والحساب، فقد تعارضت الأرقام وتضاربت كما سيأتي. ومعاذ الله أن يكذب موسى ـ عليه السلام ـ أو يخطىء فيما أوحىٰ إليه ربُّه. فوضح يقيناً لكل من له أدنىٰ فهم أن أسفارهم هذه ليست من عند الله، ولا من إخبار نبي[1].

د ـ خلوها من التصريح بالثواب والعقاب

إن أسفار العهد القديم، ولا سيما التوراة، تكاد تكون خالية من التصريح بالثواب والعقاب في الآخرة. بل إنها قد خلت من ذكر البعث والنشور واليوم الآخر ونعيمه وجحيمه بشكل وافٍ. مع أن هذه الأمور من أهم ما يذكر في مثل هذا الكتاب. بل إنها هي الأصل العظيم في التشريع. فلو كانت تلك الكتب التي بأيدي عامة اليهود والسامرة والنصارىٰ هي نفسها التوراة التي أنزلها الله على موسىٰ ـ عليه السلام ـ لما جاز أن تخلو من التصريح بذلك، وتعدل عنه إلى الثواب والعقاب الدنيويين اللذين كثر ذكرهما في التوراة مع أن الدنيا زائلة، ولا يُعَوَّل كثيراً على نعيمها وشقائها[2].

وعلى سبيل المثال ما جاء في الباب السابع والعشرين من سفر التكوين: أن إسحاق لما شاخ وعميَ أراد أن يبارك ابنه الكبير العيس قبل أن يموت. لكن يعقوب احتال بمساعدة أمه، وسرق من أبيه البركة مدعياً أنه العيس كما سلف. وكان نص الدعاء كما يلي (٢٧/ ٢٨ ـ ٢٩): «يعطيك الله من طل السماء ومن كلأ الأرض. وكثيراً من الدواجن والعصير. الشعوب يخدمونك، والأمم يسجدون لك. كن سيداً لإخوتك. ويسجد لك بنو أمك. لاعنك ملعون، ومباركك مبارك».

والدارس للكتب الإسرائيلية يجد أنه لم يرد فيها شيء عن البعث واليوم الآخر والخلود. بل إنما ورد فيها حديث عن الأرض السفلىٰ والجب الذي يهوي إليه العصاة ولا يعودون.

---

(١) الفصل لابن حزم ١/ ١١٨ و ١٢٨، الأجوبة الفاخرة ص ١٤٦.

(٢) تنقيح الأبحاث لابن كمونة ص ٤٠، اليهودية لأحمد شلبي ص ٢٠٢.

قال آرثر: إن الكتاب المقدس نفسه يعد الحياة الدنيا وحدها، هي عالم الإنسان، وليس هناك اعتقاد بعد ذلك في بعث، وجنة أو نار اهـ[1].

بيد أنه قد ورد في بعض فقرات التلمود ذكر الجنة والنار، لكن في صورة مضطربة، هي أدنىٰ إلى الخرافة والأساطير منها إلى العقيدة[2].

ولعل هذا هو السبب الذي جعل بعض فرق اليهود، ولا سيما التي لا تؤمن إلا بأسفار موسى الخمسة، مثل الصدّوقيين، تنكر البعث واليوم الآخر، وتعتقد أن عقاب العصاة، وإثابة المحسنين، إنما يقعان في أثناء حياتهم.

وعلى العموم فإن فكرة البعث والحساب لم تجد لها أرضاً خصبة في عالم اليهود. وقد حاول بعض الفريسيين القول بها، لكن هذه المحاولة لقيت معارضة شديدة من سائر اليهود. ولذلك تهتم الديانة اليهودية بالأعمال، ولا تعنىٰ بالإيمان. وقلما يشير اليهود إلى حياة أخرى بعد الموت، ولم تدر فكرة البعث في خلد اليهود إلا بعد أن فقدوا الرجاء في أن يكون لهم سلطان في الأرض[3].

هـ ـ إنكارها للنسخ واضطرابهم في ذلك

قد نطقت التوراة التي في أيديهم في عدة مواضع بأن النسخ لا يقع، مع أن النسخ واقع ولازم في شرح التلمود. ويظهر ذلك من الوجوه التالية:

١ ـ إن من أحكام التوراة أن من يحضر ميتاً عند موته، أو يمس عظماً، أو يطأ قبراً، فإنه يتنجس، ولا يطهر إلا برماد البقرة التي كان الإمام الهاروني يحرقها. ولا يجوز له أن يداني شيئاً من أمور القدس إلا بعد التطهير برماد البقرة المذكورة على وجه التعبد.

---

(١) اليهودية لأحمد شلبي ص ٢٠٣.

(٢) الأسفار المقدسة لعلي عبد الواحد ص ٣٤.

(٣) اليهودية لأحمد شلبي ص ٢٠٢ وص ٢٠٤.

فإن استغنىٰ اليهود الآن في الطهارة عن ذلك الرماد مع عجزهم عنه فقد أقروا بالنسخ لحال اقتضاها هذا الزمان. وإن لم يستغنوا عن ذلك كانوا أنجاساً أبداً[1].

ولا ينفعهم تذرعهم بحمل هذه النجاسة على المعنوية، فإنهم أيضاً يبقون أنجاساً من حيث المعنىٰ.

٢ ـ إن في صلواتهم فصولاً تتضمن أدعية تدل على أنهم لفقوها بعد زوال الدولة عنهم. والصلاة التي يرددونها كثيراً هي: «فليتمجد وليتقدس اسم الرب العظيم في كل العالم الذي خلقه حسب مشيئته، وليتحقق ملكه في أثناء حياتكم، وخلال أيامكم، وفي أثناء حياة كل بني إسرائيل بسرعة وبالقريب العاجل. آمين» ولهم أصوام تدل على ذلك أيضاً، مثل صوم إحراق البيت المقدس، وصوم حصاره، وصوم كدليا، وصوم صلب هامان.

وهذه الأمور جميعها قد جعلوها فرضاً عليهم ، مع أنهم قد نُهوا في التوراة عن الزيادة على ما فيها من الفرائض. فهذا نسخ لذلك النهي[2].

٣ ـ لديهم في التوراة: أنه لا يجوز للملك الذي يملكه الإسرائيليون عليهم أن يستكثر من النسوان، ولا من الذهب والفضة. مع أن داود ـ عليه السلام ـ قد استكثر منهن. أما ولده سليمان، فقد استكثر من الجميع استكثاراً عظيماً.

أضف إلى ذلك أن في أسفار الأنبياء عدة مواضع تدل على مخالفة ما هو مشروع ومقرر في التوراة فهذا كله يدل على النسخ[3].

---

(١) تنقيح الأبحاث لابن كمونة ص ٤٥ ـ ٤٦، بذل المجهود في إفحام اليهود ص ٢٥.
(٢) تنقيح الأبحاث ص ٤٥، التوراة تاريخها وغاياتها ص ٤٣، وهو ينقل عن كتاب الصلاة للسبت والأعياد، بذل المجهود ص ٢٧ ـ ٢٨.
(٣) تنقيح الأبحاث ص ٤٥ ـ ٤٦.

٤ ـ إن التوراة تنطق بإيجاب الختان في اليوم الثامن من الولادة. وبتحريم الصنائع العملية يوم السبت. ولا بد من أن ينسخ أحد الفرضين الآخر، إذا اتفق ثامن يوم الولادة مع يوم السبت [١] .

حتى لو تعللوا بأن إيجاب الختان أسبق من السبت؛ فحيث حرمت الأعمال الصناعية في السبت كان الختان مستثنياً. فإن ذلك لا يجديهم فتيلاً. لأنه نسخ جزئي بالاجتهاد. وكان من الواجب أن تنص التوراة على ذلك، فتستثني صراحة ما سبق إيجابه. وآنئذٍ لا حاجة إلى اجتهاد العلماء ونصهم على جواز ذلك.

فهذه الأمور وغيرها تدل علىٰ تحريف التوراة وتبديلها.

و ـ ورود أحكام مضطربة وتشريعات لا معنى لها

ورد في العهد القديم تشريعات لا معنى لها. بل إن العقل السليم ليأبىٰ أن يصدر مثل ذلك عن أحكم الحاكمين، أو يخبر به نبي يخاطبه الله شفاهاً ويوحي إليه. علماً بأن العقل السليم لا يتعارض مع التشريع الحكيم، بل يؤيده. ومن ذلك ما يلي:

١ ـ إن أسفار العهد القديم تقوم على التفرقة العنصرية. فهي تجعل بني إسرائيل الشعب المختار الذي فضله الله على العالمين. وتنظر إلى سائر الشعوب نظرة احتقار وازدراء. لأنها شعوب وضيعة سخرها الله لخدمة بني إسرائيل، كما سخر البهائم لخدمة البشر. وهذا أمر معروف عنهم ومشهور. وهم يضعون أحكامهم وقوانينهم ونظمهم على هذا الأساس.

٢ ـ في هذه الأسفار كثير من الأحكام المتضاربة والمتناقضة. وهذا يدل على عدم وحدتها. فقد يقرر سفر حكماً في حادثة ما بينما يقرر غيره حكماً آخر

(١) تنقيح الأبحاث ص ٤٧. وانظر في ذلك بذل المجهود، فقد ذكر عدة أمثلة تثبت وجود النسخ عندهم

في الحادثة نفسها مثل بيع الإسرائيلي نفسه لأخيه الإسرائيلي في حالة عوزه وحاجته للمال:

ففي سفر الخروج ٢١/٢: إذا اشتريت عبداً عبرانياً، فسِت سنين يخدم، وفي السابعة يخرج حُراً مجاناً.

وفي سفر التثنية ١٥/١٢: إذا بيعَ لك أخوك العِبراني أو أختك العبرانية، وخدمك ست سنين، ففي السنة السابعة تطلقه حُراً من عندك.

وفي سفر اللاويين ٢٥/٤٠ ـ ٤١: وإذا افتقر أخوك عندك، وبيع لك، فلا تستعبده استعباد عبد، كأجير كنزيل يكون عندك، إلىٰ سنة اليوبيل يخدم عندك، ثم يخرج هو وبنوه إلى عشيرته.

فسفرا الخروج والتثنية يقرران أن رقه لا يدوم إلا ست سنين. لكن سفر اللاويين يقرر أن رقه لا ينتهي إلا بحلول (اليوبيل) الإسرائيلي، وهو عيد يأتي كل خمسين سنة، أياً كانت المدة التي قضاها في الرق قبل ذلك. وعليه. فيمكن أن يكون رقه أياماً إذا استرق قبيل اليوبيل، ويمكن أن يدوم خمسين سنة إلا أياماً إذا استرق عقيب اليوبيل.

ومن ناحية ثانية أيضاً فإن سفر التثنية يذكر في ١٥/١٢. أن المبيع قد يكون رجلاً، وربما امرأة، مع أن أسفار التلمود لا تجيز ذلك إلا للرجل وحده. فهل هذا تناقض أو نسخ؟ وإذا كان نسخاً، فهل عرف المتقدم من المتأخر؟!

٣ ـ إن بعض شرائع العهد القديم تحمل في طياتها دليلاً على اضطراب الحقائق في أذهان مؤلفيها، واختلاط الأمر عليهم، ونسيانهم حظاً كبيراً من التوراة، وغفلتهم عن أصولها. كما سلف في مسألة التنزيه والتشبيه، حيث استمدوا الحكم الصحيح وهو التنزيه من أصل التوراة، ثم خلطوا معه ما وافق مزاجهم[١].

---

(١) الأسفار المقدسة لعلي ص ٣٦ ـ ٣٨.

وهذا ما قرره القرآن بقـوله سبحـانه: ﴿ **فبمـا نقضهم ميثاقهم لعنـاهم، وجعلنا قلوبهم قاسية * يحرفون الكلم عن مواضعه * ونسوا حظاً مما ذكـروا به** ﴾ - المائدة/١٣ - .

وصفوة القول: إن هذه المظاهر التي تتسم بها شريعة اليهود، تدل دلالة واضحة على أن أسفارهم من صنع أيديهم.

في كثير من القصص الوارزدة في أسفارهم بوجه عام، وفي توراتهم بوجه خاص، من التناقض والتفارق، والغفلة عن حقائق سبق إيرادها، والخطأ في جمع الأرقام والحساب وغير ذلك، ما يجل عن الحصر، ويضيف إلى الأدلة السابقة أدلة قاطعة بأن أسفارهم من صنع أيديهم. ومن ذلك ما يلي:

التناقض والأغلاط في الأسفار الخمسة:

١ ـ جاء في سفر التكوين ٤/٢ أن هابيل بن آدم كان راعي غنم.

ثم جاء بعد ذلك في الفقرتين ٤/١٩ ـ ٢٠ من السفر نفسه والباب ذاته أن يابال ـ وهو في العقب السابع من آدم ـ كان أول من رعى الغنم وسكن الخيام. فمن هو الراعي الأول؟!

وفي السامرية: «وولدت (عَدَة) (يابال) وهو أول من سكن الخيام واقتنى المواشي».

٢ ـ جاء في سفر التكوين ٥/٣٢ أن نوحاً لما صار ابن خمسمائة سنة، ولد له سام وحام ويافث.

ثم جاء في السفر نفسه ٧/٦ أن الطوفان حدث حينما بلغ سام سن المائة. ـ وفي السامرية: «ونوح ابن ستمائة سنة والطوفان كان ماءً على الأرض».

ثم جاء أيضاً في ١١/١٠ أن سام حينما بلغ مائة سنة، ولد له (أرفخشاد) وأن ذلك كان بعد سنتين من الطوفان.

وهذا يعني أن الطوفان حدث وسن سام (٩٨) عاماً لا مائة كما ذكر من قبل.

٣ ـ جاء في سفر التكوين ٣/٦ أن الله قد غضب في زمن نوح على النوع الإنساني، فجعل أعمار البشر لا تتجاوز (١٢٠) سنة.

ثم جاء بعد ذلك في ١٠/١١ من السفر نفسه أن سام بن نوح عاش (٦٠٠) سنة، وأرفكشاد بن سام عاش (٤٣٨) سنة، وشالح بن أرفكشاد عاش (٤٣٣) سنة، وعابر بن شالح (٤٠٤) سنة، وفالح بن عابر (٢٣٩) سنة، ورعو بن فالح (٢٣٩) سنة، وسروح بن رعو (٢٣٠) سنة، وناحور بن سروج (١٤٨) سنة، وتارح بن ناحور (٢٥٠) سنة.

٤ ـ جاء في سفر التكوين ١٢/١٩ ـ ١٣ أن الملكين اللذين أرسلا لتدمير قريتي: سدوم وعمورة قالا للوط ـ عليه السلام ـ: اخرج من هذا الموضع أنت وكل من لك ها هنا: بنين وبنات وأصهاراً ـ وكان له بنتان متزوجتان، وبنتان غير متزوجتين ـ.

ثم جاء بعد ذلك في الباب نفسه ١٥/١٩ ـ ١٦ أنه لما طلع الفجر استعجل الملكين لوطاً قائلين: قم وخذ زوجتك وابنتيك الموجودتين ـ أي غير المتزوجتين ـ كي لا تهلك بوزر المدينة. ولما توانىٰ أمسك الملكان بيده ويد زوجته وابنتيه، وأقرَّاهم خارج المدينة.

وفي ٣٠/١٩ ـ ٣٩ أنه لم ينج سوى لوط وابنتيه، فأقاموا في غار وكان منهما مع أبيهما ما كان كما سبق.

وهذا يعني أن بنيه وبناته المتزوجات وأزواجهن قد هلكوا في المدينة مع من هلك. وهذا تناقض فاضح، وإلا فلما ذا طلب منه الملكان أول مرة أن يخرج ببنيه وبناته وأصهاره وسائر أهله؟!

٥ ـ جاء في سفر التكوين ١٥/٤٦: هؤلاء بنو (إليا) الذين ولدتهم

ليعقوب بين نهر سورية، و (دينا) ابنتها ـ وفي السامرية: في فدان أرام، ودينة ابنته ـ جميع بنيها وبناتها: ثلاثة وثلاثون نفساً اهـ.

وهذا غلط. والصحيح: أربعة وثلاثون نفساً. قال المفسر الشهير (رسلي): لو عددتم الأسماء، وأخذتم دينا صار أربعة وثلاثين. ولا بد من أخذها كما يعلم من تعداد أولاد (زلفىٰ) لأن (سارا) بنت (أشير) واحدة من ستة عشر[1].

٦ ـ وجاء في سفر الخروج ١٢/٤١ ـ ٤٢: وكان لانقضاء (٤٣٠) سنة، في جزء هذا اليوم، خرجت كل جيوش الله من أرض مصر.. حفظاً لكل بني إسرائيل لأجيالهم.

وفي سفر العدد ١/٤٥ ـ ٤٩: وكان كل إحصاء بني إسرائيل لجيوشهم من ابن عشرين سنة فصاعداً، كان ستمائة ألف، وثلاثة آلاف، وخمسمائة وخمسين. واللاويون لم يحصوا في جملتهم.

ويعلم من هذا أن عدد الصالحين لمباشرة الحروب كان أكثر من (٦٠٠,٠٠٠). وأن اللاويين ذكوراً وإناثاً، وإناث جميع الأسباط الباقية، وذكورهم الذين هم دون العشرين، خارجون عن هذا العدد، وأننا لو ضممنا جميع المتروكين والمتروكات إلى المعدودين، فإن الجميع لا يكونون أقل من مليونين ونصف. وهذا غير صحيح لوجوه:

الأول: إن عدد بني إسرائيل ذكوراً وإناثاً حينما دخلوا مصر كان سبعين كما هو مصرح به في سفر التكوين ٤٦/٧، وسفر الخروج ١/٥، وسفر الاستثناء ١٠/٢٢. ومدة إقامة بني إسرائيل في مصر كانت (٢٥٠) سنة بدون زيادة. وفي الباب الأول من سفر الخروج أنه قبل ثمانين سنة من خروجهم، كانت تذبح أبناؤهم، وتستحيا نساؤهم. فكيف يبلغون هذا العدد؟!

---

(١) إظهار الحق ١/٦٣.

ولو غُضَّ النظر عن الذبح، وفرض أنهم كانوا يتضاعفون في كل خمس وعشرين سنة، فإن عددهم لا يبلغ ستة وثلاثين ألفاً في المدة المذكورة. فضلاً عن أن يبلغ مليونين ونصف المليون. فكيف لو أخذ الذبح بعين الحسبان؟ فالامتناع عقلاً أظهر.

الثاني: يبعد كل البعد أن يكثروا بهذا الشكل في هذه المدة من سبعين نفساً. ولا يكثر القبط مع راحتهم وكثرتهم وغناهم.

الثالث: في سفر الخروج الباب الثاني عشر أن بني إسرائيل عندما خرجوا من مصر، كان معهم المواشي العظيمة من البقر والغنم. ومع ذلك فإنهم عبروا البحر في ليلة واحدة، وكانوا يرتحلون كل يوم. وكان يكفي لإبلاغهم الأمر اللساني الذي يصدر عن موسىٰ.

الرابع: إنه لا بد من أن يكون موضع نزولهم واسعاً. والموضع الذي حول طور سيناء. وكذلك الموضع الذي حول الاثنتي عشرة عيناً في (إيليم) لا يتسع كل منهما لكثرتهم وكثرة مواشيهم[1].

٧ ـ جاء في سفر التثنية ٢٣/٢: لا يدخل ابن زنىٰ في جماعة الرب، حتى الجيل العاشر، لا يدخل منه أحد في جماعة الرب اهـ ـ وفي الترجمات القديمة «حتى يمضي عليه عشرة أعقاب» ـ.

وفي السامرية: لا يدخل ممزير في جوق الله. أيضاً الجيل العاشر لا يدخل منهم في جوق الله اهـ.

وهذا الحكم لا يمكن أن يكون من عند الله أو من كلام موسى ـ عليه السلام ـ وإلا لزم أن لا يدخل داود ولا آباؤه إلى فارض في جماعة الرب. لأن فارض ولد زنىٰ كما هو مصرح به في الباب الثامن والثلاثين من سفر التكوين. وداود ـ عليه السلام ـ البطن العاشر من فارض كما يظهر من نسب المسيح

---

(١) وقد نبه إلى هذا ابن خلدون في مقدمته وانظر إظهار الحق ١/٦٤ ـ ٦٥.

المذكور في الباب الأول من إنجيل متى. وكذا في إنجيل لوقا. مع أن داود رئيس الجماعة والولد البكر لله كما في الزبور. وقد حكم المفسر (هارسلي) بأن هذه الجملة «حتى يمضي عليه عشرة أعقاب» إلحاقية[1].

٨ ـ جاء في سفر العدد ٣٣/٣٨ ـ ٣٩: فصعد هارون الكاهن ـ وفي السامرية: الإمام ـ إلى جبل (هور) حسب قول الرب. ومات هناك في السنة الأربعين لخروج بني إسرائيل من أرض مصر، في الشهر الخامس في الأول من الشهر. وكان هارون ابن ثلاث وعشرين ومائة سنة حين مات في جبل هور.

وجاء في سفر التثنية ١٠/٦ من التوراة العبرانية: وبنو إسرائيل ارتحلوا من آبار بني يعقان إلى موسير. هناك مات هارون وهناك دفن.

وهذا تناقض، فمرة تذكر أنه مات في جبل هور، ومرة في موسير. وجبل هور بعد موسير بمنازل كما هو مذكور في الباب الثالث والثلاثين من سفر العدد. وكما هو واضح في التوراة السامرية، حيث خلت من هذا التناقض، فقد

---

(١) إظهار الحق ١/٦٣ و٢٤٨.

هذا. وقد وقع في مواضع عديدة من التوراة أن الأبناء تؤخذ بذنوب الآباء إلى ثلاثة أجيال أو أربعة أجيال كما وقع في إنجيل لوقا ١١/٤٩ ـ ٥١ قول المسيح لعلماء اليهود: ولذلك قالت حكمة الله: أرسل إليهم الأنبياء والرسل، فيقتلون منهم ويضطهدون. حتى أحاسب هذا الجيل على دم جميع الأنبياء الذي سفك منذ إنشاء العالم، من دم هابيل إلى دم زكريا الذي قتل بين المذبح وبيت الله. أقول لكم: نعم سأحاسب هذا الجيل على دم هؤلاء كلهم اهـ.

وجاء في سفر حزقيال ١٨/٢٠: النفس التي تخطىء فهي تموت. والابن لا يحمل إثم الأب، والأب لا يحمل إثم الابن. وعدل العادل يكون عليه، ونفاق المنافق يكون عليه اهـ.

فعلم من هذا أنه لا يؤخذ أحد بذنب أحد. وهذا هو العدل الذي جاء به القرآن، حيث قال تعالىٰ: ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾ ونحو ذلك من الآيات. وليت شعري كيف يوفق النصارىٰ بين قول حزقيال وبين قصة الفداء عن الخطيئة البشرية كما يزعمون؟ وانظر إظهار الحق ١/١١٣ من طبعة المغرب و ١/١٢٨ من طبعة قطر.

جاء فيها ٦/١٠ : وبنو إسرائيل رحلوا من مسيروث، ونزلوا في بني يعقن.

٧/١٠ : من هناك رحلوا ونزلوا في جذجذة، ومن هناك.... ومن هناك رحلوا ونزلوا في جبل هور. ومات هناك هارون الإمام ودفن هناك.

وقد ظهر فرق بين العبرانية والسامرية ففي العبرانية: ارتحلوا من آبار بني يعقان إلى موسير. وفي السامرية: من مسيروث إلى بني يعقن[١].

التناقض بين التوراة وسائر الأسفار:

١ ـ جاء في سفر يوشع ٢٤/١٣ ـ ٢٥ : وأعطى موسى سبط جاد وبنيه لقبائلهم ميراثاً هذا تقسيمه: حد يعزير وجميع قرىٰ جِلعاد، ونصف أراضي بني عمون إلى عَرْواعير. التي هي حيال ربا اهـ.

ووقع في سفر التثنية ٢/١٧ ـ ١٨ : قال لي الرب: إنك تدنو إلى قرب بني عمون، فلا تقاتلهم ولا تحاصرهم لأنني لا أعطيك شيئاً من أرض بني عمون. لأنني أعطيتها بني لوط ميراثاً.

ولو كانت التوراة المشهورة من تصنيف موسىٰ حقيقة لما خالفها يوشع، وغلط في المعاملة التي وقعت في حضوره. بل لا يتصور هذا من شخص إلهامي. فالأمر لا يخلو مما يلي: إما أن لا تكون التوراة من تصنيف موسىٰ، أو لا يكون كتاب يوشع من تصنيفه، أو تصنيف إلهامي آخر. وإلا لما وقع هذا التناقض[٢].

٢ ـ جاء في سفر أخبار الأيام الأول ٦/٧، بنو بنيامين: بلع، وبكر، ويديع بيل، ثلاثة أشخاص. وفي ١/٨ : ولد بنيامين ولده الأكبر بالع، والثاني أشبيل، والثالث أحرج.

---

(١) التوراة السامرية: الفروق التي ذكرها أحمد حجازي ص ٢٩٠ ـ ٢٩١.

(٢) إظهار الحق ١/٦٧ ـ ٦٨ و ٢٤٩.

٢/٨ : والرابع نوحاه، والخامس رافاه.

ووقع في سفر التكوين ٢١/٤٦ : بنو بنيامين: بلع وبكر وإشبيل وجيرا ونعمان وأحيم ورواش وتغيم وحوفيم وأُرْد.

ففي العبارات الثلاث اختلاف من وجهين:

الأول في الأسماء كما هو واضح.

الثاني في العدد: فيفهم من الأولىٰ أن أولاد بنيامين ثلاثة، ومن الثانية أنهم خمسة، ومن الثالثة أنهم عشرة.

وتحير علماء أهل الكتاب في ذلك واضطربوا، ثم اتفقوا على أن ما وقع في السفر الأول غلط.

قالوا: وسبب ذلك أن عزرا لم يحصل له تمييز بين الأبناء والأحفاد، فوضع الابن في موضع ابن الابن، وبالعكس، وأن أوراق النسب التي نقل عنها كانت ناقصة، ولم يحصل له تمييز بين الغلط والصواب.

قال آدم كلارك في المجلد الأول من تفسيره: وعلماء اليهود يقولون: إن عزرا وجد كتابين فيهما هذه الفقرات باختلاف الأسماء، ولم يحصل له تمييز بالأحسن، فنقلهما. ويقولون: إن عزرا الذي كتب هذا السفر، ما كان له علم بأن بعض هؤلاء بنون أم أحفاد. ويقولون أيضاً: إن أوراق النسب التي نقل عنها. كان أكثرها ناقصاً اهـ.

مع أن جمهور أهل الكتاب يقولون: إن السفر الأول والثاني من أخبار الأيام صنفهما عزرا بإعانة حجي وزكريا الرسولين. ويعلم من هذا أمران:

أ ـ الظاهر أن هؤلاء الثلاثة كانوا متبعين التوراة. ولو كانت التوراة المشهورة هي توراة موسى الحقيقية، لما خالفوها، ولما وقعوا في هذا الغلط، ولما جاز لعزرا أن يتركها ويعتمد على أوراق ناقصة.

وكذلك لو كانت التوراة التي كتبها عزرا مرة أخرى بالإلهام كما يقولون هي ذات توراة موسى، لما خالفها ووقع مع اللذين ساعداه في هذا الغلط.

فعلم أن التوراة المشهورة، ليست هي التي صنفها موسىٰ، ولا التي كتبها عـزرا. بل الحق أنهـا مجموعـة من الروايـات والقصص المشتهرة بين اليهـود جمعها أحبارهم بلا نقد ولا تمحيص.

ب ـ وعلم أيضاً من إقرارهم بوقوع الغلط من الأنبياء الثلاثة؛ أن الأنبياء في زعمهم كما أنهم ليسوا بمعصومين عن الكبائـر والفواحش. كـذلك ليسـوا بمعصومين عن الخطأ في التحرير والتبليغ. وهذا خلاف ما صرحوا به[1].

٣ ـ وجـاء في السفـر الثـاني من أخبـار الأيـام ٣٦/٩. وكـان يـواخين (يهوياكين) ابن ثمان سنين حين صار سلطاناً اهـ.

وفي سفـر الملوك الثاني ٢٤/٨: وكـان يواخين حين جلس على سـرير السلطنة ابن ثماني عشرة سنة اهـ.

قال آدم كلارك في المجلد الثاني من تفسيره بصدد عبارة سفر الملوك: وقع في ٣٦/٩ من السفر الثاني لأخبار الأيام لفظ (ثمان) وهو غلط البتة. لأن سلطنته كانت إلى ثلاثة أشهر، ثم ذهب إلى بابل أسيراً، وكان في المحبس مع أزواجه. والغالب أنه لا يكون لابن ثمانٍ أو تسع أزواج[2].

٤ ـ جاء في سفر العدد ٣١/١ ـ ٢٠ أن موسى أمر بتجهيز جيش، من كل سبط ألفاً، ثم أرسلهم إلى مدين، فما أبقوا منهم ذكراً مطلقـاً حتى الرضيـع. وقتلوا جميع النساء البالغات. أما غير البالغات فأخذوهن جواري لأنفسهم.

وجاء في الباب السادس من سفر القضـاة أن أهل مـدين كانـوا في عهد القضاة قوة عظيمة بحيث إن بني إسرائيل كانوا معهم مغلوبين وعـاجزين عنهم سبع سنين.

---

(١) إظهار الحق ١/٥٩ ـ ٦٠ و٨٧ ـ ٨٨ و١٩٣ و٢٢٧ ـ ٢٢٨.
وكذلك ثمـة خلاف في الأسمـاء بين ٨/٢٩ ـ ٣٨ من السفر الأول لأخبـار الأيام وبين ٩/٣٥ ـ ٤٤ منه كما ذكر المفسر آدم كلارك في المجلد الثاني من تفسيره. انظر إظهار الحق ١/٨٧ ـ ٨٨.

(٢) إظهار الحق ١/٢٣٢.

فإذا فني أهل مدين بهذا الشكل في عهد موسىٰ، فكيف صاروا في عهد القضاة قوة تغلب بني إسرائيل. والمدة التي بين العهدين في أقصى حال لا تزيد عن مائتي سنة؟![1].

٥ ـ جاء في الباب الخامس والسادس من سفر صموئيل الثاني أن داود جاء بالتابوت بعد محاربة الفلسطينيين.

وجاء في الباب الثالث عشر والرابع عشر من السفر الأول لأخبار الأيام أنه جاء بالتابوت قبل محاربتهم.

فإذا كانت الحادثة واحدة كما لا يخفىٰ، فمتى جاء بالتابوت؟ لا شك أن أحدهما غلط يقيناً[2].

وصفوة القول في التوراة: إنه مما لا ريب فيه، أن التوراة التي بين يدي أهل الكتاب اليوم، ليست هي التوراة التي أنزلها الله على موسى ـ عليه السلام ـ قطعاً. بل إنما هي من جمع وتلفيق عزرا الوراق وغيره، إبان السبي وبعده. ثم ألحقت بها أسفار خلّفها كتاب مجهولون، عالجوا النصوص على سجيتهم، وبحسب الظروف التي عاشوها والضروروات التي كان عليهم مواجهتهم.

ولم يقم دليل على عصمة عزرا ومن ساعده، ولا على أن تلك الفصول التي جمعها من عين التوراة التي أنزلها الله على موسى. لكن مما لا شك فيه أن بعض الوحي يختلط بتلك الكتابات، وأن فيها بعض ما أنزله الله على

---

(١) (٢) إظهار الحق ١/٨٨ ـ ٨٩.

وقد أفرد ابن حزم في الجزء الأول من كتابه الفصل فصلاً كبيراً من ص ٩٣ ـ ١٦٦ ضرب فيه أمثلة كثيرة عن الكذب والتناقض في قصص أسفار اليهود. وكذلك الشيخ رحمة الله الهندي في إظهار الحق فإنه بين الأغلاط والتناقض والتحريف في الأماكن التالية: (١٠٧ ـ ١١٤ ومن ١٣٧ ـ ١٥٢ و ٢٠٩ ـ ٢٣٦ ومن ٢٤٧ ـ ٢٥٤) من طبعة قطر وكذلك القرافي في الأجوبة الفاخرة من ص ٦١ ـ ٨٧ ومن ١٤٦ ـ ١٥٠.

موسى[1] . مثل النصوص التي تدل على الوحدانية وتنزيه الخالق ونحو ذلك .

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام. فقال رسول الله ـ ﷺ ـ : لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم، وقولوا: آمنا بما أنزل إلينا وما أنزل إليكم ـ رواه البخاري ـ .

وفي رواية: فإما أن يحدثوكم بحق فتكذبوه، وإما أن يحدثوكم بباطل فتصدقوه.

وعليه . فلا بأس أن ينكر أحد شيئاً من أسفارهم إذا كان مصادماً للبداهة أو مخالفاً للبراهين القطعية ، ولا سيما إذا خالف نصاً ثابتاً ،فإن إنكاره واجب[2] .

والقرآن الكريم يخبرنا أنه كان من أهل الكتاب من قد عصمهم الله من زيغ العقيدة ، فآمنوا بما جاء في التوراة الصحيحة التي أنزلها الله على موسى ـ عليه السلام ـ وأتيح لهم الاحتفاظ ببعض النقول الصحيحة عنها. ـ كما سيأتي إن شاء الله ـ وفي هذا يقول الله تعالى : **﴿ وإنّ من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم خاشعين لله * لا يشترون بآيات الله ثمناً قليلاً * أولئك لهم أجرهم عند ربهم * إن الله سريع الحساب ﴾**ـ آل عمران / ١٩٩ ـ .

ويقول سبحانه : **﴿ والذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته . أولئك يؤمنون به * ومن يكفر به فأولئك هم الخاسرون ﴾** ـ البقرةس/ ١٢١ ـ .

والتغيير والتحريف قد وقعا قبل بعثة محمد ﷺ وبعدها . وظهر عند بعض أهل الكتاب شيء من النسخ المبدلة دون التي لم تبدل[3] .

---

(١) هداية الحيارى ص ٥٧٨ ، دراسة لموريس ص ٢٥ ، الجواب الصحيح ٢ /١٨ ـ ١٩ .

(٢) مجموع فتاوي ابن تيمية ١٣/٣٤٥ ، إظهار الحق ١ /٢٢٩ .

(٣) الجواب الصحيح ٢ /١٦ .

وقد يتساءل الإنسان : إذا كانت التوراة قد ضاعت إبان حادثة السبي ، ولم يعد لها وجود . ثم ركبت ولفقت في أثناء السبي وبعده . فهل نبه الأنبياء الذين أتوا من بعد موسى إلى ذلك ؟ والجواب : إنه مما لا شك فيه أنهم قد نبهوا إلى ذلك وبينوه . ولذلك وجدوا المعارضة القوية وكان نصيب كثير منهم القتل والمطاردة . لكن ذلك لم يصل إلينا . إذ لا يعقل أن تكون التوراة محرفة ، كما ثبت ذلك ، ويسكتون عنها ، وهم يوحىٰ إليهم . وليس من الضروري أن يزول التحريف بتوجيه الأنبياء الذين أتوا بعد وقوعه . غير أن التنبيه قد وقع . وإذا كان اليهود يتهمون الأنبياء بالزنىٰ وشرب الخمور والارتداد وصنع المعبودات الباطلة وغير ذلك . فكيف ينقلون رد الأنبياء لما حرف من التوراة ؟! .

أما إدعاء النصارىٰ أن المسيح والحواريين شهدوا بتصديق كتب العهد القديم ، فيرده ما يلي :

١ ـ ليس لهذه الأسفار سند متصل إلى مؤلفيها كما سلف ، فضلاً عن تواترها .

٢ ـ إنه قد ثبت التحريف القصدي وغير القصدي بالزيادة والنقصان والتغيير والتبديل خلال الحقب الزمنية الممتدة من بعد موسىٰ ـ عليه السلام ـ بإقرار اليهود والنصارى .

٣ ـ لم يعرف على وجه الظن ، فضلاً عن اليقين ـ عدد الكتب التي كانت متداولة بين اليهود أيام المسيح ـ عليه السلام ـ بل إن اليهود والنصارى زادوا في عددها ونقصوا منه ، واختلفوا مع بعضهم ومع أنفسهم ، ولعن بعضهم بعضاً خلال المجامع المقدسة وغيرها .

٤ ـ لو فرض أن المسيح ـ عليه السلام ـ شهد بأحقية شيء من تلك الكتب المتداولة وقتئذ ، كما لو صرح بأن الحكم الفلاني من أحكامها من

عند الله ، ونقل إلينا بالتواتر . فإن مقتضى شهادته يكون ضمن هذا القدر الذي صرح به ، ويبقى ما سواه مشكوكاً فيه[1] .

٥ ـ المسيح لم يبين أعداد هـذه الكتب ولا أسماءهـا . فكيف نعلم أن الكتب المتداولة بين اليهود كانت تسعة وثلاثين كما يقول البروتستانت ، أو ستة وأربعين كما يقول الكاثوليك ؟

علماً بأن في هذه الكتب سفر دانيال ، وكان اليهود معاصـرو المسيح ، وكذا المتأخرون منهم ، ما عدا المؤرخ يوسيفوس لا يسملون بإلهاميته . بل إن علماء الكاثوليك ليعترفون بأن اليهود ضيعوا كتباً كثيرة لأجل غفلتهم ، ومـزقوا بعضها وأحرقوا بعضها لقلة دينهم أو انعدامه .

٦ ـ إن هذه الكتب مشكوك في أمرها . لاحتمال أن يكون النصارى زادوا فيها في القرن الثاني أو الثالث في مقابلة الفرقة الأبيونيـة والفرقـة المارسيـونية وفرقة ماني كيز . ثم رجحت هذه الزيادات والتحريفات فيما بعد . لأن ثلاثـة الفرق كانت تنكر أكثر العهد القديم[1] .

---

(١) إظهار الحق ١ /٣٠٩ ـ ٣١٦ و ٢٣٠

(٢) منه ١ /٣١٠ ـ ٣١١

البحث الثالث

العهد الجديد

ويحتوي على الأبواب التالية : ـ

١ ـ مجموعة الأناجيل .
٢ ـ محتويات الأناجيل .
٣ ـ لمحة تاريخية عن الأناجيل والأدوار التي مرت بها .
٤ ـ انجيل برنابا .
٥ ـ دراسة شاملة للأناجيل الأربعة .
٦ ـ مدى صحة الأناجيل .
٧ ـ عرضة كتابهم للتحريف .
٨ ـ تسرب الأفكار الغريبة إلى كتبهم المقدسة .
٩ ـ نماذج عن التناقض والتحريف في الأناجيل ويتضمن الفصول التالية :
أ ـ تعارض الأناجيل مع العهد القديم .
ب ـ تناقض الأناجيل فيما بينها .
جـ ـ تناقض الأناجيل مع الحقائق والوقائع .
١٠ ـ سفر أعمال الرسل .

١١ ـ مجموعة رسائل بولس .

١٢ ـ مجموعة الرسائل الكاثوليكية .

١٣ ـ رؤيا يوحنا والأسفار غير المعترف بها .

١٤ ـ مدى صحة رسائل العهد الجديد .

١٥ ـ نماذج من تحريف الرسائل .

العهد الجديد

تعريفه :

يـزعم النصارى أن هـذا القسم كتب بالإلهـام بعد رفـع المسيح ـ عليـه السـلام ـ إلى السمـاء . وقـد استقـر رأيهم في أوائـل القـرن الخـامس عشـر الميلادي على اعتماد سبعة وعشرين سفراً من الأسفار المختلف فيها . وقرروا أنها وحدها المقدسة ـ أي الموحى بها إلى أصحابها بمعانيها لا بألفـاظها كمـا سلف ـ وأطلقوا عليها اسم (العهد الجديد)[1] .

أقسامه :

يقسم العهد الجديد من حيث ترتيب أسفاره التقليدي إلى خمسة أقسام هي :

أ ـ مجموعة الأناجيل : وهي أهم المجموعات في نظرهم . لأنها تروي سيرة المسيح وتعاليمه .

---

(١) إظهار الحق ١/٥٢ ـ ٥٣ ، الأسفار المقدسة لعلي ص ٧٥ ، المسيحية لأحمد شلبي ص ٢٠٢ ، محاضرات في النصرانية ص ٤٨ و ٨٤ ، مقدمة الكتاب المقدس الصـادر عن دار الكتاب المقدس في العالم العربي طبعة ١٩٨٠ م ، الموسوعة العربية الميسرة ٢/١٢٤٥ . وقـد ذكر صـاحب إظهار الحق أن المتفق عليه لدى جمهـورهم عشرون كتاباً ، والمختلف فيه سبعة كتب هي : رسالة بولس إلى العبرانيين ، الـرسالـة الثانيـة لبطرس ، الرسالة الثانية ليوحنا ، الرسالة الثالثة له ، رسـالة يعقـوب ، رسالـة يهوذا ، مشاهدات يوحنا ، بالإضافة إلى بعض فقرات من الرسالة الأولى ليوحنا .

والأناجيل التي تعترف بها الفرق النصرانية اليوم وتعدها مقدسة وتسلم بها هي الأربعة التالية :

إنجيل متى ، إنجيل مرقس ، إنجيل لوقا ، إنجيل يوحنا .

ب ـ سفر أعمال الرسل للوقا .

ج ـ مجموعة رسائل بولس . وعددها أربع عشرة رسالة .

د ـ مجموعة الرسائل الكاثوليكية . وعددها سبع .

هـ ـ رؤيا يوحنا اللاهوتي ، أو السفر النبوي[1] .

ويقسم من حيث الموضوع إلى ثلاثة أقسام :

أ ـ الأسفار التاريخية . ويشمل أربعة الأناجيل وسفر أعمال الرسل .

وسميت بالتاريخية . لأنها تحتوي على قصص تاريخية ، فالأناجيل تروي سيرة المسيح وعظاته ومعجزاته ، وسفر الأعمال يقص حياة معلمي النصرانية ، وبخاصة بولس . كما يصف تاريخ الكنيسة منذ نشأتها إلى أن قام بولس في رومية .

بَ ـ الأسفار التعليمية : ويشمل مجموعة رسائل بولس والرسائل القانونية أو الكاثوليكية .

وهي رسائل كتبها بولس وغيره من أتباع المسيح إلى بعض الكنائس والمؤمنين بالنصرانية . وتحتوي على توصيات خاصة بالدين النصراني ، وتحذير من الوقوع في الخطأ والضلال ، وأمثلة على عظمة فعل المحبة في العالم .

ج ـ رؤيا حنا اللاهوتي [2] .

---

(١) مقدمة الكتاب المقدس ، إظهار الحق ١/٥٢ ـ ٥٣ ، الأسفار المقدسة لعلي ص ٧٥ و ٩٩ ، المسيحية لأحمد ص ٢٠٢ ـ ٢٠٣ ، محاضرات في النصرانية ص ٨٢ ، الموسوعة العربية الميسرة ٢/١٢٤٥ .

(٢) محاضرات في النصرانية ص ٨٢ ، المسيحية لأحمد ص ٢٠٢ ـ ٢٠٣ . وقد جعلها بعضهم ثلاث مجموعات وسفرين : مجموعة الأناجيل ، رسائل بولس ، الرسائل الكاثوليكية ، سفر أعمال الرسل وسفر يوحنا . انظر الأسفار المقدسة لعلي ص ٧٥ .

تعريف الإنجيل :

الإنجيل كلمة يونانية الأصل (إيوانجليون ـ EU YYYY ١٥٧) ومعناها البشارة أو التعليم (GOSPEL) .

ويسمى النصارى أناجليهم بشارات ، وينعتون الكاتب بلقب (البشير) ويعنون بالبشارة الخبر المفرح السار . وهو عندهم بشرى خلاص البشر من الخطيئة بمجيء المسيح الفادي ، وتضحيته بنفسه في سبيل الإنسانية ، وإعلانه عن قرب مجيء ملكوت السماوات .

والأناجيل هي الكتب التي دون فيها كل كاتب بشارة المسيح ، أي أهم أقواله وأعماله[١] .

حقيقة الإنجيل عند النصارى :

يطلق اسم الإنجيل عرفاً اليوم عند النصارى على تلك القصص التي كتبت بعد رفع المسيح ـ عليه السلام ـ تقص أحواله وأعماله وأقواله

---

(١) مقدمة العهد الجديد المطبوع في حريصا بلبنان عام ١٩٦٤ ص أ ـ ب ، مقدمة العهد الجديد الصادر عن دار الكتاب المقدس في العالم العربي سنة ١٩٨٠ ، وانظر منه التعريفات ص ٦٥٧ ـ ٦٥٨ ، الموسوعة العربية الميسرة ١ / ٢٣٩ ، إظهار الحق ١ / ٥٢ ، تفسير المنار ٣ / ١٥٨ ، المسيحية لأحمد شلبي ص ٢٠١ ، مقدمة كتاب مباحث بريئة في الإنجيل ص ٤ ـ ٥ .

التي وعظ بها ومعجزاته التي أجراها الله على يديه وغير ذلك .

وهم يحصرون ذلك بأربعة أناجيل تنسب لمتى ومرقس ولوقا ويوحنا . انتقوها في أحد مجامعهم بعد أخذ ورد من بين أكثر من مائة إنجيل كما سيأتي إن شاء الله .

وهم لا يعتقدون بأن الأناجيل كلام الله ، أو وحي من عنده نزل به جبريل على المسيح ، فبلغه المسيح عن الله . بل فرقهم مجمعة على أنها أربعة تواريخ ، ألفها أربعة رجال في أزمنة مختلفة بعد رفع المسيح . وهم يعترفون بأنهم لم ينقلوا كل ما سمعوه منه أو رأوه .

فهي من جنس ما يرويه أهل السير عن النبي ﷺ من أقواله وأفعاله التي ليست قرآناً . أو بالأحرى من جنس ما يكتبه أهل القصص والمناقب . بيد أنها تحتاج إلى سند متصل وتوثيق في النقل ، كما يفعل المسلمون بسيرة نبيهم ، فيمحصون ما ورد عنه أو عن أصحابه ـ رضي الله عنه ـ[1] .

والإلهام عندهم إنما هو في المضمون الرئيسي أو الرسمي ـ كما سلف ـ أما بقية الأفكار والمعاني وأسلوب البيان والتعبير ، فعلى حسب الطبائع والعادات . أي إن الكلمات والعبارات للكاتب ، وليست للروح القدس الذي يلهم الرسل ما يكتبون . سواء في ذلك جميع الأناجيل والرسائل . مع أنهم يقولون في بعض الأحيان : إن الإنجيل موحى به إلىٰ عيسى ، ثم يعودون فيقولون : إن الإنجيل موحىٰ به إلى الحواريين . وهم عند قراءتهم لنص من العهد الجديد يقولون : قال الله ، أو قال الوحي الإلهي[2] .

---

(۱) الفصل ٢/٢ ، الجواب الصحيح ١١/٢ ، هداية الحيارى ص ٥٢٣ ، محاضرات في النصرانية ص ٦٦ ، الأسفار المقدسة لعلي ص ٨٧ ، مواجهة صريحة ص ٨٠ وص ١٤١ ، مباحث بريئة ص ٧ .

(۲) محاضرات في النصرانية ص ٩٢ ، مواجهة صريحة ص ٨٢ .

جاء في كتاب (استحالة تحريف الكتاب المقدس)[1] ما يلي :

فالإنجيل ليس كما يتصور البعض أنه كتاب أوحي به للسيد المسيح . بل هو رسالة أعدها المسيح للعالم ، ووعظ بها بفمه الطاهر . فالسيد المسيح لم يأخذ هذه الرسالة مكتوبة ، كما أنه لم يكتبها ، وإنما علمها شفوياً لتلاميذه المختارين ، وأرسلهم إلى جهات مختلفة ، لينشروها ويعلموها غيرهم . ولذلك دعوا رسلاً . ووعدهم بالروح القدس ليعلمهم كل شيء . وقد حدث هذا يوم الخمسين ، فأخذوا يبشرون الجميع بالأناجيل في كل مكان ، ويقدمون لهم رسائل الخلاص بما يلائم عاداتهم ولغاتهم ، وحسب إرشاد الروح القدس لهم . فليس معنى هذا وجود أربعة أناجيل كما يعتقد البعض ، وإنما هو إنجيل واحد له أربع صور ، لتكون الشهادة قوية[2] اهـ .

والنصارى يتعبدون بقراءة الأناجيل في الكنائس المختلفة في حفاوة بالغة ؛ فيقف الحاضرون عند تلاوتها . وفي القداس الكبير يرسل الشماس الإنجيل في الجانب الأيسر من الهيكل بعد تبخيره . أما في الكنائس الشرقية ، فيطاف به قبل قراءته بين الشموع والبخور في كثير من الحفاوة[3] .

حقيقة الإنجيل عند المسلمين :

تلك هي حقيقة الإنجيل عند النصارى . أما عند المسلمين ؛ فهو الكتاب الذي أنزله الله على عبده ورسوله عيسى بن مريم ـ عليه السلام ـ وهو

---

(١) ص ٦٩ انظر مواجهة صريحة ص ٨٠ ـ ٨١ .

(٢) عجباً لأمر النصارى ، إن أمرهم في الحساب غريب ، وليس ذلك لأحد إلا للنصارى : إن ذكروا الإله قالوا : « نؤمن بإله واحد رب واحد مكون من ثلاثة أقانيم ـ أي أصول ـ كل أقنوم إله مستقل له إرادة متميزة » وإن ذكروا الكتب قالوا : « ليس معنى هذا وجود أربعة أناجيل . إنما هو إنجيل واحد له أربع صور » فهذا وربي في الحساب بديع . وإذا كان الروح القدس مقيماً معهم في الكنيسة إلى الأبد كما يقولون. فلِمَ لَمْ يسددهم على إنجيل واحد يأتي من أربعة طرق ؟ !

(٣) الموسوعة العربية الميسرة ١/ ٢٣٩ .

وحي أوحاه الله إليه ، فيه هدى ونور . كما أنه لا يختلف في جوهره عن سائر الكتب السماوية من الدعوة إلى توحيد الله وهداية البشر . كما أخبر القرآن في سورة آل عمران حيث قال تعالى : ﴿ **ألم . الله لا إله إلا هو الحي القيوم . نزل عليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه . وأنزل التوراة والإنجيل من قبل هدى للناس ، وأنزل الفرقان** ﴾ آل عمران / ١ ـ ٢ ـ ٣ ـ ٤ وقال سبحانه في سورة المائدة : ﴿ **وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم مصدقاً لما بين يديه من التوراة * وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور ، ومصدقاً لما بين يديه من التوراة ، وهدى وموعظة للمتقين** ﴾ الآية / ٤٦

والمطلع على الأناجيل الأربعة وغيرها يجد أن كتابها قد استفادوا كثيراً من الإنجيل المنزل على عيسى ـ عليه السلام ـ قبل ضياعه ، فنقلوا عنه بعض الوقائع التي لا طريق للعلم بها إلا بوساطة الوحي ، ثم أضافوا إليها عقائد وآراء وتوجيهات ، ليس لها أدنى صلة بوحي منزل ، أو بكلام نبي مرسل[1] .

أين الإنجيل الذي أنزل على عيسى ؟

الشواهد متضافرة على أن الله سبحانه أنزل على عيسى بن مريم ـ عليه السلام ـ الإنجيل الذي فيه نور وهداية . ولا ريب في أنه ـ عليه السلام ـ بلغه لأمته ، وسلمه لتلاميذه ، وأمرهم أن يبشروا به . فأين هذا الإنجيل ؟ .

إنه قد ضاع ، فلا وجود له اليوم . وليس هو أحد الأناجيل الأربعة بإقرارهم . فإنها تنسب إلى أصحابها . ونحن وإن كنا لم نجده ، بيد أننا نجد في العهد الجديد عبارات تدل عليه . منها ما يلي :

أ ـ جاء في إنجيل متى ٤/٢٣ : وكان يسوع يسير في أنحاء الجليل ، يعلم في المجامع ، ويعلن بشارة الملكوت ، ويشفي الناس من كل مرض وداء .

---

(١) الجواب الصحيح ١/٣٦٨ ، إظهار الحق ١/١٩٤ ـ ١٩٥ ، الأسفار المقدسة لعلي ص ٨٧ ، مواجهة صريحة ص ٨١ و ١٤١ ، مباحث بريئة في الإنجيل ص ٨ .

فكلمة (بشارة) هي ترجمة لكلمة (إنجيل) اليونانية كما سبق . وقد جاءت مضافة إلى (ملكوت)

١٣/٢٦ : الحق أقول لكم : أينما تعلن هذه البشارة في العالم كله، يُحدَّث أيضاً بعملها هذا. إحياء لذكرها.

وهذا النص مأخوذ من الكتاب المقدس الصادر عن دار الكتاب المقدس في العالم العربي عام ١٩٨٠ م أما في الترجمات السابقة فالنص هكذا : « الحق أقول لكم حينما يكرز بهذا الإنجيل في كل العالم ، يُخبر أيضاً بما فعلته . . » وكذلك في ترجمة البروتستانت .

واسم الإشارة يقتضي مشاراً إليه ، فأين الإنجيل الذي أشار إليه المسيح ـ عليه السلام ـ ؟؟

ب ـ وجاء في إنجيل مرقس ١٤/١ : وبعد اعتقال يوحنا ، جاء يسوع إلى الجليل يعلن بشارة ملكوت الله .

١٥/١ : فيقول : تم الزمان ، واقترب ملكوت الله ، فتوبوا وآمنوا بالبشارة .

والنص في الترجمات السابقة هكذا : « وبعدما أُسلم يوحنا ، جاء يسوع إلى الجليل يَكرِز ببشارة ملكوت الله . ويقول : قد كمل الزمان ، واقترب ملكوت الله ، فتوبوا وآمنوا بالإنجيل »[١] .

فكلمة (الإنجيل) جاءت معرفة ب (الـ) الدالة على العهد الذهني . وهذا يعني أن ثمة إنجيلاً كان قائماً في أذهانهم ذلك الوقت . فأين هو ؟ .

١٠/١٣ : لأنه يجب قبل الآخرة إعلان البشارة إلى جميع الشعوب .

وفي الترجمات السابقة : « وينبغي أن تكرِز أولاً بالإنجيل في جميع الأمم .

٩/١٤ : الحق أقول لكم : أينما تعلن هذه البشارة في العالم كله، يحدث أيضاً بعملها هذا . إحياء لذكرها .

---

(١) وكذلك هو في الكتاب المقدس الصادر عن دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط عام ١٩٨٤ م.

وفي الترجمات السابقة : « حيثما يُكرز بهذا الإنجيل في كل العالم يخبر أيضاً بما فعلته تذكاراً لها » .

١٦/١٥ : وقال لهم : اذهبوا إلى العالم كله ، وأعلنوا البشارة إلى الناس أجمعين .

وفي الترجمات السابقة « اذهبوا إلى العالم أجمع ، واكِرزوا بالإنجيل للخليقة كلها » .

فهذه النصوص تدل على أن هناك إنجيلاً آخر غير الأناجيل الأربعة التي لم تعرف إلا في القرن الثاني ، دعا به المسيح وأمر بالتبشير به ، فأين هو؟ وإنك لتلحظ ليّ الكلام وتحريفه في الترجمة الجديدة التي ذكروا في مقدمتها أن الغاية منها « هي إعادة النظر في الترجمات العربية القديمة على هدى المعرفة المستجدة ، خلال المائة سنة الأخيرة في تفسير النصوص » أجل ، على هدى المعرفة المستجدة ، في تفسير النصوص . ليطمسوا كل حقيقة ، ويشوهوا كل دليل . ولعل النصوص التالية من الرسائل تكون أوضح وأدل .

ج ـ جاء في رسالة بولس إلى الرومانيين ١/١ : من بولس . . دعاه الله ليكون رسولاً ، واختاره ليعلن بشارته .

٢/١ : التي سبق أن وعد بها على ألسنة أنبيائه في الكتب المقدسة .

وفي الترجمات السابقة : « من بولس . . المدعو ليكون رسولاً ، المفروز لإنجيل الله ، الذي سبق فوعد به على ألسنة أنبيائه في الكتب المقدسة .

٩/١ : والله الذي أخدمه بروحي ، فأبلغ البشارة بابنه يشهد لي أني أذكركم في كل حين .

وفي الترجمات السابقة : « فإن الله الذي أخدمه بروحي في التبشير بإنجيل ابنه ، يشهد لي بأني أذكركم بلا انقطاع . . » .

١٦/١٥ : حتى أكون خادم المسيح يسوع عند غير اليهود . وأنا أخدم بشارة الله ككاهن . فيصير غير اليهود قرباناً مقبولاً عند الله . . .

وفي الترجمات السابقة : « لأكـون خادمـاً للمسيح يسـوع لدى الأمم ، وأقوم بخدمة إنجيل الله المقدسة » .

د ـ وجاء في رسالته الأولى إلى كورنثوس ۱۲/۹ : بل احتملنا كل شيء لئلا نضع عقبة في طريق البشارة بالمسيح .

۱٤/۹ : وهكـذا أمر الـرب للذين يعلنون البشـارة أن ينالـوا رزقهم من البشارة .

۱۸/۹ : فما هي أجرتي ؟ أجرتي هي أن أبشر مجاناً وأتنازل عن حقي من خدمة البشارة .

۲۲/۹ : وصرت للضعفاء لأربح الضعفاء ، وصـرت للناس كلهم كـل شيء لأخلص بعضهم بكل وسيلة .

۲۳/۹ : أعمل هذا كله في سبيل البشارة لأشارك في خيراتها .

والفقرة الأخيرة في الترجمات السـابقة هكـذا : « وهذا أنـا أفعله لأجل الإنجيل ، لأكون شريكاً فيه » .

هـ ـ وجاء في رسالته إلى أهل غـلاطية ٦/١ : عجيب أمـركم . أبمثل هذه السرعة تتركون الذي دعاكم بنعمة المسيح ، وتتبعون بشارة أخرى ؟ .

٧/١ : وما هناك « بشارة أخرى » بل جماعة تثير البلبلة بينكم ، وتحاول تغيير بشارة المسيح .

وفي الترجمات السابقة : « إني أتعجب أنكم تنتقلون هكذا سريعـاً عن الذي دعاكم بنعمة المسيح الى إنجيل آخر . ليس هو آخر ، غير أنه يوجد قوم يزعجونكم ، ويريدون أن يُحَوِّلوا إنجيل المسيح » . أي يبدلوه ويغيروه. فثبت أنه كان في عهد الحواريين إنجيل يسمى بإنجيل المسيح .

و ـ جـاء في رسالتـه الأولى إلى تسالـونيكي ۸/۲ : حتى إننا تمنينـا لو نشارككم في حياتنا ، لا في بشارة الله وحدها . لأنكم صرتم أحباء إلينا .

۹/۲ : فأنتم تذكرون أيها الإخوة جهدنـا وتعبنا . فكنـا نبشركم بشـارة الله ، ونحن نعمل في الليل والنهار لئلا نثقل على أحد منكم .

وفي الترجمات السابقة : « هكذا إذا كنا حانّين إليكم . كنا نرضى أن نعطيكم لا إنجيل الله فقط . بل وأنفسنا أيضاً . . . . فإنكم تذكرون أيها الأخوة تعبنا وكدنا إذ كنا نكرز لكم ـ وفي بعض الترجمات : نبشركم ـ بإنجيل الله » وكذلك في ترجمة البروتستانت .

ز ـ وجاء في رسالته الثانية إليهم ١ /٨ : لينتقم من الذين لا يعرفون الله ، ومن الذين لا يطيعون بشارة ربنا يسوع اهـ .

ففي تلك النصوص كلها نجد كلمة (إنجيل) مضافة إلى لفظ الجلالة (الله) أو إلى (الابن) أو إلى (يسوع المسيح) أو مطلقة . ولا شك أن الإنجيل المراد في هذه النصوص وأمثالها ، ليس واحداً من أربعة الأناجيل ، ولا مجموعها أيضاً . لأنها تضاف إلى أصحابها أولاً . ولأن المسيح قد وعظ بهذا الإنجيل المذكور ثانياً ـ كما في عبارة متى ـ ولم يكن واحد من هذه الأناجيل قد كتب في عهده بالاتفاق . وليس من المعقول أن يعظ بأقوال تلاميذه ، وهم لا يزالون في طور التعليم ، أو يعظ بأقوال من بعدهم[1] . إذاً ضاع الإنجيل الذي أنزله الله على عيسى ـ عليه السلام ـ ولم يبق له أثر ، إلا بعض عبارات متفرقة في الأناجيل المتداولة بين النصارىٰ ، والتي ألفها أشخاص جاؤوا من بعده فنسبت إليهم . ولو أن هذا الكتاب وصل إلينا كما كتبه أو بلغه ـ ولا يكتب ولا يبلغ إلا ما أنزل إليه ـ لكان من أهم الكنوز وأغلاها .

وعلماء النصرانية الذين لم يقيدهم في بحثهم إلا العلم والحقيقة يصرحون بأنه كان في القرن الأول الميلادي رسالة تعد أصلاً لهذه الأناجيل . فقد نقل نورتن عن إكهارن قوله : « إنه كان في ابتداء الملة المسيحية في بيان أحوال المسيح رسالة مختصرة ، يجوز أن يقال : إنها الإنجيل الأصلي . والغالب أن هذا الإنجيل كان للمريدين الذين لم يسمعوا أقوال المسيح بآذانهم ، ولم يروا أحواله بأعينهم . وكان هذا الإنجيل بمنزلة القلب . وما كانت الأحوال المسيحية مكتوبة فيه على الترتيب » .

(١) محاضرات في النصرانية ص ٦٦ ـ ٦٧ .

قال نورتن: «فكان هذا الإنجيل على قول إكهارن مخالفاً لتلك الأناجيل المروجة الآن مخالفة كثيرة . . .

وهذا الإنجيل كان مأخذاً لجميع الأناجيل التي كانت رائجة في القرنين الأولين ، ولإنجيل متى ولوقا ومرقس أيضاً . وهذه الأناجيل الثلاثة فاقت على الأناجيل الأخرى . لأنها وإن كان فيها نقصان الأصل ، لكنها وقعت في أيدي الذين جبروا نقصانها ، وتبرؤوا من الأناجيل التي كانت مشتملة على أحوال المسيح ، والتي ظهرت بعد النبوة ، فضموا إليها أحوالاً أخرىٰ مثل بيان النسب وحال الولادة والبلوغ . ولو قابلنا الأجزاء التي بقيت من الأناجيل ، ظهر أن الزيادة وقعت تدريجياً . . . واختلط المتن الأصلي للتاريخ المسيحي ـ من أجل هذه الزيادات التدريجية ـ بالإلحاقات الكثيرة ، اختلاطاً ما أبقى امتيازاً . وصار نتيجة لذلك أن اختلط الصدق والكذب والأحوال الصادقة والحكايات الكاذبة اختلاطاً شديداً»[1] .

وهذا هو مختار كثير من علماء الألمان المتأخرين ، وإليه مال كثير من المحققين . ذكر هورن في تفسيره[2] أن ليكرك وكوب وميكايلس ولسنك ومارس وغيرهم قالوا : « لعل متى ومرقس ولوقا كان عندهم صحيفة واحدة باللسان العبري . وكانت الأحوال المسيحية مكتوبة فيها فنقلوا عنها : نقل عنها متىٰ كثيراً ، ومرقس ولوقا قليلاً » .

ولا شك في أن الاضطهادات التي قارنت المسيحية في نشأتها ـ كما سيأتي ـ مع عدم وجود من يحافظ على التراث ويدونه ، أدت إلى ضياع الإنجيل الحقيقي وضياع كثير مما نقله الحواريّون عن المسيح ـ عليه السلام ـ وإلىٰ ظهور أناجيل متعددة ، فيها تعاليم متناقضة وباطلة تخالف الإنجيل الحقيقي . ولو أن الكنيسة جردت الإنجيل الأصلي الذي حصل للواعظين

---

(١) إظهار الحق ١/١٨٨ ـ ١٨٩ ، محاضرات في النصرانية ص ٦٨ .

(٢) ٤/٢٩٥ ، المطبوع في عام ١٨٢٢ م ، وهو من محققي البروتستانت. انظر إظهار الحق ١/١٩٩ و ٢٩١ ـ ٢٩٢ .

السابقين لتصديق وعظهم ، عن الإلحاقات ، وحرصت على بقائه ، وقامت بحياطته ، ليكون فيصلاً بين المختلفين ، وحكماً بين الفرق والمفترقين ، وليكون أيضاً مصدراً علمياً لمن يكتب في المسيحية الأولىٰ ، لخَدَمَت الحق والحقيقة[1] .

ومن الغريب ما يفعله مترجمو العهد الجديد الصادر عن دار الكتاب المقدس في العالم العربي عام ١٩٨٠ م حيث يحاولون إخفاء الحقيقة وتضليل القاريء ، فيكتبون عنوان كل إنجيل هكذا : (إنجيل يسوع المسيح للقديس متى ، إنجيل يسوع المسيح للقديس مرقس . . . وهكذا) .

اللغة التي كتب بها العهد الجديد :

من المعلوم أن المسيح ـ عليه السلام ـ كان يتكلم اللغة السائدة في قومه ألا وهي العبرانية . فلا بد أن يكون الإنجيل الذي أنزل عليه باللغة العبرانية . لكن ليس لدى النصارى اليوم إنجيل بهذه اللغة . والراجح عند محققيهم أن جميع أسفار العهد الجديد كتبت باللغة اليونانية ، ما خلا إنجيل متى فالراجح أنه كتب باللغة الآرامية ـ وهي فرع عن العبرية ـ ثم ترجم إلى اليونانية . وهم يعترفون بأن الأصل الآرامي لم يصل إليهم ، ويعترفون أيضاً بأنهم لا يعرفون المترجم على وجه اليقين . كما سيأتي إن شاء الله .

ومن اللغة اليونانية ترجمت أسفار العهدَيْن القديم والجديد إلى اللغة اللاتينية . وعن اليونانية واللاتينية ترجمت هذه الأسفار إلى معظم لغات العالم قديمها وحديثها كما سلف[2] .

جاء في مقدمة الكتاب المقدس ـ العهد الجديد ـ الآنف الذكر ما يلي :

---

(١) إظهار الحق ١/٥٢ و ١٨٩ ـ ١٩٠ ، قصص الأنبياء لعبد الوهاب النجار ص ٣٩٩ ، محاضرات في النصرانية ص ٦٨ ، المسيح عيسى بن مريم ص ٤٩ ـ ٥١ وص ٦٩ ، مقدمة العهد الجديد المطبوع في حريصا بلبنان ص أ .

(٢) الأسفار المقدسة لعلي ص ١٢ ، ومواجهة صريحة لعبد العظيم المطعني ص ١٢١ .

« كُتبت كتب العهد الجديد في مدة لا تتعدىٰ المائة سنة . وباللغة اليونانية التي كانت في أيام المسيح اللغة الأدبية والتجارية السائدة في فلسطين . وتعود أقدم النصوص إلى القرن الثاني بعد المسيح » .

وهذا الغموض والتضليل للقاريء تكشفه دائرة المعارف البريطانية حيث جاء فيها ما يلي : « كتب كل كتاب من العهد الجديد باللسان اليوناني ، إلا إنجيل متى والرسالة العبرانية ، فإن تأليفهما باللسان العبراني أمر يقيني بالدلائل »[1] .

---

(١) انظر إظهار الحق ١/٢٧٧ .

محتويات الأناجيل

مكان الأناجيل في النصرانية مكان القطب والعماد . لأنها تروي سيرة حياة المسيح وتعاليمه . ومجمل ما في الأناجيل يتضمن خمسة مواضيع هي : القصص والعقيدة والشريعة والأخلاق والزواج :

١ ـ **أما القصص** ، فتشغل أكبر حيز من كل إنجيل . وهي تعرض لقصة مريم وحملها بالمسيح ، ونسبه من جهة يوسف النجار ، وولادته في مذود ، وظهور الخوارق عند ولادته ، وفرح الملائكة به ، ومجيء المجوس للسجود له ، ومحاولة الملك قتله ، وهرب أمه إلى مصر ، وعودته إلى وطنه بعد موت الملك ، ودخوله الهيكل ، وتصديه لكهنة اليهود وإفحامه لهم ، واشتغاله بالنجارة مع أبيه في التربية يوسف ، ثم تعميده على يد يوحنا المعمدان ـ يحيىٰ ـ ونزول الروح عليه على شكل حمامة ، وتمجيده وصنعه للمعجزات ، ودعوته لدينه ، واجتبائه للحواريين والتلاميذ .

وتنتهي الأناجيل بالقبض على المسيح وصلبه ودفنه ، وقيامه من قبره بعد ثلاثة أيام ، وظهور الخوارق من تفتح القبور وخروج القديسين ، وحدوث الزلزلة إلى غير ذلك ، ثم رفعه إلى السماء ، وإرسال الرسل من بعده ليكرزوا بالملكوت في جميع أنحاء الأرض . كما تتضمن رحلاته ومحاوراته ، وطرفاً من عظاته ، واختلاف الناس في شأنه ، وتباينهم في أمره . وتتضمن أيضاً نتفاً من تاريخ أصحابه المشاهير ، وكيفية اهتدائهم إلى دينه ، وقبولهم طريقته .

وهذه الأخبار مجموعة جمعاً غير مرتب ، مع أقوال تنسب للمسيح . وهي مشكوك فيها تارة ، ومبالغ فيها أخرىٰ[1] .

٢ ـ **وأما العقائد** : فبما أن الأناجيل تشتمل على أخبار المسيح من وقت الحمل إلى وقت الصلب ـ كما يزعمون ـ وقيامه من قبره بعد ثلاثة أيام ، ثم رفعه بعد أربعين يوماً . فهي تشتمل على عقيدة ألوهية المسيح ـ بزعمهم ـ والصلب والفداء ـ :

فهي تقرر ألوهيته وبنوته للأب ، وأن الإله عبارة عن ثلاثة أقانيم ـ أصول ـ مستقلة هي الآب والابن والروح القدس . في أقنوم واحد . فهم موحدون ومثلثون . ولا تسل عن الكيفية .

وهي تقرر أن المسيح قد صلب ليكفر بذلك الخطيئة الأزلية التي ارتكبها أبو البشر آدم وأمهم حواء عندما أكلا من الشجرة . ثم انتقلت الخطيئة منهما بالوراثة إلى جميع نسلهما . وكانت ستظل عالقة بهم إلى يوم يبعثون ، لولا أن المسيح افتداهم بدمه[2] .

وتقرر أن المسيح قام من قبره بعد صلبه ودفنه بثلاثة أيام ، وظل مع حوارييه وأنصاره أربعين يوماً . ثم رفع إلى السماء ، وجلس عن يمين أبيه يصرف شؤون العالم . وسيتولى هو يوم القيامة دينونة الناس ، فيجزي المحسن على إحسانه ، والمسيء على إساءته .

وأكثر الأناجيل صراحة في تقرير ألوهية المسيح وملحقاتها هو إنجيل يوحنا . فإنه يمتاز عن غيره بمزيد من التفصيل في العقائد والشرائع ، وبمزيد من الصراحة في ألوهية المسيح وبنوته للأب[3] .

---

(١) الأسفار المقدسة لعلي ص ٧٩ ، مباحث بريئة ص ٦ وص ١١ ـ ١٢ .

(٢) الفداء بالمسيح والدعوة للإيمان به في مرقس ١/١٥ ، ومضمون البشارة بالمسيح المخلص في رومية ٢/١٦ .

(٣) الأسفار المقدسة لعلي ص ٨٠ و ص ٨٥ .

٣ ـ وأما الشريعة ؛ فإن تعاليم المسيح لم تحو أحكاماً ولا تشريعاً . بل إنما هي مواعظ وأمثال وخوارق ومآدب ومآسٍ[١] . لكن يفهم من الأناجيل أن الديانة النصرانية أقرت شريعة اليهود المقررة في العهد القديم . ولم تستثن منها إلا ما ورد عن المسيح نص بنسخه أو تعديله .

وقد ورد في الأناجيل نصوص قليلة ناسخة ومعدلة لبعض أحكام العهد القديم . ومعظمها في وصية المسيح المعروفة بموعظة الجبل[٢] .

٤ ـ وأما الأخلاق ؛ فإن الأناجيل ممعنة كل الإمعان ، بل مفرطة كل الإفراط في مثاليتها ، فهي حريصة كل الحرص على أن تقوم العلاقات بين الناس على أسس من التسامح والعفو ودفع السيئة بالحسنة . حتى إنها لتكاد تجعل ذلك واجباً على الناس . بل تكاد تفرض على الفرد العفو عما يلحقه من غيره من ضرر أو أذى . وأظهر ما يبدو ذلك في موعظة الجبل[٣] .

---

(١) مباحث بريئة ص ٩ .

(٢) انظر إنجيل متى الأبواب ٥ ـ ٦ ـ ٧ ، وإنجيل لوقا الباب السادس .

(٣) أما القرآن الكريم ، فإنه يحث على التسامح والعفو عن الأذى ويرغب فيه ، بل يجعل ذلك مثلاً أعلى ويعظم أجر فاعله . لكنه لا يوجبه على الناس ، لأن هذه المنزلة لا تتاح إلا لصفوة الخلق ، كما يشهد بذلك الواقع . ولذلك قرر مسؤولية البادىء ، وأقام الجزاء على أساس القصاص والمعاملة بالمثل ، وحض على العفو ، حتى لا يرهق الناس من أمرهم عسراً ، وحتى لا يستهين الفرد بانتهاك حقوق الآخرين ، وتعدي حدود الله طمعاً في العفو والمغفرة . والقرآن بذلك جمع بين المثالية والواقعية في تشريعه . قال تعالى : ﴿ **وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ، ولئن صبرتم لهو خير للصابرين** ﴾ ـ النحل / ٥٦ ـ وقال سبحانه : ﴿ **وجزاء سيئةٍ سيئة مثلها ، فمن عفا وأصلح فأجره على الله ، إنه لا يحب الظالمين . ولمن انتصر من بعد ظلمه ، فأولئك ما عليهم من سبيل . إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ، ويبغون في الأرض بغير الحق * أولئك لهم عذاب أليم * ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور** ﴾ ـ الشورى / ٤٠ ـ ٤٣ ـ وقال جل جلاله : ﴿ **ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن ، فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم * وما يلقاها إلا الذين صبروا ، وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم** ﴾ ـ فصلت / ٣٤ ، ٣٥ ـ .

٥ ـ **وأما الزواج وتكوين الأسرة** ، فقد ساد في النصرانية الاعتقاد بأن العزوبة أفضل من الزواج ، وزعموا أن هذه المبادىء مستمدة من روح الأناجيل نفسها . لأن الزواج إنما يبعد الفرد عن الخطيئة ، أما التبتل ، فيروض المرء على أعمال القديسين ، ويذلل له السبيل إلى منزلة الإشراق ، ويتيح له أن يأتي بالمعجزات . وجسم المسيح نفسه جاء من بتول عذراء . ويوحنا المعمدان وبولس وجميع الحواريين آثروا التبتل وحثوا الناس عليه . ولو أن آدم لم يعص ربه لعاش طهوراً حصوراً ، ولتكاثر النوع الإنساني بطرق أخرىٰ غير هذه الطرق البهيمة ، ولعمرت الجنة بفصيلة الطاهرين الخالدين ـ كما يقول ترتوليان . وهو من كبار فقهاء الكنيسة ما بين عامي ١٦٠ ـ ٢٤٠ م ـ

ويرىٰ كثير من فقهاء الكنيسة أن هذه الأمور حقائق مسلم بها ومعلومة من الدين بالضرورة ، لا يجوز إنكارها أو الشك فيها . وقد أدت هذه النظرة بالتدريج إلى فرض نظام العزوبة على الرهبان والقسيسين في المذهب الكاثوليكي[1] .

ما اتفقت الأناجيل الأربعة على ذكره :

يزعم النصارىٰ أن الأناجيل الأربعة لا تختلف في الجوهر ، وإن اختلفت في الشكل . فقد كتب كل كاتب من زاويته الخاصة . ولذلك تختلف رواية كل

= وإذا كان العفو عن المسيء مطلوباً من البشر كما جاء في إنجيل لوقا ١٣/١٧ « إذا أخطأ أخوك فوبخه ، وإن تاب فاغفر له » ٤/١٧ : « وإذا أخطأ سبع مرات في اليوم ، ورجع إليك في كل مرة ، فقال : أنا تائب فاغفر له » . أفليس في وسع الله أن يغفر الخطايا بدون أن ينتقم من أحد ؟! وهل تضره المعصية؟! جاء في لوقا ٢/١١ : « فقال لهم يسوع : متى صليتم فقولوا : أبانا الذي في السموات ليتقدس اسمك . . واغفر لنا خطايانا لأننا نغفر لكل من يذنب إلينا » وإذا كان بوسع البشر أن يغفروا لمن أساء إليهم ، فلماذا يكون الصلب والفداء ؟! وهلا كان الأمر بالعكس . أعني لماذا لا نغفر نحن لمن أساء إلينا كما أن الله يغفر الذنوب ؟! لا شك في أن القول بالمغفرة يفضي قطعاً إلى إبطال الصلب والفداء والتثليث .

(١) الأسفار المقدسة لعلي ص ٨٢ ـ ٨٥ .

كتاب باختلاف أسلوب العرض وترتيبه . أما في الجوهر فتجتمع كلها على أن يسوع المسيح شخص فريد ، فهو الملك في إنجيل متى ، والخادم في إنجيل مرقس ، والإنسان في إنجيل لوقا ، والإله في إنجيل يوحنا . ولكن الملك في إنجيل متى هو أيضاً الخادم والإنسان والإله . والخادم في إنجيل مرقس هو أيضاً الملك والإنسان والإله . والإنسان في لوقا هو أيضاً الملك والخادم والإله . والإله أو الإبن الأزلي في يوحنا هو أيضاً الملك والخادم والإنسان . ومهما يكن من أمر الاختلاف في النظر إلى شخص يسوع ، وفي رواية الأحداث وأسلوب سردها وترتيبها ، فإن يسوع هو المسيح مخلص البشر(١) .

ومما اتفقت الأناجيل الأربعة على ذكره أيضاً رسالة يوحنا المعمدان ، وإطعام خمسة الآلاف ، وإعلان المسيح عن نفسه أنه الملك كما كتب النبي ميخا ، بالإضافة إلى ذكر تسليمه على يد يهوذا ، وإنكار بطرس له ، ومحاكمته وصلبه وقيامته . وهذا كله للشهادة بأن موت المسيح هو الهدف الأسمى لخلاص العالم . كما تتفق الأناجيل على أن الرسالة التي حملها المسيح بقيامته تظهره غير متغير ولا متبدل بما قاساه من الآلام . أما مجيئه الثاني فتشير إليه الأناجيل الأربعة كلها(٢) .

ذلك هو رأي القوم . وقد نقلته عن الترجمة العربية التي وضعتها لجنة مؤلفة من علماء لاهوتيين ينتمون إلى مختلف الطوائف من إنجيلية وكاثوليكية وأرثوذكسية . وقد استغرق وضعها نحو ست سنوات . لكن سينجلي الغبار قريباً إن شاء الله وترى الاختلاف الكبير والتناقض الفاحش بين الأناجيل من جهة والعهد القديم من جهة ثانية ، وبين الأناجيل نفسها . مما يخرجها عن كونها إلهامية كما يزعمون .

---

(١) مقدمة الكتاب المقدس الصادر عن دار الكتاب المقدس في العالم العربي عام ١٩٨٠ ، ومقدمة الأناجيل الأربعة فيه وجدول الشروح ص ٦٥٧ .

(٢) مقدمة الأناجيل الأربعة في المرجع السابق .

الإنجيل في زمن المسيح :

يعتقد النصارى أن المسيح ـ عليه السلام ـ لم تكن رسالته مكتوبة ، كما أنه لم يكتبها ، ولم يأمر بكتابتها . بل إنما علمها لتلاميذه المختارين شفوياً [(١)] .

وهذا يعني أن الإنجيل قد وضع في صدره الكريم ، وكان يعبر عنه بلسانه المسدد من قبل الله ، فيلقي على أمته بلغتهم الجزء بعد الجزء على حسب الحوادث والمناسبات . فيفهم البارزون من أصحابه على قدر ما يسيغون من كلامه . ثم ينفضون عنه إلى عودة أخرى . وهكذا تكون الإنجيل[(٢)] . علماً بأنه لم يؤمن بالمسيح في حياته سوى عشرين ومائة رجل وبعض النسوة ـ كما في سفر أعمال الرسل ـ وكل من آمن به كان يكتم إيمانه [(٣)] .

الإنجيل بعد رفع المسيح :

استمرت الاضطهادات بعد رفع المسيح ـ عليه السلام ـ فأحاقت

---

(١) استحالة تحريف الكتاب المقدس ص ٦٩ نقلاً عن مواجهة صريحة ص ٨٠ ـ ٨١ ، محاضرات في النصرانية ص ٥٠ و ٦٦ .

(٢) مباحث بريئة في الإنجيل ص ٨ .

(٣) الفصل ٢ / ٢١ .

بحوارييه وأتباعه أشد المحن ، حتى كادت المسيحية تفنىٰ . قال العالم بري : « وبعد صلب المسيح ذاب أتباعه ، واختفت دعوته ، فلم يسمع أحد عنها شيئاً »[1] . فقد تفرق أصحابه في أقطار الأرض يدعون إلى دينه سراً . وفي أذهانهم أثارة من أقواله . ومن ظفر به منهم قتل . وظل الناس يتناقلون الروايات الشفوية عن أقوال المسيح وأفعاله ومعجزاته مدة تقرب من خمس وثلاثين سنة[2] .

الإنجيل إبان المحن :

نزل بأتباع المسيح بلايا وكوارث جعلتهم يَسْتَخْفُون بدينهم ويفرون به أحياناً . ويصمدون لمضطهديهم مستشهدين أحياناً أخرىٰ . فبعد القيصر طيباروس الذي عاصر المسيح ، جاء بعده قيصران شديدان على تلاميذه ، فقتلا منهم قتلاً ذريعاً .

ويذكر النصارىٰ أنه في وسط تلك الاضطهادات دونت أناجيلهم الأربعة ورسائلهم . ففي زمن ثاني القيصرين الشديدين دون متى إنجيله باللغة العبرانية . ثم ترجمه إلى اليونانية يوحنا صاحب الإنجيل الرابع على رواية ابن البطريق .

ولم يكن الاضطهاد في عهد هذين القيصرين من قبل الرومان فحسب . بل شاركهم في ذلك اليهود . وكان أذاهم أمكن ، وتنقيبهم عن العقيدة أدخل .

وأشد ما نزل بهم كان في عهد نيرون عام ٦٤ م ، وتراجان عام ١٠٦ م ، ودقلديانوس عام ٢٠٨ م فقد هدم كنائسهم وأحرق كتبهم وطاردهم . وكذلك في عهد ديسون ما بين عامي ٢٤٩ ـ ٢٥١ م .

ذكر بعض النصارى أنه في عصر نيرون دون مرقس إنجيله عام ٦١ م وهو

---

(١) المسيحية لأحمد شلبي ص ١٠٧ .

(٢) مباحث بريئة ص ٨ ـ ٩ .

بمصر . وكان قد كتبه عند بطرس وهو بروما . وذكر آخرون أنه في عهد نيرون اجتمع رجال الكنيسة عام ٦٤ م بعد أن قتل كثير منهم . فتدارسوا الأمر ، وحاولوا أن يتذاكروا أقوال المسيح وأقوال بطرس عنه وعن معجزاته . فطلبوا من يوحنا الملقب مرقس ، وهو زميل بطرس أن يسجل ما يتذكره من أقوال المسيح وتعاليمه . فجمع بشارة بذلك . ولما رأى الآخرون عمل مرقس ، عملوا هم أيضاً بشارات عن حياة المسيح . وكل واحد يسمي ما كتبه إنجيلاً . وذكر بعضهم أيضاً أن لوقا كذلك دون إنجيله في عهد نيرون . أما إنجيل يوحنا ، فقد دون في عهده أو بعده[١] .

وفي سنة ٣٠٣ م أراد (ديوكليشين) أن يمحو وجود الكتب المقدسة عن صفحة العالم . واجتهد في ذلك ، فأصدر أمراً بهدم الكنائس وإحراق الكتب ومنع النصارى من الاجتماع لأداء العبادة . ونفذ ولاته الأمر ، فهدمت الكنائس وأحرقت الكتب . ومن سبق إلى ظنهم أنه أخفى كتاباً عذبوه عذاباً شديداً حتى يعلنه فيحرق . ومن قبل ومن بعد كان الولاة يتفننون في طرق إبادة أتباع المسيح من الوجود ، فما تركوا عالماً إلا قتلوه . وقد استمر الاضطهاد اليهودي الروماني نازلاً بهم حتى جاء قسطنطين في أوائل القرن الرابع الميلادي . فكان عصره عصر خير وبركة عليهم[٢] .

ولا ريب في أن هذه الاضطهادات التي قارنت المسيحية في نشأتها ، وفي بدء تدوين كتبها مع أسباب أخرىٰ ، جعلت العلماء يبحثون عن قيمة هذه الكتب . كما جعلت بعض علماء النصارى أنفسهم يعتذرون عن بعض الاضطرابات في الأناجيل بأنها دونت في عصور اضطهاد المسيحية الأولى . فقد كان الظرف مواتياً للتحريف نظراً لقلة النسخ وكثرة الاضطهاد . وهم يذكرون وقائع من قتل ملاحقة ومحاولة إبادة ، لو كانت صادقة كما يدعون ،

---

(١) محاضرات في النصرانية ص ٣٦ ـ ٣٧ .

(٢) إظهار الجق ١ / ٣٣٠ ، محاضرات ص ١٠٩ .

لقلت النسخ جداً ، وانقطع سندها ، وكان للمحرفين مجال كبير للتحريف . بل لا عجب إذا ما انعدم بعض الكتب أصلاً ، وكان الموجود باسمه موضوعاً مكذوباً[1] .

يقول العلامة محمد أبو زهرة[2] : إن تلك الاضطهادات جعلت كل عمل يقومون به في شؤونهم الدينية سراً لا جهراً . والسرية يحدث في ظلمتها ما يجعل العقل غير مطمئن إلى ما يحكى عما يحدث فيها . ولا مانع من أن يدس على اجتماعاتها ما لم يجر فيها ، وينقل عن أشخاص ما لم يقولوه . فإذا جرى الشك فيما دون من كتب المسيحية الأولى التي فقدت سندها بسبب هذا الاضطهاد ، والتي كتبت في ظلمة السرية ، فإن يكون قد وقع حيث وجدت دواعيه وقامت شواهده اهـ .

ويقول أ . كولمان في كتابه (العهد الجديد)[3] : إن المبشرين - أي كُتّاب الأناجيل - لم يكونوا إلا متحدثين باسم الجماعة المسيحية الأولى التي ثَبّتت التراث الشفوي ؛ فقد بقي الإنجيل طيلة ثلاثين أو أربعين عاماً في شكله الشفوي . وهذا التراث الشفوي قد نقل أساساً أقوالاً وروايات منعزلة . وقد نسج المبشرون كل على طريقته، وبحسب شخصيته واهتماماته الروابط بين هذه الروايات والأقوال التي تلقوها من التراث السائد اهـ.

وهذا الكلام إنما ينطبق على الأناجيل الحاضرة التي وصلت إلينا . لكن مما لا شك فيه أن الحواريين قد نقلوا كلام المسيح ـ عليه السلام ـ وتعاليمه وما جرىٰ له بصدق وأمانة ، وإن كان الخطأ غير مستبعد في نقلهم أيضاً . لكن هذه النقول لم تصل إلينا .

---

(١) إظهار الحق ١/٣٢٨ ـ ٣٣٠ ، محاضرات ص ٤٠ .

(٢) محاضرات في النصرانية ص ٤١ .

(٣) دراسة لموريس ص ٧٦ ـ ٧٧ .

بولس ودوره في التحريف :

وفي أثناء الظلام الحالك دخل بولس إلى المسيحية بطريقة مريبة ـ كما سيأتي إن شاء الله ـ وراح يقول في صراحة : إنه الوحيد الذي ائتمن على المسيحية الصحيحة ـ كما في تيطس ١/٣ ـ وعلى إنجيل مجد الله المبارك ـ كما في تيموثاوس الأولى ١/١١ ـ وأن كل ما يخالف قوله من تعاليم باطل دنس مخالف للعلم كاذب الاسم ، يتظاهر به قوم زاغوا عن الإيمان ـ كما ورد في ٦/٢٠ ـ ٢١ ـ والنقاط التي ابتدعها ما يلي :

١ ـ النصرانية ليست ديناً لليهود فحسب . بل هي دين عالمي .

٢ ـ التثليث . ويتبع ذلك ألوهية المسيح وألوهية الروح القدس .

٣ ـ المسيح ابن الله ، ونزل ليضحي بنفسه تكفيراً عن خطيئة البشرية .

٤ ـ قيامه من بين الأموات وصعوده إلى السماء ليجلس عن يمين أبيه ليحكم كما كان من قبل . ثم نزوله بعد ذلك ليدين البشر .

ومن الجدير بالذكر أن بولس لم يورد دليلاً واحداً علىٰ عالمية رسالة المسيح ، وعلىٰ عدم ضرورة الختان وغير ذلك من تعاليمه . بل إنما كان تدليله من كلامه وأفكاره[١] .

وقام الصراع بين بولس وأنصاره من جهة وبين أتباع المسيح الحقيقيين من جهة ثانية ، وطال أمده وامتد قروناً بعد وفاة بولس . كان في جانب بولس قلة من المثقفين وكثرة ساحقة من الجماهير ، وكان في جانب المسيحيين الحقيقيين العكس . أما الطبقة الحاكمة فكانت ميولها مع بولس وأتباعه . وفي مطلع القرن الرابع برزت هذه الميول وأصبحت تأييداً صريحاً لاتجاهات بولس ، ثم أُلزم الناس باتباعها[٢] .

---

(١) المسيحية لأحمد شلبي ص ١٠٧ ـ ١١١ .

(٢) منه ص ١١٢ ـ ١١٣ ـ

ولا شك أن المسيحيين الحقيقيين كتبوا وتكلموا وناضلوا . وهذا واضح من تحذيرات بولس ويوحنا . لكن أين ما كتبوه ، وأين دفاعاتهم عن آرائهم ؟ لا بد أنها ضاعت ودمرتها يد الطغيان والغوغاء في العصور المظلمة كما دمرت إنجيل المسيح . وربما نجا بعض ما كتبه هؤلاء ، وأخفاه ذووه ، وتوارثه الأبناء والأحفاد حتى ظهر مجمع نيقية ـ كما سيأتي ـ حيث غُلب القائلون بالتوحيد على أمرهم ، وهم الأكثرية ، وانعقد المجمع بدونهم في أقلية تقول بألوهية المسيح . واختير الكتاب المقدس للنصارى[1] .

وقد قرر بعض الباحثين أن الأناجيل والأبحاث التي تعارض اتجاه بولس قد فنيت ، وفي مقدمتها إنجيل المسيح وما كتبه الحواريون . وأن ما لم تظهر فيه معارضة لأفكار بولس كإنجيل متى ومرقس بقي ، لكن بعد إدخال تغييرات عليه من قبل مريدي بولس وأنصاره حذفاً وزيادة . وبخاصة عند ترجمة إنجيل متى من الآرامية ، مع جهالة المترجم وفقدان الأصل ـ كما سيأتي إن شاء الله ـ أما إنجيلا لوقا ويوحنا والرسائل جميعها ، فهي في الحقيقة منسوبة إلى بولس وأتباعه ـ كما سيأتي ـ بل إن الجزء الأكبر من مصادر النصرانية المعترف بها ـ إن لم يكن كلها ـ ذو صلة كبيرة بقلم بولس ، من وضعه أو وضع مريديه . وما سوى ذلك قليل . ويبدو أن يداً لعبت بذلك القليل ، فتركته لا يؤيد ولا يعارض آراء بولس كما في رسالة يعقوب وإنجيل متى[2] .

وعلى كل حال ، فإن أولى كتابات العصر النصراني لا تشير إلى الأناجيل إلا بعد مؤلفات بولس بفترة طويلة جداً . والشهادات بوجود مجموعة الكتابات الإنجيلية إنما تظهر في منتصف القرن الثاني ، وبالتحديد بعد عام ١٤٠ م . وهذه الملاحظات تعرضها مقدمة الترجمة المسكونية للعهد الجديد المنشور عام ١٩٧٢ م . وهم يذكرون أيضاً في تعليقات هذه الترجمة أنه لا توجد أية

---

(١) منه ص ١١٨

(٢) منه ص ١٢٠ ـ ١٢١ .

شهادة تقول بوحدة مجموعة من الكتابات الإنجيلية قبل عام ١٤٠ م[١] .

وقد ذكر العالم الألماني إكهارن أن سلوس ، وهو من العلماء الوثنيين في القرن الثاني الميلادي كان يقول : إن النصارى بدلوا أناجيلهم ثلاث مرات أو أربع ، بل أكثر من ذلك تبديلاً في مضامينها[٢] .

وقال المؤرخ موشيم[٣] في بيان علماء القرن الثاني : كان بين متبعي رأي أفلاطون وفيثاغورث مقولة مشهورة « أن الكذب والخداع لأجل أن يزداد الصدق وعبادة الله ، ليسا جائزين فحسب . بل قابلان للتحسين » وقد تعلم منهم هذه المقولة أولاً يهود مصر قبل المسيح . كما يظهر جزماً من كثير من الكتب القديمة . ثم أثّر وَبَاءُ هذا الغلط في النصارىٰ ، كما يظهر من الكتب الكثيرة التي نسبت إلى الكبار كذباً اهـ .

فإذاً . صار الكذب والخداع من المستحبات الدينية عند اليهود قبل المسيح ، ثم عند النصارى في القرن الثاني .

تعدد الأناجيل المتضاربة :

يتبين مما سبق أن المسيحيين حين أرادوا تدوين سيرة المسيح بعد رفعه إلى السماء ، قام بعض التلاميذ فقص كل منهم خبره ، وضمن كتابه ما علق بذهنه من كلامه وتعاليمه ، بعد أن صوره بمنظاره الخاص . فجاء الكثير من تضمينهم خطأً . لأنهم نسوا جانباً مما سمعوا، وأخطؤوا في فهم جانب ، وغالوا في جانب ثالث . وكل منهم يسمي ما كتبه إنجيلاً . ولعل الفيلسوف رينان ألم بهذا المعنى حين لام رسل المسيح الذين كتبوا سيرته، واتهمهم بعدم الكفاءة والضعف في تصوير المسيح[٤] .

---

(١) دراسة لموريس ص ٩٩ .

(٢) إظهار الحق ١/٣٢ و٧٨ و ٢٨٤ ـ ٢٨٥ ـ و ١٩١ .

(٣) في تاريخه المطبوع عام ١٨٣٢ م المجلد الأول ص ٦٥ انظر إظهار الحق ١/٢٩٤ .

(٤) مباحث بريئة ص ٨ ـ ٩ و ١٢ .

ومرت الأيام ، وتعددت الأناجيل والرسائل حتى أصبح لكل منـطقة من بلاد النصارى إنجيلها الخاص بها . ويذكر التاريخ أنه كان في القرنين الأولين للميلاد أناجيل أخرىٰ ـ أي غير الأربعة ـ أخـذت بها فـرق قديمـة في العصور الغابرة وراجت عندها ، بحيث لم تعتنق كل فرقة إلا إنجيلها . وتحكم بزيف غيره وبطلانه . حتى إن الأناجيل أربت على المائة[1] . ومما ذكره التاريـخ ما يلي :

١ ـ سبعة كتب أو رسائل منسوبة إلى عيسى ، وهي : رسالته إلى إيكرس ملك أديسه، رسالته إلى بطرس وبولس، كتاب التمثيلات والوعظ، زبوره الذي كان يعلم به الحواريين والمريدين خفية ، كتـاب الشعوذات والسحـر . كتاب مسقط رأس المسيح ومريم وظئرها ، رسالته التي سقطت من السماء في القرن السادس .

٢ ـ ثمانية منسوبة إلى مريم هي : رسالتها إلى أكناشس ، رسـالتها إلى سي سيليان ، كتاب مسقط رأس مـريم ، كتاب مـريم وظئرهـا ، تاريـخ مريم وحديثها ، كتاب معجزات المسيح ، كتاب الأسئلة الصغـار والكبار لمـريم ، كتاب نسل مريم والخاتم السليماني .

وثمة إنجيل ينسب لبطرس عن مريم ، يسمى إنجيل الطفولة . ذكرت فيه الأمور التي صدرت من المسيح في طفولته[2] .

٣ ـ أحد عشر كتاباً أو رسالة منسوبة إلى بطرس الحواري هي :

إنجيل بطرس ، أعمال بطرس ، مشاهدات بطرس ، مشاهدات بطرس الثانية ، رسالته إلى كليمنس ، مباحثة بطرس وإي بين ، تعليم بطرس ، وعظ بطرس ، آداب وصلاة بطرس ، كتاب مسافرة بطرس ، كتاب قياس بطرس .

---

(١) محاضرات في النصرانية ص ٤٩ ، دراسة لموريس ص ٩٩ ، الأسفار المقدسـة لعلي ص ٩٣ .

(٢) الأجوبة الفاخرة ص ٢١ .

٤ ـ تسعة منسوبة إلى يوحنا هي :

أعمال يوحنا ، الإنجيل الثاني ليوحنا ، كتاب مسافرة يوحنا ، حديث يوحنا ، رسالته إلى حيدرو بك ، كتاب وفاة مريم ، ذكر المسيح ونزوله من الصليب ، المشاهدات الثانية ليوحنا ، آداب صلاة يوحنا .

٥ ـ كتابان منسوبان إلى الحواري أندرياه هما :

إنجيل اندرياه ، أعمال اندرياه .

٦ ـ كتابان منسوبان إلى الحواري متىٰ هما :

إنجيل الطفولة ، آداب صلاة متىٰ[١] .

وثمة إنجيل ينسب لمتى ، وهو غير معتمد عند النصارى . ومن أهم ما يختلف فيه عن الأناجيل الأربعة ما يذهب إليه في تاريخ مريم أم المسيح ـ عليه السلام ـ ؛ فالأربعة تذكر أنها كانت مخطوبة ليوسف النجار أو زوجة له ، وأنها جاءت بالمسيح من دون أن يمسها يوسف . أما هذا الإنجيل فيقرر أنها لم تك زوجة ولا مخطوبة ، بل إنما كانت من العذارىٰ اللائي نذرن أنفسهن أو نذرهن أهلوهن لخدمة المعبد . والمنذورات يحرم عليهن الزواج والاتصال بالرجال كشأن الراهبات ـ على حد قولهم ـ في الوقت الحاضر[٢] .

وهو بهذا يتفق مع ما ورد في القرآن : ﴿ **إذ قالت امرأة عمران : ربِّ إني نذرت لك ما في بطني محرراً ، فتقبل مني إنك أنت السميع العليم . فلما وضعتها قالت: ربِّ إني وضعتها، والله أعلم بما وضعت، وليس الذكر كالأنثى، وإني سميتها مريم، وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم . فتقبلها ربها بقبول حسن، وأنبتها نباتاً حسناً، وكفّلها زكريا . .** » ـ آل عمران/ ٣٥ ـ ٣٧ ـ.

٧ ـ كتابان منسوبان إلى الحواري فيليب هما:

---

(١) إظهار الحق ١/ ٢٨٥ ـ ٢٨٦ ، وهو ينقل عن صاحب (أكسيهومو) الباب الخامس من تتمة كتابه المطبوع في لندن عام ١٨١٣ م.

(٢) الأسفار المقدسة لعلي عبد الواحد ص ٩٤ .

إنجيل فيليب ، أعمال فيليب .

٨ ـ إنجيل منسوب إلى الحواري برتولمان .

٩ ـ خمسة كتب منسوبة إلى الحواري توما هي :

إنجيل توما ، أعمال توما ، إنجيل طفولة المسيح ، مشاهدات توما ، كتاب مسافرة توما .

١٠ ـ ثلاثة كتب منسوبة إلى متياه الذي دخل في الحواريين بعد رفع المسيح هي :

إنجيل متياه ، حديث متياه ، أعمال متياه .

١١ ـ ثلاثة كتب منسوبة إلى الحواري يعقوب هي :

إنجيل يعقوب ، آداب وصلاة يعقوب ، كتاب وفاة مريم .

وإنجيل توما وإنجيل يعقوب يقصان أموراً أغفلتها الأناجيل الأربعة عن تاريخ مريم وطفولة المسيح .

١٢ ـ ثلاثة كتب منسوبة إلى مرقس هي :

إنجيل المصريين ، آداب صلاة مرقس ، كتاب بي شن برهاز .

وثمة إنجيل يقال له : إنجيل العبرانيين أو الناصريين . يعود إلى جماعة يهودية نصرانية .

١٣ ـ إنجيل منسوب إلى تهيو ديوشن .

١٤ ـ خمس عشرة كتاباً أو رسالة منسوبة إلى بولس هي :

أعمال بولس ، أعمال التهلكة ، رسالته إلى لادوقيين، رسالته الثالثة إلى أهل تسالونيكي ، رسالته الثالثة إلى كور نثيوس ، رسالة أهل كورنثيوس إليه وجوابه عنها ، رسالته إلى سنيكا وجوابها ، مشاهدات بولس ، المشاهدات الثانية لبولس ، وِزَنْ بولس، أنا بي كِشَن بولس ، إنجيل بولس ، وعظ بولس ، كتاب رقية الحية ، بَرِي سِبْت بطرس وبولس[1] .

---

(١) إظهار الحق ١/٢٨٧ ـ ٢٨٨ .

١٥ : إنجيل الأبيونيين :

وهو إنجيل مدون باللغة الآرامية . كانت تتمسك به الفرقة الأبيونية ـ نسبة إلى زعيمها أبيون ـ ويقر هذا الإنجيل جميع شرائع موسى . ويرى أن عيسى ـ عليه السلام ـ هو المسيح المنتظر الذي تحدثت عنه أسفار العهد القديم ، وهو ينكر ألوهية المسيح ، ويعده بشراً رسولاً ليس غير . وهو بهذا يتفق مع القرآن في قوله تعالى : **﴿ ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل * وأمه صديقة ، كانا يأكلان الطعان ، أنظر كيف نبين لهم الآيات ، ثم انظر أني يؤفكون ﴾** ـ المائدة / ٧٥ ـ .

وقد ظل لهذه الفرقة أشياع حتى أواخر القرن الرابع الميلادي ثم انقرضت بعد ذلك[١] .

جاء في (إظهار الحق)[٢] : الفرقة الأبيونية كانت في القرن الأول معاصرة لبولس، ومنكرة عليه أشد الإنكار ، وكانت تصفه بأنه مرتد . وكانت تسلم بإنجيل متىٰ ، لكن إنجيلها هذا كان مخالفاً للإنجيل المنسوب إلى متى والموجود عند معتقدي بولس الآن في كثير من المواضع . ولم يكن البابان الأولان فيه . فهذان البابان ، وكذا كثير من المواضع محرفة عند هذه الفرقة . وقال (بل) في تاريخه : هذه الفرقة كانت تسلم من كتب العهد العتيق بالتوراة فقط . وكان عندها من العهد الجديد إنجيل متى فقط ، لكنها حرفته في كثير من المواضع ، وأخرجت منه البابين الأولين اهـ .

١٦ ـ إنجيل منسوب إلى القديس نيلوديم :

وهو أحد رؤساء اليهود في عهد المسيح . جرت بينهما مناقشات في الشؤون الدينية ، فآمن برسالته ، لكنه لم يظهر إيمانه إلا بعد رفع المسيح .

---

(١) الأسفار المقدسة لعلي ص ٩٥ وص ١٠٨ ، قلت : بيد أنه لا زال بعض الناس إلى يومنا هذا يقولون ببشرية المسيح . ومنهم الشاعر القروي رشيد سليم الخوري .

(٢) انظر ١ /٢٨٨ ـ ٢٨٩ .

كتب إنجيله باللغة اليونانية . وقد قص فيه بعض التفاصيل التي لم تذكر في الأناجيل الأربعة عن موت المسيح ونزوله إلى المطَهْر ـ أو البرزخ أو الأعراف ـ وهو عند النصارى مقر الأرواح الطيبة التي مات أصحابها قبل بعثة المسيح ، وكذلك مقر أرواح الأطفال الذين ماتوا ولم يعمدوا ، ومقر مرتكبي الخطايا من النصارى . وهؤلاء جميعاً ـ يجتازون في المطهر مرحلة عذاب وألم ثم يدخلون الجنة[1] .

١٧ ـ إنجيل مارسيون : ويرى النصارى أن الفرقة المارسيونية من الفرق القديمة المبتدعة . وكانت ترد جميع أسفار العهد القديم ، ولا تراها إلهامية . وكذلك كانت ترد جميع أسفار العهد الجديد إلا إنجيل لوقا وعشر رسائل من رسائل بولس . وهذه التي تسلم بها كانت مخالفة لمضمون الموجود منها اليوم ؛ فقد كانت تنكر كثيراً من إنجيل لوقا ، ولا سيما البابان الأولان منه . وكانت ترد كل ما يخالف منحاها[2] .

١٨ ـ الإنجيل الأغنسطي : وقد طمست رسومه وعفت آثاره . وهو يبدأ بمقدمة تندد بمقدسهم بولس . كما ينتهي بخاتمة فيها مثل ذلك التنديد .

١٩ ـ لدى كل من أصحاب مرقيون وأصحاب ديصان إنجيل مخالف للأناجيل الأربعة .

٢٠ ـ لأصحاب ماني إنجيل مخالف لما عليه النصارى اليوم . ويزعمون أنه وحده الصحيح ، وما عداه باطل .

٢١ ـ إنجيل السبعين : وهو منسوب إلى تلامس والنصارى ينكرونه .

٢٢ ـ إنجيل الاثني عشر .

٢٣ ـ إنجيل التذكرة ، ونقل عنه جستن .

---

(١) الأسفار المقدسة لعلي ص ٩٣ .

(٢) إظهار الحق ١/ ٢٨٩ ـ ٢٩٠ و ٣١٠ .

٢٤ ـ إنجيل سرن تهس .

٢٥ ـ إنجيل تيشن[١] .

٢٦ ـ وفي منتصف القرن الثاني ظهر مذهب الغنوصيين الذين حاولوا دمج الديانة النصرانية مع غيرها . ومن أناجيلهم الخاصة بهم . إنجيل بطرس ، وإنجيل المصريين ، وإنجيل بازيليدس ، وإنجيل توما ، وإنجيل فيلبس ، وإنجيل حواء . وهناك أيضاً مأثورات كليمنت ، ونهاية العالم الثانية لجاك . وقد عرف كثير منها بسبب تنويهات آباء الكنيسة[٢] .

٢٧ ـ إنجيل برنابا : وسأفرد له قريباً بحثاً خاصاً إن شاء الله .

مجمع نيقية والأناجيل :

بعد أن أفاق النصارى من الاضطهادات التي توالت عليهم ، نظروا في تلك القصص ، فهالهم أمرها ، وتنبهوا للخطر . وفي أواخر القرن الثاني وأوائل القرن الثالث بدأت الكنيسة تبحث عن أصل الإنجيل . ولكن دون جدوى . فقد اختلط الحابل بالنابل لأمر أراده الله . وكان مجمع نيقية عام ٣٢٥ م[٣] ، وأحضرت إليه أناجيل كثيرة ورسائل أكثر . وليس في اختلافهم ما

---

(١) منه ١ /١٨٨ ـ ١٨٩ و ١٩٩ ، محاضرات في النصرانية ص ٤٩ .

(٢) محاضرات ص ٤٩ وص ١٠٨ ، الأسفار المقدسة لعلي ص ٩٣ ، دراسة لموريس ص ٧٢ و ٩٩ .

(٣) اشتد الخلاف بين الطوائف النصرانية الأولى . وكان يدور حول شخصية المسيح : أهو رسول من عند الله فحسب ؟ أم هو بمنزلة الابن لأنه خلق من غير أب ؟ لكن ذلك لا يمنع من كونه مخلوقاً لله أيضاً . لأنه كلمته . ومن قائل أيضاً : إنه ابن الله ، وله صفة القدم ، كما أن لله تلك الصفة . وهكذا تباينت نحل النصارى واختلفت آراؤهم ويظهر أن ذلك الاختلاف إنما ظهر بعد أن دخلت طوائف من الوثنيين الرومانيين واليونانيين والمصريين في هذا الدين . وكلٌ كان قد بقي لديه من عقائده الأولى ما أثر في تفكيره وفهمه للدين الجديد . ولا سيما الفلاسفة الذين أرادوا أن يفهموا ما اعتنقوه جديداً على ضوء فلسفتهم ومقتضاها . =

يزيل الشك بل يقويه . وجرى في المجمع ما جرى من تآمر على الأكثرية وأصحاب الحق . فاختارت الكنيسة من تلك الكتب والرسائل ما لا يتعارض مع

وكانت تلك الاختلافات كامنة في أثناء الاضطهادات . لأنهم شغلوا بدفع الأذى من ناحية ، وكانوا يخفون عقائدهم من ناحية ثانية . حتى إذا رزقوا الأمان ، ظهرت الخلافات الكامنة ، فإذا هم لم يكونوا . متفقين إلا في التعلق باسم المسيح . فلما منحهم الأمبراطور قسطنطين عطفه ، واعتزم الدخول في النصرانية ، وجد هذا الخلاف الشديد ، فأمر بعقد مجمع نيقية .

أما السبب المباشر لعقد المجمع ، فهو ما يسمونه (بدعة آريوس) . فقد كان هذا الرجل داعية جريئاً في مصر ، وقد أخذ على نفسه مقاومة كنيسة الاسكندرية فيما تبثه بين المسيحيين من ألوهية المسيح . وقد أنكر ما جاء في الأناجيل مما يوهم تلك الدعوة . وكان يقول ـ كما نقل عنه ابن البطريق ـ : « إن الأب وحده الله ، والابن مخلوق مصنوع ، وقد كان الأب إذ لم يكن الابن » ـ انظر محاضرات في النصرانية ـ ص ١٤٩ ـ ١٥١ ـ .

وكان أنصاره كثيرين من حيث العدد أقوياء من حيث المجاهرة والإنكار . كما كان لهذا الرأي مشايعون كثيرون في أسيوط وفلسطين ومقدونية والقسطنطينية . وعلى رأسهم الأساقفة والبطاركة وأراد بطريرك الاسكندرية أن يقضي على هذه الفكرة ، فلم يعمد إلى المناقشة بالحجة والبرهان ، بل عمد إلى لعن آريوس وطرده من حظيرة الكنيسة مدعياً أنه رأى المسيح في منامه مشقوق الثوب . ولما سأله عن سبب ذلك اتهم آريوس وتبرأ منه وأمر بطرده ـ انظر محاضرات ص ١٥١ ـ .

وبلغ قسطنطين الخبر، فجمع بين الرجلين لكنهما لم يتفقا. فأمر بمجمع نيقية ـ نائس ـ عام ٣٢٥ م . يقول ابن البطريق : بعث الملك قسطنطين إلى جميع البلدان ، فجمع البطاركة والأساقفة ، فاجتمع في نيقية (٢٠٤٨) من الأساقفة . وكانوا مختلفين في الآراء :

ـ فمنهم من يقول : إن المسيح وأمه إلهان من دون الله . وهم البربرانية . ويسمون بالمريميين .

ـ ومنهم من يقول : إن المسيح من الأب بمنزلة شعلة نار انفصلت من شعلة نار . فلم تنقص الأولى بانفصال الثانية عنها .

ـ ومنهم من يقول : لم تحبل مريم تسعة أشهر . وإنما مر في بطنها كما يمر الماء في الميزاب . لأن الكلمة دخلت في أذنها ، وخرجت من حيث يخرج الولد من ساعتها . =

نزعتها . ومنها أربعة الأناجيل . فسلمت بها وجعلتها قانونية . ولم تكترث لما بينهـا من اضطراب وتنـاقض ، مـا دام ذلـك لا يخـالف المنـزع العـام الـذي

ـ ومنهم من يقول : إن المسيح إنسان خلق من اللاهوت كواحد منا في جـوهره . وإن ابتداء الابن من مريم . وإنه اصطفي ليكون مخلصاً للجوهر الإنسي ، فصحبته النعمـة الإلهية ، وحلت فيه بالمحبة والمشيئة . ولذلـك سمي ابن الله . ويقولـون أيضاً : الله جوهر قديم واحد وأقنوم واحد . ويسمونه بثلاثة أسماء . وهم لا يؤمنون لا بالكلمة ولا بالروح القدس . وهي مقالة بطريرك أنطاكية وأشياعه .

ـ ومنهم من يقول : إنهم ثلاثة آلهة لم تزل : صالح وطالح وعدل بينهما . وهي مقالة مرقيون وأصحابه.

ـ ومنهم من يقول بألوهية المسيح التامة . وهي مقالة بولس و(٣١٨) أسقفاً من أتباعه.

جاءت الطوائف النصرانية المختلفة ، ومعها عشرات الأناجيل ومئات الرسائل للتدقيق وإظهار الحجة . سمع الملك تلك المقالات والمناظرات ، فعجب أشد العجب . ثم جنح أخيراً إلى رأي بولس لقربه من أفكاره الوثنية. فعقد مجلساً خاصاً بالأساقفة الذين يمثلون هذا الرأي ـ كما يقول ابن البطريق ـ وجلس في وسطهم ، وأخذ خاتمـه وسيفه وقضيبه فدفعه إليهم وقال لهم : قـد سلطتكم اليوم على مملكتي لتصنعـوا ما ينبغي أن تصنعوا مما فيه قوام الـدين . فباركـوا الملك ، وقلدوه سيفه ، وقـالوا لـه : أظهر دين النصرانية وذب عنه . ووضعوا له أربعين كتاباً فيها السنن والشرائع اهـ .

والقرارات التي وضعها هذا المجمع المحدود في العقيدة والشرائع ذكرها صاحب كتاب (تاريخ الأمة القبطية) فقال : « إن الجامعة المقدسة والكنيسة الرسولية تحرم قول من يقول بوجود زمن لم يكن ابن الله موجوداً فيه ، وأنه لم يوجد قبل أن يولد ، وأنه وجد من لا شيء . أو من يقول : إن الابن وجد من مادة أو جوهر غير الله الآب . وكل من يؤمن أنه خلق . أو من يقول : إنه قابل للتغير ويعتريه دوران اهـ وفرضت تلك العقيدة على النصارى قاطبة مؤيدة بسلطان قسطنطين ، لاعنة كل من يقـول غير ذلـك أو يخالفـه .

ـ انظر محاضرات في النصرانية ص ١٥٢ ـ ١٥٤ ـ .

والغريب في هذا المجمع أن الذين فرضوا هذا القول هم (٣١٨) أسقفاً مع أنهم لم يشكلوا الأكثرية النسبية . بل على العكس ، فقد كانوا هم الأقلية . يقـول الرواة : إن آريوس لما ألقى بيانه انضم إلى آرائه أكثر من (٧٠٠) أسقف . وهذا هو أكبر عدد نالته نحلة من النحل المختلفة ، فلو كانت النصرة بـالكثرة النسبيـة لكان الـواجب أن يكون الغلب لآريوس الذي احتج بما تحت يديه من أناجيل . فلما عارضوه بنصوص أخـرى

قصدته . رغم ما فيها من انقطاع السند ، وجهالة المؤلف الحقيقي ، وعدم العلم التام بالمترجم الحقيقي لبعضها ، ومبلغ أمانته وحرصه على الدين . ولو

= تدل على ألوهية المسيح أثبت بطلانها وقرر تحريفها . لكن يظهر أن عصا السلطان والإغراء بالسلطة الذي قام به قسطنطين كان له أثر في تكوين ذلك الرأي . فيروى أن هؤلاء الأساقفة الثمانية عشر والثلاثمائة لم يكونوا مجمعين صراحة على القول بألوهية المسيح . لكن تأثير الإغراء الذي قام به قسطنطين دفعهم إلى موافقة هواه الذي ظهر في عقده مجلساً خاصاً بهم دون الباقين . فأمضوا ذلك القرار . وقسروا الناس عليه - محاضرات ص ١٥٥ ، الإنجيل والصليب ص ١٤ - والأدهى والأمر أن الامبراطور لم يكن قد تنصر في ذلك الوقت ؛ يقول المؤرخ (أبوسيبوس) وهو الذي تقدسه الكنيسة وتمنحه لقب سلطان المؤرخين ، وكان صديقاً حميماً للأمبراطور : « إن قسطنطين عُمّد حين كان أسير الفراش قبيل وفاته . وأنه هو الذي عمده » . والتعميد إعلان الدخول في النصرانية . فكيف انتحل الامبراطور لنفسه قبل التعميد - أي حالة كونه مشركاً - ذلك المقام الأعلى الخاص بنفخ الروح القدس وتعليمه ليرجح ويتصرف في مجمع رسمي له الصلاحية التامة لحل مشكلة العقائد والفصل بين الكتب ؟!؟ لا شك أنه رجح ما هو أقرب إلى وثنيته، وأدنى إلى ما يعرفه من عقيدته . قال العلامة (فسك) في كتابه الخرافات ومخترعوها ص ٢٠٥ « وكان الرومانيون الوثنيون القدماء يعتقدون بالتثليث ، وهو أولاً الله ثم الكلمة ثم الروح». انظر العقائد الوثنية في الديانة النصرانية ص ٢٩ - ٣٠ ؛ محاضرات في النصرانية ص ١٥٦ ، الإنجيل والصليب ص ٢١ - ٢٢ .

وأهم ما في الأمر أن المجمع قرر أن تعاليم الدين لا يمكن تلقيها من الكتب رأساً. بل لا بد من أن تتلقى من أفواه العلماء ورجال الكهنوت، وأن أقوالهم في ذاتها حجة سواء خالفت النصوص أو وافقتها. وهكذا حجر المجمع على عقول الناس، وفرض لنفسه سلطاناً كهنوتياً لستر نقاط الضعف في العقيدة وغير ذلك. مع أن المسيح نهىٰ عن مثل هذا؛ جاء في متى ٢٠/٢٥ - ٢٦ : تعلمون أن رؤساء الأمم يسودونها، وأن عظماءها يتسلطون عليها. فلا يكن هذا فيكم. بل من أراد أن يكون عظيماً فيكم، فليكن لكم خادماً اهـ.

وأمر مجمع نيقية أيضاً بتحريق الكتب التي تخالف رأيه وحرم على الناس قراءتها ، وتتبعها في كل مكان . لكن بقيت المغالبة في الخفاء بين الموحدين والمثلثين - كما يذكر ابن البطريق - الأولى تغالب بالكثرة وقوة الإيمان ، والثانية بقوة السلطان وبقايا الوثنية . =

أنه كان لديها سند صحيح متصل لما ضرها قول غيرها ولا طعنه . ولكن ليس لـديها شبـه سند ، والحبـل الذي بينهم وبين كتبهم غيـر متصل بـأوهى أنواع الاتصال كما سيأتي إن شاء الله . وأجبرت الكنيسة الناس على قبـولها، ورفضت مـا يخـالف نزعتهـا ، وحكمت ببطلانهـا وتحريم قـراءتهـا . وأمـرت بـإحـراقهـا وإتلافها . ولاحقت كل من يعارض ذلك . وتم لها ما أرادت . وهكذا اختفت مبادىء المسيح وتعاليم حوارييـه ، وضاع التـراث الفكري الـذي خلفوه وتم النصر لأفكار بولس ، ولا سيما عندما أيدت القوة الـرومانيـة في مطلع القـرن الرابع هذا الاتجاه ، وحاربت ما سواه[1] .

ومن الجـدير بـالذكـر أن أربعة الأنـاجيل التي اختـارتها الكنيسـة كانت مجهولة لدى النصارى ، ولم تعرف إلا في عصر متـأخر . حتى قيـل : إنه لم يكن معترفاً بها قبل إقرار الكنيسة لهـا . ويذكـر بعض المؤرخين أنه لا تـوجد إشارة إلى أناجيـل متى ومرقس ولـوقا قبـل آخر القـرن الثاني أو ابتـداء القرن الثالث . وأول من ذكرها القديس أرينيـوس عام ٢٠٩ م وأورد بعض الـدلائل على عددها ، ثم قرر أنها مجرد صور لإنجيل واحد . ثم جاء القديس كليمنس الإسكندري عام ٢١٦ م فاجتهد اجتهاداً عظيماً في هذا الباب ، فقرر أن هذه الأربعة واجبة التسليم ، وأن على النصراني أن يسلم بصحتها[2] .

= ومن الجدير بالذكر أن المجامع التالية العامة خَطَّأَت هذا المجمع ، فأعادت إلى حظيرة التقديس كتباً حرمها ، وأخرجت من البلى كتباً دفنها . بل إن مجمع صور المنعقد عام ٣٣٤ م أصدر قراراً بإلغاء قرارات مجمع نيقية ، وقراراً بالعفو عن آريوس وأتباعه وقبول تعاليمه . ولم يعارض في ذلك إلا بطريرك الاسكندرية . ولمـا لم تُجْدِ الحجـة معه ، امتدت الأيدي إليه ، وكادوا يقتلونه ، لولا أن تدخل ابن أخت الملك : ولما بلغ ذلك الملك قسطنطين كرمه وناصره . وهكذا طمست القوة نور المذهب الأول . . محاضرات في النصرانية ص ١٥٦ و ١٥٨ ـ ١٦١ .

(١) إظهار الحق ٦/١ ، المسيحية لأحمد ص ١١٩ ، الإنجيل والصليب ص ١٤ ، الأجوبة الفاخرة ص ١١٢ .

(٢) إظهـار الحق محاضـرات ص ٤٩ ، الأسفار المقـدسة ص ٩٣ ـ ٩٤ و ١١٠ ، دراسـة لموريس ص ٧٥ ، المسيحية ص ٢٠٥ ـ ٢٠٦ .

وإننا لنتساءل : أهذه الأناجيل الأربعة المسطورة اليوم ، هي نفسها التي جاء ذكرها على لسان ذنيك الرجلين في فترة طويلة قدرها ٢٢٥ سنة ، أم اعتراها التغيير أيضاً ؟[١] .

يقول القَس عبد الأحد داود الآشوري العراقي[٢] : إن هذه السبعة والعشرين سفراً أو الرسالة الموضوعة من قبل ثمانية كُتّاب ، لم تدخل في عداد الكتب المقدسة بصورة رسمية إلا في القرن الرابع بإقرار مجمع نيقية العام وحكمه سنة ٣٢٥ م . لذلك لم تكن إحدى هذه الرسائل مقبولة ومصدقة لدى الكنيسة وجميع العالم العيسوي قبل التاريخ المذكور . . وهكذا كان العالم النصراني محروماً من العهد الجديد مدة (٣٢٥) سنة . أي إنه كان بغير كتاب .

وقال أيضاً :[٣] يجب التفكير في دين بقي من تاريخ نشأته إلى (٣٢٥) عاماً بغير كتاب . كم يتأثر بالعقائد المتولدة من المنابع الخارجية ؟ وكيف يختل نظامه ، ويكدر صفاؤه الأصلي بالخرافات والروايات الكاذبة .

ثم يبرز نقطة أخرى فيقول[٤] : يتحقق لدى من أنعم النظر في مطالعة الرسائل السبع والعشرين أن كاتبي الثلاث والعشرين منها لم يكونوا على علم بوجود الأناجيل الأربعة ، وأن كل ما تحكيه الأناجيل من الأمثال والنصوص والوقائع والحكايات والمعجزات تكاد تكون كلها مجهولة لدى كاتبي الرسائل . إذاً فالأناجيل الأربعة لم تكن موجودة في زمن الحواريين الخمسة أو الستة الذين كتبوا تلك الرسائل . لأنها لا تبحث عن محتويات هذه الأناجيل قطعاً » مع أنه لو صحت نسبة الأناجيل إلى أصحابها لكانت أسبق من الرسائل .

---

(١) محاضرات ص ١٤٤ .
(٢) الإنجيل والصليب ص ١٤ .
(٣) منه ص ١٩ .
(٤) ص ١٤ ـ ١٥ .

ثم يؤكد[1] أنه لم يكن لكتاب الرسائل الإنجيلية علم بوجود الأناجيل الأربعة ، كما أنه لم يكن بعضهم على علم بكتابة الآخرين . فإن في الرسائل بعض العقائد والبيانات الغريبة التي يتفرد بها كاتب تلك الرسالة اهـ .

ومن قبله قال فاستس وهو من أعظم علماء فرقة (ماني كيز) في القرن الرابع[2] : « أنا أنكر الأشياء التي ألحقها في العهد الجديد آباؤكم وأجدادكم بالمكر ، وعيبوا صورته الحسنة وأفضليته . لأن هذا الأمر محقق أن هذا العهد الجديد ما صنفه المسيح ولا الحواريون . بل صنفه رجل مجهول الاسم . ونُسِب إلى الحواريين ورفاقهم خوفاً من أن لا يعتد الناس بتحريره ، ظانين أنه غير واقف على الحالات التي كتبها . وآذى المريدين لعيسى إيذاء بليغاً ، بأن ألف الكتب التي توجد فيها الأغلاط والتناقضات اهـ .

وهكذا شهد العقد الرابع والخامس من الميلاد دين عيسى - عليه السلام - وهو يذبل وتفنىٰ بعض مراجعة ، ويختفي بعض آخر ، ويتشتت أتباعه وتذهب ريحهم . كما شهد هذان العقدان دين بولس وهو ينبثق باسم المسيحية ، وتوضع له المراجع في صورة أناجيل ورسائل ، وتحدد قواعده وأركانه ، وتنهال عليه الجماهير[3] .

وصفوة القول : إنه من الواضح أن هناك أناجيل ورسائل فنيت أو فقدت في عهد الاضطهادات الأولى . لكن بقي قسم كبير منها أخفاها أصحابها . ثم أخرج بعضها عندما استقر الأمر بالنصارى . ولا ريب في أن بعضها قدم لمجمع نيقية . لكن المجمع انحرف ، وأصبحت الغلبة للأقلية التي تقول بألوهية المسيح . وعلى هذا الأساس قرر مصير الأناجيل[4] .

---

(١) ص ١٧ .

(٢) انظر إظهار الحق ص ١/ ٣٢ و ٨٤ و ٢٩٠ .

(٣) المسيحية لأحمد شلبي ص ١١٢ .

(٤) المسيحية لأحمد شلبي ص ٢٠٤ - ٢٠٥ .

ذكر بشرى ميخائيل زخاري[1] أنه قد اكتشف فوق هضبة بجوار البحر الميت منذ عدة سنوات مخطوطات قديمة تصحح الفكرة السائدة عن ألوهية المسيح . وقد وجدت في أوان فخارية قديمة . وقد اتضح بعد الدراسات والتحاليل أنها جزء من مكتوبات الأبسينين القدماء . وقد أثارت هذه المخطوطات ثائرة العلماء ورجال الدين في جميع عواصم العالم . ومما تقرره هذه المخطوطات أن المسيح ـ عليه السلام ـ كان مسيا المسيحيين ، وأن هناك مسيا آخر . وقد يكون المقصود بالمسيا الثاني هو نفسه ، عند عودته بالروح . أو يكون المقصود به ظهور محمد بن عبد الله ﷺ لأنه كان يتكلم منصفاً روح المسيح ومدافعاً عنه وعن العقيدة الأصلية التي جاء بها اهـ .

---

(١) في كتابه « محمد رسول الله هكذا بشرت الأناجيل » .

إنجيل برنابا

إنجيل برنابا من الكتب التي لا تعترف بها الكنيسة . بل إنها تحرم قراءته ، وتضمر له عداءً شديداً . لأنه يتعرض لذكر حقائق تختلف مع منزعها ورغبتها .

من برنابا ؟

ورد اسم برنابا عدة مرات في سفر أعمال الرسل المنسوب إلى لوقا . وهو يشهد في الباب الرابع أنه كان من الرسل الذين أخلصوا للدعوة المسيحية ، حتى إنه باع كل ما يملك ، وألقى بثمنه بين يدي الرسل ليتصرفوا به في سبيل نشر الدعوة .

جاء في سفر الأعمال ٤/٣٤ ـ ٣٧ : فما كان أحد منهم في حاجة . لأن الذين يملكون الحقول أو البيوت كانوا يبيعونها ، ويجيئون بثمن المبيع فيلقونه عند أقدام الرسل ليوزعوه على قدر احتياج كل واحد من الجماعة . هكذا عمل يوسف . وهو لاويّ قبرصي الأصل . لقبه الرسل بـ (برنابا) أي ابن التعزية ـ وفي بعض الترجمات ابن الوعظ ـ فباع حقلاً يملكه وجاء بمثنه وألقاه عند أقدام الرسل .

ويذكر السفر في ٩/٢٧ أنه هو الذي شهد لبولس بالإيمان بعد أن أوجس التلاميذ منه خيفة ولم يصدقوه .

ويشهد السفر أيضاً في ١١/٢٢ ـ ٢٥ أن برنابا كان رجلاً صالحاً ممتلئاً

من الـروح القدس والإيمـان . وأن الكنيسـة أرسلتـه إلى أنـطاكيـة فنجـح في مهمتـه . ثم ذهب إلى طرسـوس يبحث عن بولس ، فلمـا وجده جـاء به إلى أنطاكية . فأقاما سنة كاملة يعلمان الناس .

كما يذكر في ١٣/٢ ـ ٥ أن الروح القدس قد خصه وبولس بعناية من بين الرسل والمعلمين . ثم أرسلهما إلى قبرص . ثم تابعا الـرحلة وكان يعـاونهما يوحنا ـ الملقب بمرقس ـ .

١٣/١٣ ـ ١٤ : ثم أبحـر بـولس ورفيقـاه من بـافـوس إلى بـرجـة في بمفيلية . ففارقهما يوحنا ورجع إلى أورشليم . أما هما فتـوجها من بـرجة إلى أنطاكية . ثم تابعا الرحلة ، حتى عادا إلى أورشليم .

١٥/٢٢ : فأجمع الـرسل والشيـوخ والكنيسة كلهـا على اختيار رجلين منهم يرسلونهما إلى أنطاكية مع برنابا وبولس ـ أي في الرحلة الثانية ـ فاختاروا يهوذا الذي يقال له برسابا وسيلا . .

١٥/٣٥ ـ ٣٩ : وأقام بولس وبـرنابـا في أنطاكيـة يعلمان ويبشـران . . وبعد أيام قليلة قال بولس لبرنابا : تعال نرجع لنتفقد الإخوة في كل مدينة بشرنا فيها . فأراد برنابا أن يرافقهما يوحنا الملقب بمرقس . ولكن بولس رأى أن لا يرافقهما من فارقهما في بمفيلية وما شاركهما في العمل. فوقع بينهما نزاع حتى افترقا. فأخذ برنابا مرقس وسافر في البحر ألى قبرص.

ويقرر وليم باركلي في تفسير العهد الجديد[١] أن مـرقس صحب بولس عندما بدأ برحلته التبشيرية الأولى مع برنابا خال مرقس . لكن مرقس لم يكمل الرحلة لأنه لم يرض تماماً عن اتجاهات بولس وتصرفاته . وعندمـا بدأ بـولس رحلته التبشيرية الثانية لم يقبل بـرنابـا أن يصحبه . بـل افترق عنـه دون رجعة اهـ .

---

(١) إنجيـل مـرقس ص ١٢ تـرجمـة القس فهيم عـزيـز ، انـظر المسيحيـة لأحمـد شلبي ص ٢١٠ .

بل إن برنابا ندد ببولس كما سيأتي إن شاء الله .

وهل كان من الحواريين الاثني عشر أو من السبعين تلميذاً ؟

إن إنجيل برنابا يدل على أنه كان من الحواريين الذين اختصهم المسيح بالزلفى إليه ، وملازمته في سرائه وضرائه . لكن كتب النصارى الأخرى لا ترى أنه من الحواريين . وإن كانت تعده من الرسل الذين يبلغون مكانة الحواريين كما في أعمال الرسل .

ومهما يك من شيء ، فإن برنابا من قديسي النصارى باتفاقهم ، ورسول من رسلهم ، وركن من الأركان التي قامت علها الدعوة المسيحية الأولى . وهو من الملهمين في اعتقادهم ، فقوله حجة عندهم[1] . ولا يحتمل أن يكون ثمة برنابا آخر . لأنه لم يرد ذكر إلا لبرنابا واحد في جميع المصادر . وملامحه فيها كلها واحدة[2] .

ظهور هذا الكتاب :

اتفق المؤرخون والباحثون على أن أقدم نسخة عثر عليها لهذا الإنجيل هي النسخة الإيطالية التي عثر عليها (كريمر) أحد مستشاري ملك بروسيا في فجر القرن الثامن عشر عام ١٧٠٩ م ، وعلى هامشها تعليقات بلغة عربية ركيكة وقد انتقلت هذه النسخة مع سائر كتب ذلك المتسشار عام ١٧٣٨ م إلى مكتبة البلاط الملكي في فينا . ولا تزال هذه النسخة محفوظة هناك حتى الآن . وكانت هذه النسخة هي الأصل لكل نسخ الإنجيل في اللغات التي ترجم إليها[3] .

وفي أوائل القرن الثامن عشر ـ وقيل سنة ١٧٨٤ م تقريباً ـ ظهرت نسخة

---

(١) محاضرات في النصرانية ص ٧٢ ، المسيحية لأحمد شلبي ص ٢١٦ .

(٢) محاضرات ص ٧٤ ، المسيحية ص ٢١٦ .

(٣) محاضرات ص ٧٢ و ص ٧٤ ، الأسفار المقدسة لعلي ص ٩٥ .

أخرى باللغة الأسبانية ترجمها المستشرق (سايل) إلى اللغة الإنكليزية . لكن فقدت تلك النسخة ، ولم يبق منها ومن ترجمتها إلا شذرات أشار إليها الدكتور (هوايت) في إحدى محاضراته[1] .

وقد رجح المحققون أن تكون النسخة الإيطالية هي الأصل للنسخة الأسبانية لأمرين :

أ ـ من حيث الموضوع والترجمة : يقول الدكتور خليل سعادة في مقدمة إنجيل برنابا المطبوع باللغة العربية : إن الإسبانية ترجمة حرفية عن الإيطالية ، إلا في مواضع قليلة .

ب ـ إنها قدمت بمقدمة تذكر أن الذي كشف النقاب عن النسخة الإيطالية راهب لاتيني يدعىٰ (فرامرينو) . وكان هذا الراهب قد عثر على رسائل لـ (إيريانوس) . وفي عدادها رسالة يندد فيها بالقديس بولس وما كتبه . ويسند تنديده هذا إلى إنجيل القديس برنابا . فأصبح الراهب من ذلك الحين شديد الشغف بالعثور على هذا الإنجيل . واتفق ـ بأمر الله ـ أن أصبح حيناً من الدهر مقرباً من البابا (سكتس) الخامس . وحدث يوماً أنهما دخلا معاً مكتبة البابا . فأخذت الباب سِنَة فنام . وأحب فرامرينو أن يقتل الوقت بالمطالعة . فكان الكتاب الأول الذي وضع يده عليه هو هذا الإنجيل ، فكاد يطير فرحاً . وخبأه في أحد ردنيه ، ولبث إلى أن استيقظ البابا ، فاستأذنه بالانصراف . ثم طالع الكتاب بشوق عظيم ، فاعتنق الإسلام[2] .

ويظهر أن تلك النسخة التي عثر عليها الراهب هي التي عثر عليها كريمر سنة ١٧٠٩ م نفسها ؛ فيروى أنها آلت عن طريق الراهب إلى مكتبة أحد وجهاء (امستردام) وبقيت عنده حتى مطلع القرن الثامن عشر . وفي سنة ١٧٠٩

---

(١) محاضرات ص ٧٢ ـ ٧٣ ، المسيحية ص ٢١٨ .

(٢) مقدمة انجيل برنابا للدكتور خليل سعادة ، مقدمة الناشر السيد محمد رشيد رضا ، مقدمة العهد الجديد المطبوع في لبنان للقس جورج فاخوري .

كـان كـريمـر أحـد مستشاري ملك بـروسيـا ينـزل في امستـردام، وكـانت لـه بهذا الوجيه صلة . فلما رأى هذه النسخة استعارها ، ثم ذكر للوجيه أنها عظيمة القيمـة . وفي سنة ١٧١٣ م أهـدى ذلك الـوجيـه هـذه النسخـة إلى البـرنس (أيوجين سافوي) الذي كان مولعاً بالعلوم والآثار التاريخية . ثم انتقلت هذه النسخة مـع مكتبة البرنس كلها إلى مكتبة البلاط الملكي في فينا حيث لا تزال إلى الآن[١] .

اللغة التي كتب بها :

من الراجح أن هذا الإنجيل كتب في أول أمره بإحدى اللغات الثـلاث التي كانت المؤلفات الدينية وغيرها تدون بها في ذلـك العصر . وهي العبـرية والآراميـة واليونـانية ، وأن هـذه النسخة متـرجمة عن اللغـة التي كتب بها في الأصل[٢] .

ويجزم الباحثون أن كاتب النسخة الإيطالية هو من أهالي البندقية . بدليل اللغة التي كتب بها . أما النسخة الأسبانية ، فهي ترجمة حرفية عن الإيطالية إلا في مواضع قليلة كما سبق[٣] .

مضمونه :

إنجيل برنـابا يشبـه سائـر الأناجيـل في أنه يـذكر قصـة المسيح ـ عليـه السلام ـ من ولادته إلى اتهامه ومحاولة صلبه . ويحكي محاوراته وخطبه . بيد أنه يمتاز عنها فيما اشتمل عليه من أخبار دقيقة عن التوراة . يقول الدكتور خليل سعادة في مقدمة الإنجيل : « إنك إذا أعملت النظر في هذا الإنجيل ، وجدت

---

(١) مقدمة الدكتور خليل سعادة لإنجيل برنابا ، ومقدمة الناشر محمد رشيد رضا ، المسيحية لأحمد شلبي ص ٢١٨ .
(٢) الأسفار المقدسة لعلي ص ٩٥ .
(٣) مقدمة الدكتور خليل ، المسيحية لأحمد شلبي ص ٢١٨ .

لكـاتبه إلماماً عجيباً بأسفار العهد القديم . لا تكاد تجد لها مثيـلاً بين طوائف النصـارى إلا في أفراد قليلين من المختصين الـذين جعلوا حياتهم وقفـاً على الدين كالمفسرين . حتى إنه لينذر أن يكون بين هؤلاء أيضاً من له إلمام بالتوراة يقرب من إلمام كاتب إنجيل برنابا » .

وهو يمتاز بقوة التصوير وسمو التفكير والحكمة الواسعة والـدقة البـارعة والعبارة المحكمة والمعنى المنسجم ، حتى إنه لو لم يكن كتاب دين ، لكان في الأدب والحكمة من الدرجة الأولى[1] .

وهو يخالف الأناجيل الأربعـة المعترف بهـا لدى النصـارى في كثير من نواحي العقيدة وشخصية المسيح ـ عليه السلام ـ وتاريخه اختـلافاً جـوهريـاً . ومن أهم ذلك ما يلي :

١ ـ إنه يقرر أن المسيح ـ عليه السـلام ـ ليس إلا بشراً رسـولاً . فليس إلهاً ، ولا ابناً لله . بل هو عبد ورسول كسائر الأنبياء ، وهو عـرضة لحكم الله عليه كسائر البشر .

ويذكر الكاتب أن المسيح أنكر ألوهيته أو كونه ابناً لله على مرأى ومسمع من جمهور عظيم . وأنه ندد بمن يدعي ذلك .

وهو بهذا يتفق مع القرآن في قوله تعـالى : ﴿ **ما المسيـح ابن مريم إلا رسول فد خلت من قبله الرسل * وأمه صديقة * كانا يأكـلان الطعـام * انظر كيف نبين لهم الآيات ، ثم انظر أنّي يؤفكون** ﴾ ـ المائدة / ٧٥ ـ

٢ ـ يقرر أن المسيح ـ عليـه السلام ـ لم يقتـل ولم يصلب ، ولكن شبه لهم . وأن الذي صلب إنما هو يهوذا الإسخريوطي ؛ فقد ألقى الله عليه شبـه المسيح ، حتى إنه لما دخل بين الحواريين يبحث عن المسيح ظنوه المسيح ،

---

(١) مقدمة الدكتور خليل ، محاضرات في النصرانية ص ٦٩ و ص ٧٥ ، وص ٧٧ .

ونادوه (يا معلم) . فأخذه الجنود ، ثم صلبوه ظانين أنه المسيح ، وهو يقسم لهم أنه ليس المسيح ويذكرهم ببعض الأمور فلا يصدقونه . أما المسيح ـ عليه السلام ـ فيذكر أنه رفع إلى السماء من رَوْزَنـة فتحت له في السقف .

وهو في نفي القتل والصلب عن المسيح ـ عليه السلام ـ وإلقاء شبهه على غيره يتفق مع القرآن في قوله تعالى رداً على اليهود : ﴿ **وقولهم أنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله * وما قتلوه وما صلبوه ، ولكن شبه لهم * وما قتلوه يقيناً ، بل رفعه الله إليه** ﴾ـ النساء / ١٥٧ ـ .

٣ ـ يقرر أن المسيح ـ عليه السلام ـ قد بين أن الذبيح الذي تقدم به إبراهيم ـ عليه السلام ـ للفداء هو إسماعيل لا إسحاق . لأن إسماعيل هو بكر إبراهيم كما هو معروف .

وهو بذلك يخالف العقيدتين اليهودية والنصرانية تبعاً لما جاء في العهد القديم . ويتفق مع ما جاء في القرآن الكريم وسنة الرسول الأمين ﷺ .

٤ ـ إنه يقرر أن (مسيًا) أو المسيح المنتظر الذي ورد ذكره في العهد القديم ليس هو يسوع المسيح . بل هو محمد بن عبد الله ﷺ وقد ذكر اسمه صراحة، ووصفه بأنه رسول الله في كثير من فصول إنجيله كما سبق في الكتاب الأول[١].

الأسباب التي دعت برنابا لكتابته :

وضح برنابا في المقدمة الأسباب التي دعته لكتابة هذا الإنجيل . ألا وهي تنبيه الناس وتحذيرهم من إضلال الشيطان لكثير من الناس بدعوى

(١) محاضرات في النصرانية ص ٧٨ ـ ٨٠ ، الأسفار المقدسة لعلي ص ٩٦ ـ ٩٧ ، المسيحية لأحمد شلبي ص ٢٢١ . وقد اشتريت هذا الكتاب في آخرة الستينيات تقريباً من إحدى المكتبات في مدينة حلب . فطالعته بدقة وشغف ، وأحصيت أماكن البشارة فيه . ولما عدت بعد فترة قصيرة لأشتري نسخة ثانية لصديق أوصاني ، اختفى الكتاب من السوق . وكان عليه تعليقات عربية ركيكة تدل على أن كاتبها من الأعاجم .

التقوى ، حيث إنه جعلهم يعلمون الناس الكفر ويفترون على الله مدعين أن المسيح ـ عليه السلام ـ ابنه ، رافضين الختان . . . ومنهم بولس الذي لا يتكلم عنه إلا مع الأسىٰ والحزن[1] .

موقف الكنيسة من هذا الإنجيل ومناقشته :

لا تعترف الكنيسة الحاضرة بصحة هذا الإنجيل ، ولا بصحة ما جاء فيه ، ولا بصحة نسبته إلى برنابا . بل تذهب إلى أنه مزيف ملفق ، ألصق ببرنابا ليروج . وذلك لأنه يخالف أناجيلها ورسائلها في مسائل جوهرية ، ألا وهي العقيدة كما سلف . وهي تدعي أنه حديث عهد في الوجود ، أخرجته يدُ مرتد عن النصرانية جد خبير بالتوراة اللاتينية . يصف شتىٰ نواحي الحياة الدينية والمدنية والتاريخية والجغرافية والاجتماعية في عهد المسيح ـ عليه السلام ـ على ما رأى بعينه في بيئته الإيطالية في القرن السادس عشر . ويرى الدكتور خليل سعادة أن كاتبه يهودي أندلسي تعمق في دراسة اليهودية ، ثم تنصر وتعمق في دراسة النصرانية ، ثم اعتنق الإسلام وتحمس له . وزعم أن أصله عربي بدليل وجود التعليقات العربية على هامشه ، وأنه صرح في بشاراته باسم النبي ﷺ مع أن المعهود في البشارات الرمز والإشارة دون صريح العبارة[2] .

والحق والواقع أن هذا الإنجيل كشف عنه البحث العلمي ، وأصبح متداولاً بين علماء أوروبة وغيرهم . وقد اتجهوا إليه بمزيد من البحث والتحقيق والاهتمام . ولم يثنهم عن ذلك إنكار الكنيسة له . وقد وهم بعضهم فظن أنه لم يكن معروفاً قبل القرن الخامس عشر . وتابعهم في ذلك الدكتور خليل سعادة فقال في تقديمه للإنجيل : « إذا تحريت التاريخ وجدت أن زمن البابا

---

(١) المسيحية لأحمد شلبي ص ٢٢٢ .

(٢) مقدمة الدكتور خليل سعادة ، مقدمة العهد الجديد للقس جورج فاخوري ، محاضرات في النصرانية ص ٦٩ ، الأسفار المقدسة لعلي ص ٧٤ ، المسيحية لأحمد شلبي ص ٢١٩ ، مواجهة صريحة للمطعني ص ٢١٩

سكتس الخامس كان نحو مغيب القرن السادس عشر . وقد علمت أن نوع الورق الذي سطر فيه إنما هو ورق إيطالي ، يمكن تعيين أصله من الآثار المائية التي فيه ، والتي يمكن اتخاذها دليلاً صادقاً على تاريخ النسخة الإيطالية . والتاريخ الذي يحدسه العلماء من كل ما تقدم بيانه يتراوح بين منتصف القرن الخامس عشر والسادس عشر . وعليه فمن الممكن أن تكون النسخة الإيطالية هي عينها التي اختلسها فرامرينو من مكتبة البابا سكتس الخامس » .

بيد أنه ثمة حقائق وأدلة تثبت أن هذا الإنجيل يمتد في نشأته إلى أبعد أعماق التاريخ الميلادي ؛ فقد كان معروفاً لدى النصارى منذ أقدم عصورهم أن لبرنابا إنجيلاً . وقد ورد ذكره فيما ينسب لقدامىٰ رجال الكنيسة من بحوث وقرارات أيضاً .

يقول الأستاذ عباس محمود العقاد(1) : « والحقيقة أن هذا الإنجيل لم يكن مجهولاً قبل القرن الخامس كما وهم بعض العلماء الأوروبيين . لأن الإشارة إليه وردت في كتابات أوريجين وكلمنت ويوسبيوس وابرنيموس ولاردنر . ومنهم من اقتبس منه وروى عنه . فهو ولا ريب قد كان معروفاً في القرن الثاني الميلادي » .

ويذكر التاريخ أمراً أصدره البابا جلاسيوس الأول الذي جلس على الأريكة البابوية من سنة ٤٩٢ م إلى سنة ٤٩٦ م ، يعدد فيه أسماء الكتب المنهي عن مطالعتها . وفي عدادها كتاب يسمىٰ إنجيل برنابا . وأقوال العلماء والمؤرخين والمحققين تترى في تحريم قراءة أناجيل كثيرة ومصادرة الكنيسة لها . وإذا فعل البابا جلاسيوس ذلك ، فقد سار على سنة أسلافه .

إذاً . فالإنجيل كان له وجود قبل بعثة محمد ﷺ بنحو قرنين ـ فإنه ﷺ ولد سنة ٥٨٠ م تقريباً ، وبعث في الأربعين من عمره .

---

(1) في مقال له عن هذا الإنجيل نشرته جريدة الأخبار المصرية في ١٩٥٩/١٠/٢٦ م انظر مواجهة صريحة لعبد العظيم المطعني ص ٢٢١ .

والراجح - والله أعلم - أن نسخ هذا الإنجيل اختفت وضاعت ، ولم يعد الناس يعرفون شيئاً عن محتوياته بسبب تحريمات الكنيسة المتتالية له وملاحقتها لمقتنيه . وظل الأمر على هذا الحال إلى أن ظهرت تلك النسخة الإيطالية التي عثر عليها في القرن الخامس عشر أو أول القرن السادس عشر، ووجودها يمتد إلى القرن الثالث عشر. ويظهر أن هذه النسخة وصلت إلى بر السلامة حينما أخذت مكانها في مكتبة البابا سكتس نفسه، حيث إنه لا يخاف أن تكون مكتبته موضع شك أو اختبار. وإذا كان هذا الإنجيل قد كتب قد ظهور محمد ﷺ بنحو قرنين على الأقل. فلا بد أن يكون فيه ما قاله عيسى - عليه السلام - عن محمد ﷺ حقيقة. لأنه لا يمكن لأحد أن يخبر بمثل هذا الأمر قبل وقوعه بمائتي سنة إلا عن طريق الوحي[1] .

تلك بينات تشهد بأن الإنجيل الذي كشف وعرف صحيح النسبة إلى برنابا الذي لم يعرف بهذا الاسم ممن له مكانته الدينية سواه . وقد عمل عملاً لا يقل عن عمل بولس . فلم لا يكون له إنجيل كما لغيره إنجيل ورسائل ؟ وقد حدث بينه وبين بولس خلاف كما سلف في تعريفه . فوجود التنديد في إنجيله ببولس أمر غير مستبعد . بل هو دليل على صحة نسبة هذا الإنجيل إليه . وإذا كانت هذه النسبة ظنية تقبل الاحتمال ، فإنا نأخذ بذلك الظن ، لأنه المأخذ في أكثر مسائل التاريخ . إذ إن اكثر مسائله مبنية على الترجيح دون اليقين والجزم . والاحتمال الذي لا ينشأ عن دليل ، لا يلتفت إليه بجوار الاحتمال الناشيء عن دليل . ومن المؤكد أن نسبة هذا الإنجيل إلى برنابا أقوى من القول بنسبة إنجيل متى وسائر أربعة الأناجيل إلى أصحابها[2] .

وقد رجح جمهور المحققين أنه ليس للمسلمين فيه يد ، واستبعدوا

---

(١) إظهار الحق ٢/٢٩٤ ، محاضرات في النصرانية ص ٦٩ وص ٧٤ ، الأسفار المقدسة لعلي ص ٩٥ ، المسيحية لأحمد شلبي ص ٢٢٠ .

(٢) محاضرات في النصرانية ص ٧٤ - ٧٦ ، المسيحية لأحمد ص ٢٢٠

ذلك . لأنه لم يرد له ذكر في كتابات مشاهير المسلمين في الأعصر القديمة والحديثة ، حتى ولا في مؤلفات من انقطع منهم إلى الأبحاث والمجادلات الدينية ممن تصدوا لمناقشة اليهود والنصارى كابن حزم الأندلسي والشهرستاني وابن تيمية وتلميذه ابن القيم وغيرهم ـ رحمهم الله ـ مع أن إنجيل برنابا أمضى سلاح لهم في تلك المناظرات التي كانت قائمة بينهم . ولم يعرف أحد احتج به على مناظره أو ورد تكذيبه من خصمه ، مع أن فيه الحجة الدامغة . وكذلك لم يرد له ذكر في فهارس الكتب العربية القديمة عند الأعارب والأعاجم ، حتى عند المستشرقين الذين وضعوا فهارس لأندر الكتب العربية من قديمة وحديثة . فإذا كان المسلمون هم الذين وضعوه ، فمتى استفادوا منه ؟ وإذا لم يستفيدوا منه ، فلمَ وضعوه ؟ ثم إنه يبعد أن يؤثر تحريف المسلمين في إنجيل ما تأثيراً تتغير به النسخ الموجودة عند النصارى . فمن المؤكد أن هذا الإنجيل لم يكن معروفاً لدى المسلمين في غابرهم وحاضرهم[1] .

أما ما رآه الدكتور خليل سعادة من أن واضع هذا الإنجيل يهودي أندلسي اعتنق الدين الإسلامي ، بعد تنصره واطلاعه على أناجيل النصارى . . فهو أقرب إلى الخيال . لأن مثل هذا الرجل يحتاج إلى أن يعمر عدة قرون . ولماذا لم ينتقل إلى الإسلام مباشرة كما فعل كثير من يهود الأندلس ؟! ولو حاول كاتب مسلم أن يضع إنجيلاً ، لكان الأولى به أن ينسبه إلى عيسى ـ عليه السلام ـ مباشرة ، لا إلى برنابا . على أن التعمق في الإسلام والصدق فيه يحتم على المتعمق الصادق ألا يؤلف كتاباً ثم ينسبه إلى غيره كذباً مهما كانت نيته . فإن الشر لا يأتي بالخير كما جاء في السنة المطهرة . أضف إلى ذلك أن المسلمين لا يقرون كل ما فيه . فإن فيه ما لا يتفق مع عقيدة المسلمين . ومن ذلك ما جاء في آخره من أن بعض الملائكة لم يسجدوا لآدم . وهذا مخالف لصريح القرآن حيث جاء فيه قوله تعالى : ﴿ **فسجد الملائكة كلهم أجمعون** ﴾ **الحجر / ٣٠** .

---

(١) مقدمة الدكتور خليل سعادة ، مقدمة الناشر محمد رشيد رضا ، محاضرات ص ٧٧ ، المسيحية لأحمد ص ٢١٨ ـ ٢١٩ .

وأمـا عن زعمه بـأن أصله عربي بـدليل وجـود التعليقات العـربيـة على هامشه ، وتصريحه باسم النبي محمد ﷺ فإن العلامة الشيخ محمد أبو زهرة يرد على ذلك[1] بأن وجـود تعليقات عـربية إنمـا يدل على أن بعض من قـرأ هذه النسخة يعرف العربية على ضعف فيها . لأنه سقيم العبارة في أحيان كثيـرة ، حيث إنه يقدم الصفـة على الموصـوف . مما يـدل على أنه أعجمي لا يجيـد العربية . ومن الغريب أن تكون التعليقات العربية دليلاً على أصله الإسلامي ، ولا يتخذ من صلبه الإيطالي دليلاً على أصله النصراني !

أمـا كون التبشيـر فيه بصـريح العبـارة ، فلا نسلم بـأن كـل التبشيـرات تلميح . بل إن بعضهـا تصريـح ، وبعضها رمـز وتلميح . وعلى كـلٍ فالنص ترجمة لا أصل . وعسى أن يكون المترجم فهم المعنى الأصلي ، فلم يسعفه في لغته الإيطالية التلميح ، فنطق بالتصريح . كما يفعل النصارى في كثير من الكتب التي ترجموها عن أصلها العبري .

أما الدكتور أحمد شلبي[2] فيرى أن هذا التصريح يدل على صحة نسبة هذا الإنجيل إلى برنابا . لأن ما ذكره الدكتور سعادة لا يخفى على أحد . وهذا الكاتب وصفه بالبراعـة والفلسفة العـالية وكثـرة الاطلاع . فكيـف تخفى عليـه حقيقة ابتدائية كهذه لو كان كاذباً ؟![3] .

---

(١) محاضرات في النصرانية ص ٧٦ ـ ٧٧ ، وانظر الأسفار المقدسة لعلي ص ٩٥ .

(٢) انظر كتابة المسيحية ص ٢٢٠ .

(٣) أما الأستاذ عباس محمود العقاد فقد قال عن زيادات هذا الإنجيل عن غيره وصراحته ما يلي : « ولهـذا يخطر لنـا أن الزيـادات قد أضيفت بقلم كـاتب لم يقصد تـرويج هـذا الإنجيل بين اليهود أو النصارى أو المسلمين . لكنها زيدت لإلقاء الشبهـة عليه ووقف سريانه بين طائفة من الطوائف ، حذراً من ظهور نسخة أخرى تقلّ أسباب الشك فيها ، فيسهل قبولها والاستناد إليها اهـ ـ انظر مواجهة صريحة ص ٢٢٢ ـ

قلت: ولم لا يكون بعض من قرأ هذه النسخة يعرف العربية على ضعف فيها قد كتبها على الهامش مستشهداً ببعض معلوماته. أو أن الـراهب هو الـذي وضعها بعـد إسلامـه وتعلمه العربية. وهذا ما أرجحه بعد قراءتي للإنجيل وللتعليقات التي عليه.

هذا . وإن الإنسان ليتساءل : كيف ينحدر مثل هذا الكتـاب إلى مكتبة البـابـا سكتس الخـامس ، وهـو رئيس ديني خـطيـر ، ثم يكتشفهـا الـراهب فرامرينو . . ثم تؤول إلى المستشار كريمر أو البرنس أيوجين ، ثم إلى مكتبـة البلاط الملكي في فينا . وكـل هذه أوسـاط نصرانيـة محضة ؟! فـالكتاب إذاً نصراني ، ونسخته الأولى وجدت في جو نصـراني خالص . ولا مـظنة لكـونه مدخولاً عليهم البتة[1] .

(١) محاضرات في النصرانية ص ٧٤ ، المسيحية لأحمد شلبي ص ٢١٩ .

١ ـ إنجيل متى

تعريفه وميزاته :

يحتل إنجيل متى المكانة الأولى في نظام ترتيب أسفار العهد الجديد . وهو يعد امتداداً للعهد القديم . بل إنه كتب ليثبت أن المسيح يكمل تاريخ بني إسرائيل ، فهو يعلن أن المسيح هو المخلص الذي وعد الله به شعبه في العهد القديم . ولكي يحقق الكاتب هـذا الغرض ، فـإنه يـظهر عيسى على صـورة المسيح الموعود لإسرائيل ، ويستشهد كثيراً بفقرات من العهد القديم تشير إلى أنه يتصرف كالمسيح الذي ينتظره يهود .

وبشارته هذه لا تقتصر على الشعب اليهودي الذي ولـد المسيح وعـاش بينه . بل تتعداه إلى العالم كله .

ومما عني به الكاتب عناية خاصة إظهار المسيح على أنه المعلم العظيم الذي له سلطة تفسير الشريعة وإعلان ملكوت الله .

وهو لا يفسر معنى الأعياد والعادات اليهودية الواردة فيه لأنـه افترض أن القراء يعلمونها (١) .

(١) دراسة لموريس ص ٧٩ وهو ينقل عن التعليق على الترجمة المسكونية للعهد الجديد المنشورة عام ١٩٧٢ م ، وهي نتيجة عمل جماعي تضافر له أكثر من مائة متخصص من الكاثوليك والبروتستانت ، مقدمة إنجيل متى في العهد الجديد الصادر عن دار الكتاب المقدس في العالم العربي والمطبوع في بيروت عام ١٩٨٠ ، الموسوعة العربية الميسرة ١/ ٢٣٩ .

مضمونه :

يتكون هذا الإنجيل من ثمانية وعشرين باباً ، ويتضمن ما يلي :

١ ـ نسب المسيح وميلاده (من ١/١ إلى ٢/٢٣) .

٢ ـ رسالة يوحنا المعمدان (٣/١ ـ ١٢) .

٣ ـ معمودية يسوع وتجربته على يد إبليس (من ٣/١٣ إلى ٤/١١) .

٤ ـ رسالة يسوع في الجليل (من ٤/١٢ إلى ١٨/٣٥) .

٥ ـ الصعود من الجبل إلى أورشليم (من ١٩/١ إلى ٢٠/٣٤) .

٦ ـ الأسبوع الأخير في أورشليم وجوارها (٢١/١ إلى ٢٧/٦٦) .

٧ ـ القيامة وظهور المسيح (٢٨/١ ـ ٢٠) .

وتتألف معظم تعاليم هذا الإنجيل من خمسة أقسام :

أ ـ عظة المسيح على الجبل : وهي تتناول فضائل أهل ملكوت السماوات ، ومالهم وما عليهم من حقوق ، والمصير الذي ينتظرهم .

ب ـ وصايا المسيح لتلاميذه الاثني عشر عندما أرسلهم يبشرون بملكوت الله .

ج ـ أمثال المسيح عن ملكوت الله .

د ـ معنى الفضائل النصرانية .

هـ ـ زوال العالم ومجيء ملكوت الله[1] .

شخصية الكاتب : ويدور الخلاف حوله : أهو متى الحواري أم غيره ؟

المشهور أنه متى أحد الحواريين الاثني عشر الذين يسميهم النصارى رسلاً . وكان اسمه (ليفي) قبل اتصاله بالمسيح ، ويعمل جابياً للضرائب عند الرومان بمكتب الجمارك في كفر ناحوم من أعمال الجليل بفلسطين . وكان اليهود ينظرون إلى هذه المهنة نظرة ازدراء ، لأنها تحمل صاحبها على الظلم

---

(١) مقدمة إنجيل متى في العهد الجديد المطبوع سنة ١٩٨٠ .

والعنف . لكن المسيح ـ عليه السلام ـ اختاره تلميذاً له . وبعد رفع المسيح إلى السماء جال متى في بلاد كثيرة مبشراً . ثم توفي سنة ٧٠ م بالحبشة على إثر ضرب مُبَرِّح أنزله به أحد أعوان الملك . وفي رواية أخرى أنه طعن برمح سنة ٦٢م بعد أن قضى بالحبشة نحو ثلاث وعشرين سنة[١] .

بيد أن كثيراً من المحققين لا يسلمون بأن متى الحواري هو كاتب هذا الإنجيل . قال موريس بوكاي[٢] : « لم يعد مقبولاً اليوم بأن متى هو أحد حواريي المسيح كما كان يظن . وهناك نقطة لا جدال فيها هي أن هذا الكاتب يهودي ، فمفردات كتابه فلسطينية ، أما التحرير فيوناني » .

اللغة التي كتب بها :

اختلف العلماء في اللغة التي كتب بها إنجيل متى : أهي العبرانية[٣] ، أم السريانية ، أم اليونانية ، أم السيروكلدانية ؟

والمشهور أن متى كتبه باللهجة الآرامية الفلسطينية الحديثة التي كانت مستخدمة في الكتابة والمحادثة في ذلك العصر . وهي فرع عن العبرانية . فجمهور النصارى من المتقدمين والمتأخرين على أن متى كتب إنجيله باللسان العبراني في أرض يهودية للمؤمنين من اليهود . وهو الذي انفرد باستعمال هذا اللسان في تحرير العهد الجديد . ثم فقد هذا الإنجيل بسبب تحريف بعض الفرق النصرانية[٤] .

قال جامعو تفسير (هنري واسكات) : سبب فقدان النسخة العبرانية أن

---

(١) تاريخ الأمة القبطية ٢/٥٢ ، محاضرات في النصرانية ص ٥١ ـ ٥٢ .

(٢) في كتابه (دراسة الكتب المقدسة) ص ٨٠ ـ ٨١ .

(٣) هكذا يذكر كثير من المؤرخين . ويظهر أن مرادهم الآرامية التي هي فرع عن العبرانية . فذكروا الأصل دون الفلح .

(٤) إظهار الحق ١/٧٦ و ٢٧٧ ـ ٢٧٨ ، الموسوعة العربية الميسرة ١/٢٣٩ ، محاضرات في النصرانية ص ٥٢ .

الفرقة الأبيونية التي كانت تنكر ألوهية المسيح حرفت هذه النسخة وضاعت بعد فتنة (يروشالم) . وقال بعضهم : إن الناصريين أو اليهود الذين دخلوا في الملة النصرانية حرفوا الإنجيل العبراني ، وأخرجت الفرقة الأبيونية فقرات كثيرة منه[1] اهـ .

واتفقوا على أن الأصل الآرامي فقد ولم يصل إليهم ، وإنما وصلت ترجمته اليونانية . وهي أقدم نسخة عرفت من هذا الإنجيل . ويقال : إنها تمت عقب تأليفه مباشرة . ولا يظهر فيها إلا آثار ضئيلة للهجة الآرامية ، تتمثل في نحو ست عشرة كلمة مدونة بحروف لاتينية[2] .

ذكر (إيريانوس) أن متى كتب إنجيلاً باللغة العبرية أو الآرامية في أواخر القرن الثاني ، ولكن هذه الكتابات فقدت ولم يبق لها أثر .

وقال صاحب ذخيرة الألباب : إن القديس متى كتب إنجيله في السنة (٤١) للمسيح باللغة المتعارفة. يومئذٍ في فلسطين، وهي العبرانية أو السيروكلدانية. . . ثم ما عتم هذا الإنجيل أن ترجم إلى اليونانية. ثم تغلب استعمال الترجمة على الأصل الذي لعبت به أيدي النساخ الأبيونيين ومسخته بحيث أضحى ذلك الأصل خاملاً، بل فقيداً. وذلك منذ القرن الحادي عشر[3].

وترجم جرجس زوين اللبناني عن الفرنسية ما يلي : ذهب (بانتيوس) إلى الهند ليكرز بالدين النصراني ، فوجد إنجيلاً لمتى مكتوباً بالعبرانية ، فجاء به إلى الاسكندرية . وبقي محفوظاً في مكتبة قيصرية إلى أيامه . لكن هذه النسخة العبرانية فقدت. وبعد فقدها ظهرت ترجمتها في اللغة اليونانية[4] .

---

(١) إظهار الحق ١/٢٧٩ .

(٢) الأسفار المقدسة لعلي ص ٧٦ ، المسيحية لأحمد شلبي ص ٢٠٩ .

(٣) محاضرات في النصرانية ص ٥٣ .

(٤) إظهار الحق ١٠/٢٧٨ ، محاضرات في النصرانية ص ٥٣ .

وجاء في دائرة المعارف البريطانية [1]: « كتب إنجيل متى سنة (٤١) باللسان العبراني ، وباللسان الذي ما بين الكلداني والسرياني . لكن الموجود منه الآن الترجمة اليونانية . أما التي توجد الآن باللسان العبراني ، فهي ترجمة الترجمة اليونانية » .

وإذا كانت النسخة الأصلية في اللغة الآرامية ليست بين أيدينا اليوم . فلا أقل من أن نعرف سند النسخة اليونانية ، ولا سيما المترجم . فمن هو ؟ وما حاله ؟ وما مدى معرفته باللسانين ؟ وما مبلغ حرصه وأمانته على الدين ؟ وما لغته التي كان يتحدث بها ؟ .

الحق والواقع أنه لا سند لهذه الترجمة البتة . ولا يعلم من الترجم على وجه اليقين إلى اليوم . وعلماء النصارى يقولون ـ رجماً بالغيب ـ لعله فلان أو فلان . ولا يتم الاحتجاج بهذا على المخالف . فضلاً عن العلم بأحوال المترجم : [2]

فيقال : إن متى نفسه هو الذي قام بالترجمة . وكثيراً ما نجد في كتبهم العبارة التالية : « كتب متى إنجيله باللغة الآرامية ، ثم نقله إلى اليونانية هو أو غيره » لكن بلا برهان ، فإذا كان هو فأثبتوا لنا ذلك . وإذا كان غيره ، فمن هو ؟

ويقال : إن يوحنا صاحب الإنجيل الرابع هو الذي قام بترجمته . فقد قال ابن البطريق : « في عصر قلوديوس كتب متاوس ـ متى ـ إنجيله بالعبرانية في بيت المقدس . وفسره من العبرانية إلى اليونانية يوحنا صاحب الإنجيل » . لكن لم يؤيد ابن البطريق أحد من المؤرخين . بل إن أكثرهم ليقر بعدم معرفة المترجم . ولم يذكر ابن البطريق سنداً لقوله أو برهاناً [3].

---

(١) إظهار الحق ١/٧٦ .

(٢) إظهار الحق ١/٧٦ ، ١/٢٧٧ ، مواجهة صريحة لعبد العظيم المطعني ص ١٢١ .

(٣) محاضرات في النصرانية ص ٥٢ ، الأسفار المقدسة لعلي ص ٧٦ ـ ٧٧ .

قال (لاردنر) في الكليات[1] : « كتب (بابياس) أن متى كتب إنجيله بالعبرانية . وترجمه كل واحد على قدر لياقته » . وهذا يدل على أن أناساً كثيرين ترجموا هذا الإنجيل . فما لم يثبت بالسند المتصل أن هذه النسخة ترجمها فلان وأن أحواله معروفة . فلا يمكن أن تقبل .

كتب المؤرخ (جيروم) في فهرس المؤرخين[2] أن متى كتب إنجيله في الأرض اليهودية باللسان العبراني والحروف العبرانية للمؤمنين من اليهود . ولم يتحقق أنه ترجمه إلى اليونانية ، ولا من هو المترجم .

ومن الغريب أن الدكتور (بوست) يخالف جمهور المتقدمين في أنه كتب بالعبرانية ، فيقول في (قاموس الكتاب المقدس) : « إن هناك من يقول : إنه كتب باليونانية » . ثم يرجح أنه ألف باليونانية[3] .

ولعله يقصد ما قاله هورن :[4] « الغالب أن متى كتب إنجيله باللسانين العبراني واليوناني » . وهذا لا يلتفت إليه لأنه ليس بدون برهان فحسب ، بل لأنه مجرد الظن .

والأغرب من هذا أن يذكر مترجمو العهد الجديد الصادر عن (دار الكتاب المقدس في العالم العربي) سنة ١٩٨٠ م في مقدمته : أنه كتب كله باللغة اليونانية التي كانت في أيام المسيح اللغة الأدبية والتجارية السائدة في فلسطين . ويقولون تحت عنوانه : الترجمة العربية الجديدة من اللغة الأصلية .

وابن البطريق مؤرخ نصراني شهير من رجال القرن الثالث الهجري ، كان من مترجمي الكتب في بلاط المأمون . له كتاب في تاريخ النصرانية . وقلوديوس هو كلود الأول امبراطور الرومان نصب سنة ٤١ م ومات سنة ٥٤ م .

(١) إظهار الحق ١/ ٢٧٧ ، الأسفار المقدسة لعلي ص ٧٦ .

(٢) إظهار الحق ١/ ٢٧٨ .

(٣) محاضرات في النصرانية ص ٥٤ .

(٤) إظهار الحق ١/ ٢٨٩٠ .

مع أن صاحب (ميزان الحق)[1] على تعصبه لم يجزم بذلك ، ولم يقدر على بيان السند . بل قال « الغالب أن متى كتبه باللسان اليوناني » . ولعل الجهالة بالمترجم هي التي دفعت بَعْضَهم قديماً إلى وضع هذا الاحتمـال . ثم دفعت بعضهم حديثاً إلى تأييده . فخالفوا بذلك إجماع قدمـاء النصارى في أنه كتب باللغة العبرانية أو السريانية أو ما تفرع عن إحداهما .

جاء في تفسير (دوالي ورجرد مينيت)[2] ما يلي : « وقع اختلاف عظيم في الـزمان المتـأخر أن هـذا الإنجيل كتب بـأي لسان ؟ لكن صـرح كثير من القدماء أن متى كتب إنجيله باللسان العبـراني الذي كـان لسان أهـل فلسطين فلْيُعـدَّ القول الـذي اتفق عليه القـدماء ـ أي بـالعبراني ـ قـولاً فصلاً في هـذا القسم » .

وقال (ريو)[2] في تـاريخه لـلإنجيل : « من قـال إن متى كتب إنجيله باليوناني غلط . لأن (يوسي بيس) صرح في تاريخه . وكذا كثير من مرشدي الملة النصرانية أن متى كتب إنجيله بالعبراني لا باليوناني ».

مكان تدوينه وتاريخه :

واختلفوا أيضاً في البلدة التي كتب فيها : أهي سورية ؟ أم أنطاكية ، أم فينيقيا ؟ أم الإسكندرية ؟

يقول المعلقون على الترجمة المسكونية[3] : « يقدر غالباً أن إنجيل متى قد كتب في سورية ، وربما بـأنطاكيـة ، أو بفينيقيا . ففي هـذه المناطق كـان يعيش عدد كبير من اليهود » .

---

(١) إظهار الحق ١ / ٧٦ .

(٢) إظهار الحق ١ / ٢٧٩ .

(٣) انظر دراسة لموزيس ص ٨١

ويـذكر القَس إنسلم تـورميدا أن متى كتب الإنجيـل بخـطه في مـدينـة الإسكندرية اهـ[1] .

ويرى بعض المحققين أن الشواهد القوية تشير إلى أنطاكية . لكن لمـا كان من الصعب ربط الإنجيل بمدينة معينة ، فمن المناسب أن يقال : إنه أتى من مكـان مـا في المنـطقـة المحيـطة بهـا ، أو من مكـان يقـع في شمـال فلسطين[2] .

أما تاريخ تدوينه فالخلاف فيه أكبر ، فبالإضافة إلى مـاسبق جاء فيـه ما يلي :

ذكر ابن حزم في الفصل وابن القيم في هداية الحيارى[3] أن متى تلميذ المسيح ألف إنجيله بعد تسع سنوات من رفع المسيح . وكتبه بالعبرانية في بلاد يهوذا بالشام .

وقال جرجس زوين اللبناني فيما ترجمه عن الفرنسية[4] : إن متى كتب بشارته في أورشليم سنة ٣٩ م على ما ذهب إليه القديس (ايرينموس) والسبب في ذلك على ما ذهب إليه القديس (أبيفانيوس) أنه كتبه إما إجابة لليهود الذين آمنوا بالمسيح ، أو إجابة لأمر الرسل .

وقال الدكتور بوست في (قاموس الكتـاب المقدس)[5] : « ولا بـد أن يكون هذا الإنجيل قد كتب قبل خراب أورشليم . ويـظن بعضهم أن الإنجيل الحالي كتب ما بين سنة (٦٠) و (٦٥) م » .

---

(١) في كتابه تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب ص ٦٢

(٢) ندوة الخرطوم في مجلة الجامعة الإسلامية العدد (٤٩) ص ١٥٦ .

(٣) الفصل ٢/٢ ، هداية الحيارى ص ٥٢٣ . ولعلهمـا ينقلان عن ابن البـطريق فالعبـارة واحدة .

(٤) محاضرات في النصرانية ص ٥٣ .

(٥) انظر محاضرات في النصرانية ص ٥٤ .

ولذلك قال هورن[1] : « ألف الإنجيل الأول سنة ٣٧ ، أو سنة ٣٨ ، أو ٤١ ، أو ٤٣ ، أو ٤٨ ، أو ٦١ ، أو ٦٢ ، أو ٦٣ ، أو ٦٤ من الميلاد » .

ومنهم من يرى أنه كتب ما بين سنة ٨٠ ـ ٩٠ م . ويرى آخرون أنه كتب في الربع الأخير من القرن الأول من سنة ٨٥ ـ ١٠٥ م تقريباً[2] . بينما يذكر صاحب الموسوعة العربية الميسرة[3] أنه وصلنا في الثلث الثاني من القرن الأول قبل سنة ٧٠ م .

وباب الاختلاف في تاريخ تدوينه لا يمكن سده ، كما لا يمكن ترجيح رواية على أخرى . ولذلك يقول صاحب كتاب (مرشد الطالبين إلى الكتاب المقدس الثمين)[4] : « إن متى بموجب اعتقاد جمهور النصارى كتب إنجيله قبل مرقس ولوقا ويوحنا . ومرقس ولوقا كتبا إنجيليهما قبل خراب أورشليم . لكن لا يمكن الجزم في أية سنة كتب كل منهم بعد صعود المخلص . لأنه ليس عندنا نص إلهي على ذلك » .

وصفوة القول : إن ما يتميز به إنجيل متى أنه إنجيل طائفة يهودية نصرانية آخذة بسبيل مخالفة اليهودية مع الاحتفاظ بخط العهد القديم[5] .

يقول أ . تريكو عنه :[6] « تحت يونانية الثوب يكمن الكتاب يهودياً لحماً وعظماً وروحاً . وهو يحمل آثار اليهودية ، ويتسم بسماتها المميزة » .

---

(١) إظهار الحق ١/٨٠ ، محاضرات في النصرانية ص ٥٤ . وهو من محققي البروتستانت .

(٢) الأسفار المقدسة لعلي ص ٧٦ ، دراسة لموريس ص ٨١ ، مجلة الجامعة ندوة الخرطوم ص ١٥٦ .

(٣) انظر ١/٢٣٩ .

(٤) محاضرات في النصرانية ص ٥٣ .

(٥) دراسة لموريس ص ٨٣ ـ ٨٤ .

(٦) دراسة لموريس ص ٨٠ .

وهو عديم السند أو منقطعه ، ولا سيما من ناحية جهالة المترجم . فلا شك أن فقدان النسخة الأصلية التي كانت بالعبرانية وجهالة المترجم وحاله من صلاح وغيره ، وعلمه بالدين واللغتين التي ترجم عنها والتي ترجم إليها . وهل كانت الترجمة طبق الأصل أو فيها انحراف ؟ وهل فهم المترجم مرامي العبارات ومعانيها ؟ وهل كان يأخذ المعاني من ظاهر القول أو من إشاراته وتلويحاته ؟ وهل انتبه إلى روح المؤلف وغرضه ومرماه الكلي من الكلام أو كانت ترجمته حرفية ؟ كل هذا يؤدي إلى فقدان حلقات البحث العلمي ، ويفتح ثلمة كبيرة . ولئن تسامح الباحث في مكان التدوين وتاريخه وتاريخ الترجمة وملابساتها . فإن العلم يمنعه من الاسترسال في التسامح إذا لم يعرف الأصل الذي ترجم عنه ، أو لم يعرف المترجم . فكيف إذا كان كلاهما غير معروف[1] ؟ .

المتاعب التي يعاني منها هذا الإنجيل :

ذهب كثير من القدماء والمتأخرين إلى أن إنجيل متى ليس بإلهامي . لأنه كان باللغة العبرانية ثم فقد، وترجمته ليس إلهامية[2] .

أضف إلى ذلك أن خاتمة الإنجيل (يسوع يظهر لتلاميذه) يشك فيها المحققون ويرونها دخيلة ، ولا سيما ما ينسب للمسيح من أنه قال لتلاميذه ـ ١٨/١٩ ـ : « فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم ، وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس » .

ويُرجع آبل هارمك ـ وهو من أكبر علماء النصارى ـ هذا الشك إلى ما يلي :

١ ـ لم يرد في الأطوار المتأخرة من التعاليم النصرانية ما يتكلم عن المسيح ، وهو يلقي مواعظ ويعطي تعليمات بعد أن أُبقي من الأموات . وبولس لا يعلم شيئاً من هذا .

---

(١) محاضرات في النصرانية ص ٥٤ ـ ٥٥ ، تفسير المنار ٦/٢٩٣ .

(٢) إظهار الحق ١/١٧٤ ـ ١٧٥ .

٢ ـ إن صيحة التثليث هذه غريب ذكرها على لسان المسيح . ولم يكن لها نفوذ في عهد الرسل . مع أنهـا كانت جـديرة بـذلك لـو أنها صـدرت عن المسيح شخصياً[١] اهـ .

ثم إن هذه الخاتمة تدل على عموم رسالة المسيح ـ عليه السلام ـ فهي تتعارض مع ما هو أوثق عندهم . فقد جاء في متى ١٠/٥ ـ ٦ : وأرسل يسوع التلاميذ الاثني عشر ، وأوصاهم قائلاً : لا تقصـدوا أرضاً وثنيـة ، ولا تدخلوا مدينة سامرية . بل اذهبوا إلى الخراف الضالة من بني إسرائيل .

١٥/٢٤ : فأجابهـم يسوع : ما أرسلني الله إلا إلى الخراف الضالة من بني إسـرائيل ـ وفي بعض التـرجمات وعنـد البروتستـانت : لم أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة .

فعلى مقتضى هذه الفقرات رسالته خاصة ببني إسرائيل . فهل سخ هذا الحكم بخـاتمة الإنجيـل غير الثـابتة ؟ حيث أُمِـر بدعـوة جميع العـالم وعمم رسالته ؟[٢]

هذا . وقد طعن كثير من العلماء في هذا الإنجيل . قال فاستس ـ وهـو من علماء فرقة ماني كيز في القرن الـرابع ـ : إن الإنجيـل المنسوب إلى متى ليس من تصنيفه .

وقال البروفسور الألماني : هذا الإنجيل كله كاذب .

والبـابان الأولان منـه تردهمـا الفرقـة الأبيونيـة وفرقـة يوني تيـرن وفرقـة مارسيوني ، ويرونهما ملحقين إلحاقاً . وكان هذا الإنجيل عند الفرقة الأبيونية ، ولم يكن هذان البابان فيه . وقد أنكرهما القَس ليمسن[٣] . أما نورتن فقد أنكر

---

(١) مجلة الجامعة الإسلامية العدد ٤٩ ندوة الخرطوم ص ١٥٦ .

(٢) إظهار الحق ١/١٥ .

(٣) منه ١/٢٨١ .

معهما مواضع كثيرة منه أيضاً ؛ فقد كتب كتاباً في الإسناد[1] ، نقل فيه عن إكهارن أن كليمنس ذكر أنه في آخر القرن الثاني كان هناك أناس يحرفون الأناجيل . وكان يقول : هذا التحريف وقع في الفقرة (٥/١١) . وقد اعترف نورتن أن سبعة مواضيع من هذه الأناجيل محرفة وإلحاقية ليست من كلام الإنجيليين. ثم ذكرها . وما يتعلق منها بإنجيل متى ما يلي :

صرح في ص ٥٣ من كتابه أن البابين الأولين من إنجيل متى ليسا من تصنيفه .

وصرح في ص ٦٢ أن قصة يهوذا الإسخريوطي المذكورة في ٣/٢٧ - ١٠ إلحاقية كاذبة . وكذلك الفقرتان ٥٢ - ٥٣ من الباب المذكور[2] .

نماذج عن الاضطرابات والأغلاط في هذا الإنجيل :

ثمة إضطرابات وأغلاط في ثنايا هذا الإنجيل ، تجعله يفقد قيمته العلمية ، فضلاً عن أن يكون كتاباً إلهامياً . ومن أمثلة ذلك ما يلي :

١ - جاء في ٤/٣ : « وكان يوحنا يلبس ثوباً من وبر الجمال ، وعلى وسطه حزام من جلد ، ويقتات من الجراد والعسل البري » - وقد ورد نحو هذه الفقرة في إنجيل مرقس ٦/١ - .

وجاء في ١٨/١١ : جاء يوحنا لا يأكل ولا يشرب ، فقالوا : فيه شيطان » .

وهذا اختلاف ظاهر في كلام متى . لأنه نفى عن يوحنا الأكل والشرب في نص . وأثبت له أكل الجراد والعسل في آخر[3] .

---

(١) وقد طبع سنة ١٨٣٧ م في مدينة بوستن انظر إظهار الحق ١٨٨/١ طبعة قطر .

(٢) إظهار الحق ١٨٨/١ طبعة قطر .

(٣) تحفة الأريب ص ١١٧ - ١١٨ ، إظهار الحق ١٠٦/١ .

٢ ـ جاء في ١/٣ : « وفي تلك الأيام جاء يوحنا المعمدان يبشر في برية اليهودية » .

ولما كان في آخر الباب الثاني (١٩ ـ ٢٢) فيه ذكر جلوس أرخيلاوس على حكم اليهودية بعد موت أبيه ، وانصراف يوسف مع مريم والطفل إلى الجليل ، وإقامتهم في الناصرة . فإن اسم الإشارة (تلك) يعود إلى هذه الأمور المذكورة . وهذا غلط . لأن وعظ يحيى ـ يوحنا ـ كان بعد ثمانية وعشرين عاماً من تلك الأمور المذكورة[١] .

٣ ـ جاء في ١٦/١٨ ـ ١٩ : أن المسيح قال لبطرس : « وأنا أقول لك : أنت صخر ، وعلى هذا الصخر سأبني كنيستي . وقوات الجحيم لن تقوى عليها . وسأعطيك مفاتيح ملكوت السماوات ، فما تربطه في الأرض يكون مربوطاً في السماء ، وما تحله في الأرض يكون محلولاً في السماء » .

وجاء في ١٦/٢٣ : أنه قال له : « ابتعد عني يا شيطان أنت عقبة في طريقي . لأن أفكارك هذه أفكار البشر ، لا أفكار الله » ـ وفي بعض الترجمات : اذهب عني يا شيطان أنت معثرة لي . لأنك لا تهتم بما لله ، لكن بما للناس . وفي غيرها أيضاً : فإنك جاهل بمرضاة الله ـ .

فكيف يوليه أمراً لا يكون إلا لله وحده ، لا شريك له في ذلك ، ثم يصفه بأنه شيطان وجاهل بمرضاة الله ؟! أفمن كان متصفاً بهذه الصفات يكون مالكاً لمفاتيح ملكوت السماوات ؟

هذا . وقد نقل علماء البروتستانت في رسائلهم أقوال قدماء النصارى في ذم بطرس . ومنها أن يوحنا فم الذهب صرح في تفسيره لإنجيل متى أن بطرس كان به داء التجبر والمخالفة بشكل شديد ، وكان ضعيف العقل . ومنها أن اكستاين قال : إنه كان غير ثابت . لأنه كان يؤمن أحياناً ويشك أحياناً[٢] .

---

(١) إظهار الحق ١/١٥٠ .

(٢) الفصل ٢/٩٦ ، إظهار الحق ١/١٣٢ طبعة قطر .

٤ ـ جاء في ٩/٢٧ : « فتم ما قاله النبي إرميا : وأخذوا الثلاثين من الفضة ، وهي ما اتفق بعض بني إسرائيل على أن يكون ثمنه . ودفعوها ثمناً لحقل الخزّاف . هكذا أمرني الرب » .

وفي الترجمات الأخرى : وحينئذ تم ما قيل بإرميا النبي القائل : وأخذوا الثلاثين من الفضة ثمن المثمن الذي ثمنوه من بني إسرائيل . وأعطوها عن حقل الفَخاري كما أمرني الرب .

ولفظ (إرميا) غلط من الأغلاط المشهورة في إنجيل متى . لأن هذا الكلام لا وجود له في سفر إرمياء . ولا في سائر أسفار العهد القديم .

وثمة عبارة في ١٣/١١ من سفر زكريا تشبه نوعاً ما تلك العبارة التي ذكرها متى . لكن بين العبارتين فرق كبير يمنع من أن يكون متى نقل عن هذا الكتاب . وبغض النظر عن هذا الفرق ، فإنه لا علاقة لعبارة سفر زكريا ـ عليه السلام ـ بالحادثة التي يذكرها متى . وقد اضطربت أقوال علماء النصارى سلفاً وخلفاً في توجيه ذلك .

قال هورن في تفسيره[1] : « وفي هذا النقل إشكال كبير جداً . لأنه لا يوجد في كتاب إرمياء مثل هذا . ويوجد في ١٣/١١ من كتاب زكريا . لكن لا تطابق ألفاظه ألفاظ متى . وبعض المحققين على أنه وقع الغلط في نسخة متى ، فكتب الكاتب إرمياء موضع زكريا . أو أن هذا اللفظ إلحاقي » ومقتضى كلامه فيما بعد يدل على أنه اختار أن اللفظ إلحاقي ، وأن عبارة متى كانت بدون ذكر الاسم .

وجاء في تفسير (دوالي ورجردمينت)[2] أن الناقل كتب في الزمان الأول عند انتساخ الإنجيل إرمياء موضع زكريا غلطاً . وبعد ذلك دخل هذا الغلط في المتن .

---

(١) ٢ / ٣٨٥ ـ ٣٨٦ وقد طبع سنة ١٨٢٢ م انظر إظهار الحق ١ /٢٥٥ .

(٢) إظهار الحق ١ /٢٥٥ .

والمختار أن هذا الغلط صدر عن متى نفسه كما هو الظاهر لما ذكر أولاً . فلا يصح لفظ زكريا بدون إقرار التحريف في إحدى العبارتين . والاحتمالات الباقية ضعيفة .

وقال (وارد) الكاثوليكي في كتابه (الأغلاط)[1] : « كتب مستر (جوجيل) في كتابه أن متى قد غلط ، فكتب إرمياء موضع زكريا » .

وحكى جواد بن ساباط في مقدمة كتابه (البراهين الساباطية) أنه سأل القسس الكثيرين عن هذا ؟ فقال طامن : غلط الكاتب . وقال بيوكانان ومار طيروس وكيراكوس : إن متى كتب اعتماداً على حفظه بدون الرجوع إلى الكتب فوقع في الغلط[2] .

---

(١) ص ٢٦ وقد طبع سنة ١٨٤١ م انظر إظهار الحق ١/ ٢٥٥ .

(٢) إظهار الحق ١/ ٢٥٥ .

٢ - إنجيل مرقس

تعريفه وميزاته:

هو ثاني كتب العهد الجديد في الترتيب. وهو أصغر الأناجيل الأربعة وأبسطها؛ يروي فيه مرقس سيرة المسيح بأسلوب موجز. ويركز على أعماله أكثر مما يركز على أقواله وتعاليمه؛ فهو بعد أن يتكلم بإيجاز على يوحنا المعمدان والمعمودية وتجربة يسوع، يسارع إلى سرد معجزات المسيح وأعماله وتعاليمه. ويظهر كيف ازداد التلاميذ فهماً له مع مرور الأيام، فيما تعاظم عداء خصومه. ويختم مرقس هذه السيرة بسرد الأحداث التي جرت للمسيح في الأسبوع الأخير من حياته الأرضية - فيما يعتقدون - وبخاصة صلبه وقيامته[١].

مضمـونه:

يتكون هذا الكتاب من ستة عشر باباً، ويتضمن ما يلي:

١ - بدء بشارة المسيح (١/١ - ١٣).

٢ - رسالة يسوع في الجليل (١/١٤ إلى ٩/٥٠).

٣ - من الجليل إلى أورشليم (١٠/١ - ٥٢).

٤ - الأسبوع الأخير في أورشليم وما جاورها (١١/١ إلى ١٥/٤٧).

٥ - قيامة يسوع المسيح (١٦/١ - ٨).

(١) الموسوعة العربية الميسرة ١/٢٣٩، مقدمة إنجيل مرقس، ص ٨٦ من العهد الجديد المطبوع سنة ١٩٨٠ م.

٦ ـ ظهور يسوع ورفعه إلى السماء (١٦/ ٩ ـ ٢٠)[١].

شخصية الكاتب:

المشهور أنه مرقس. واسمه الأصلي يوحنا. وهو من اليهود. وكانت أسرته بأورشليم وقت ظهور المسيح. وهو ابن أخت القديس برنابا. وقد صاحب بولس وبرنابا في رحلاتهما وتبشيرهما في قبرص وآسيا الصغرىٰ. ثم صاحب بطرس كبير الحواريين، وقضى معه شطراً من حياته، وتبعه إلى روما. وبعد مقتل بطرس ذهب مرقس إلى شمال إفريقية، واستقر في مصر، وأنشأ فيها بطريركية الإسكندرية (الكرازة المرقسية) سنة ٦٧ م والتي يتولاها الآن بابوات الأقباط الأرثوذكس، ويعدون أنفسهم خلفاء مرقس. واستمر في مصر إلى أن ائتمر به الوثنيون فقتلوه سنة ٦٨ م بعد أن سجنوه وعذبوه[٢]. وهل كان من تلاميذ المسيح أو رآه؟.

المشهور أنه كان من أوائل الذين أجابوا دعوة المسيح، وأنه اختاره من بين السبعين الذين نزل عليهم (الروح القدس) في اعتقادهم بعد رفع المسيح، وأُلهموا التبشير بالنصرانية كما أُلهموا مبادئها.

جاء في تاريخ الأمة القبطية: «وقد أجمعت تقاليد طوائف النصارى على أن الرب يسوع كان يتردد على بيته، وأنه في هذا البيت أكل الفصح مع تلاميذه. وفي إحدىٰ غرفه حل الروح القدس على التلاميذ».

---

(١) مقدمة إنجيل مرقس ص ٨٦ من العهد الجديد المطبوع سنة ١٩٨٠ م، وانظر كتاب من هو المسيح ص ٩ ـ ١٠.

(٢) تاريخ الأمة القبطية ٢/ ٦١ ـ ٦٦، محاضرات في النصرانية ص ٥٥ ـ ٥٦، الأسفار المقدسة لعلي ص ٧٤، من هو المسيح ص ٥ ـ ٦ وقد ذكر بعض المؤرخين أنه قتل سنة ٦٢ م. انظر محاضرات ص ٥٦ والمسيحية لأحمد شلبي ص ٢٠٩، لكن هذا لا يتفق مع كثير من الأقوال المذكورة في تاريخ تأليفه للإنجيل والتي تحدده فيما بعد سنة ٦٣ م كما سيأتي إلا أن يكون الكاتب غيره، أو أنه كتبه بعد الموت.

وذهب كثير من الباحثين إلى أنه ليس أحد الحواريين. بل إنه لم ير المسيح قط.

قال القس إنسلم تورميدا في (تحفة الأريب)[1]: «وأما مرقس فما رأى المسيح قط. وكان دخوله في دين النصارى بعد رفع عيسى - عليه السلام - وتنصر على يد (بترو) - بطرس - الحواري وأخذ عنه الإنجيل في مدينة روما».

ويجزم المفكر الفرنسي موريس بوكاي[2] بأن كاتب هذا الإنجيل ليس أحد الحواريين. بل هو على أكثر تقدير تلميذ لأحد الحواريين. ثم ينقل عن الكاتب أ. كولمان أنه لا يرى مرقس تلميذاً للمسيح.

ولذلك وقع شك في شخصية الكاتب: أهو بطرس رئيس الحواريين، ثم نسبه إلى تلميذه مرقس؟ أم أن مرقس نفسه كتبه؟.

- ذهب بعض الرواة إلى أن الذي كتبه إنما هو بطرس؛ فقد ذكر ابن البطريق وبعض مؤرخي العرب أن هذا الإنجيل كتبه بطرس نفسه، ونسبه لتلميذه مرقس في مدينة رومية في عصر نيرون من سنة ٥٤ م إلى سنة ٦٨ م[3] اهـ.

ونقل ذلك ابن حزم وابن القيم فقالا[4]: «ويقولون: إن شمعون المذكور هو الذي ألفه، ثم محا اسمه من أوله، ونسبه إلى تلميذه مرقس». وشمعون هو بطرس، فقد كان اسمه الأصلي سمعان.

وإذا كان مرقس هو كاتب الإنجيل. فهل كتبه تحت إشراف بطرس أو كتبه بعد موت بطرس وبولس؟

---

(١) تحفة الأريب ص ٦٥ - ٦٦.

(٢) دراسة لموريس ص ٨٤.

(٣) الأسفار المقدسة لعلي ص ٧٠، محاضرات ص ٥٦ - ٥٧.

(٤) الفصل ٢/٣، هداية الحيارى ص ٥٢٣.

ـ ذهب بعضهم إلى أن تأليفه لإنجيله كـان تحت إشراف أستـاذه بطرس وبإرشاده. فقد رجع إليه في بعض حقائقه، واستمد منه بعض الذكريات وبعض حوادث التاريخ[1].

يرى الباحث وليم باركلي أستاذ العهد الجديد بجامعـة (جلاسجـو) في كتابه (تفسير العهد الجديد)[2] أن إنجيل مرقس ما هو إلا خـلاصة مشـاهدات بطرس ومواعظه. فقد كان مرقس قريباً من بطرس، حتى إنه كـان يصفه بـابنه اهـ.

ـ وذهب آخـرون إلى أن مـرقس لم يكتب إنجيله إلا بعـد وفـاة بـطرس وبولس. قال إرينوس: إن مريد بطرس ومترجمه مرقس، كتب بعد موت بطرس وبولس الأشياء التي وعظ بها بطرس[3].

أما صاحب (مرشد الطالبين) فقد قـال متحفظاً[4]: «قـد زعم أن إنجيل مرقس كتب بتدبير بطرس عام ٦١ م لنفع الأمم الذين كان ينصرهم بخدمته».

وقال (هاجارد): إن مرقس الذي كان ترجماناً لبطرس كتب مـا قيل عن أعمال يسوع وأقواله بالدقة التي سمحت بها ذاكرته لكن دون مـراعاة للنـظام. لأن مرقس لم يكن سمع يسوع، ولا كان تابعاً شخصياً له، لكنـه كان قـد تبع بطرس في مرحلة متأخرة[5].

وقال المؤرخ الكنسي (أوسابيـوس): إن مرقس قـد التحق ببطرس بعـد موت بولس، ولازمه في روما خادماً، وسجل كلماته وعظاته عن حياة المسيح. ليس حسب التسلسـل التاريخي. بـل وفقاً للعـظات والمحاضـرات التي كـان

---

(١) الأسفار المقدسة ص ٥.

(٢) ص ١٣ وقد ترجمه القس فهيم عزيز. انظر المسيحية لأحمد ص ٢١٠.

(٣) إظهار الحق ١/٢١٢، محاضرات ص ٥٧.

(٤) ص ٧٠ من كتابه المطبوع عام ١٨٤٠ م إظهار الحق ١/٢١٣، محاضرات ص ٥٧.

(٥) مجلة الجامعة العدد ٤٩ ص ١٥٤ ندوة الخرطوم.

بطرس يلقيها في الكنائس والبيوت. . . وبالحقيقة ليس مرقس هو مصدر أخبار إنجيله. بل بطرس اهـ [1].

وقال (بابياس): هذا ما اقترفه (أمنيوس) في قوله: بعد موت بطرس وبولس، فإن مرقس تلميذ بطرس وترجمانه، سلم إلينا كتابة ما صرح به بطرس. ولا يوجد أحد اسمه مرقس عرف أنه كان على صلة وثيقة وعلاقة خاصة بيسوع، أو كانت له شهرة خاصة بالكنيسة الأولىٰ. . ومن غير المؤكد صحة القول الذي يحدد مرقس كاتب الإنجيل، بأن يوحنا هو مرقس المذكور في أعمال الرسل ١٢/١٢ و ٢٥. أو أنه مرقس المذكور في رسالة بطرس الأولىٰ ٥/١٣، أو أنه مرقس المذكور في رسائل بولس ٤/١٠. لقد كان من عادة الكنيسة الأولىٰ أن تفترض أن جميع الأحداث التي ترتبط بما ورد ذكره في العهد الجديد، إنما ترجع جميعها إلى شخص واحد له هذا الاسم. لكن عندما نعلم أن اسم مرقس كان أشهر الأسماء اللاتينية الأولىٰ شيوعاً في الامبراطورية الرومانية، نتحقق من وجود الشك في تحديد الشخصية اهـ[2].

وليس ثمة ما يرجح إحدى الروايات على الأخرى. فمن الكاتب؟

تاريخ تدوينه ومكانه:

اتفق المؤرخون على أنه كتب باللغة اليونانية. ويرى معظم النقاد أسبقيته في الزمن، وأنه الإنجيل الأول الذي دون[3]. فهو أقدم الأناجيل وأقصرها. لكنهم اختلفوا في تاريخ التدوين ومكانه:

قال هورن[4]: «وألف الإنجيل الثاني سنة ٥٦ م أو ما بعدها إلى سنة ٦٥ م. والأغلب أنه ألف سنة ٦٠ م أو ٦٣ م».

---

(١) من هو المسيح ص ٦ - ٧.

(٢) مجلة الجامعة العدد ٤٩ ص ١٥٤ - ١٥٥ ندوة الخرطوم.

(٣) الموسوعة العربية الميسرة ١/٢٣٩.

(٤) إظهار الحق ١/٨٠، محاضرات في النصرانية ص ٥٧.

وقال (لاردنر)[1] في تفسيره: إني أظن أن مرقس ما كتب إنجيله قبل سنة ٦٣ م أو ٦٤، لأنه لا يُتخيل وجه معقول لقيام بطرس في الروم قبل هذا.

وقال (باسينج)[2] إن مرقس كتب إنجيله سنة ٦٦ م بعد موت بطرس وبولس. وقد قُتلا على رأيه سنة ٦٥ م.

وقال صاحب كتاب مرشد الطالبين[3]: أنه كتب سنة ٦١ م.

ومن الباحثين من يرى تأليفه يرجع إلى حوالي عام ٦٥ ـ ٧٠، ومنهم من يحدد تاريخ كتابته بالجزء المبكر من الفترة ٦٥ ـ ٧٠، وغالباً في سنة ٦٥ أو ٦٦. ويعتقد كثير من العلماء أن الباب الثالث عشر قد سطر بعد عام ٧٠ م[4].

أما بالنسبة لمكان التدوين، فالمأثورات النصرانية لا تسعف بشيء. وكل ما هنالك احتمالات ضعيفة. يقول الإسكندري وأورجين: ربما روما. ويقول آخرون: مصر..

ونظراً لعدم وجود تحديدات واضحة في مكان الكتابة بحث العلماء داخل الإنجيل نفسه عما يمكن أن يمدهم بذلك. وبناء عليه طرحت بعض الأماكن المقترحة مثل أنطاكية وروما. لكن روما كانت أكثر احتمالاً[5]. قال ابن حزم وابن القيم [6]: «ألفه مرقس الهاروني تلميذ شمعون بعد ثلاث ـ أو اثنتين ـ وعشرين سنة من رفع المسيح. وكتبه باليونانية في بلاد أنطاكية من بلاد الروم». فخالفا ابن البطريق الذي يرى أنه كتب في رومية، وفي عصر نيرون سنة ٥٤ م كما سبق.

---

(١) إظهار الحق ١/٢١٢.

(٢) إظهار الحق ١/٢١٣.

(٣) محاضرات في النصرانية ص ٥٧.

(٤) مجلة الجامعة العدد ٤٩ ص ١٥٥ ندوة الخرطوم.

(٥) محاضرات في النصرانية ص ٥٦.

(٦) الفصل ٢/٣، هداية الحيارى ص ٥٢٣.

وجاء في كتاب (مروج الأخبار في تراجم الأبرار)[1]: أن مرقس كان ينكر ألوهية المسيح هو وأستاذه بطرس الحواري. وأن مرقس صنف إنجيله بطلب من أهل رومية.

وذكر الدكتور (بوست) في (قاموس الكتاب المقدس)[2]: أن مرقس كتب إنجيله باللغة اليونانية، وشرح فيه بعض الكلمات اللاتينية. وأخذ من ذلك أنه كتب في روما.

أما الكاتب أ. كولمان[3] فيرى أن هناك كثيراً من تراكيب الجمل تدعم الفرض القائل: إن مؤلف هذا الإنجيل هو يهودي الأصل، لكن وجود بعض المناحي اللغوية اللاتينية، قد يوحي بأنه كتب إنجيله في روما. فهو بالإضافة إلى هذا يتوجه بالخطاب إلى نصارىٰ لا يعيشون في فلسطين، ويعتني بشرح التعبيرات الآرامية التي يستخدمها في حديثه إليهم.

ويتضح من ذلك كله أنه لا يُعرف الكاتب ولا من هو مرقس، ولا من أين أتى به؟ فهذه الثغرات تفقد هذا الإنجيل قيمته العلمية.

المتاعب التي يعاني منها هذا الإنجيل:

يدعي علماء النصارى، ولا سيما البروتستانت أن مرقس كتب إنجيله بإعانة من بطرس، وأن بطرس من ذوي الإلهام، فالإنجيل إلهامي. لكن ظهر مما سبق في تاريخ تدوينه أن مرقس إنما كتب إنجيله بعد موت بطرس وبولس. فثبت أن بطرس ما رأى هذا الإنجيل، وأن رواية رؤيته له ضعيفة لا يعتد بها. وعليه، فليس هذا الإنجيل إلهامياً، وإن استفاد التلميذ من أستاذه[4].

---

(١) محاضرات في النصرانية ص ٥٦، المسيحية لأحمد شلبي ص ٢١٠.

(٢) محاضرات في النصرانية ص ٥٦.

(٣) دراسة لموريس ص ٨٤.

(٤) إظهار الحق ١/١٩٥ و٢٠٣ طبعة قطر.

أما القول بأن متى ولوقا استقيا من إنجيل مرقس، فقد أصبح مسلماً به بشكل عام. لكن لا بد أنهما استقيا أيضاً من وثيقة أخرىٰ يشار إليها الآن بالحرف (u) الذي يرمز لكلمة (المصدر) في اللغة الألمانية[1].

يرى الباحث وليم باركلي أستاذ العهد الجديد في جامعة جلاسجو أن إنجيل مرقس بسبب اقتباسه آراء بطرس كان مصدراً استقى متى ولوقا من نهجه، وأخذا كثيراً من عباراته وألفاظه.

ويذكر وليم باركلي أن مرقس كان يؤكد الجانب البشري في المسيح، حتى إن الكُتاب الذين اتبعوه اضطروا إلى إدخال بعض التعديلات في كثير من عباراته؛ فبينما يذكر مرقس أن يسوع كان نجاراً، يتحرج متى، فيذكر أنه ابن نجار. ويوضح مرقس الاحتياجات الجسدية للمسيح، فيذكر في ١١/١٢ أنه أحس بالجوع، وفي ٦/٣١ أنه أحس بالتعب واحتاج إلى الراحة.

يقول ويلز: إن النقاد يميلون إلى عد إنجيل القديس مرقس أَصحَّ ما كتب عن شخص المسيح وأعماله وأقواله وأجدرها بالثقة[2].

وعليه فأي ذكر لألوهية المسيح في هذا الإنجيل، ليس إلا تحريفاً أو دساً أدخله عليه الكتاب المتأخرون.

ونظراً لاختلاف النسخ على مر السنين، فقد ظهرت تغييرات تعذر اجتنابها، سواء أكانت بقصد أم بدون قصد. ولا نجد نسختين من بين المخطوطات المتبقية لهذا الإنجيل تتطابقان تماماً[3].

أما خاتمة الإنجيل -١٦/٩- ٢٠- التي تتحدث عن ظهور المسيح لمريم المجدلية، ثم لتلميذين، ثم للرسل الأحد عشر، وطلبه منهم أن يذهبوا

---

(١) مجلة الجامعة العدد ص ١٥٤ ندوة الخرطوم.

(٢) المسيحية لأحمد شلبي ص ٢١٠.

(٣) مجلة الجامعة الإسلامية ص ١٥٥ ندوة الخرطوم.

إلى العالم كله، ويعلنوا البشارة إلى الناس أجمعين: إن كل من يؤمن ويتعمد يخلص. . . وفي الترجمات القديمة: ويذكروا الناس بالأب والابن والروح القدس. فإن الكتاب القدامى والمحدثين يرونها ملحقة بالإنجيل، وليست من صلبه. بل أضيفت إليه بعد تأليفه بحوالي عشر سنوات ومائة (١١٠) ولم تظهر لأول مرة إلا في سنة ١٨٠ م تقريباً. وإن مقدمة الترجمة المسكونية لتنص على هذا بشكل صريح[١].

قال (وارد) الكاثوليكي: صرح جيروم في كتابه أن بعض العلماء المتقدمين كانوا يشكون في الباب الأخير من إنجيل مرقس[٢].

وقد اعترف المحقق (نورتن)[٣] حامي الإنجيل بأن في الأناجيل سبعة مواضع إلحاقية محرفة، ليست من كلام الإنجيليين، وليست إلهامية. وذكر منها اثنتي عشرة فقرة من إنجيل مرقس فقال: في هذا الإنجيل عبارة واحدة قابلة للتحقيق وهي من الفقرة (٩) إلى آخر الباب الأخير. والعجب من كريسباخ ـ وهو من العلماء المرموقين عند البروتستانت ـ أنه لم يعلمها بعلامة الشك في المتن، وأورد في شرحه أدلة على كونها إلحاقية. ثم قال: فثبت أن هذه العبارة مشتبهة، ولا سيما إذا لاحظنا العادة الجبلية للكاتبين بأنهم كانوا أرغب في إدخال العبارات من إخراجها اهـ.

وهذه الخاتمة ليس لها وجود في أقدم مخطوطتين كاملتين للأناجيل. مع أنهما معروفتان، ويرجع تاريخهما إلى القرن الرابع الميلادي[٤].

يقول أ. كولمان: أضافت مخطوطات يونانية أقرب عهداً وبعض نصوص

---

(١) مجلة الجامعة ص ١٥٥، دراسة لموريس ص ٨٦.

(٢) إظهار الحق ١/٧٦.

(٣) ص ٧٠ من كتابه (الإسناد) المطبوع في مدينة بوستن سنة ١٨٣٧ م، انظر إظهار الحق ١/٧٦ ـ ٧٧ و ١٩٢.

(٤) دراسة لموريس ص ٨٦.

أخرىٰ إلى هذا الموضع خاتمةً عن ظهور المسيح لا تنسب إلى مرقس، بل إنما هي مستخرجة من أناجيل أخرىٰ.

ويقول المفكر الفرنسي موريس بوكاي: والواقع أن روايات هذه الخاتمة المضافة كثيرة؛ ففي النصوص نجد تارة رواية قصيرة، وأخرى رواية طويلة، وثالثة الرواية الطويلة مع حاشية. وتحتوي الترجمة المسكونية على الروايتين معاً.

ويعلق الأب كانينجر على هذه الخاتمة فيقول: إنه قد حدث حذف للآيات الأخيرة عند الاستقبال الرسمي ـ أو عند النشر على العامة ـ لكتاب مرقس. . وبعد ذلك بكثير، وبعد أن جرت الكتابات المتشابهة لمتى ولوقا ويوحنا بين الأيدي، تم تأليف خاتمة محترمة لمرقس، وذلك بالاستعانة بعناصر من هنا وهناك لدى المبشرين من الآخرين اهـ[1].

وهذا اعتراف صريح بوجود التعديلات التي قام بها البشر على النصوص المقدسة من عالم لاهوتي كبير. ومن العيوب التي يذكرها العلماء في إنجيل مرقس أن كاتبه حرره دون اهتمام بالتعاقب الزمني للأحداث؛ فهو يذكر في بدايته ـ ١/١٦ ـ ٢٠ ـ قصة الصيادين الأربعة الذين دعاهم المسيح لاتباعه، وقال للأولين منهم: «اتبعاني أجعلكما صيادي بشر» مع أنهم لا يعرفونه.

يضاف إلى ذلك أن كثيراً من الأمور غير المعقولة تظهر في كتابته. لذا قال الأب روجي: إن مرقس كاتب غير حاذق، وهو أكثر المبشرين ابتذالاً، فهو لا يعرف أبداً كيف يحرر حكاية[2].

نماذج من النصوص المحرفة والمضطربة:

١ ـ جاء في ٢/١٧: فسمع يسوع كلامهم فقال لهم: لا يحتاج الأصحاء إلى طبيب، بل المرضىٰ، ما جئت لأدعو الصالحين إلى التوبة، بل الخاطئين.

---

(١) دراسة لموريس ص ٨٦ ـ ٨٧.

(٢) دراسة لموريس ص ٨٤ ـ ٨٥.

فلفظ (التوبة) ملحق. قال آدم كلارك في ذيل شرح هـذه الفقرة بعـد ما أثبت إلحاقية هذا اللفظ: «أسقطه كـريسباخ من المتن، وتبعـه كرويتس ومـل وبنجل»[1].

٢ ـ جـاء في ١/١ ـ ٢: بشارة يسـوع المسيح ابن الله بـدأت كما كتب النبي إشعيا: «ها أنا أرسل رسولي قدامك ليهيء لك طريقك».

وفي الترجمات السابقة: «ها أنا أرسل أمام وجهـك ملاكي الـذي يهيّء طريقك قدامك».

وهذا الكلام لا يوجد في كتاب إشعيا. بل إنما هو في كتاب مـلاخي. فهذا إسنادٌ لأحد الأنبياء ما ليس في كتابه. وقد انتبه النصارىٰ لهذا فتركوا التحديد في بعض التـرجمات، وصـار النص هكذا «كمـا هو مكتـوب في الأنبياء: هـا أنا أرسل..»[2].

وهذا النص ورد أيضاً في متى ١١/٩ ـ ١٠، وفي لوقا ٧/٢٦ ـ ٢٧ بدون تحديد هكذا: «قولوا لي: ماذا خرجتم تنتظرون؟ أنبياً؟ أقول لكم: نعم. بـل أفضل من نبي. فهو الذي يقول فيه الكتاب: ها أنا أرسل رسولي قدامك ليهيء الطريق أمامك.

والنص في سفر ملاخي ٣/١ هكذا: «هـا أنا ذا أرسـل ملاكي، فيهيء الطريق أمامي..» وفي الترجمات القديمة هكـذا: «ها أنـا ذا مرسـل ملاكي. ويسهل الطريق أمام وجهي».

وأنت ترى أن بين المنقول والمنقول عنه اختـلاف. ففي الأناجيـل أمام وجهك بضمير المخاطب. وفي ملاخياً أمامي أو أمام وجهي بضمير المتكلم.

---

(١) إظهار الحق ١/٢٤٥ طبعة قطر.

(٢) تحفة الأريب ص ٦٧، وانظر كتاب من هو المسيح ص ٣٤ ـ ٣٥.

نقـل المحقق البـروتستـانتي هـوون في المجلد الثـاني من تفسيـره عن الدكتور ريدلف قوله: لا يمكن أن يظهر سبب المخالفة بسهولة, غير أن النسخ القديمة وقع فيها تحريف ما[1].

(١) إظهار الحق ١/١٠٤.

٣ ـ إنجيل لوقا

تعريفه وميزاتـــه:

هو ثالث كتب العهد الجديد في الترتيب. ويذكر الكاتب فيه أن المسيح هو المخلص الموعود لليهود، وهو أيضاً مخلص البشرية جمعاء. ويرى أن روح الـرب دعا المسيـح ليبشر المسـاكين. ولذلـك نجـده كثيـر الاهتمـام بجميـع المحتاجين. على أن نبرة الفرح تسود كلامه، ولا سيما في الفصول الأولىٰ التي تعلن مجيء المسيح. ثم في الخاتمة حين يرفع إلى السماء.

وقد انفرد هذا الإنجيل بتدوين بشارة الملاك لزكريا، وبشـارته لمـريم، ومولد يوحنا، وميلاد المسيح، وصعـوده إلى الهيكل في الثـانية عشـرة، ومثل السامري الصـالح، ومثـل الابن الضال، وكـلام المسيح على الصـلاة، وأعارَ الروحَ القدسَ ومغفرةَ الله للخطايا اهتماماً خاصاً. كما يعـرض لصلب المسيح وبعثه. وهو كثيراً ما يفسر عادات اليهود وأعيادهم لقرائه الذين يجهلونها[١].

مضمونـــه:

يتكون هذا الكتاب من أربعة وعشرين باباً، ويتضمن ما يلي:

١ ـ تقديم الكتاب إلى العزيز ثاوفيلس (١/١ ـ ٤).

٢ ـ مولد يوحنا المعمدان، وميلاد المسيح وطفولتهما (١/٥ إلى ٢/٥٢).

---

(١) مقدمة إنجيل لوقا في العهد الجديد المطبوع سنة ١٩٨٠ ص ١٤٠، الموسوعة العربية الميسرة ١/٢٣٩.

٣ ـ يوحنا يمهد الطريق للمسيح (٣/١ ـ ٢٠).
٤ ـ معمودية المسيح وتجربته (٣/٢١ إلى ٤/١٣).
٥ ـ المسيح يبشر في الجليل (٤/١٤ إلى ٩/٥٠).
٦ ـ من الجليل إلى أورشليم (٩/٥١ إلى ١٩/٢٧).
٧ ـ الأسبوع الأخير في أورشليم وجوارها (١٩/٢٨ إلى ٢٣/٥٦).
٨ ـ قيامة المسيح وظهوره ورفعه (٢٤/١ ـ ٥٣).

ويحتوي القسمان ٢ و ٦ معظم ما انفرد هذا الإنجيل بتدوينه[١].

شخصية الكاتب:

يدور الخلاف حول بلدة الكاتب ومهنته والقوم الذين كتب إليهم:

فالمشهور أن مؤلفه لوقا، ولد في أنطاكية، ودرس الطب، وزاول مهنته بنجاح كبير. وكان وثنياً، فاعتنق النصرانية وصار من كبار دعاتها. لم يدرك المسيح ولم يره. بل إنما تنصر بعد رفعه على يد بولس اليهودي، ثم رافقه في كثير من رحلاته. وقد جاء في رسائل بولس ما يشير إلى هذه الرفقة وتلك الملازمة؛ ففي ٤/١٤ من رسالة بولس إلى أهل كولوسي: «ويسلم عليكم لوقا الطبيب الحبيب وديماس» فهو إذاً ليس من الحواريين، ولا من التلاميذ. بل إنما سمع من بولس، وتنصر على يديه وصاحبه. وبولس هذا كان يهودياً ولا يخفىٰ أمره[٢].

وسبب اشتهار كونه طبيباً ـ كما تقول الترجمة المسكونية للعهد الجديد ـ أن بعضهم رأى في دقة وصفه للمرض تأكيداً لمهنة الطب التي كان

(١) مقدمة إنجيل لوقا في العهد الجديد السابق ذكره.
(٢) تاريخ الأمة القبطية ٢/٥٣، محاضرات في النصرانية ص ٥٧ ـ ٥٨، الأسفار المقدسة لعلي ص ٧٤ ـ ٧٥، تحفة الأريب ص ٦٤، ملامح الألوهية للدكتور رأفت عماري ص ٢٥.

يمارسها. بينما يشكك في ذلك آخرون ويـرون أنه لا يعـطي وصفاً دقيقـاً في ذلك[1].

ومن المؤرخين من يقرر أنه كان مصوراً، ولم يكن طبيباً. ورجحه بعض المحققين. بينما يرى آخرون أنه أديب وثني تنصر، وأن إنجيله عمل أدبي كتب بلغة يونانية كـلاسيكية راقيـة، لا تخلو من حوشي الكـلام، فهو فـي رأي أ. كولمان كاتب حوليات. وفي نظر الأب كانينجر روائي حقيقي[2].

ويـرى الدكتـور بوست أيضـاً أن لوقـا لـم يكن طبيباً ولم يكن أنـطاكياً، فيقول: «ظن بعضهم أن لوقا مولود في أنطاكية. إلا أن ذلك ناتج عن اشتباهه بـ (لوكيوس) » ثم يقرر أنه روماني نشأ في إيطاليا[3].

أما عن وفاته؛ فيروي بعضهم أنـه مات في حكـم نيرون. بينمـا يقول آخـرون: إنه مـات في مدينـة بتراس من بـلاد اليونـان سنة (٧٠)م: ورجحـه بعضهم[4].

ويذكر الكاتب في المقدمة ١/١ ـ ٤: أنه يراسل بـه العزيـز (ثاوفيلس) واختلف الناس في هذا العظيم؛ أهو مصري أم يوناني أم روماني[5]؟.

يقول ابن البطريق: «كتب لوقا إنجيله إلى رجل شريف من علماء الروم يقال له (ثاوفيلا). وكتب إليه أيضاً (الأبركسيس) الذي هو أخبار التلاميذ».

---

(١) دراسـة لموريس ص ٨٨، محـاضرات في النصـرانية ص ٥٨.
(٢) دراسة لموريس ص ٨٧، المسيحية لأحمد ص ٢١٢ ـ ٢١٣. محاضرات ص ١١٥، تفسير المنار ٦/٢٩٤ ـ ٢٩٥.
(٣) محاضرات في النصرانية ص ٥٨، المسيحية لأحمد ص ٢١٢ ـ ٢١٣.
(٤) تاريخ الأمة القبطية ٢/٥٣، الأسفار المقدسة لعلي ص ٧٧.
(٥) الأسفار المقدسة لعلي ص ٧٧.

بينما يرىٰ القس إبراهيم سعد أنه كتب لليونان، وأن إنجيل متي لليهود، وإنجيل مرقس للرومان، وإنجيل يوحنا للكنيسة العامة. وجاء في الموسوعة العربية الميسرة «كتب خاصة لأهل أثينا باليونانية موضحاً رحمة يسوع الشاملة». وهناك من يرى أن ثاوفيلس هذا كان مصرياً لا يونانياً، وأن الإنجيل قد كتب للمصريين لا لليونانيين[١]. وقد حاول العلماء معرفة ثاوفيلس هذا. لكن جهودهم لم تصل إلى نتيجة محددة. ولذلك يقول فريدريك براون: «ويمكن افتراضه موظفاً رومانياً»[٢].

فالباحثون ليسوا على علم تام بمولد هذا المؤلف، ولا بمهنته، ولا بالذين كتب إليهم. وإذا كان الأمر كذلك فقد سقط الكتاب من أصله.

تاريخ تدوينه ومكانه:

اتفق الباحثون على ترجيح كتابته باللغة اليونانية. بيد أنهم اختلفوا في تاريخ تدوينه ومكانه: قال ابن حزم وابن القيم[٣]: «ألف لوقا الطبيب الأنطاكي تلميذ شمعون إنجيله بعد تأليف مرقس». وحقق العلامة لارون[٤] أيضاً أن لوقا حرر إنجيله بعد أن حرر مرقس إنجيله. وذلك بعد موت بطرس وبولس.

وقال المفسر لاردنر: «يعلم من ربط الكلام أن هذا الأمر ـ أي تحرير لوقا لإنجيله ـ وقع بعدما حرر مرقس، إنجيله، وبعد موت بولس وبطرس»[٥].

قال هورن وهو من محققي البروتستانت: «وألف الإنجيل الثالث

---

(١) محاضرات في النصرانية ص ٥٩.

(٢) محاضرات في النصرانية ص ١١٥، مجلة الجامعة ص ١٥٧ ندوة الخرطوم، ملامح الألوهية ص ٢٨.

(٣) الفصل ٢/٣، هداية الحيارىٰ ص ٥٢٣.

(٤) محاضرات في النصرانية ص ٥٩.

(٥) إظهار الحق ١/٢٠٥ طبعة قطر.

سنة ٥٣ م، أو سنة ٦٣، أو سنة ٦٤ م»[١]. والمختار عند علماء البروتستانت في القرن الثامن عشر أن لوقا كتب إنجيله سنة ٦٣ م وكان تأليفه في مدينة (أخيا) من بلاد المشرق. قال صاحب مرشد الطالبين[٢]: «كتب لوقا إنجيله سنة ٦٣م».

أما الدكتور بوست فيقول: «كتب هذا الإنجيل قبل خراب أورشليم، قبل سفر الأعمال» ثم يرجح أنه كتب في قيصرية في فلسطين مدة أسر بولس، سنة ٥٨ ـ ٦٠ م. غير أن بعضهم يظن أنه كتب قبل ذلك[٣].

بينما يحدد النقاد الحاليون أن تحريره غالباً ما بين سنة ٨٠ م إلى سنة ٩٠ م. وثمة معلِّقون ينسبونه إلى تاريخ أكثر قدماً[٤]. فقد رجح بعض المحققين أنه كتب بين عامي ٦٣ ـ ٦٥ م[٥].

وليس من المستبعد أن يكون لوقا جمع مادة إنجيله في فلسطين أو سورية مبكراً في الفترة ما بين سنة ٧٠ م إلى سنة ٨٠ م، ثم ربطه بالجزء الأكبر من إنجيل مرقس في وقت ما من السبعينيّات، ثم أصدر إنجيله سنة ٨٠ م أو ٨٥ م تقريباً. وذلك بعد خمس سنوات. فإنه ذيل إنجيله برسالة ثانية تعرف الآن بسفر أعمال الرسل. وهو أطول أسفار العهد الجديد والجزء الثاني من رسالته إلى العظيم ثاوفبلس كما سيأتي إن شاء الله، ثم نشر مصنفه حوالي سنة ٩٥ م[٦].

جاء في الموسوعة العربية الميسرة[٧]: «دون ـ أي إنجيل لوقا ـ في أواخر القرن الأول. . وقد كتبه لأهل أثينا خاصة باليونانية. .».

---

(١) إظهار الحق ١/٨٠، محاضرات في النصرانية ص ٥٩.

(٢) في ٢/١٦١ من كتابه المطبوع سنة ١٨٤٠ م. انظر إظهار الحق ١/٢٠٤ طبعة قطر.

(٣) محاضرات في النصرانية ص ٥٩.

(٤) دراسة لموريس ص ٨٨.

(٥) الأسفار المقدسة لعلي ص ٧٧.

(٦) مجلة الجامعة العدد ص ١٥٧ ندوة الخرطوم.

(٧) ١/٢٣٩.

المتاعب التي يعاني منهــا :

جاء في مقدمة إنجيل لوقا ١/١ ـ ٤ ما يلي : لأن كثيراً من الناس أخذوا يدوّنون رواية الأحداث التي جرت بيننا. كما نقلها إلينا الذين كانوا في البدء شهود عيان للكلمة، وصاروا عاملين لها ـ وفي الترجمات السابقة : إذا كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة في الأمور المتيقنة عندنا، كما سلمها إلينا الذين كانوا منذ البدء معاينين وخداماً للكلمة ـ رأيت أنا أيضاً، بعدما تتبعت كل شيء من أصوله بتدقيق، أن أكتبها لك يا صاحب العزة ثاوفيلس، حسب ترتيبها الصحيح. حتى تعرف صحة التعليم الذي تلقيتَه ـ وفي الترجمات السابقة : أن أكتب علىٰ التوالي . . لتعرف صحة الكلام الذي علمتَ به ـ اهـ.

ويتضح من هذه المقدمة أمور، لا بد من التسليم بها. ألا وهي ما يلي :

١ ـ إن لوقا كان يكتب رسالة شخصية إلى العزيز ثاوفيلس. ولم يُعرف من ثاوفيلس هذا.

٢ ـ إن هذه الرسالة كتبها على التوالي حسبما كانت تتوفر له إمكانية الكتابة من وقت ومعلومات.

٣ ـ إنما قام بهذا العمل بدافع شخصي بحت، بغية أن تصل المعلومات التي علم بها إلى صديقه.

٤ ـ لم يدع الرجل أنه كتبها بإلهام، أو أنها مصوغة من الروح القدس. بل يقرر صراحة أن معلوماته جاءت نتيجة لاجتهاده الشخصي، فإنه قد تتبع كل شيء من الأول بتدقيق[1]. ومقدمة رسالته كمقدمة إنجيله، تدل على أنه لم يكن ملهماً أيضاً. بل إن من الباحثين الأقدمين والمحدثين من علماء النصارىٰ من يقرر أن لوقا لم يكن من الملهمين، وأن إنجيله لم يكن إلهامياً. وبالأولى فإن رسالته كذلك. وهو إنما كتب ما تعلم ولقن، لا ما أوحي إليه به وألهم.

---

(١) مجلة الجامعة العدد ص ١٥٧ ندوة الخرطوم، المسيحية لأحمد شلبي ص ٢٢٦.

قال واتسن: إن عدم كون تحرير لوقا إلهامياً ظهر مما كتبه في مقدمة إنجيله.

وقال أريانوس: إن الأشياء التي تعلمها لوقا من الحواريين بلغها إلينا.

وقال جيروم: إن تعلم لوقا ليس منحصراً في بولس الذي لم يحصل له صحبة جسمانية بالمسيح. بل تَعلمَ الإنجيلَ منه ومن الحواريين الآخرين.

إذاً .لم يكن لوقا ملهماً. وليس ثمة ما يثبت إلهامه لنصدق أخباره عن الرسل وأعمالهم وإلهامهم. حتى إنه ليس له معجزة تذكر(١).

ويدعي علماء البروتستانت أن لوقا كتب إنجيله بإعانة من بولس. وبولس كان من ذوي الإلهام. (٢).

قال أريانوس: كتب لوقا المقتدي ببولس في كتاب واحد البشارة التي وعظ بها بولس(٣).

أما أسقف قرطاجة القديس ترتليانوس فيقول: إن إنجيل لوقا ينسب كله إلى بولس(٤).

والجواب: إنه لو فرض أن بولس كان من ذوي الإلهام، فلا بد من أن يكون رأى الكتابَ بعد كتابته وأقره، ليكون إلهامياً. وبولس لم ير إنجيل لوقا بدليلين:

أ ـ المختار عند علماء البروتستانت أن لوقا كتب إنجيله سنة ٦٣ م، وأن تأليفه كان في مدينة (أخيا) وهي من بلاد المشرق. وبولس أطلق سراحه

---

(١) إظهار الحق ١/١٧٨ ـ ١٧٩، محاضرات في النصرانية ص ٩٨ ـ ٩٩.

(٢) إظهار الحق ١/١٩٥ طبعة قطر.

(٣) إظهار الحق ١/٢٠٥ طبعة قطر.

(٤) المسيحية لأحمد شلبي ص ١٠٧ وهو ينقل عن الأب بولس الياس في (يسوع المسيح) ص ٢١.

من الأسر سنة ٦٣ م. ثم انقطعت أخباره ولم يعلم حاله بخبر صحيح إلى أن مات[1].

قال هورن[2]: لما لم يكتب لوقا حال بولس بعدما أطلق، لم يعلم بالخبر الصحيح حاله من السفر وغيره من حين الإطلاق سنة ٦٣ م إلى الموت.

وقال لاردنر[3]: نريد أن نكتب حال الحواري من هذا الوقت - أي من وقت إطلاقه - إلى موته، لكنه لا يحصل لنا إعانة من بيان لوقا. ويحصل من الكتب الأخرىٰ من العهد الجديد إعانة في غاية القلة. ولا يحصل من كلام القدماء أيضاً إعانة زائدة. ووقع الاختلاف في المكان الذي ذهب إليه بولس بعدما أطلق.

فثبت من كلام هذين المفسرين أنه لا يعلم بالخبر الصحيح حال بولس من حين أطلق إلى أن مات. فلا يكون ظن بعض المتأخرين أنه ذهب إلى الكنائس المشرقية بعد الإطلاق حجة وسنداً. بل الغالب أنه ذهب إلى أسبانية والمغرب لما يلي:

جاء في سفر الأعمال ٢٠/٢٢ - ٢٥ قول بولس وهو يودع شيوخ أفسس قبل أن يذهب إلى أورشليم: «وأنا أعرف أنكم لن تروا وجهي بعد اليوم».

فهذا يدل على أنه ما كان له عزم على الذهاب إلى الكنائس المشرقية.

وجاء في رسالته إلى رومية ١٥/٢٣ - ٢٥: أما الآن، ولا مجال عمل لي بعد في هذه الأقطار. ولي من عدة سنين شوق إلىٰ المجيء إليكم. فأنا أرجو أن أراكم عند مروري بكم في طريقي إلى إسبانية وأستعين بكم عند السفر إليها، بعد أن أنعم ولو قليلاً بلقائكم. لكني الآن ذاهب إلى أورشليم في خدمة الإخوة القديسين».

---

(١) إظهار الحق ١/٢٠٤ طبعة قطر.

(٢) في ٤/٣٣٨ من تفسيره المطبوع سنة ١٨٢٢.

(٣) في ٥/٣٥٠ من تفسيره المطبوع سنة ١٧٣٨ م انظر إظهار الحق ١/٢٠٤ طبعة قطر.

٢٨/٢٠ : «وبعد أن أقوم بهذه المهمة، وأسلم إليهم تلك المعونة، أمر بكم وأنا في طريقي إلى إسبانية» فصرح بأن عزمه كان إلى إسبانية، ولم يثبت بدليل قوي وخبر صحيح أنه ذهب إلى هناك قبل الإطلاق. فالأغلب أنه ذهب إليها بعدما أطلق. لأنه لم يُعلم وجه وجيه لفسخ هذا العزم.

قال كليمنس أسقف الروم في رسالته: «إن بولس وصل إلى أقصى المغرب، معلماً لجميع العالم الصدق. وذهب إلى الموضع المقدس بعدما استشهد»[١].

ب ـ قال المفسر لاردنر بعد أن نقل قول أريانوس السابق: «يعلم من ربط الكلام أن هذا الأمر ـ أي تحرير لوقا إنجيله ـ وقع بعدما حرر مرقس إنجيله. وبعد موت بولس وبطرس»[٢].

وعليه فليس إنجيل لوقا إلهامياً. لأن رؤية بولس للإنجيل لم تثبت. وفوق كل هذا وذاك، فإن بولس نفسه ليس إلهامياً. بل أمره مريب.

٥ ـ يذكر لوقا أن كثيرين قد أخذوا بتأليف أناجيل ـ أي قصص ـ وهذا ينافي الإلهام.

٦ ـ يعترف لوقا بأنه لم ير المسيح، ولم يكن من تلاميذه. لكنه كتب رسالته بناءً على المعلومات التي تلقاها من الذين شاهدوا المسيح وكانوا في خدمته[٣]. لكنه لم يبين من هو؛ فلم يعرف أهو ثقة مقبول الرواية أم لا كيهوذا الإسخريوطي ونحوه؟ إن أقصىٰ ما يقال هو أن لوقا نقل عن بولس، لأنه كان رفيقاً له في بعض أسفاره. لكن بولس نفسه لم يكن من تلاميذ المسيح الذين عاينوه وشاهدوا أحداثه، وكانوا من خدام الكلمة. بل كان في صدر حياته حرباً على المسيحية وأهلها. فهو راوٍ يحتاج إلى من يوثقه إن ادُّعيَ أن لوقا روىٰ عنه.

---

(١) إظهار الحق ١/٢٠٤ طبعة قطر.

(٢) إظهار الحق ١/٢٠٥ طبعة قطر.

(٣) مجلة الجامعة الإسلامية ص ١٥٧ ندوة الخرطوم، المسيحية لأحمد شلبي ص ٢٢٦.

ثم من الذي روى لنا تلك البشارة عن لوقا؟ لا بد من أن يكون السند معروفاً حتى لوقا قبل أن نتعرف على الذين بين لوقا والمسيخ . إن بشارة لوقا كتبت كما يزعم النصارى سنة ٧٠ م على وجه التقريب. لكن لم يرد لها أي ذكر في التاريخ ، ولا على ألسنة القسيسين إلى سنة ٢٠٩ م[1]. لذا كان من اللائق وصف لوقا بأنه شخصية بارزة في سجلات تاريخ القرن الأول الميلادي . بيد أن نصوصه تحتاج إلى توثيق وتدقيق .

أما اضطراباته فيمكن إجمالها فيما يلي ؛

يعاني إنجيل لوقا كغيره من التغييرات الكثيرة، ولا سيما النص العربي ، فإنه يعاني من اختلافات مثيرة[2].

قال وارد الكاثوليكي[3] : صرح جيروم في كتابه أن بعض المتقدمين كانوا يشكُّون في بعض الفقرات من الباب الثاني والعشرين من إنجيل لوقا. وبعضهم كان يشك في البابين الأولين منه. وما كان هذان البابان في نسخة فرقة مارسيوني .

وقد اعترف نورتن حامي الإنجيل بأن في الأناجيل سبعة مواضع إلحاقية محرفة، ليست من كلام الإنجيليين، وليست إلهامية. وذكر منها[4] الفقرتين (٤٣) و (٤٤) من الباب الثاني والعشرين من إنجيل لوقا. ووصفهما بأنهما إلحاقيتان. وقال أيضاً[5] : قد اختلط الكذب الذي رواه الرواة ببيان المعجزات التي نقلها لوقا. والكاتب ضمه على طريقة المبالغة الشاعرية. لكن تمييز الصدق عن الكذب في هذا الزمان عسير.

---

(١) محاضرات في النصرانية ص ١١٣ .

(٢) مجلة الجامعة ص ١٥٧ ندوة الخرطوم، المسيحية لأحمد شلبي ص ٢٢٦ .

(٣) إظهار الحق ١/ ٧٦ .

(٤) في ص ٨١ من كتابه في الإسناد المطبوع في بوستن. سنة ١٨٣٧ م انظر إظهار الحق ١/ ١٩٢ .

(٥) في ص ٦١ من كتابه .

نماذج من النصوص المحرفة والأغلاط التي فيه:

١ ـ جاء في ٢/١ ـ ٢ من إنجيل لوقا: «وفي تلك الأيام أمر القيصر أوغسطوس بإحصاء سكان الامبراطورية ـ وفي الترجمات السابقة: صدر أمر من أوغسطس قيصر بأن يُكْتَتَبَ كلُّ المسكونة ـ وجرى هذا الإحصاء الأول عندما كان كيرونيوس حاكماً في سورية».

وهذا غلط من وجهين:

الأول: إنه لم يذكر أحد من قدماءَ المؤرخين اليونانيين الذين كانوا معاصرين للوقا أو متقدمين عليه قليلاً، في تاريخه هذا الإحصاء أو الاكتتاب المتقدم على ولادة المسيح. وإن ذكره أحد من الذين جاؤوا بعد لوقا بمدة، فلا تعويل عليه. لأنه لا سند له، وعن لوقا ناقل.

الثاني: إن كيرونيوس كان حاكماً على سورية بعد ولادة المسيح بخمس عشرة سنة. فكيف يتصور في وقته الإحصاء الذي كان قبل ولادة المسيح بخمس عشرة سنة؟! وكذا كيف تتصور ولادة المسيح في عهده؟!.

أبقي حمل مريم إلى خمس عشرة سنة؟! لأن لوقا ذكر في الباب الأول أن حمل أليصابات زوجة زكريا كان في عهد هيرودس ملك اليهودية. وذكر في ٢٦/١ أيضاً أنه حين كانت أليصابات في شهرها السادس أرسل الله جبرائيل إلى العذراء مريم. ولما عجز بعض علماء النصارى عن الإجابة عن هذا حكم بأن الآية الثانية ملحقة، ولم يكتبها لوقا[١].

٢ ـ جاء في ١/٣: وفي السنة الخامسة عشرة من حكم القيصر طيباروس، حين كان بيلاطس النبطي حاكماً في اليهودية، وهيرودس والياً على الجليل، وفيلّبس أخوه والياً على إيطورية وتراخونيتس، وليسانيوس والياً على إبيلينة...».

---

(١) إظهار الحق ١/١٦٧ طبعة قطر.

وهذا غلط عند المؤرخين. لأنه لم يثبت عندهم أن والياً كان على أبيلينة اسمه ليسانوس معاصراً لبيلاطس وهيرودس[١].

٣ ـ جاء في ٦/٤٠: ما من تلميذ أعظم من معلمه. كل تلميذ أكمل علمه يكون مثل معلميه.

وهذا غلط ظاهر. لأن الكثيرين من التلاميذ صاروا أفضل من معلميهم بعد إكمال علمهم[٢]. ومن الأمثلة الشائعة: رب تلميذ فاق أستاذه. أو كم من تلميذ فاق أستاذه.

٤ ـ جاء في ٧/٣١: وقال الرب يسوع: بمن أشبه أبناء هذا الجيل؟ وماذا يشبهون؟

وهذه الجملة «وقال الرب» زيدت تحريفاً. قال المفسر آدم كلارك في ذيل هذه الآية: «هذه الألفاظ ما كانت أجزاء لمتن لوقا قط. ولهذا الأمر شهادة تامة. وردَّ كل محقق هذه الألفاظ وأخرجها بنجل وكريسباخ من المتن»[٣].

٥ ـ جاء في ٩/٥٥ ـ ٥٦: فالتفت يسوع وانتهرهما؛ قال: لا تعلمان من أي روح أنتما ـ وفي الترجمات السابقة، إنكما لا تعلمان أية طبيعة طبيعتكما ـ لأن ابن الإنسان أتى لا ليهلك نفوس الناس بل ليخلصها ـ وفي الترجمات السابقة: لأن ابن الإنسان لم يأت لهلاك أنفس الناس بل لنجاتها ـ فساروا إلى قرية أخرىٰ.

فهذه العبارة «لأن ابن الإنسان لم يأت لهلاك أنفس الناس بل لنجاتها» ملحقة. قال المفسر آدم كلارك في ذيل شرح هاتين الفقرتين: «أسقط كريسباخ هذه العبارة من المتن. والغالب أن النص في النسخ القديمة هكذا: فالتفت

---

(١) المرجع السابق ١/١٦٧.
(٢) إظهار الحق ١/١٧١ طبعة قطر.
(٣) إظهار الحق ١/٢٥٣ ـ ٢٥٤.

وانتهرهما وقال: إنكما لا تعلمان أية طبيعة أنتما. ثم ساروا إلى قرية أخرى)[1].

٦ ـ جاء في ٤/٢٥: وبحق أقول لكم: نعم، كان في إسرائيل كثير من الأرامل في زمن إيليّا، حين توقف المطر ثلاث سنوات وستة أشهر. فحدثت مجاعة شديدة في البلاد كلها.

وكذلك في رسالة يعقوب ٥/١٧ ـ ١٨: كان إيليا بشراً مثلنا في كل شيء، وصلى بحرارة حتى لا ينزل المطر. فما نزل المطر على الأرض مدة ثلاث سنوات وستة أشهر. ثم عاد إلى الصلاة، فأمطرت السماء وأخرجت الأرض خيرها.

وهذا غلط ففي سفر الملوك الأول ١٨/١: وبعد أيام كثيرة كان كلام الرب إلى إيليًا في السنة الثالثة قائلاً: اذهب وتراءَ لأخابَ، فأعطي مطراً على وجه الأرض.

فقد نزل المطر في السنة الثالثة[2].

---

(١) إظهار الحق ١/٢٦٥.

(٢) إظهار الحق ١/١٦٩ طبعة قطر.

٤ - إنجيل يوحنـا

تعريفه وميزاتـــه:

هو رابع كتب العهد الجديد في الترتيب وأحدث الأناجيل. يختلف عن غيره في مادته وتعاليمه. أراد كاتبه أن يضيف جديداً إلى التعاليم التي وردت في الأناجيل السابقة، وأن يوضح التأويلات الخاطئة المستمدة من التعاليم اليهودية والفلسفة اليونانية ـ كما يقولون ـ فشاء أن يثبت أن يسوع هو المسيح ابن الله. وقد استهل كتابه بهذه المقدمة: «في البدء كان الكلمة. والكلمة كان عند الله. وكـان الكلمة الله. . والكلمـة صار بشـراً وعاش بيننـا ـ تعالى الله عمـا يقـول الظالمون علواً كبيراً ـ .

يتكلم الكاتب بإصرار على نعمة الحياة الأبديـة بالمسيـح. هذه النعمـة التي تبدأ الآن، وتكون من نصيب الذين يؤمنون بأن يسوع هـو الطريق والحق والحياة ـ كما يقولون ـ ومن آمن به نال بـاسمه الحيـاة. ولذلـك يورد الكـاتب خطابات طويلة غاية في السموّ.

افتـرضَ أن قراءه يعـرفون الأنـاجيل الثـلاثـة الأولىٰ ، فلم يـدخـل في تفاصيلها وتعليمها البسيط. وإنما ركز اهتمامه في شرح أسرار لاهوت المسيح.

وهو يتميز باستعمال أشياء الحياة العادية ليرمز بها إلى الحقائق الروحية؛

كاستعماله للخبز والماء والنور والراعي ورَعِيَّته والكرمة وثمرتها[١].

مضمونــه:

يتكون هذا الكتاب من واحد وعشرين باباً. ويتضمن ما يلي:

١ ـ مقدمة يقرن فيها كلمة الله بيسوع (١/١ ـ ١٨).

٢ ـ يوحنا المعمدان وتلاميذ يسوع الأول (١/١٩ ـ ٥١).

٣ ـ يسوع يبدأ عمله (٢/١ إلى ١٢/٥٠).

وهو في ذلك يذكر عدة معجزات تبين ـ في زعمه ـ أن يسوع هو ابن الله، وهو المخلص الموعود. ويُتبع ذلك بتفسير لمغزى تلك المعجزات، وكيف أن بعض الناس آمنوا به، فصاروا تلاميذه، فيما قاومه بعض آخر ورفضوا أن يؤمنوا به.

٤ ـ الأيام الأخيرة في أورشليم وجوارها (١٣/١ إلى ١٩/٤٢).

وتروي بعض الأبواب (١٣ ـ ١٧) بكثير من التفصيل ما كان بين يسوع وتلاميذه من رابطة وثيقة ليلة اعتقاله، كما تروي كلام يسوع لتهيئة تلاميذه وتشجيعهم قبيل صلبه ـ كما يزعمون ـ ثم يسرد البابان (١٨ ـ ١٩) خبر القبض على المسيح ومحاكمته وصلبه ودفنه.

٥ ـ قيامة المسيح وظهوره لتلاميذه (١٠/١ ـ ٣٠).

٦ ـ الظهور الثاني في الجليل (٢١/١ ـ ٢٥)[١].

شخصيــة الكاتب:

ويدور الخلاف حوله: أهو يوحنا الحواري أم غيره؟

المشهور أنه يوحنا الحواري الذي كان يحبه المسيح ويصطفيه. وأبوه

---

(١) الموسوعة العربية الميسرة ١/٢٣٩، مقدمة إنجيل يوحنا في العهد الجديد طبعة سنة ١٩٨٠ م ص ٢٢٩.

(٢) مقدمة إنجيل يوحنا في العهد الجديد المطبوع سنة ١٩٨٠ م ص ٢٢٩ ـ ٢٣٠.

زبـدي من السابقين إلى المسيحيـة ومن كبار دعـاتها. وأمـه سالـومي قديسـة شهيرة. وأخوه جاك يعقوب الكبير.

ولـد يوحنـا في مدينـة صيدا من أعمـال الجليـل. وكـانت مهنته صيد الأسماك. رآه المسيح مع أخيه يعقوب وهما في القارب يصلحان الشباك، فما إن دعـاهما حتى تـركا أبـاهما زبـدي في القارب مـع معـاونيـه، وتبعـاه على الفـور ـ كمـا في إنجيـل متى ٤/٢١ ـ ٢٢، ومـرقس ١/١٩ ـ ٢٠، ولـوقـا ٥/١٠ ـ ١١ ـ ثم وقف جهوده على نشر المسيحية والدعوة إليها. نفي في أيام الاضـطهاد الأولى. ثم عـاد إلى مدينـة أفسس، ولبث يبشر فيهـا إلى أن توفي شيخاً هرماً بعد أن عمر طويلاً. وكانت وفاته ما بين سنة ٩٨ م وسنة ١٠٠ م[1].

ويـزعم النصارىٰ أن يـوحنا هـذا كان ابن خـالة المسيـح، وأن المسيح وتلاميذه دُعوا إلى العرس في قانا الجليـل. ونفدت الخمـر، وكان هنـاك ستة أجران من حجر يتطهر بمائها اليهود فحول الماء خمراً تعجب الحـاضرون من جودتها. وكانت هذه أولى آيات المسيح ـ كما في إنجيل يـوحنا ٢/١ ـ ١١ ـ ولـذلك تـرك يوحنـا زوجته، وتبـع المسيح على دينـه وسياحتـه، فكـان أحب الحـواريين إليـه، حتى إنـه استـودعـه والـدتـه وهـو فـوق الصليب[1] ـ كمـا يزعمون ـ ففي يوحنا ١٩/٢٦ ـ ٢٧: «ورأى يسوع أمه، وإلى جـانبها التلميـذ الحبيب إليه. فقال لأمه: يا امرأة هذا ابنك. وقال للتلميذ هذه أمك. فأخذها التلميذ إلى بيته في تلك الساعة».

بيد أن الكثيرين من محققي النصارىٰ قديمـاً وحديثـاً ينكرون أن يكـون كاتب هذا الإنجيل هو يوحنا الحواري ابن زبدي، وينكـرون كذلـك سائـر ما ينسب إليه. وكان هذا الإنكار قد ابتدأ في القرن الثاني الميلادي؛ فقد أنكـره

---

(١) تاريخ الأمة القبطية ٢/٥٣، قاموس الكتاب المقدس ص ١١٠٨، المبادىء المسيحية لحبيب جرجس ص ٦ ـ ٧، محاضرات في النصرانية ص ٦٠، الأسفار المقدسة لعلي ص ٦٩ و ٨٧.

(٢) تحفة الأريب ص ٦٦.

الباحثون وبعض الفرق النصرانية، ومن ذلك ما يلي:

كانت فرقة (ألوجين) في القرن الثاني تنكر هذا الإنجيل وجميع ما نسب إلى يوحنا.

ذكر المحقق (برتشْنِيدر) أن هذا الإنجيل كله، وكذا رسائل يوحنا، ليست من تصنيفه. بل صنفها مجهول في ابتداء القرن الثاني.

وقد علم هذا الإنكار وشاع بين الناس في ذلك القرن. ولم يقدر المعتقدون بهذا الإنجيل أن يثبتوا بالسند الكامل أنه من تصنيف يوحنا الحواري. وكان بين ظهرانيهم (أرينيوس) تلميذ (بوليكارب) الذي هو تلميذ يوحنا الحواري. ولم يصدر عنه في مقابلة قول المنكرين إثبات يقول فيه: إنه سمع من بوليكارب أن هذا الإنجيل من تصنيف يوحنا الحواري. فلو كان من تصنيفه حقيقة لعلمه بوليكارب، ولأخبرَ أرينيوس، ولَبَيَّنَ أرينيوس ذلك للناس علانية ورد قول المنكرين. ويبعد كل البعد أن يسمع أرينيوس من بوليكارب الأشياء الخفية مراراً وينقلها، ولا يسمع من هذا الأمر العظيم الشأن شيئاً. وأبعد منه احتمال أنه سمع لكنه نسي. لأنه كان يعول على الرواية اللسانية تعويلاً عظيماً، ويحفظها حفظاً جيداً، كما هو معروف عنه.

وقد رجح بعض المحققين في العصور المتأخرة، ومنهم (استادلن) أن كاتب إنجيل يوحنا هو طالب من طلبة المدرسة الإسكندرية بلا ريب. وقد جهلت الظروف التي أحيطت به[1].

أما في العصر الحديث فإن غالبية المتخصصين يرتابون في صحة هذا الإنجيل، ولا يرون أن يوحنا الحواري هو مؤلفه. بل إن عدداً كبيراً منهم ليقطع بعدم صحة نسبته إليه[2].

---

(١) إظهار الحق ١/٧٧ ـ ٧٩؛ محاضرات في النصرانية ص ٦٠ ـ ٦١، الأسفار المقدسة لعلي ص ٧٨، المسيحية لأحمد شلبي ص ٢١٤.
(٢) دراسة لموريس ص ١٨٨.

جاء في دائرة المعارف البريطانية التي اشترك في تأليفها خمسمائة من علماء النصارىٰ ما يلي[1]: «أما إنجيل يوحنا، فإنه لا مرية ولا شك كتاب مزور، أراد صاحبه به مضادة اثنين من الحواريين بعضهما لبعض، وهما القديسان يوحنا ومتىٰ. وقد ادعىٰ هذا الكاتب المزوِّر في متن الكتاب أنه هو الحواري الذي يحبه المسيح. فأخذت الكنيسة هذه الجملة على علاتها، وجزمت بأن الكاتب هو يوحنا الحواري، ووضعت اسمه على الكتاب نصاً، مع أن صاحبه غير يوحنا يقيناً. ولا يخرج هذا الكتاب عن كونه مثل بعض كتب التوراة التي لا رابطة بينها وبين من نسبت إليه. وإنا لنرأف ونشفق على الذين يبذلون منتهىٰ جهدهم ليربطوا ـ ولو بأوهى رابطة ـ ذلك الرجل الفلسفي الذي ألف هذا الكتاب في الجيل الثاني بالحواري يوحنا الصياد، فإن أعمالهم تضيع عليهم سدى، لخبطهم على غير هدىٰ. ولن يجدوا لمحاولتهم هذه أي سند، وستذهب جهودهم أدراج الرياح» اهـ.

ولعل المراد بالرجل الفلسفي أحد طلاب مدرسة الإسكندرية الذي ذكره استادلن في كتابه. فإن التأليف الفلسفي كان روح تلك المدرسة، وعقيدة التثليث كانت عقيدتها كما ظهر في مجمع نيقية. وقد أُلف هذا الإنجيل لهذا الغرض كما سيأتي.

وجاء في دائرة المعارف الفرنسية المشهورة باسم (لاروس القرن العشرين) ما يلي[2]: «ينسب ليوحنا هذا الإنجيل وأربعة أسفار أخرىٰ من العهد الجديد. لكن البحوث الحديثة في مسائل الأديان لا تسلم بصحة هذه النسبة» اهـ.

أما الترجمة المسكونية للكتاب المقدس، فتحدد أن غالبية النقاد لا تأخذ

---

(١) انظر النص في محاضرات ص ٦١، الأسفار لعلي ص ٧٨، المسيحية لأحمد ص ٢١٣ ـ ٢١٤.

(٢) انظر الأسفار المقدسة لعلي ص ٧٩.

بالفرض القائل: بتحرير قام به يوحنا الحواري وإن كان ذلك احتمالاً غير مستبعد برغم كل شيء[1] اهـ.

ويظهر أن أصحاب هذه الترجمة ما وضعوا هذا الاحتمال إلا إبقاءً على كرامة الأسلاف، ومسايرة لما هو مشهور شائع. ونحن لو محصنا هذا الإنجيل وتتبعنا نصوصه لترجح لدينا قول النقاد لما يلي:

١ ـ لم يثبت بالسند الكامل المتصل أن هذا الإنجيل من تصنيف يوحنا الحواري. بل هناك أمور تدل على خلاف ذلك كما سبق.

٢ ـ لا يظهر من هذا الإنجيل أن الكاتب يكتب الحالات التي رآها بعينه. والذي يشهد له الظاهر مقبول ما لم يقم دليل قوي على خلافه. مثل وجود السند المتصل.

٣ ـ كثيراً ما يعبر الكاتب عن يوحنا بضمير الغائب، ويسند الأفعال المضارعة وأشباهها إلى نفسه.

فعلى سبيل المثال جاء في ٢١/٢٤: وهذا التلميذ هو الذي يشهد بهذه الأمور ويدونها. ونحن نعرف أن شهادته صادقة.

وفي الترجمات السابقة: هذا هو التلميذ الذي يشهد بهذا. وكتب هذا. ونعلم أن شهادته حق.

فذكر الكاتب ما أسند إلى التلميذ يوحنا بضمير الغائب (يشهد) بعد أن أشار إليه. وقال في حق نفسه: «ونحن نعلم..» بصيغة المتكلم. فعلم أن كاتبه غير يوحنا الحواري.

والظاهر أن هذا الكاتب وجد شيئاً من مكتوبات يوحنا، فنقل عنه مع زيادة ونقصان[2]. والله أعلم.

---

(١) دراسة لموريس ص ٩١.

(٢) إظهار الحق ١/٧٧.

ولذلك ذكر بعض المحققين أن يوحنا كان أردنياً نصرانياً. ومن المحتمل أنه لم يكن يهودياً. بل إما شرقياً أو إغريقياً[1].

أما المفكر الفرنسي موريس بوكاي، فيذكر[2] أن كل شيء يدفع للاعتقاد بأن النص المشهور حالياً ينتمي إلى أكثر من كاتب، ويحتمل أن يكون الإنجيل بشكله الحالي قد نشر بوساطة تلامذة المؤلف الذين أضافوا الباب الحادي والعشرين، كما أضافوا ولا شك بعض الحواشي. أما فيما يختص بالمرأة الزانية ـ ٨/١ ـ ١١ ـ فالكل يتفق على صحة الاعتراف بأن هذا نص مجهول الأصل، ألحق فيما بعد اهـ.

وصفوة القول: إنه ليس ثمة بيان قد خلص من الشك بحقيقة كاتب هذا الإنجيل. وهذا ما يقلل من قيمته أو يزيلها تماماً.

قال جون مارك في مقدمة ترتيبه لإنجيل يوحنا، تحت عنوان (استحالة التوقيف): «من المناسب والمفيد أن نعترف مقدماً بأنه لا توجد مشكلة بالتعريف بالإنجيل وكاتبه، يمكن إيجاد حل لها. من كان هذا الـ (يوحنا) الذي قيل إنه المؤلف؟ وأين عاش؟ ثم يقول: من الصعب، بل من المستحيل تحقيق أي شيء أكثر من الاحتمال عن مشاكل إنجيل يوحنا. وليس من المستحيل الاعتقاد بأنه خلال عشر السنوات الأخيرة من القرن الأول الميلادي قام شخص يدعى يوحنا ـ من الممكن أن يكون يوحنا مرقس ـ وقد تجمعت لديه معلومات وفيرة عن يسوع. ومن المحتمل أنه كان على دراية بواحد أو أكثر من الأناجيل المتشابهة. فقام عندئذٍ بتسجيل شكل جديد لقصة يسوع، اختص بها طائفته الخاصة التي كانت تعد نفسها عالمية، كما كانت متأثرة بوجود تلاميذ يوحنا المعمدان»[3].

---

(١) مجلة الجامعة ص ١٥٨ ندوة الخرطوم.

(٢) في كتابه دراسة للكتب المقدسة ص ٩١.

(٣) مجلة الجامعة ص ١٥٨ العدد ٤٩ ندوة الخرطوم.

تاريخ التدوين ومكانه:

الراجح الذي اتفق عليه المحققون أن هذا الإنجيل كتب باللغة اليونانية، ثم ترجم إلى لغات كثيرة. وعن طريق النسخة اليونانية والترجمتين السريانية والقبطية ترجم منذ القديم إلى اللغة العربية(1).

واختلف النصارى في تاريخ تدوين هذا الإنجيل اختلافاً بيناً. فبعضهم يرىٰ أنه دون سنة ٦٥ م، وبعض آخر يرى أنه دون في سنة ٩٨ م. ولا تسل عمن اختلفوا فذكروا تدوينه فيما بين هاتين السنتين، مع أن لبعض السنوات من رجحها.

قال ابن حزم وابن القيم: «ألفه يوحنا بعد رفع المسيح ببضع وستين سنة. وكتبه باليونانية»(2).

وقال المحقق البروتستانتي هورن: «وألف الإنجيل الرابع سنة ٦٨، أو ٦٩، أو ٧٠، أو ٩٧، أو سنة ٩٨ من الميلاد»(3).

ورجح بعضهم أنه كتب سنة ٩٠ م على وجه التقريب. بينما يرى الدكتور بوست أنه كتب سنة ٩٥ م، أو سنة ٩٨ م(4).

وصفوة القول: ليس ثمة تاريخ محدد لتدوين هذا الإنجيل. ولذلك قال صاحب (مرشد الطالبين): لا يوجد اتفاق بين العلماء يضبط السنة التي كتب فيها يوحنا إنجيله. فإن بعضهم يزعم أنه كتب سنة ٦٥ م قبل خراب أورشليم، وآخرون ـ وفيهم بعض الأقدمين ـ يرون أنه كتب سنة ٩٨ م بعد رجوعه من المنفىٰ(5).

---

(1) الموسوعة العربية الميسرة ١/٢٣٩ وغيرها.
(2) الفصل ٢/٣، هداية الحيارىٰ ص ٥٢٤.
(3) إظهار الحق ١/٨٠، محاضرات في النصرانية ص ٦٤.
(4) محاضرات ص ٦٤، الأسفار المقدسة لعلي ص ٧٨.
(5) محاضرات ص ٦٤.

أما مكان تدوينه، فمن المحتمل أنه كتب في أنطاكية أو الإسكندرية أو رومية. فإن كلاً من هذه المدن كان مركزاً عالمياً للدعوة العقائدية في القرنين الأول والثاني الميلاديين[1].

أسباب كتابة هذا الإنجيل:

لهذا الإنجيل أهمية خاصة في دراسة النصرانية. إذ هو الإنجيل الوحيد الذي ينص صراحة على ألوهية المسيح. بل إنه قد ألف لهذا الغرض. وكُتّاب النصرانية ـ يجمعون ـ أو يكادون ـ علىٰ أن الإنجيل المنسوب إلى يوحنا قد كتب لإثبات ألوهية المسيح التي اختلفوا في شأنها. وذلك لعدم وجود نص في الأناجيل الثلاثة يعينها. فقد كان الاعتقاد السائد لدى أكثر الناس أن المسيح ـ عليه السلام ـ ليس بإله. بل إنما هو بشر رسول. وكانت فرق الشرق صاحبة النفوذ تقرر ألوهية المسيح. فَطُلب من شخص أو أكثر أن يكتب إنجيلاً يتضمن نصوصاً صريحة تقرر هذه الألوهية[2].

جاء في ٢٠/٣٠ ـ ٣١: من إنجيل يوحنا: «وصنع يسوع أمام تلاميذه آيات أخرىٰ غير مدونة في هذا الكتاب. أما الآيات المدونة هنا، فهي لتؤمنوا بأن يسوع هو المسيح ابن الله. فإذا آمنتم نلتم باسمه الحياة».

قال جرجس زوين اللبناني فيما ترجمه عن الفرنسية: إن شيرينطوس وأبيسون، وجماعتهما لما كانوا يعلمون المسيحية، كانوا يرون أن المسيح ليس إلا إنساناً، وإنه لم يكن قبل أمه مريم. فلذلك اجتمع سنة ٩٦ م عموم أساقفة آسيا وغيرهم عند يوحنا، والتمسوا منه أن يكتب عن المسيح، وينادي بإنجيل مما لم يكتبه الإنجيليون الآخرون، وأن يكتب بنوع خاص لاهوت المسيح.

وقال الخوري يوسف الدبسي في مقدمة تفسيره (من تحفة الجيل): إن يوحنا صنف إنجيله آخر حياته بطلب من أساقفة كنائس آسيا وغيرها. والسبب

---

(١) مجلة الجامعة ص ١٥٨ ندوة الخرطوم العدد ٤٩.

(٢) محاضرات ص ٦٤ ـ ٦٥، المسيحية لأحمد شلبي ص ٢١٣.

أنه كانت هناك طوائف تنكر لاهوت المسيح. فطلبوا منه إثباتَه وذِكْرَ ما أهمله متى ومرقس ولوقا في أناجيلهم[1].

وقال أكليمنضوس الإسكندري صاحب المؤلفات الكثيرة في حقيقة الدين النصراني عن إنجيل يوحنا ما يلي: إن يوحنا كتب إنجيله بعد كتابة الأناجيل الأخرىٰ. لأنه لاحظ أن الأناجيل السابقة لم تدون عن ترجمة المسيح إلا الأمور الحسية. فتلبية لدعوة بطانته، وبعد استلهام روح القدس، عقد العزم على كتابة إنجيل روحي[2].

وقال صاحب (مرشد الطالبين)[3]: فالمقصد من كتابة إنجيل يوحنا إبقاء بعض مسامرات المسيح الضرورية ذات التروي مما لم يذكره باقي الإنجيليين، وإفناء لبعض هرطقات مفسدة أشهرها معلمون كذبة في شأن ناسوت المسيح وموته، وبخاصة ترسيخ الاعتقاد في النصارى الأوائل بحقانية لاهوت وناسوت ربهم وفاديهم ومخلصهم. وقد قيل: إن يوحنا لم يؤلف إنجيله إلا بعد صلاة عامة قلبية مع التبعية، لأجل أن يوحيه الروح القدس بذلك اهـ.

وقد استنبط العلامة الشيخ محمد أبو زهرة من ذلك الأمرين التاليين[4]:

أ ـ إن الأناجيل الثلاثة الأولىٰ ليس فيها ما يدل على ألوهية المسيح، أو على الأقل هكذا كانت قبل تدوين الإنجيل الرابع.

ب ـ إن الأساقفة اعتنقوا ألوهية المسيح قبل وجود الإنجيل الذي يدل عليها ويصرح بها، ولما أرادوا أن يحتجوا على خصومهم لم يجدوا مناصاً من أن يلتمسوا دليلاً ناطقاً يثبت ذلك. فاتجهوا إلى يوحنا، فكتب إنجيله الذي يشتمل على الحجة.

---

(١) محاضرات ص ٦٤، المسيحية لأحمد ص ٢٠٧.
(٢) انظر المسيحية لأحمد شلبي ص ٢٠٧ ـ ٢٠٨.
(٣) محاضرات في النصرانية ص ٦٤ ـ ٦٥.
(٤) محاضرات في النصرانية ص ٦٥.

ثم يعقب الشيخ ـ رحمه الله ـ على ذلك فيقول[1]: لكن الواقع أن رسائل الرسل التي كتبت حسب قولهم قبل هـذا الإنجيل، فيهـا ما ينبىء عن ألـوهية المسيح ويعلنها. أفلم يكن لهم فيها حجة وغناء عن إنجيل جـديد؟! أم لعـل تلك الرسائل كتبت بعد هذا الإنجيل، لتأييده وتثبيت ما أتىٰ به، ثم نُسبت إلى السابقين؟!

وصفوة القول: إن الاعتقاد بألوهية المسيح كان سابقاً لوجود نص عليه في الكتب. وغاية يوحنا من إنجيله إظهار ألوهية المسيح كما قال الأب بـولس إليـاس[2]. والأصل أن تبنىٰ المعتقـدات على النصـوص المـوحىٰ بهـا. لكن الواقع عند النصارى عكس هذا؛ فقد انبنت الأناجيل على المعتقدات. ولو كان لهذه الألوهية أصل في الديانة المسيحية لما جاز أن تهمل ذكرها الأناجيل الثلاثة السابقة. ومهما حاول النصارى التلطف في القول لسد هذه الثغرة، فلن يغنيهم ذلـك من الحق شيئاً. وإلا فـأين الإلهام وأين الـروح القـدس الـذي حـل في التلاميذ، والذي يبقى ـ على قول بعضهم ـ في الكنيسة إلى الأبد؟! لمـاذا لم يلهم الثلاثة الأول بهذا الأمر الخطير حتى يصرحوا به، ثم خص به يوحنا بعد أن قامت الفتنة بين النصارىٰ؟ وهب النصارىٰ ادعـوا أن ثلاثـة الأناجيـل السابقـة أشارت من طرف خفي إلى ذلـك ولـم تصرح بـه. فإن التسـاؤل يبقىٰ: لِمَ لم تصرح في هذا الأمر الأساسي الخطير؟! إن لم يكن التصريح جديراً بـه، فلا شيء غيره يستحق التصريح.

المتاعب التي يعاني منها:

بالإضافة إلى ما سبق من أن المفكرين قديماً وحديثاً أنكروا أن يكون هذا الإنجيل من تصنيف يوحنا الحواري. فإن هناك مشكلة الباب الأخير فيه. قال

---

(١) في محاضراته ص ٦٥ ـ ٦٦.

(٢) في كتـابه يسـوع المسيح ص ١٩ وص ٣٢، انـظر في ذلـك المسيحيـة لأحمـد شلبي ص ٢٠٨.

المحقق (كروتيس)[1]: إن هذا الإنجيل كان عشرين باباً، فألحقت بـه كنيسة أفسس الباب الحادي والعشرين بعد موت يوحنا. وقد ألف لإثبات فكرة ألوهية المسيح اهـ. أما العالم استادلن والمحقق برتشنيدر فقد أنكرا أن يكون إلهامياً.

وفي هذا الباب (٢١/٤ ـ ١٧) أن يسوع ظهر إلى تلاميذه بعد موته وهم على الشاطىء يصطادون دون جدوىٰ. فدلهم على مكان وجود السمك، فاصطادوا سمكاً كثيراً، فعلموا أنه الرب. ثم هيأ لهم خبزاً وناراً فشووا وأكلوا. ثم قال لبطرس «ارع خرافي» مرتين.

وفيه أيضاً تعليق مبهم (٢١/٢٤) يقول: «هذا التلميذ هو الذي يشهد بهذه الأمور ويدونها. ونحن نعلم أن شهادته صادقة». فثمة جماعة تشير إلى نفسها بكلمة (نحن) فمن هم؟ الحقيقة أنه يصعب تحديدهم[2].

وهناك أيضاً مشكلة الفقرات التي ألحقت بهذا الإنجيل وليست من صلبه:

فقد رد جمهور العلماء الفقرة ٥٣/٧: «ثم انصرف كل واحد منهم إلى بيته». وإحدى عشرة فقرة من أول الباب الثامن ٨/١ ـ ١١ وهي التي تتحدث عن المرأة الزانية. وهذه الفقرات ليس لها وجود في الترجمة السريانية[3].

ذكر المحقق البروتستانتي هورن[4] أن أرازمس وكالوين وبيزا وكروتيس وليكلرك وتسن وسمار وشاز ومورس وهين لين وبالس وسميث وغيرهم من المصنفين الذين ذكرهم ونفينس وكوجر لا يسلمون بصدق هذه الفقرات.

ثم قال: إن كرايزاستم وتيهو فلكت ونونس كتبوا شروحاً على هذا

---

(١) انظر إظهار الحق ١/٧٩.

(٢) مجلة الجامعة العدد ٤٩ ص ١٥٩ ندوة الخرطوم، وانظر إظهار الحق ١/٧٧ و١٨٣ ـ ١٨٤.

(٣) إظهار الحق ١/٧٩.

(٤) في تفسيره ٤/٣١٠، انظر إظهار الحق ١/٢٤٤ ـ ٢٤٥ طبعة قطر.

الإنجيل، فلم يشرحوا هذه الفقرات. بل لم ينقلوها في شروحهم. وكتب ترتولين وساي برن رسائل في باب الزنىٰ والعفة، ولم يتمسكا بهذه الفقرات. ولو كانت هذه الفقرات في نسختيهما لذكراها أو تمسكا بها يقيناً.

وقال وارد الكاثوليكي: «اعترض بعض القدماء على أول الباب الثامن من إنجيل يوحنا. وحكم نورتن بأن هذه الآيات إلحاقية يقيناً»[1].

وقد اعترف نورتن[2] حامي الإنجيل أيضاً بأن العبارة الكائنة في ٥/٣ ـ ٤ إلحاقية. وهي «ينتظرون تحريك الماء. لأن ملاك الرب، كان ينزل أحياناً في البركة ويحرك الماء. فكان الذي يسبق إلى النزول بعد تحريك الماء يُشفىٰ من أي مرض أصابه».

واعترف كذلك[3] بأن الفقرتين ١١/٢٤ ـ ٢٥ ملحقتان وليستا من صلب الإنجيل.

نماذج من الأغلاط والنصوص المحرفة:

١ ـ جاء في ١/٥١ من إنجيل يوحنا: «وقال له: الحق أقول لكم: سترون السماء مفتوحة، وملائكة الله صاعدين نازلين فوق ابن الإنسان».

وهذا غير صحيح. لأن هذا القول كان بعد التعميد وبعد نزول الروح القدس. ولم ير أحد بعدهما السماء مفتوحة، والملائكة صاعدة ونازلة على المسيح ابن الإنسان. والوعد كان بالأمرين معاً[4].

٢ ـ وجاء في ٣/١٣: «ما صعد أحد إلى السماء إلا ابن الإنسان الذي هو في السماء، ونزل من السماء».

وفي ترجمات أخرىٰ: «وليس أحد صعد إلى السماء إلا الذي نزل من

---

(١) إظهار الحق ١/٢٤٥ طبعة قطر.

(٢) في كتابه الإسناد ص ٨٤ طبعة بوستن ١٨٣٧ م انظر إظهار الحق ١/١٩٢.

(٣) في ص ٨٨ من كتابه.

(٤) إظهار الحق ١/١٦٤ طبعة قطر.

السماء، ابن الإنسان الذي هو في السماء». وهذا غلط، فقد جاء في سفر التكوين ٥/ ٢٤ : «وسار أخنوخ مع الله، ولم يوجد. لأن الله أخذه» أي رفعه إلى السماء. ولم يكن هبط منها.

وجاء في سفر الملوك الثاني ٢/ ١ : وكان عند إصعاد الرب إيليًا أن إيليا وأليشع ذهبا من الجلجال.

٢/ ١١ : وفيما هما يسيران ويتكلمان إذا مركبة من نار وخيل من نار، ففصلت بينهما، فصعد إيليا في العاصفة إلى السماء.

وفي العهد القديم أيضاً أن إدريس وإلياس صعدا إلى السماء. ولم يكونا هبطا منها. بل في الأرض خلقا، وفيها عاشا إلى وقت رفعهما(١).

٣ ـ وجاء في ١١/ ٤٩ ـ ٥٢. فقال واحد منهم، وهو قيافا الذي كان رئيس الكهنة في تلك السنة: أنتم لا تعرفون شيئاً، ولا تفهمون أن موت رجل واحد فدى الشعب خير لكم من أن تهلك الأمة كلها؟ ـ وفي ترجمات أخرىٰ: ولا تفكرون أنه خير لنا أن يموت إنسان واحد عن الشعب، ولا تهلك الأمة كلها ـ وما قال قيافا هذا الكلام من عنده. بل قاله لأنه رئيس الكهنة في تلك السنة. فتنبأ أن يسوع سيموت فدى الأمة. لكن ليس فدى الأمة فقط. بل يموت ليجمع شمل أبناء الله.

وهذا غلط لما يلي:

أ ـ إن مقتضى هذا الكلام أن يكون رئيس كهنة اليهود نبياً يوحىٰ إليه. وهذا فاسد يقيناً. لأنه هو الذي أفتى بقتل عيسى ـ عليه السلام ـ وكذبه وكفره ورضي بإهانته وضربه كما في إنجيل متى ٢٦/ ٥٧ ـ ٦٧ فلو كان قوله المذكور وحياً وكان معناه كما فهم كاتب الإنجيل. لما أفتى بقتل المسيح ـ عليه

---

(١) إظهار الحق ١/ ١٦٠، تحفة الأريب ص ١٢٤.

السلام ـ وكذبه وكفره ورضي بإهانته وضربه. أيفتي النبي بقتل الإلـه؟ أيكذبـه في ألوهيته ويكفره ويهينه؟

ب ـ إن قول قيافا لو كان وحياً بالنبوة للزم أن يكون موت المسيح ـ عليه السلام ـ كفارة عن اليهود فقط، لا عن العالم. وهو خلاف ما يزعمه أهل التثليث. وعليه يكون قول الإنجيلي: «لكن ليس فدى الأمة فقط. بل ليجمع شمل أبناء الله» لغواً مخالفاً شأن النبوة.

ولو فرض صحة قول قيافا فإن معناه أن تلاميذ المسيح ـ عليه السلام ـ لما جعلوا دأبهم إثبات أن عيسى هو المسيح الموعود. وكان زعم الناس أن المسيح لا بد أن يكون سلطاناً عظيماً من سلاطين اليهود. خاف قيافا وأكابر اليهود أن تكون هذه الإشاعة مهيجة عليهم غضب القيصر، فيقعون في بلاء عظيم. فقال إن في هلاك عيسى فداء لقومه. أي من هذه الناحية. لا من ناحية خلاص النفوس من الذنب الذي صدر عن آدم ـ عليه السلام ـ لأنه وهم محض لا يعتقد به اليهود[1].

٤ ـ وجاء في ٥/٣١ ـ ٣٢: لو كنت أشهد لنفسي لكانت شهادتي باطلة. ولكن غيري يشهد لي.

وفي ٨/١٤: نعم أنا أشهد لنفسي. ولكن شهادتي صحيحة. لأني أعرف من أين جئت، وإلى أين أذهب.

فهل تقبل شهادة المسيح لنفسه أولا؟ التناقض واضح فأين الإلهام[2]؟.

---

(١) إظهار الحق ١/١٧١ ـ ١٧٢ طبعة قطر.

(٢) الفصل ٢/٧٠، هداية الحيارى ص ٥٨٧، إظهار الحق ١/١٢٤ طبعة قطر.

بالإضافة إلى ما سبق ذكره من المتاعب التي يعانيها كل إنجيل على حدة. فإن الأناجيل تعاني بصورة عامة من المشاكل التالية:

١ ـ جهالة مصنفيها:

يعتقد غالبية النصارىٰ أن كتاب الأناجيل شهود عيان على حياة المسيح، وأنهم بذلك أقاموا شهادات علىٰ الأحداث التي وقعت في حياته وتبشيره لا تقبل الجدل. وسبب ذلك أن طبعات الأناجيل القديمة والحالية الموجهة للعامة تحتوي على مقدمات وتعليقات تهدف إلى نشر هذه المعلومات والأفكار بين الجمهور[١].

والواقع والحقيقة أن الأناجيل لم تكتب بأقلام شهود معاينين للأمور التي أخبروا بها. بل إنما هي تعبير للمتحدثين باسم الطوائف اليهودية المسيحية المختلفة، عما احتفظت به كل طائفة من معلومات عن حياة المسيح العامة، في شكل أقوال متوارثة شفوية أو مكتوبة، اختفت اليوم بعد أن احتلت دوراً وسطاً بين التراث الشفوي والنصوص النهائية[٢].

إن اثنين من كتاب الأناجيل لم يريا المسيح أصلاً، وهما لوقا ومرقس.

---

(١) دراسة لموريس ص ٧٠.

(٢) دراسة لموريس ص ٢٨٤.

أما الآخران، وهما متى ويوحنا فمختلف في رؤيتهما له[1]. والمحققون يرجحون عدم الرؤية كما سلف. وليس لدى النصارىٰ نسخة بخط تلميذ من التلاميذ، ولا ما يضمن شبهة صحة فيها.

جاء في كتاب (تحفة الأريب)[2] للقس أنسلم تورميدا عن كُتاب الأناجيل: «وهؤلاء هم الذين أفسدوا دين عيسىٰ، وزادوا ونقصوا، وبدلوا كلام الله. وليس هؤلاء من الحواريين».

أما الأب كانينجر فقد توصل في دراسته وبحثه عن القيامة إلى أنه ليس هناك كاتب للعهد الجديد سوى بولس يستطيع أن ينسب لنفسه صفة كونه شاهداً معايناً لقيامة المسيح[3].

لقد بحث بعض الباحثين المحققين من علماء أوروبا في الأناجيل الأربعة، فتبين لهم أنه لا يعرف متى كتبت، ولا بأي لغة ألفت؛ قال بعضهم إن مؤلفيها غير معروفين. واتهم بعضهم بولس الذي كان يهودياً بوضع أكثرها. بل إن منهم من جعل تعاليمها مأخوذة عن الوثنية[4].

أما العلماء الذين أشرفوا على تحرير المسائل النصرانية في دائرة المعارف الفرنسية، فإنهم يذهبون إلى أن التحقيق العلمي والتاريخي يؤيد أن هذه الأناجيل كتبها أشخاص غير الحواريين والتلاميذ والتابعين الذين تنسب إليهم. بل إن مظاهر الشك والريبة التي أحاطت بأسفار النصارى ومؤلفيها حملت بعض الباحثين من الأوروبيين على الشك في شخصية المسيح نفسه[5].

---

(١) الجواب الصحيح ٢/ ١١.

(٢) انظر ص ٦٢.

(٣) دراسة لموريس ص ٩٠ - ٩١.

(٤) كما في دائرة المعارف الفرنسية وغيرها انظر تفسير المنار ٦/ ٢٩٣.

(٥) الأسفار المقدسة لعلي ص ٩١ - ٩٢.

وقال فاستس: إن العهد الجديد ما صنفه المسيح ولا الحواريون. بل صنفه رجل مجهول الاسم، ونسب إلى الحواريين ورفاقهم[1].

٢ ـ عدم وجود سند لها:

إن الأناجيل التي بين يدي النصارىٰ اليوم ليس لها سند كامل يتصل بكاتبيها الذين تنسب إليهم لا سيما وأن النصارى لا يعرفون علم الرواية والأخبار ومعرفة أحوال الرجال وجرحهم وتعديلهم وطريقة تلقيهم وغير ذلك، كما هو الحال لدى المسلمين[2].

وهم يعترفون بأن لا سند متصلاً إلى كتاب الأناجيل عندهم البتة. بيد أن بعض النصارى، ولا سيما البروتستانت يدعون أن ثمة سنداً لهذه الأناجيل في القرن الأول والثاني. لأنه شهد بوجودها كليمنس أسقف الروم وأكناثيوس أسقف أنطاكية الذي كان من التابعين للحواريين، وغيرهما من العلماء الذين كانوا في القرنين الأولين. ثم اشتهرت وذاعت في أواخر القرن الثاني أو ابتداء القرن الثالث. وهم يأخذون بالظن فيقولون: لعله فلان أو فلان. ويتمسكون ببعض القرائن مثل اتفاق ما تتضمنه بعض الكتب[3].

والسند المتنازع عليه بيننا وبينهم هو السند المتصل الجامع لشروط الرواية؛ وهو أن يروي العدل الضابط عن مثله أن الكتاب الفلاني من تصنيف الحواري فلان أو النبي فلان؛ سمعت هذا الكتاب كله من فيه مشافهة، أو قرأته عليه وهو يسمع، أو أقر عندي أن هذا الكتاب من تصنيفه. ولا وجود لمثل هذا السند عندهم من آخر القرن الثاني أو أول القرن الثالث إلى مصنفي الأناجيل. ونحن لا ننكر اشتهار هذه الأناجيل في ابتداء القرن الثالث اشتهاراً ناقصاً قابلاً لإدخال التحريف، وغير مانع منه. لكن إذا كان السند غير متصل بين وقت ذيوع

---

(١) إظهار الحق ١/١٠٣ طبعة قطر.

(٢) الجواب الصحيح ٢/١٤.

(٣) إظهار الحق ١/٢٠٠ ـ ٢٠١.

هذه الكتب واشتهارها، وبين وقت كتابتها، فإن العاقل يتشكك في هذه النسبة. لأن السند المتصل هو الذي يطمئن معه القارىء للكتاب. ولا يثبت مع الشك كتاب. ولا سيما الكتب المقدسة مع وجود الأعداء المتربصين[1].

ولا شك أن الاضطهاد الذي استمر حتى مطلع القرن الرابع ـ كما سلف ـ كان له أثر بالغ في أناجيل النصارى واضطرابها وانقطاع سندها إلى أصحابها؛ فقبل سنة (٣٢٥) م التي عقد فيها مجمع نيقية لم تكن كتب النصارى الحالية كلها معروفة أو مسلماً بتقديسها. وهم يقولون: إنها كتبت في آخر القرن الأول. إذاً فبين آخر كتبهم تدويناً في زعمهم وبين معرفته والاعتراف به أكثر من (٢٢٥) سنة. وقد وقع بهم من الأحداث في هذه المدة ما يذهب باللب، ويُضيع الرشد، ويَنسىٰ معه المرء كل شيء. حتى إن الكتب نفسها لم تسلم من الاضطهاد والتحريق. فكل هذا يجعل الكتب التي رويت قبل ذلك موضع شك في نسبتها إلى قائليها حتى يقوم دليل على صحة تلك النسبة. ولم يقيموا أي دليل على ذلك لأن السند منقطع بينها وبين من تنسب إليهم. إذ لا راوي يرويها خلال تلك المدة. وهم يأخذون بالظن والقرائن. والظن والقرائن ليس من السند في شيء. فإنه لا يلزم من توافق بعض مضامين الكتب وجود النقل الصحيح. وإن مناظريهم ليقرون بأن تلك الاضطهادات كانت سبباً في فقد السند المتصل[2].

يقول الشيخ رحمة الله الهندي في كتابه (إظهار الحق)[3]: طلبنا مراراً من علمائهم الفحول السند المتصل فما قدروا عليه. واعتذر بعض القسيسين [ومنهمْ القَس فرنج] في محفل المناظرة التي كانت بيني وبينهم فقال: لا وجود لمثل هذا السند عندنا، وسبب فقدانه وقوع المصائب العظيمة والفتن على المسيحيين مدة (٣١٣) سنة ابتداءً من القرن الأول.

---

(١) إظهار الحق ١/ ٢٠٠ ـ ٢٠١، محاضرات في النصرانية ص ١١٠.

(٢) إظهار الحق ١/ ٢٠١، محاضرات ص ١٠٩ ـ ١١٠.

(٣) انظر ١/ ٥٧ و ١/ ٦١ و ١/ ٢٠١.

يقول الشيخ رحمة الله: وتفحصنا في كتب الإسناد لديهم، وتتبعنا إسنادهم، فما رأينا فيها شيئاً غير القول بالظن والتمسك ببعض القرائن. وقد قلت: إن الظن في هذا الباب لا يغني شيئاً اهـ.

وقال المفسر لاردنر[1]: حكم على الأناجيل المقدسة لأجل جهالة مصنفيها بأنها ليست حسنة بأمر السلطان أناسطيشوس في الأيام التي كان فيها مِسّالة حاكماً في القسطنطينية. فصححت مرة أخرىٰ اهـ.

فثبت أنها كانت إلى ذلك العهد بدون سند. وكانوا يعتقدون إلهاميتها. فصححوا على قدر الإمكان أغلاطها وتناقضاتها. ولو كانت إلهامية حقيقة، وثبت نقلها عند القدماء بالسند المتصل إلىٰ الحواريين وتابعيهم، لما كان هناك معنىٰ لجهالة المصنفين وتصحيحها مرة أخرىٰ في عهد السلطان المذكور. فثبت انعدام سندها، وثبت وقوع التحريف فيها يقيناً.

قال المحقق البروتستانتي هورن في تفسيره: إن الحالات التي وصلت إلينا في زمان تأليف الأناجيل من قدماء مؤرخي الكنيسة بتراء وغير معينة، لا توصلنا إلى أمر معين. والقدماء الأولون صدقوا الروايات الواهية وكتبوها. ثم قبل الذين جاؤوا من بعدهم ما كتبوه تعظيماً لهم. وهذه الروايات الصادقة والكاذبة وصلت من كاتب إلى آخر، وتعذر نقدها بعد انقضاء المدة اهـ[2].

فدل على وجود روايات واهية في أناجيلهم أخذت بدون سند وبدون تمحيص.

وصفوة القول: إن أخبار التاريخ تثبت بأحد أمرين:

- إما بالرواة الثقات الذين يروون عن مثلهم إلى نهاية السند.
- أو بالآثار التي ينقب عنها العلماء، فيحققون ويوازنون ويتعرفون.

---

(١) في ٥/١٢٤ من تفسيره. انظر إظهار الحق ١/٢٩٦.

(٢) إظهار الحق ١/٧٩ و ٨٢.

ولم تثبت الأناجيل بواحدٍ من هذين الأمرين. فليس ثمة رواية لها تنقل عن رواة. ولا وجود لآثار تنطق بها وتعلن خبرها. بل إن التاريخ لا يعرف لها ذكراً إلا من مجمع نيقية أو بعده. وبين المجمع والمسيح ٣٢٥ سنة. ثم تناقلتها الرواة عن أصحاب المجمع. والأغلب أيضاً أنه وصلت إلى علماء المجامع بعض الروايات الواهية فقبلوها بعدما كانت مردودة. فهل يقبل التاريخ مثل هذه الأناجيل، ويسجلها مؤرخون محققون، فضلاً عن علماء الدين؟ إن الكتاب المقدس لدى كل دين هو الأصل والدعامة والأساس. فإذا كان منقطع السند، وفيه روايات واهية وأحكام متضاربة، فإن في ثبوت هذا الدين نظر لدى أصحاب العقل السليم[1].

٣ ـ اضطراب متنها:

إن العهد الجديد بكامله كتاب غير متجانس، لا يمثل وجهة نظر تسوده من أوله إلى آخره. بل فيه وجهات نظر مختلفة. ومن قرأه بتدبر عرف أنه أشتات مجمعة. قال سبحانه: **﴿ أفلا يتدبرون القرآن؟ ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً ﴾** ـ النساء/ ٧٩ ـ.

ونظراً لاختلاف مصنفي الأناجيل، فقد اضطربت أقوالهم وتضاربت؛ فبعضهم يذكر في إنجيله حالات أو عجائب لا يذكرها الآخر. وكثيراً ما يروىٰ الخبر الواحد في إنجيل بعبارة تناقض بالزيادة والنقصان ما ذكر آخر. كما أن فيها ذكر القول ونقيضه[2]. من أجل ذلك قسم الباحثون الأناجيل الأربعة إلى مجموعتين هما:

أ ـ الأناجيل المتوازية: وهي متى ومرقس ولوقا. سميت بذلك لتقاربها مع بعضها أكثر من تقاربها مع الإنجيل الرابع الذي يختلف عنها في غايته. وتتفق الثلاثة في أنها تترجم للمسيح ـ عليه السلام ـ رغم وقوف كل منها

---

(١) محاضرات في النصرانية ص ١١٥ و ١١٩.

(٢) هداية الحيارىٰ ص ٥٨٧.

بترجمته عند حدٍّ معين، وتوضيحه لمزية خاصة من مزاياه. إن رسالة المسيح مسرودة بشكل يختلف في نقاط كثيرة لدى كل من متى ومرقس ولوقا. ومن هنا نشأت مشكلة صلاة الأناجيل الثلاثة ببعضها، وتسمىٰ (المشكلة المتوازية) ومؤداها أن إنجيل متى ولوقا يحويان أموراً ليس لها وجود في إنجيل مرقس. وقد بذلت عدة محاولات لحلها، لكن دون جدوى[1].

وقد أشار أ. كولمان إلى أن لوقا كان يحذف من روايته أكثر الفقرات اليهودية عند مرقس. ويبرز كلمات المسيح في مواجهة كفر اليهود وعلاقاته الطيبة مع السامريين الذين يمقتهم اليهود. بينما يذكر متى أن المسيح طلب من الحواريين أن يجتنبوا السامريين. وذكر أيضاً أن في إنجيل لوقا روايات لا وجود لها في الأناجيل الأخرىٰ. أما الترجمة المسكونية فقد أشارت إلى أن شتى الروايات فيه تحتوي على اختلافات هامة مع روايات سابقيه. فهذا وغيره يدل على أن كتاب الأناجيل وضع كل منهم على لسان المسيح ـ عليه السلام ـ ما يتناسب مع وجهات نظرهم الشخصية[2].

وقد أثبت الأب بولس الياس الغفلة والخطأ على أصحاب الأناجيل. ومن ذلك موضوع خراب أورشليم. فقد قال في كتابه (يسوع المسيح)[3]: من المؤكد أن مرقس كتب إنجيله قبل سنة ٧٠ م أي قبل خراب أورشليم في عهد تيطس. لأنه لو كان كتبه بعد هذا التاريخ لما كان أخطأ فهمَ نبوءة المسيح عن خراب أورشليم، كمتى ولوقا اللذين ظنا أن المسيح يقصد من نبوءته هذه خراب العالم والدينونة الأخيرة، لا خراب أورشليم، ولكان أصلح خطأه. لكنه لم يفعل شيئاً من هذا.

---

(١) الموسوعة العربية الميسرة ١/ ٢٣٩، دراسة لموريس ص ٨٩.

(٢) دراسة لموريس ص ٨٨ وص ١١٨، وهو ينقل عن العهد الجديد لكولمان ص ١٨، والترجمة المسكونية ص ١٨١، وما بعدها.

(٣) ص ٢٥ ـ ٢٦، انظر المسيحية لأحمد ص ٢٠٨ ـ ٢٠٩.

ثم قال[1]: وضع لوقا إنجيله وكتاب أعمال الرسل. ومن الثابت أنه كتب إنجيله قبل سنة ٧٠ م أي قبل خراب أورشليم. وإلا لما كان أخطأ كمتى ومرقس فهمَ نبوة المسيح عن هذا الحدث الهام. وهذا دليل على أن الإنجيليين رددوا أقوال المسيح على علاتها من غير أن يفهموها في بعض الأحايين اهـ.

ب ـ إنجيل يوحنا: ويختلف عن الأناجيل السابقة اختلافات هامة في ترتيب الموضوعات والروايات والخطب واختيارها. كما أن هناك اختلافات أسلوبية وجغرافية وأخرى خاصة بالتعاقب الزمني للأحداث. وفيه أيضاً روايات غير واردة في الأناجيل الأخرى ـ كما تشير إلى ذلك الترجمة المسكونية ـ [2] وهو يهمل أيضاً فقرات مذكورة في غيره. وعلى سبيل المثال، فهو لا يشير مطلقاً إلى تأسيس القربان المقدس في أثناء عشاء المسيح الأخير مع الحواريين. مع أنه وارد في الثلاثة الأخرىٰ. وأول ما يرد على البال ضياع هذه الفقرة من إنجيل يوحنا[3].

إن إنجيل يوحنا في حد ذاته تأمل لاهوتي في تعاليم المسيح، مع احتفاظه بالإطار التاريخي الأساسي. وهو يختلف مع غيره في الآفاق اللاهوتية، فهو الإنجيل الوحيد الذي تضمنت فقراته ذكراً صريحاً لألوهية المسيح. كما يختلف عن غيره أيضاً في الفترة الزمنية لبعثة المسيح، فهي تمتد عنده إلى أكثر من عامين. بينما تحددها الثلاثة الأخرى بعام واحد. كما تشير الترجمة المسكونية. فمن المصيب منها؟[4].

هذا وقد كان من المعتقد لفترة طويلة أن يوحنا كان على بينة من الاختلافات التي بين الأناجيل السابقة، وأنه كتب إنجيله ليكملها أو ليصححها

---

(١) المسيحية لأحمد ص ٢٠٩.

(٢) ص ٢٨٣، انظر دراسة لموريس ص ٩٢.

(٣) دراسة لموريس ص ١١٨ ـ ١١٩.

(٤) الموسوعة العربية الميسرة ١/٢٣٩ دراسة لموريس ص ٩٠ و٩٣.

في حالة أو حالتين؛ فقد جرى القول بأن حادثة تطوير الهيكل وضعها يوحنا عمداً في بداية بعثة يسوع. لأن ذلك هو موضعها حسبما تذكرها يوحنا الذي تقدمت به السنون. وكذلك تاريخ الصلب، فإنه صححه ووضعه عشية الفصح. وهو اليوم الذي تذبح فيه الخراف. ومن ناحية أخرى، فإن لقب (ابن الإنسان) الذي لم يستعمله بولس قط، قد أبقىٰ يوحنا عليه[1].

هذا ما كان مظنوناً. غير أنه في الفترة الأخيرة ـ أي قبل ١٥٠ عاماً تقريباً ـ تحقق العلماء من أن الأناجيل الثلاثة الأولى تختلف عن الرابع في الأسلوب والمضمون. أما هي فمتشابهة نوعاً ما فهو لا يذكر أي شيء عن رواية الميلاد. أما رواياته الأخرىٰ، ففيها مخالفات في الزمان والمكان لنظيراتها في الأناجيل المتشابهة[2].

ويبدو لي ـ والله أعلم ـ إن إنجيل يوحنا جرىٰ عليه تعديل في عدة مسائل لتصحيح بعض الحالات، لكن لم يتمكن المعدلون من الإتمام لاتساع الخَرق من ناحية، ولأمر آخر يحتمل أن يكون معارضة بعض الناس ومخافة الانكشاف من ناحية ثانية.

تقول دائرة المعارف الأمريكية: هناك تضارب صارخ بين إنجيل يوحنا وبين الأناجيل المتشابهة فهذه الأخيرة تسير حسب رواية مرقس بالتسلسل التاريخي للأحداث، وتجعل منطقة الجليل هي المحل الرئيسي لرسالة يسوع. بينما يقرر إنجيل يوحنا أن ولاية اليهودية كانت هي المركز الرئيسي اهـ[3]. أما المفكر الفرنسي موريس بوكاي فيقول[4]: «لقد كانت القيمة التاريخية لروايات يوحنا موضع نزاع كبير. فالأمور التي تتنافر مع الأناجيل الثلاثة الأخرى صارخة».

---

(١) مجلة الجامعة الإسلامية ص ١٥٨ العدد ٤٩.

(٢) مجلة الجامعة ص ١٥٣.

(٣) مجلة الجامعة ص ١٥٨.

(٤) دراسة لموريس ص ٩١.

ولما ظهر لبعض الباحثين شيء من التآلف بين إنجيل لوقا وإنجيل يوحنا، ظن أن يوحنا استفاد من إنجيل لوقا. إلا أن هذه النظرية كانت موضع معارضة شديدة، بسبب الاختلاف الواضح بين الإنجيلين في المواضع المشتركة بينهما. فكلا الإنجيلين ـ مثلاً ـ يتحدث عن بطرس وصيد السمك لكن لوقا يضع القصة مبكراً في رسالة يسوع في الجليل ٥/١ ـ ١١، أما يوحنا، فيضعها بعد قيامته من بين الأموات ٢١/١ ـ ١٤[1].

وكلاهما أيضاً يتحدث عن المرأة التي وضعت الطيب على قدمي المسيح ـ عليه السلام ـ غير أن التفاوت بينهما كبير. ومن طالع هذه القصة في أربعة الأناجيل وجد فيها اختلافاً من الوجوه التالية:

١ ـ صرح مرقس في ١٤/١ بأن هذا الأمر كان قبل الفصح، وعيد الفطير بيومين. وذكر يوحنا في ١٢/١ أنه كان قبل الفصح بستة أيام. أما متى ولوقا فقد سكتا عن البيان.

٢ ـ جعل متى في ٢٦/٦، ومرقس في ١٤/٣ هذه الحادثة في بيت سمعان الأبرص. وكذلك لوقا في ٧/٣٦ فإنه جعلها في بيت أحد الفريسيين الذي دعاه إلى طعام، ثم ذكر فيما بعد أن اسمه سمعان. أما يوحنا فقد جعلها في ١٢/١ ـ ٤. في بيت صديقه لعازر الذي أقامه من بين الأموات.

٣ ـ المرأة التي وضعت الطيب على قدمي المسيح هي في إنجيل لوقا ٧/٣٧: امرأة خاطئة علمت بوجوده في بيت الفريسي، فجاءت ومعها قارورة طيب. وفي إنجيل يوحنا ١٢/٣ هي مريم زوجة صديقه. أما متى ومرقس فقد أبْهما، ولم يذكرا من هي المرأة، ولا من أين جاءت.

٤ ـ إن متى في ٢٦/٧ ومرقس في ١٤/٣ جعلا إفاضة الطيب على رأس المسيح. وجعلها يوحنا في ١٢/٣ على القدمين.

---

(١) مجلة الجامعة الإسلامية العدد ٤٩ ص ١٥٩ ندوة الخرطوم.

أما لوقا فذكر في ٧/٣٨ أنها وقفت خلفه عند قدميه تبكي وتبل قدميه بدموعها وتمسحهما بشعرها وتقبلهما وتدهنهما بالطيب. فهو دَهن، وليس سكباً أو إفراغاً.

٥ ـ جعل يوحنا في ١٢/٥ ثمن الطيب ثلاثمائة دينار، وبالغ مرقس في ١٤/٥ فقال: أكثر من ثلاثمائة دينار، وأبهم متى في ٢٦/٧ فقال بثمن كثير. وفي بعض الترجمات: غالي الثمن. أما لوقا فلم يتعرض لذلك.

٦٠ ـ أفاد متى في ٢٦/٨ أن المعترضين هم التلاميذ. وذكر يوحنا في ١٢/٤ أنه كان واحداً وهو يهوذا. وأبهم مرقس في ١٤/٤ فأفاد أنهم ناس من الحاضرين. أما لوقا فلم يتعرض لذلك[1].

وصفوة القول: إن الاختلاف والتناقض الذي يظهر في نواحٍ كثيرة بين إنجيل يوحنا والثلاثة المتوازية أو المتشابهة عظيم جداً. لدرجة أننا لو فرضنا أن الأناجيل المتشابهة صحيحة، لترتب على ذلك عدم صحة إنجيل يوحنا. والعكس صحيح.

فالأناجيل القانونية كتب ملفقة، كتبها أشخاص مجهولون في أماكن غير معروفة، وفي تواريخ غير مؤكدة. وهي ليست عرضة للخطأ والصواب فحسب بل إنها مضطربة ومتنافرة. ولا يمكن الادعاء، ولو للحظة، أنها كتبت بإلهام. فَضْلاً عن أن تكون من عند الله.

ومن الجدير بالذكر أن فكرة (دهن امرأة بالطيب لإله متجسد بناسوت) وثنية قديمة؛ قال ريس في كتابه (تاريخ الهند)[2]: «وأتي إلىٰ (كرشنة) بامرأة فقيرة مقعدة، ومعها إناء فيه طيب وزيت وصندل وزعفران وغير ذلك، فدهنت منه جبين كرشنة بعلامة خصوصية، وسكبت الباقي على رأسه». فهل يرجح هذا قول متى ومرقس بأن إفاضة الطيب كانت على الرأس لا على القدمين؟.

---

(١) إظهار الحق ١/١٣٤ طبعة قطر، مجلة الجامعة ص ١٥٩.

(٢) ٢/٣٢٠، انظر العقائد الوثنية في الديانة النصرانية لمحمد طاهر التنير ص ١٣٧ ـ ١٣٨.

إمكانية التحريف:

إن كون الإنجيل رسالة شفوية صرفة، ذكرها المسيح أمام تلاميذه ـ كما يقولون ـ ثم كتبها التلاميذ بلغات مختلفة إبان المحن والاضطهاد، يجعله عرضة للتحريف والتبديل. لا سيما وأن نسخ التوراة والإنجيل إنما كانت عند العلماء دون العامة. وهم لا يحفظون كتبهم في الصدور كحفظ عوام المسلمين لألفاظ القرآن ونقلهم لها بالتواتر حفظاً وكتابة[1].

ذكر الأب روجي في كتابه (مقدمة إلى الإنجيل)[2]: أنه في عصور ليست بعيدة تماماً، كان أغلبية النصارى لا يعرفون من الأناجيل إلا مقاطع مختارة تقرأ عند القداس أو المواعظ، كما أن كتب التعليم الديني لم تكن تحتوي إلا على مقاطع مختارة من الأناجيل. ولم يكن هناك تداول للنص بأكمله. إن قراءة الأناجيل بشكل كامل لم يكن أمراً سائداً، فيما عدا بعض المناسبات الدينية اهـ.

والأدهى من ذلك أن الكنيسة الرومانية كانت تمنع العامة من قراءة الكتب المقدسة وتقول: إن الشر الناتج عن قراءتها أكثر من الخير. ولما ظهرت فرقة

---

(١) الجواب الصحيح ٢/٢٣، هداية الحيارى ص ٥٨٩، من هو المسيح ص ٥.

(٢) انظر دراسة لموريس ص ٦٥.

البروتستانت، وأظهرت هذه الكتب ظهر ما ظهر. . ولذلك جاء في قانون المجمع التريدنيتي الذي ثبته البابا بعد نهاية المجمع ما يلي: إذا كان ظاهراً من التجربة إنه إذا كان الجميع يقرؤون في الكتب باللفظ الدارج، فالشر الناتج من ذلك أكثر من الخير. فلأجل هذا، ليكن للأسقف أو القاضي في بيت التفتيش سلطان حسب تمييزه بمشورة القس أو معلم الاعتراف، ليأذن في قراءة الكتابات باللفظ الدارج لأولئك الذين يظن أنهم يستفيدون. ويجب أن يكون الكتاب مستخرجاً من معلم كاثوليكي، والإذن المعطى بخط اليد، وإن تجاسر أحد فقرأ أو أخذ هذا الكتاب بدون إذن، فلا يسمح له بحل خطيئته حتى يرد الكتاب إلى الحاكم اهـ.

ومن المعلوم أنه لا يمتنع على الجماعة القليلة التواطؤ على تغيير بعض النسخ، ولا سيما إذا كان لا يطلع عليها إلا الخواص، وهي غير محفوظة غيباً. فإذا قصدت طائفة منهم تغيير نسخة أو نسخ عندهم، أمكنهم ذلك، ولا يذكرونه أمام عوامهم وأتباعهم. ثم إذا تواطأت طائفة أخرى معهم، أمكن ذلك من باب أولى.

وهذا واقع في العالم كثيراً؛ فاليهود تواطؤوا وتواصوا بكتمان نبوة المسيح ـ عليه السلام ـ وجحد البشارات به، وادعوا أنه طبيب ساحر ابن زانية، واشتهر ذلك بين طوائفهم في مشارق الأرض ومغاربها، مع رؤيتهم للآيات الباهرات التي أيده الله بها، وعلمهم أنه أبعد خلق الله مما رموه به. والنصارى يعلمون أكثر من غيرهم كم حرف اليهود من كتاب، وكم أخفوا من كتب من أجل معاندة الدين المسيحي وطمس الحقائق(1).

بخلاف القرآن الكريم، فإن كثيراً من المسلمين يحفظونه في صدورهم كاملاً، فضلاً عمن يحفظ بعضه. فلو عدمت المصاحف من الأرض كلها لم يقدح ذلك فيما حفظوه. بل عندهم من الأخبار عن نبيهم ﷺ ما هو متواتر وما

---

(1) الجواب الصحيح ٢/٢٣، هداية الحيارى ص ٥٨٩.

قامت دلائل صدقه بأسانيد صحيحة متصلة. وهم يتلون كتاب ربهم من الصدور والسطور آناء الليل وأطراف النهار، ولا سيما في رمضان. والإمام في الصلاة الجهرية، لا يكاد يقدم كلمة أو يؤخر كلمة أو ينسىٰ كلمة حتى ينبري له بعض المصلين من خلفه فيصوبوا قراءته. لأن أذنهم لا تطيق ذلك لذا كان تحريف القرآن أمراً مستحيلاً، لا سيما وقد تكفل الله بحفظه، فجعله ينقل بالتواتر حفظاً وكتابة من جيل إلى جيل، حتى في طريقة أدائه وتلاوته. قال سبحانه: ﴿ **إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون** ﴾ ـ الحجر: ٩ ـ

أما أهل الكتاب، فلو عدمت نسخ كتبهم لم يكن لديهم نقل صحيح باللفظ. وهذا ما حدث إبان الاضطهادات لدى كل من اليهود والنصارىٰ؛ فقد لوحق علماؤهم وأحرقت كتبهم، فانعدمت من الوجود. وكان لا يحفظها إلا قليل منهم ممن لا يوثق بحفظه، فضلاً عن أن تكون منقولة بسند صحيح. ناهيك عن ذكر التواتر.

إن المبدَّل أو المحرف في التوراة أو الإنجيل هو الكثير الغالب. والباقي على حاله هو القليل النادر؛ فقد يكون فيهما ما هو حكم الله. وبخاصة في باب الأمر والنهي، وإن كانت الألفاظ قد بدلت. بخلاف الأخبار والبشارات، فإن التغيير والتبديل اللفظي والمعنوي غالباً ما يقع فيها.

والتحريف في كتب النصارى كان أسرع وأظهر منه في كتب اليهود؛ فإنه لما كان الأنبياء في بني إسرائيل، كانوا هم المرجع للناس فيما يعتمدون عليه إذا غير بعض الناس شيئاً من الكتب، أو ضاع منها شيء. فلما انقطعت النبوة فيهم، أسرع التغيير في كتبهم. أما النصارىٰ فقد بدل أكثرهم كثيراً من دين المسيح بعد رفعه بقليل. واستمروا في التبديل إلى أن جعلوا الله ثالث ثلاثة. وبقيت طائفة منهم متمسكة بدين الحق إلى أن بعث خاتم النبيين محمد ﷺ فاتبعوه كما سبق في الكتاب الأول.

---

(١) الجواب الصحيح ١/٣٦٨ ـ ٣٦٩ و ٢/٨ و ١٣.

النصوص الدالة على وقوع التحريف:

دخل التحريف إلى الأناجيل منذ القرن الأول الميلادي؛ فقد كانت فترة الاضطهادات كافية لتمتد أيدي المحرفين والمبدِّلين إلى الكتب في ذلك الظلام الدامس، وتخرجه بالصورة التي تتفق مع أهوائهم. إن كثرة الأناجيل والرسائل التي أحضرت إلى مجمع نيقية تدل على مدى ما أصاب كتاب النصارىٰ من تحريف، فبعد أن كان واحداً غدا متعدداً. ولذلك وردت نصوص كثيرة تحذر من التحريف والمحرفين، سواء كان يقصد منها التحذير حقيقة، أو يقصد منها التستر وإبعاد الشبهة. ومن ذلك ما يلي:

١ ـ جاء في سفر الأعمال ٢٢/١٥ ـ ٢٥: فأجمع الرسل والشيوخ والكنيسة كلها على اختيار رجلين منهم يرسلونهما إلى إنطاكية مع برنابا وبولس.. وسلموا إليهم هذه الرسالة: من الرسل والشيوخ والإخوة إلى الإخوة المهتدين من غير اليهود في أنطاكية وسورية وكيليكية، سلام: سمعنا أن بعض الناس جاؤوا إليكم من غير توكيل منا، فأزعجوكم وأقلقوا أفكاركم بقولهم: يجب أن تختتنوا عملاً بالشريعة.

٢ ـ وجاء في رسالة بولس الثانية إلى كورنثوس ١٢/١١ ـ ١٣: وما أعمله الآن سأعمله حتى أبطل دعوى الذين يحاولون أن يدعوا فيما يفاخرون به أنهم يعملون مثلما نعمل. هم رسل كذابون وعاملون مخادعون يظهرون بمظهر رسل المسيح.

٣ ـ وجاء في رسالته إلى أهل غلاطية ٦/١ ـ ٩: عجيب أمركم! أبمثل هذه السرعة تتركون الذي دعاكم بنعمة المسيح، وتتبعون بشارة أخرىٰ؟ وما هناك بشارة أخرىٰ: بل جماعة كثيرة تثير البلبلة بينكم وتحاول تغيير بشارة المسيح. فلو بشرناكم نحن أو بشركم ملاك من السماء ببشارة غير التي بشرناكم بها، فليكن ملعوناً. قلنا لكم قبلاً، وأقول الآن: إذا بشركم أحد ببشارة غير التي قبلتموها منا، فاللعنة عليه.

وفي بعض الترجمات: إني أتعجب أنكم تنتقلون هكذا سريعاً عن الذي دعـاكم بنعمة المسيـح إلى إنجيل آخـر. ليس هو آخـر، غير أنـه يوجـد قـوم يزعجونكم، ويريدون أن يُحَوِّلوا إنجيل المسيح في الخفاء.

٤ ـ وفي رسالته الأولى إلى مريده تيموثاوس ١/٣ ـ ١١: طلبت منـك، وأنا ذاهب إلى مكدونية أن تبقىٰ في أفسس لتوصي بعض النـاس أن لا يعلموا تعاليم تخالف تعاليمنا، ولا يصغوا إلى الخرافات وذكر الأنساب التي لا نهايـة لها.. وهذه فضائل زاغ بعضهم عنها، وانحرفوا إلى الكلام الباطل مدعين أنهم من معلمي الشريعة. وهم لا يفهمون ما يقـولون ويؤكـدون.. لأننا نعـرف أن الشريعة ما هي للأبرار. بل للعصـاة والمتمردين.. ولكـل من يخالف التعليم الصحيـح الذي يـوافق البشـارة التي ائتمنت عليهـا، بشـارة الله المبـارك، لـه المجد.

ثم يختم الرسالة بقوله ٦/٢٠ ـ ٢١: يا تيموثاوس احفظ الوديعة وتجنب الكلام الفارغ والجدل الباطل الذي يحسبه الناس معرفة. وحين اتخذه بعضهم زاغوا عن الإيمان.

٥ ـ وجاء في الفقرتين ٩ ـ ١٠ من رسالة يوحنا الثالثة: كتبت بكلمة إلى الكنيسة. ولكن ديوتريفس الذي يجب أن يكـون رئيساً فيهم لا يقبلنـا. فإذا جئت ذكرت لكم تصرفه، وكيف يثرثر كلام السوء علينا. وهو لا يكتفي بهذا، بل يرفض أن يقبل الإخوة، ويمنع الذين يـريدون أن يقبلوهم، ويـطردهم من الكنيسة. وفي الترجمات السابقة: فإذا جئت فسأذكره بأعماله التي يعملها هاذراً علينا بأقوال خبيثة.

فهذه النصوص وأمثالها تدل على وجود بعض الناس الذين يعملون على تحريف الإنجيل في الخفاء منذ القرن الأول. وقد فعلوه. ولذلك حـذر بولس منهم، ومن كتبهم وأفكارهم. وليت شعري من هو المحرف الضال في الخفاء؟ أهو بولس ومن خُدع به أم أتباع المسيحيين الحقيقيين؟!

هذا. ومن المعروف أن رسائل يوحنا تهاجم مخالفي بولس. وأغلب الظن أن رسائل بولس والرسائل المنسوبة إلى يوحنا مصدرها واحد.

شهود على وقوع التحريف:

لقد شك كثير من المحققين في الأناجيل الأربعة. وأول من ارتاب في أمر الكتاب المقدس، واتهمه بالزيادة والنقصان وروايات الهوى والخيال والتناقض ومجافاته للحقائق العلمية هم النصارىٰ أنفسهم. وقد بدأ ذلك منذ عهد الأب أوغسطين في عصر ضارب في القدم، حيث رد ما لا حيلة له في تبريره إلى سبب إنساني[1].

قال إكهارن[2]: إن كثيراً من القدماء كانوا شاكين في الأجزاء الكثيرة من أناجيلنا هذه. وما قدروا على أن يفصلوا في الأمر.

ثم قال: إنه لا يمكن في زماننا أن يحرف إنجيل واحد، لأجل وجود صنعة الطبع. لكن حال الزمان السابق مخالف. لأن النسخة الواحدة المملوكة لشخص واحد، يمكن تحريفها. فإذا نقل عنها نسخ متعددة، ولم يُتحقق من أن هذه النسخة مشتملة على كلام المصنف فقط أم لا. فإن النقول - أي المحرفة - تنشر لأجل عدم العلم. وكثير من النسخ المكتوبة في الأزمنة المتوسطة موجودة الآن أيضاً. ومتوافقة في العبارات الإلحاقية أو الناقصة. ونرى كثيراً من المرشدين يَشْكون شكوى عظيمة من أن الكاتبين ومُلّاك النسخ حرفوا مصنفاتهم بعد مدة قليلة من تصنيفهم. كما يَشكون من أن تلامذة الشيطان أدخلوا فيها نجاسة، وأخرجوا بعض الأشياء، وزادوا بعضها من جانبهم.

وقال أيضاً: إن الناس الذين لم يكن لديهم استعداد للتحقيق، اشتغلوا من وقت ظهور الأناجيل بالزيادة والنقصان وتبديل لفظ بمرادف له على حسب

---

(١) مواجهة صريحة ص ٢٣٧.

(٢) انظر إظهار الحق ١/ ١٩٠.

علمهم. ولا تعجب من ذلك. فإن الناس اعتادوا من وقت دخول التاريخ الميلادي أن يبدلوا عبارات الوعظ والحالات المسيحية التي كانت عندهم على حسب علمهم. وهذا القانون الذي أجراه أهل الطبقة الأولىٰ، كان جارياً في الطبقة الثانية والثالثة. وكانت هذه العادة مشهورة في القرن الثاني، بحيث إن مخالف الدين المسيحي كان واقفاً عليها اهـ.

قال نورتن بعد أن نقل كلام إكهارن السابق: ولا يظنن أحد أن هذا رأي إكهارن وحده. لأن كتابه لاقىٰ قبولاً زائداً لدىٰ الألمان. وقد وافق رأيه كثير من علماء الألمان المتأخرين[١].

وقد ظهر من شهادة العالم الألماني إكهارن ثلاثة أمور:

١ ـ إن الإنجيل الأصلي قد فقد، والكتب المقدسة لم تكن محفوظة.

٢ ـ قد وقع التحريف في أربعة الأناجيل. وفيها أيضاً الروايات الصادقة والكاذبة.

٣ ـ ليس ثمة إشارة إلى هذه الأربعة قبل آخر القرن الثاني أو ابتداء القرن الثالث[٢]

وقال آدم كلارك في تفسيره[٣]: هذا الرسم من قديم الزمان أن الكبار يؤرخ لهم ناس كثيرون. وهذا هو حال المسيح. لكن صار أكثر بياناتهم غير صحيحة. وكانوا يكتبون الأشياء التي لم تقع، ويؤكدون وقوعها. وقد غلطوا في الحالات الأخرى عمداً أو سهواً. ولا سيما المؤرخون الذين كتبوا في الأرض التي كتب فيها لوقا إنجيله. فلأجل ذلك استحسن روح القدس أن يعطي لوقا علم جميع الحالات على وجه الصحة اهـ.

فأقر هذا المفسر بوجود الأناجيل الكاذبة المملوءة بالأغلاط قبل إنجيل لوقا. وأقر كذلك بعدم تحقيق مؤلفيها وبعدم ديانتهم.

---

(١) إظهار الحق ١/١٩١.

(٢) إظهار الحق ١/١٩٢.

(٣) المجلد الخامس ص ٣٦٦ انظر إظهار الحق ١/٢٩١.

وقال أيضاً[1]: هذا الأمر محقق أن الأناجيل الكثيرة الكاذبة كانت رائجة في أول القرون النصرانية. وكثرة الأحوال الكاذبة هيجت لوقا على تحرير الإنجيل. وهناك ذكر لأكثر من سبعين من هذه الأناجيل الكاذبة. والأجزاء الكثيرة من هذه الأناجيل باقية. وكان (فابري سيوس) جمع هذه الأناجيل الكاذبة، وطبعها في ثلاثة مجلدات، وبين في بعضها وجوب إطاعة الشريعة الموسوية ووجوب الختان مع إطاعة الإنجيل اهـ.

وذكر أسقف الروم كليمنس أنه كان في آخر القرن الثاني أناس يحرفون الأناجيل. ولولا وقوع التحريف لما ختم كثير من المصنفين في ذلك الزمن كتبهم باللعن على من يحرف كلامهم[2].

إن قراءة النصوص الكاملة للأناجيل تثير اضطراباً عميقاً لدى النصارىٰ. بل إن كثيراً من قراء الأناجيل يشعرون بالحرج والحيرة عندما يتأملون في معنى بعض الروايات، أو عندما يقارنون روايات مختلفة لحديث واحد مروي في عدة أناجيل. وقد اعترف بذلك الأب روجي الذي كان مكلفاً لسنوات طويلة بالرد على قراء الأناجيل الذين تحيرهم النصوص، في جريدة أسبوعية كاثوليكية. وقد ذكر في كتابه (مقدمة إلى الإنجيل) أن طلبات الشرح التي تبعث إليه، كانت تنصب على نصوص يراها القراء مبهمة غير مفهومة، بل متناقضة وعبثية أو فاضحة[3].

لا شك في أن مثل هذا الكلام يضايق النصراني العادي، وقد يصدمه. بيد أن العلماء المدققين من النصارىٰ أصبح لديهم القول بوجود أخطاء وتناقضات، وأمور غير معقولة، ودعاوى تتعارض مع المعطيات التي أثبتها العلم

---

(١) في المجلد السادس انظر إظهار الحق ١/٢٩٢.

(٢) إظهار الحق ١/١٩١.

(٣) دراسة لموريس ص ٦٥.

الحديث، أصبح أمراً مقبولاً وحقيقة مسلماً بها[1].

إن مؤلفات مدرسة الكتاب المقدس بالقدس للأبوين (بينو) و (بوامار) تثبت جيداً أن الأناجيل قد كتبت ونقحت وصححت أكثر من مرة. ولهذا ينذر الكاتبان قارىء الإنجيل بأن عليه أن يتخلىٰ في أكثر من حالة عن سماع صوت المسيح المباشر[2].

أما القَس الكندي غاري مولّر الذي اعتنق الإسلام وتسمى باسم (عبد الله عمر) بعد أن قضىٰ عمراً طويلاً يعمل في حقل الكنيسة الكاثوليكية في كندا قسيساً ومبشراً. فيقول عن نفسه: إنه كان دائماً مولعاً بدراسة الأديان، وبخاصة الدين النصراني الذي تفقه فيه إلى درجة أوصلته إلى حقيقة هامة، ألا وهي وجود كثير من التناقضات في الكتاب المقدس بعهديه تَرِدُ عن كثير من المفهومات. وكلما تعمق في دراسة الدين النصراني، وجد أن مشاكله تزيد. فصار يسأل أولي العلم، فلا يجد منهم إجابة شافية. وكثرت مجادلاته مع رجال الدين النصراني إلى أن هداه الله إلى القرآن الكريم. فبدأ في دراسته، وإذا بإجابات أسئلته واستفساراته قد ظهرت له في جلاء الصبح بعد الظلمة. وهو منذ أن أسلم عاكف على التنقل بين البلاد التي تتكلم الإنكليزية يدعو إلى الله على بينة وبصيرة[3].

ومن قبله القَس الأسباني إنسلم تورميداً الذي اعتنق الإسلام وتسمىٰ باسم (عبد الله الترجمان) بعد أن طلب العلم في مدينة (ميورقة) منذ أن بلغ ست سنين. وانقطع لطلب العلم فترة طويلة استطاع في أثنائها أن يصحب أساطين العلم بالديانة النصرانية وقتئذٍ، وعلى رأسهم (نقلادمرتيل) الذي كانت منزلته في العلم والدين رفيعة جداً. ثم دخل إنسلم في الإسلام من جراء

---

(١) دراسة لموريس ص ١٣ و ١٣٠، مجلة الجامعة ص ١٥٩ ندوة الخرطوم.

(٢) دراسة لموريس ص ١٣١.

(٣) مجلة النور الكويتية العدد (٢١) رمضان سنة ١٤٠٥ هـ.

استفسار وقع له مع أستاذه (نقلاد) حول كلمة (فارقليط) كما سلف في الكتاب الأول.
وقد بين في كتابه تحفة الأريب أن كُتاب الأناجيل اختلفوا في أشياء كثيرة، وضرب لذلك أمثلة واسعة، وبين أنهم لو كانوا على الحق لما اختلفوا في شيء[1].

إن كثيراً من العلماء والمفكرين عندما يتجردون من الأهواء والعصبية لا يترددون في اختيار ما يرونه حقاً. ومن أمثلة ذلك في القديم عبد الله بن سلام الذي كان يهودياً، وأصحمة النجاشي الذي كان نصرانياً، وسلمان الفارسي الذي كان مجوسياً وغيرهم كما سلف.

ومن أمثلة ذلك في عصرنا الفيلسوف الفرنسي روجيه جارودي والعالم الطبيب الفرنسي موريس بوكاي الذي درس الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة، ثم ألَّف كتاباً في ذلك صدر باللغة الفرنسية، ثم ترجم إلى اللغة العربية وغيرها من اللغات الحية. واسمه: (القرآن والتوراة والإنجيل والعلم) وقد أثبت بالأدلة العلمية أن القرآن الكريم هو الكتاب المقدس الوحيد الذي خلا من التحريف والتبديل. ومما جاء في هذا الكتاب: إنا لنأسف حقاً لذلك الموقف الذي يهدف إلى تبرير الاحتفاظ في نصوص التوراة والإنجيل ببعض المقاطع الباطلة، خلافاً لكل منطق. إن ذلك موقف يسيء إلى الإيمان بالله لدى بعض العقول المثقفة. وإذا كان بعضهم قادراً على فضح بعض مواطن الضعف من هذا النوع. فإن الغالبية من النصارىٰ لم تدرك حتى الآن وجود هذا الضعف. وظلت في جهالة تامة من أمر ذلك التناقض[2].

وجاء فيه أيضاً: إن خيالات متى والتناقضات الصارخة بين الأناجيل، والأمور غير المعقولة، وعدم التوافق مع معطيات العلم الحديث، والتحريفات

---

(١) تحفة الأريب ص ٣٤ ـ ٣٨ وص ١١٢.
(٢) دراسة لموريس ص ١٠.

المتوالية. كل هذا يجعل الأناجيل تحتوي على أبواب وفقرات تنبع من الخيال الإنساني وحده[1].

ونختم القول بما جاء في دائرة المعارف البريطانية[2]:

«أما موقف الأناجيل، فعلى العكس من رسائل بـولس: إذ إن التغييرات الهامة قد حدثت عن قصد. مثل إضافة أو إدخال فقرات بأكملها».

---

(١) المرجع السابق ص ١٣١.

(٢) مجلة الجامعة العدد ٤٩ ص ١٥٤ ندوة الخرطوم.

تسرب الأفكار الغريبة إلىٰ كتبهم المقدسة

لقد أصبح من المؤكد لدى الباحثين أن عقيدة التثليث التي طرأت على المسيحية كان لها وجود في بعض الديانات الوثنية القديمة مثل الديانة المصرية والهندية والبوذية ، وكذلك في الفلسفة الأفلاطونية في مدرسة الإسكندرية .

والتشابه بين الديانات الوثنية لا يخفىٰ أمره . وأسبابه عديدة . أهمها انتشار إحدى الأمم القوية في الأرض وبسط نفوذها على غيرها . فإنها تنشر ديانتها وعلومها معها ، وفي الوقت نفسه يتسرب إلى دينها من تعاليم الأديان الأخرىٰ ما يتسرب . ونظراً لما كانت عليه الأمم القديمة من الجهل في كثير من الأحيان ، فإنها كانت تقبل بغير تردُّد ما تقوله كهنتها .

قال موريس في كتابه (الآثار الهندية القديمة)[1] : كان عند أكثر الأمم البائدة الوثنية تعاليم دينية جاء فيها القول باللاهوت الثالوثي .

وجاء في كتاب (سكان أوروبا الأول)[2]: كان الوثنيون القدماء يعتقدون بأن الإله واحد، لكنه ذو ثلاثة أقانيم.

---

(١) ٦/٣٥ ، انظر كتاب العقائد الوثنية في الديانة النصرانية لمحمد طاهر التنير ص ١٨ طبعة بيروت عام ١٣٣٠هـ.

(٢) ص ١٩٧ ، المرجع السابق ص ١٩ .

التثليث عند الهنود :

قال العلامة (دوان) في كتابه (خرافات التوراة وما يماثلها في الديانات الأخرىٰ)[1] : إذا أرجعنا البصر نحو الهند نرىٰ أن أعظم وأشهر عباداتهم اللاهوتية هو التثليث . ويدعون هذا التعليم بلغتهم (ترى مورتي) وهما كلمتان سنسيكريتيتان معناهما : ثلاث هيئات . وهي : (برهمة) أي الرب ، ويمثل مبادىء التكوين والخلق . و (فشنو) أي المخلص ، ويمثل مبادىء الحماية والحفظ . و (سيفا) أي المهلك والمبدىء والمعيد . ويدعونه أيضاً (كرشنا) أي الروح العظيم . وهم يعبرون عنه بصورة حمامة ، ويقصدون بها الرمز عن الإعادة والخلق الجديد . وفي كتبهم المقدسة أن هذا الثالوث غير منقسم في الجوهر والفعل والامتزاج .

وقال ألن في كتابه (الهند)[2] : يقول البرهميون في كتبهم : إن أحد الأتقياء رأى أنه من الواجب أن تكون العبادة لإله واحد ، فتوسل ببرهمة وفشنو وسيفا قائلاً : أيها الأرباب الثلاثة اعلموا أني أعترف بوجود إله واحد ، فأخبروني أيكم الإله الحقيقي ، لأقرب له نذري وصلاتي ؟ فظهرت له الآلهة الثلاثة ، وقالوا له : اعلم أيها العابد أنه لا يوجد فرق حقيقي بيننا . وما تراه من ثلاثة ، فما هو إلا بالشكل . والكائن الواحد الظاهر بالأقانيم الثلاثة هو واحد بالذات .

وقال المستر هلسلي ستيفنس في كتابه (الإيمان والعقل)[3] : يعتقد الهنود بإله مثلث الأقانيم . وإذا أرادوا التكلم عنه بصفة الخلاق قالوا : الإله برهمة ، وبصفة المهلك قالوا : سيفا أو مهديفا ، وبصفة الحافظ قالوا الإله فشنو .

---

(١) ص ٣٦٦ ، المرجع السابق ص ١٩-٢١ .

(٢) ص ٣٨٢، المرجع السابق ص٢١-٢٢ .

(٣) ص ٧٨، المرجع السابق ص ٢٤-٢٥ .

وقال العلامة موريس في كتابه (الآثار الهندية القديمة)[1] : لقد وجدنا بأنقاض هيكل قديم صنماً له ثلاثة رؤوس على جسد واحد ، والمقصود منه التعبير عن الثالوث . وهي في أحد معارض الهند .

التثليث عند البوذيين :

قال العلامة دوان[2] : البوذيون هم أكثر سكان الصين واليابان ، ويعبدون إلهاً مثلث الأقانيم يسمونه الثالوث النقي (فو) . ويصورونه في هياكلهم بشكل الأصنام التي وجدت في الهند ، ويقولون أيضاً : (فو) واحد ، لكنه ذو ثلاثة أشكال . وفي أحد المعابد المختصة ببوتالا في منشوريا يوجد تمثال لـ (فو) مثلث الأقانيم .

وقال المستر فابر في كتابه (أصل الوثنية)[3]: الصينيون يعبدون بوذا، ويسمونه (فو).

وأضاف دوان فقال[4]: وأنصار الفيلسوف الصيني المشهور (لأوكو متذا) الذي كان قبل المسيح بـ (٦٠٤) سنة ، يعبدون إلهاً مثلث الأقانيم يسمونه (تاوو) . وأساس هذه الفلسفة اللاهوتية أن (تاوو) وهو العقل الأبدي ، انبثق منه واحد ، ثم من هذا الواحد انبثق ثانٍ ، ومن الثاني انبثق ثالث . ومن هذه الثلاثة صدر كل شيء .

التثليث عند المصريين :

وكان المصريون أيضاً يعبدون إلهاً مثلث الأقانيم ؛ فقد كان لكل مدينة هامة من مدنهم ثالوث من الآلهة تختص بعبادته . ومن أمثلة ذلك : ثالوث

---

(١) ٣٧٢/٤ ، المرجع السابق ص ٢٢ .

(٢) في كتابه ص ٣٧٢ ، ونحو ذلك قال دافيس في كتابه (الصين) ١٠١/٢و١٠٣. انظر العقائد الوثنية ص ٢٣ .

(٣) انظر العقائد الوثنية ص ٢٣ .

(٤) ص ١٧٢ . انظر المرجع السابق ص ٢٤ .

(طيبة) ويتكون من (آمون) الأب ، و (مون) الأم ، و (خنسو) الابن . وثالوث (أبيدوس) ويتألف من (أوزوريس) الأب ، و (إيزيس) الأم ، و (حوريس) الابن . وهم يعتقدون أن الثلاثة يعملون معاً . ويرجح العلماء أن الرمز المصور في أقدم هياكلهم ؛ من جناح طير ، ووكر ، وأفعىٰ ما هو إلا إشارة إلى ذلك الثالوث واختلاف صفاته[1] .

قال دوان[2] : كان كهنة هيكل منفيس بمصر يعبرون عن الثالوث المقدس للمبتدئين بأن الأول خلق الثاني ، والثاني مع الأول خلقا الثالث . وبذلك تم الثالوث المقدس .

قال الكاهن تنيشوكي لملك مصر توليسو : يوجد أولاً الله ، ثم الكلمة ، ومعهما روح القدس . ولهؤلاء الثلاثة طبيعة واحدة ، وعنهم صدرت القوة الأبدية .

ولا ريب أن تسمية الأقنوم الثاني من الثالوث المقدس (كلمة) هي من أصل وثني مصري ، دخل في غيره من الديانات . وفي علم اللاهوت الإسكندري الذي كان يعلمه (بلاتو) قبل المسيح بسنين عديدة : « الكلمة هي الإله الثاني ، ويدعى أيضاً ابن الله البكر»[3] .

قال العلامة (بونيك) في كتابه (اعتقاد المصريين)[4] : وأغرب عقيدة عم انتشارها في ديانة المصريين القدماء قولهم (بلاهوت الكلمة) وأن كل شيء صار بوساطتها ، وأنها منبثقة من الله ، وأنها الله . وكان (بلاتو) عارفاً بهذه العقيدة الوثنية ، وكذلك (أرسطو) وغيرهما . وكان ذلك قبل التاريخ الميلادي بسنين . . وقال أيضاً : يوجد في الكتب الدينية للمصريين القدماء هذه

---

(١) منه ص ٢٤ ، تاريخ الأقباط ١/٣٦ـ٣٧ .

(٢) في كتابه ص ٤٧٣ . المرجع السابق ص ٢٦ .

(٣) الآثار الهندية ص ١٢٧ . انظر العقائد الوثنية ص ٢٦ـ٢٧ .

(٤) ص ٤٠٢ ثم ٤٠٤ . انظر العقائد الوثنية ص ٢٧ـ٢٨ .

الجملة : « إني أعلم بسر لاهوت الكلمة ، وهي كلمة رب كل شيء ، وهو الصانع لها » فالكملة هي الأقنوم الذي بعد الإله . وهي غير مخلوقة ، وهي الحاكم المطلق على كافة المخلوقات .

التثليث عند اليونان :

وكان اليونانيون القدماء يقولون أيضاً بإله مثلث الأقانيم . وكان رجال دينهم إذا شرعوا بتقديم الذبائح يرشون المذبح بالماء المقدس ثلاث مرات ، ويرشون كذلك المجتمعين حول المذبح بالماء ثلاث مرات ، ويأخذون البخور بثلاث أصابع[1] .

وهذا التعليم الثالوثي أصله من مصر ؛ فكثير من الآباء في الجيل الثالث والرابع قالوا : إن فيثاغورس وهيركليتوس وبلاتو عَلّموا التثليث ، وقد أخذوا فلسفتهم في الثليث عن أورفيوس، وهو أحد الكتاب والشعراء اليونانيين الذين كانوا قبل المسيح بعدة قرون . ومن أقواله : كل الأشياء عملها الإله الواحد ، مثلث الأسماء والأقانيم[2] .

الأفلاطونية الحديثة وأثرها في النصرانية :

إن من عوامل فساد دين النصارى وتحريف كتبهم، تلك الطوائف المدلّسة التي فشا دخولها في الديانة النصرانية عندما تنصر قسطنطين . فاستطاعوا أن يُدخلوا إلى عقائد النصارى ما أحبوا عبر القرون . والديانات التي كانت سائدة في بلاد الرومان في القرن الثاني والثالث ثلاث : الوثنية الرومانية واليهودية ودين الحق الذي نادى به المسيح ـ عليه السلام ـ ، أو ما يسميه بعضهم بالمسيحية الناشئة ـ[3] وفي هذه الأثناء كانت فلسفة المدرسة الإسكندرية

---

(١) العقائد الوثنية ص٢٩ اقتباساً عن ترقي الأفكار الدينية ١/ ٣٠٧.

(٢) العقائد الوثنية ص ٢٩ .

(٣) الفصل ٢/ ٢٢ ، محاضرات في النصرانية ص ٤٣.

تتسرب إلى العالم كله ، لا سيما وقد أوى إليها فلاسفة اليونـان ومن تبعهم . وكان شيخ هذه المدرسة أمنيوس المتـوفىٰ سنة ٢٤٢ م . وقـد اعتنق في صدر حياته الدين الذي جاء به المسيح ـ عليه السلام ـ ثم ارتد إلى وثنية الأقدمين . وجاء من بعده تلميذه أفلوطين المتوفىٰ سنة ٢٧٠ م ، وكان قد تعلم في مدرسة الاسكندرية ، ثم رحل إلى بلاد فـارس والهند ، فـاستقى من ينابيـع الصوفيـة الهنـدية ، واطلع على تعـاليم بوذا وديـانـة بـراهمـة في الهنـد ، ثم عـاد إلى الإسكندرية ، وأخذ يلقي بآرائه على تلاميذه . وأكثرها يتجه إلى تعرف ما وراء الطبيعة . وكان اعتقاده في منشيء الكون يتلخص في ثلاثة أمور هي :

١ ـ المنشيء الأول : فالكون قد صدر عن منشيء أزلي دائم ، لا تدركه الأبصار ، ولا تحده الأفكار ، ولا تصل إلى معرفة كنهه الأفهام .

٢ ـ العقل الذي تولد منه كما يتولد الولد من أبيه : وهو أول شيء صدر عن المنشيء في نظر أفلوطين ، كأنه تولد منه . ولهذا العقل قوة الإنتاج لكنـه ليس كمن تولد عنه .

٣ ـ الروح الذي يتصـل بكل حي ، ومنـه الحياة : فمن العقـل انبثقت الـروح التي هي وحدة الأرواح . وجميـع الأرواح شعب لروح واحـدة تتصـل بالمنشيء الأول بوساطة العقل[1] .

وعن هذا الثالوث يصدر كل شيء، ومنه يتولد كـل شيء . والعالم في تدبيره وتكوينه خاضع لهذه الثلاثة ، وهو تحت سلطانها . وهي كما ترى قريبة جداً من ثالوث الوثنيين القدماء ، وقريبة جداً من ثالوث النصارى الـذي وضع أساسه في مجمع نيقية المنعقد عام ٣٢٥م . وقد كان بطريرك الإسكندرية رئيساً لهذا المجمع ، وهو صاحب فكرة التثليث ولعن آريوس الذي يقول بالتوحيد .

---

(١) محـاضرات في النصـرانية ص ٤٣-٤٤ وانـظر ص ١٦٢ . ولفظ الروح يـذكر ويؤنث . والجمع : أرواح.

فهل عملت الفلسفة علىٰ إيجاد ديانة تجمع بين المسيحية واليهودية والوثنية ؟؟ .

إن أفلوطين مات سنة ٢٧٠ م ، والتثليث النصراني ابتدأ في مجمع نيقية عام ٣٢٥ م ، وتكامل في آخر القرن الرابع . فالمتقدم أستاذ المتأخر . ومن ثم تكون النصرانية التي تؤمن بالتوراة التي عند اليهود على اختلاف هين ، وتؤمن بالتثليث المستمدة أصوله من الديانات الوثنية القديمة ، وبألوهية المسيح وتقديس الصليب ، تكون هي النظام الديني الجامع بين الأديان الثلاثة ، والذي عملت الفلسفة على إيجاده. ولقد قوي هذا الظن عند بعض علماء أوروبة، حتى شك بعضهم في حياة المسيح نفسه ـ عليه السلام ـ فظن أنه شخص لا وجود له ، أراد بعض فلاسفة الأفلاطونية الحديثة أن يفرضوه ، ليجعلوا من آرائهم المستقاة في الفلسفة الإغريقية القديمة ، ولا سيما آراء أفلاطون ، ديانةً يعتنقها العامة ، وتسود الكافة[١] .

مجمع القسطنطينية الأول وتكامل التثليث :

وهكذا تم التلفيق أو التهجين، ووُلدت الديانة النصرانية ذات اللاهوت المقتبس من الأفلاطونية الحديثة . ولذلك تجد بينهما مشابهات كثيرة ، وإن افترقا أحياناً في بعض التفاصيل ، فإنهما يرتكزان على عقيدة التثليث ، وثلاثة الأقانيم واحدة فيهما . جاء في قرار مجمع نيقية عام ٣٢٥ م ما يلي : إن الجامعة المقدسة والكنيسة الرسولية تحرم كل قائل بوجود زمن لم يكن فيه ابن اللهموجوداً ، وأنه لم يوجد قبل أن يولد ، وأنه وجد من لا شيء . أو من يقول : إن الابن وجد من مادة أوجوهر غير جوهر الأب . وكل من يؤمن أنه خلق ، أو من يقول : إنه قابل للتغيير ، ويعتريه ظل دوران[٢] .

---

(١) محاضرات في النصرانية ص ٤٦ـ٤٧ .

(٢) منه ص ٤٥ و ١٥٤ و١٦٢ .

لكن مجمع نيقية لم يتعرض للروح القدس : أهو إله أم روح مخلوق ، وليس بإله ؟ فدبّ الخلاف من جديد بين النصارى . وكان مجمع القسطنطينية الأول سنة ٣٨١ م ، وأعطيت الرياسة فيه لأسقف القسطنطينية . غير أن ممثل كنيسة الإسكندرية كان هو المقدم في المناقشة وتقرير الرأي الذي انفض عنه المؤتمر بعد ذلك .[١]

يقول ابن البطريق[٢] : قال ثيموثاوس بطريرك الاسكندرية : ليس روح القدس عندنا بمعنى غير روح الله ، وليس روح الله شيئاً غير حياته . فإذا قلنا : إن روح الله مخلوق ، فقد قلنا : إن حياته مخلوقة . وإذا قلنا : إن حياته مخلوقة ، فقد زعمنا أنه غير حيّ . وإذا زعمنا أنه غير حي فقد كفرنا به . ومن كفر به وجب عليه اللعن .

ويقول ابن البطريق أيضاً : زادوا في الأمانة التي وضعها (٣١٨) أسقفاً في مجمع نيقية ما يلي : « بالروح القدس الرب المحيي المنبثق من الآب ، الذي هو مع الآب والابن مسجود له وممجد » . وثبتوا أن الأب والابن والروح القدس ثلاثة أقانيم ، وثلاثة وجوه ، وثلاث خواص . وحدية في تثليث ، وتثليث في وحدية . كيان واحد في ثلاثة أقانيم . إله واحد ، جوهر واحد ، طبيعة واحدة ١ هـ .

ولذلك قال الباحث الغربي الفريد إ . كارفي[٣] : إن فلسفة الإغريق والقانون الروماني جعلا الإنجيل لا يمثل حقيقته ، كما أثرا في تدوينه . والباحث المنصف في تاريخ الكنيسة لا يستطيع ولا للحظة واحدة أن ينكر أن آراء مزيفة وأغراضاً غير كريمة ومقاصد خاطئة ، كانت أسباباً رئيسية ومسيطرة أحياناً ، دفعت إلى هذا التبديل الذي حدث في الأناجيل .

---

(١) منه ص ١٦٣ .

(٢) منه ص ١٦٣-١٦٤ .

(٣) المسيحية لأحمد شلبي ص ٢١٥ .

وجاء أيضاً في دائرة المعارف البريطانية[1] : أما موقف الأناجيل ، فعلى العكس من الرسائل ، إذ إن التغييرات الهامة قد حدثت عن قصد ، مثل إضافة فقرات بأكملها .

ضياع التوحيد بسبب التحريف :

إن الاضطهادات التي نزلت بالمسيحيين ، ومصادرة الكتب وإتلافها بأمر الرومان ، وتحريفها من قبل الأيدي العابثة . كل هذا جعل مصادر المسيحية يعتريها الشك . ومن وراء ذلك نفذت الأهواء والأساطير إلى القلوب ، وأخذت تنال من المسيحية وصميمها من غير أن يُعقّب معقب بنص قاطع معتمد ، أو كتاب ثابت السند . وكل نحلة تدعي ما تدعيه ، فلا تجد لها رداً من نص . وهي تروج لدى العامة لا بقوة الدليل وثبوت النص . بل بقوة الداعي ومقدار لحنه بالحجة الباطلة ، وبمقدار نشاطه وبيانه وسعة حيلته ودهائه ، ودربته على جذب الجماهير .

كان العامة بين حبلين قويين : حبل التوحيد ، ومعه العقل والأصل . وحبل آخر اجتذب العامة بعاملين عامل الاستهواء والعاطفة في تقديس المسيح ومحبته . وعامل السلطان والجاه ترغيباً وترهيباً . كل هذا مع فقد الكتب القاطعة في الاستدلال ، والتي توقف المغالين عند حد الاعتدال .

كانت كِفة التوحيد هي الراجحة . لكن بعد مجمع نيقية أُخْفتت أصوات المنادين به ، وحيل بينهم وبين ما يدعون إليه . وشيئاً فَشيئاً صار العامة لا يسمعون إلا جانباً واحداً[2] .

ولذلك صرخ كثير من العلماء المعاصرين بأن المسيح لم يكن إلا بشراً رسولاً ؛ فهذا رينان قد جهد بذلك، ولم يمنعه حرمان الكنيسة له من الإصرار على رأيه والذود عنه .

---

(١) مجلة الجامعة العدد ٤٩ ص ١٥٤ ندوة الخرطوم

(٢) محاضرات في النصرانية ص ١٨٨-١٨٩ .

أما تولستوي فيقول : إنه ينبغي لفهم تعليم يسوع المسيح الحقيقي كما كان يفهمه هو ، أن نبحث في تلك التفاسير والشروح الطويلة التي شوهت وجه التعليم المسيحي حتى أخفته عن الأبصار تحت طبقة كثيفة من الظلام . ويرجع بحثنا إلى أيام بولس الذي لم يفهم تعليم المسيح فحسب ، بل حمله على محمل آخر، ثم مزجه بكثير من تقاليد الفريسيين وتعاليم العهد القديم . وبولس كما لا يخفى كان رسولاً للأمم ، أو رسول الجدال والمنازعات الدينية . فأدخل أمياله هذه على الدين المسيحي فأفسده . ومن عهده ظهر التلمود المعروف بتعاليم الكنائس . وأما تعليم المسيح الأصلي الحقيقي ، فخسر صفته الإلهية الكمالية . بل أصبح إحدى حلقات سلسلة الوحي التي أولها منذ ابتداء العالم ، وآخرها في عصرنا الحالي . والمستمسكة بها جميع الكنائس . وإن أولئك الشراح والمفسرين يدعون يسوع إلهاً دون أن يقيموا على ذلك الحجة ، ويستندون في دعواهم على أقوال وردت في خمسة أسفار موسىٰ والزبور وأعمال الرسل ورسائلهم وتأليف آباء الكنيسة ، مع أن تلك الأقوال لا تدل أقل دلالة على أن المسيح هو ابن الله[1] .

وصفوة القول : إن الناظر في الأناجيل يجد فيها أن النصوص القليلة التي تشير إلى ربوبية المسيح مقحمة إقحاماً . وهي متضاربة مع نصوص أوضح منها وأصرح تدل دلالة قاطعة على أن المسيح إنما هو بشر مرسل بمشيئة الله ، يقر ويعترف بأن هناك أموراً كثيرة لا يعلمها إلا الله الذي أرسله. وإزاء هذا التضارب يكون الباحث مضطراً إلى أن يأخذ بأحد النصين، أو يتركهما معاً.

---

(١) المرجع السابق ص٢٣٠ .

نماذج من التناقض والتحريف في الأناجيل

يزعم النصارى أن أربعة أناجيلهم القانونية تتفق في الجوهر والعقيدة والتشريع والأخلاق . وإن كانت تختلف في بعض التفاصيل .

والواقع الذي لا يجحد أن هذه الأناجيل تختلف عن بعضها اختلافاً كبيراً من حيث التعارض المعنوي والتفاوت اللفظي زيادة ونقصاناً . بل هي كتب مضطربة غير متآلفة . وهي تتناقض مع حقائق العالم الخارجي ، وفيما بينها ، بل حتى مع نفسها ، ولا ريب أن الاختلاف والتناقض دليل الوضع . لأن ما كان من عند الله لا تختلف معانيه ، ولا تضطرب مبانيه « ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كبيراً » وإن الواقف على الأناجيل ليثبت له اضطرابها وتعارضها من ثلاثة وجوه : تعارضها مع العهد القديم . وتعارضها فيما بينها . وتعارضها مع الحقائق والوقائع . وإليك تفصيل ذلك .

أ ـ تعارض الأناجيل مع العهد القديم

إن تعارض الأناجيل مع العهد القديم واختلافها معه في الحقائق والوقائع كثير جداً ؛ فما أكثر ما ينقل كتاب الأناجيل نصوصاً من العهد القديم ، فينسبونها لسفر أو نبي وهي لغيره ، أوليس لها وجود فيه . وكثيراً ما يشوهون النص ، فلا يكتبونه على وجهه الصحيح . بل يحرفونه لفظاً ومعنى ليستدلوا به على ما وضعوا من عقائد . والأمثلة التالية توضح ذلك :

عما نوئيل ليس اسماً للمسيح :

جاء في إنجيل متى ١/٢٢-٢٣ : « حدث هذا كله ليتم ما قاله الرب بلسان النبي : ستحبل العذراء ، فتلد ابناً يدعىٰ (عمانوئيل) أي الله معنا » .

والمراد بالنبي عند علمائهم إشعياء ، فقد ورد في السفر المنسوب إليه ١٤/٧ : « لأجل هذا يعطيكم الرب علامة : ها العذراء تحبل وتلد ابناً . ويدعىٰ اسمه عمانوئيل » . وهم يعنون بذلك المسيح ـ عليه السلام ـ وهذا غلط من الوجوه التالية :

١ ـ إن اللفظ الذي ترجمه الإنجيلي ومترجم كتاب إشعياء بالعذراء هو اسم علم مؤنث . ومعناه عند علماء اليهود : المرأة الشابة . سواء أكانت عذراء أم لا . وقد وقع هذا اللفظ في ٣٠/١٨-١٩ من سفر الأمثال : ثلاثة عجيبة فوقي ، وأربعة لا أعرفها : طريق نَسر في السماوات ، وطريقَ حية على صخر ، وطريق سفينة في قلب البحر ، وطريق رجل بفتاة .

وقد فسر أيضاً كلام اشعيا بالمرأة الشابة في التراجم اليونانية التالية : ترجمة انكوئلا سنة ١٢٩ م ، وترجمة تهيودوشن سنة ١٧٥ م ، وترجمة سميكس سنة ٢٠٠ م .

فعلى تفسير علماء اليهود الذين هم أهل اللسان ، والتراجم اليونانية الثلاث ، ظهر فساد كلام متىٰ .

٢ ـ لم يسم أحد المسيح ـ عليه السلام ـ بعمانوئيل . بل سمي يسوع وعيسى والمسيح . ففي متى ٢١/١ : « وستلد ابناً تسميه يسوع » . ولم يدّع المسيح في حين من الأحيان أن اسمه عمانوئيل .

٣ ـ إن القصة الواردة في سفر إشعيا ، والتي وقع فيها هذا الكلام ، تأبى أن يكون المسيح مصداق هذا الكلام ؛ فقد جاء فيها : أن (راصين) ملك آرام و (فافاح) ملك إسرائيل ، جاءا إلى أورشليم لمحاربة (آحاز بن يونان) ملك يهوذا . فخاف من اتفاقهما خوفاً شديداً . فأوحى الله إلى إشعيا أن يقول له : لا تخف ، فإنهما لا يقدران عليك ، وستزول سلطتهما . وعلامة زوال ملكهما

أن تحبل امرأة شابة وتلد ابناً . . وتصير أرض هذين الملكين خربة قبل أن يميز هذا الابن الخير من الشر .

وقد ثبت أن أرض (فافاح) خربت بعد إحدى وعشرين سنة من هذا الخبر ، فلا بد أن يولد هذا الولد قبل هذه المدة ، وتخرب المملكة قبل تمييزه . والمسيح ـ عليه السلام ـ ولد بعد (٧٢١) من خرابها . ولذلك اختار بعض علماء أهل الكتاب أن اشعيا يريد بالمرأة الشابة زوجته . كما صرح الدكتور (بلسن)[١] .

لم يكن مع داود أحد :

جاء في إنجيل متى ١٢/٣ـ٤ : أما قرأتم ما عمل داود عندما جاع هو ورجاله ؟ كيف دخل بيت الله ؟ وكيف أكلوا خبز القربان ؟ وأكله لا يحل لهم . بل للكهنة وحدهم .

وفي مرقس ٢/٢٥ـ٢٦ : فقال لهم : أما قرأتم ما عمل داود عندما أحوجه الجوع هو ورجاله ؟ كيف دخل بيت الله في أيام أبياثار رئيس الكهنة ، فأكل خبز القربان ، وأعطى منه رجاله ؟ وأكله لا يحل إلا للكهنة .

وفي لوقا ٦/٣ـ٤ : فأجابهم يسوع : أما قرأتم ما عمل داود عندما جاع هو ورجاله ؟ كيف دخل بيت الله ، وتناول خبز القربان ، وأكل وأعطىٰ منه رجاله ؟ مع أن أكله لا يحل إلا للكهنة وحدهم .

فقول الإنجيليين الثلاثة « وأعطى منه رجاله » غلط . لأن داود كان وحده ، ولم يكن معه أحد في ذلك الوقت . وقول مرقس : « في أيام أبياثار رئيس الكهنة » غلط آخر . لأن رئيس الكهنة في تلك الأيام كان أخيمالك ، لا أبياثار .

---

(١) إظهار الحق ١/١٥٤ـ١٥٥ طبعة قطر ، الكتاب المقدس الصادر عن دار الكتاب في الشرق الأوسط سنة ١٩٨٤ .

ويعرف هذان الغلطان من البابين الحادي والعشرين والثاني والعشرين من سفر صموئيل الأول . ولا سيما الفقرات ٢١/١-٧و٢٢/١١ ، وأبياثار هو ابن أخي رئيس الكهنة أخيمالك كما يظهر من ٢٢/٢٠-٢٣ . وقد أقر علماء النصارى بهذا ؛ قال (وارد) الكاثوليكي في كتابه المسمىٰ (كتاب الأغلاط)[1] : كتب مستر جويل في كتابه أن مرقس غلط ، فكتب أبياثار موضع أخيمالك . لأن داود كان منفرداً في ذلك الوقت ، ولم يكن معه أحد .

هيرودس لا فيلُّبس :

جاء في متىٰ ١٤/٣ ، وفي مرقس ٦/١٧ : « وكان هيرودس أمسك يوحنا وقيده وسجنه ، من أجل هيرودية [التي تزوجها وهي] امرأة أخيه فيلُّبس » .

وهذا غلط لأن اسم زوج هيروديّة كان هيرودس أيضاً ، لا فيلبس كما صرح المؤرخ يوسيفوس في الباب الخامس من الكتاب الثامن عشر من تاريخه .

وقد حرف مترجمو الطبعة العربية سنة ١٨٢١ م وسنة ١٨٤٤ م عبارتي متى ولوقا ، فأسقطوا لفظ فيلبس ، لكن لم يتبعهم أحد في ذلك[2] .

زيادة في النص :

جاء في إنجيل متى ٢٧/٣٥ : فصلبوه واقترعوا على ثيابه واقتسموها . فتم ما قال النبي : « اقتسموا ثيابي ، وعلى قميصي اقترعوا » .

وفي يوحنا ١٩/٢٣-٢٤ : ولما صلب الجنود يسوع أخذوا ثيابه وقسّموها أربع حصص ، لكل جندي حصة . وأخذوا قميصه أيضاً ، وكان قطعة واحدة لا خياطة بها ، منسوجة كلها من أعلى إلى أسفل . فقال بعضهم لبعض : لا نَشُقُّ هذا القميص ، بل نقترع عليه ، فنرى لمن

---

(١) ص ٢٦ طبعة عام ١٨٤١ م انظر إظهار الحق ١/١٦٨ و ٢٣٧-٢٣٨ طبعة قطر .

(٢) إظهار الحق ١/١٥٨ و١٦٨ طبعة قطر .

يكون . فتم قول الكتاب : تقاسموا ثيابي ، وعلى قميصي اقترعوا . وهـذا ما فعله الجنود .

فهـذه العبـارة : « فتم مـا قـال النبي . . في متى ، أو « فتـم قـول الكتاب . . » واجبة الحذف عند محققيهم . ولذلك حـزفها كـريسباخ . وبين هورن في تفسيره[1] ، وأثبت بالأدلة القاطعة أنها ملحقة . ثم قال : ولقد أحسن كريسباخ في تركها بعدما ثبت عنده أنها كذب قطعاً .

وقال آدم كلارك في المجلد الخامس من تفسيره ، في ذيل هذه الفقرة : لا بد من ترك هذه العبارة ، لأنها ليست جزءا من المتن ، وقـد تركتهـا النسخ الصحيحة ، وتركتها كذلك التراجم إلا شذوذاً . وتركها عدد غير محصور من القدماء . وصرح بعضهم بأنها أخذت من إنجيل يوحنا ، فوضعت في متى[2] .

أما مرقس في ١٥/٢٤ ، ولوقا في ٢٣/٢٤ ، فقد ذكرا القسمة والقرعة ، ولم ينسبا شيئاً لنَبيّ أو سِفْر .

أعمىٰ يقود أعمىٰ :

ومن أطـرف ذلـك وأعجبـه مـا نقله متى ومـرقس ولـوقـا عن المـزمـور (١١٠/١) الذي حار فيـه علماء اليهـود كما سلف في بحث (إثبـات تحريف العهد القديم من واقع نصوصه)[3] .

جاء في متى ٢٢/٤١-٤٥ : وبينما الفريسيون مجتمعون سألهم يسوع : ما قولكم في المسيح ؟ ابن من هو ؟ قالوا له : ابن داود . قال لهم : إذاً . كيف يدعوه داود رباً ، وهو يقول بوحي من الـروح « قال الـرب لربي : اجلس عن يميني حتى أجعل أعداءك تحت قدميك » . فإذا كان داود يدعو المسيح رباً . فكيف يكون المسيح ابنه ؟ .

---

(١) ٢/٢٣٠-٢٣١ ، انظر إظهار الحق ١/٢٥٧ .

(٢) إظهار الحق ١/٢٥٧ .

(٣) انظر منه ورود نصوص تنافي الوحدانية في هذا الكتاب ص . ٢٥٩ .

وجاء في مرقس ١٢/٣٥-٣٧ : وبينما يسوع يعلم في الهيكل قال : كيف يقول معلمو الشريعة : إن المسيح هو ابن داود ؟ وداود نفسه قال بوحي من الروح القدس : قال الرب لربي : اجلس عن يميني ، حتى أجعل أعداءك تحت قدميك . فداود نفسه يدعو المسيح رباً . فكيف يكون المسيح ابنه ؟.

وجاء في لوقا ٢٠/٤١-٤٤ : وقال لهم ـ أي المسيح لمعلمي الشريعة ـ: كيف يقال للمسيح إنه ابن داود ؟ وداود نفسه يقول في كتاب المزامير : قال الرب لربي : اجلس عن يميني ، حتى أجعل أعداءك موطئاً لقدميك . فداود نفسه يدعو المسيح رباً . فكيف يكون المسيح ابنه .

وهذا المزمور إنما وقع فيه هذا التناقض من جراء تعدد الآلهة أو أسماء الإله عند اليهود كما سلف . وأراد النصارى استغلال ذلك في الدلالة على ألوهية المسيح ـ عليه السلام ـ فنسبوا معنى هذا الكلام له . ثم جعلوه يحتج به أمام معلمي الشريعة أو جموع اليهود . وما علموا أو علموا أنهم جعلوا بذلك الآلهة أربعة بدلاً من ثلاثة . لأن الفقرتين ١١٠/٤-٥ تكملان خطاب الرب القوي للرب الأدنىٰ قوةً بأنه سيكون على رتبة ملكي صادق ـ أو ملكيصادق ـ فإن كان ملكيصادق بشراً فالمسيح بشر ، وإن كان إلهاً فقد جعلوا الآلهة أربعة ، والمسيح رابع أربعة . هذا . وإنك لتلحظ الفروق بين الأناجيل .

ب ـ تناقض الأناجيل فيما بينها

إن الأناجيل الأربعة مختلفة فيما بينها اختلافاً كبيراً من حيث التفاوت زيادة ونقصاناً . فلو سردنا النصوص الواردة في أربعة الأناجيل عن الحادثة الواحدة ، لظهر لنا الاضطراب والتناقض والخلاف المتفاقم . فكل منهم يزيد أو ينقص في القول ، ويخالف إنجيله إنجيل الآخر . وعلماؤهم يتعسفون في التوفيق بينها ؛ فيردون على من يناظرهم في ذلك بأن كل كاتب كتب بعض الحادثة ، أو ذكر جانباً منها ، ومجموع ما كتبوا تفصيل لها . فإذا أبنت لهم

وجوه الاختلافات الحسية والتناقض ، قالوا : لا أثر لهذا ما دام الجوهر سليماً . فإذا وضحت لهم أن اللفظ ظرف المعنىٰ ، وقد يتغير المعنى باختلاف اللفظ ، سكتوا أو اعتدروا اعتذارات لا تنفع في مقابلة الدليل بالدليل والحجة بالحجة . والأمثلة التالية توضح ذلك :

١ ـ اختلافها في نسب المسيح :

أول ما يلقاك من أوجه اختلاف الأناجيل في الأمر الواحد الذي لا يقبل إلا حقيقة واحدة اختلافها في نسب المسيح ـ عليه السلام ـ فقد ورد نسبه في إنجيلي متى ١/١-١٧، ولوقا ٣/٢٣-٣٨ ، بطريقتين تعارض إحداهما الأخرى .

ومن الغريب أن كلا الإنجيلين ينسب المسيح ليوسف النجار[١] ـ خطيب مريم أو زوجها كما يقولون ـ ويعدان هذه السلسلة نسبه من جهة آبائه . مع أن المسيح ليس ابناً ليوسف . إذ ليس له أب أصلاً . وكل ما في الأمر أن يوسف كان خطيب أمه مريم . ولما حملت بأمر الله وقدرته بالمسيح ، فكر بتركها ـ كما يقولون ـ لكنه لما ظهر له ملاك الرب في الحلم ، وأخبره أن الحمل مبارك من الروح القدس بقي معها . كما في إنجيل متى ١/١٨-٢١ .

فنسبة المسيح إلى يوسف ، أو ادعاء أن السيدة مريم قالت عنه : إنه ابن يوسف ، مخالف للحقيقة ، ولو كان على مقتضى الشهرة أو التبني . فهل هو إله تام ؟ أو ابن إله ؟ أو ابن يوسف النجار ؟ أو ليس له أب أصلاً ؟! .

ولا جرم أن ما ذكراه يحقق زعم طائفة من اليهود أن المسيح إنما هو ابن يوسف النجار . وإلا فكيف يذكران أنهما سيأتيان بنسب المسيح ، ثم يأتيان بنسب يوسف النجار ؟ مع أن النصارى لا يقولون إنه ولد يوسف ، ويصفون

---

(١) وكذلك إنجيل يوحنا ، غير أنه لا يفصّل ، فقد جاء في ٦/٤٢ منه : « وقالوا : أما هو يسوع بن يوسف ؟ نحن نعرف أباه وأمه ، فكيف يقول الآن : إنه نزل من السماء ؟ .

مريم بالعذراء ! وقد تنبه إلى هذا بعض العلماء في العصر الحديث ، فأشاروا إلى أن هذين النسبين معدوما المعنىٰ من جهة الرجال . وإذا كان من الضروري إعطاء المسيح نسباً ، وليس له أب (بيولوجي) ، فيجب أن ينسب إلى جهة أمه ، لا إلى خطيب أمه .

إن كلا الإنجيلين يجعل نسب المسيح عن طريق يوسف ينتهي إلى إبراهيم عن طريق داود . ولو أنهما نسباه إلى أمه لكان خيراً لهما وأصدق حديثاً . إذ من غير المعقول أن ينسب المولود إلى شخص لا علاقة له به من قريب أو بعيد . وأمه من سبط لاوي ، لا من سبط يهوذا . ومن ثم ، فإن نسبه يعود إلى هارون لا إلى داود كما ذكرا[1] .

ومن الملاحظ أن بعض فقرات الإنجيل تصف يوسف بأنه رجل مريم أو زوجها كما في متى ١/١٦، بينما تصفه فقرات أخرىٰ بأنه خطيبها ، كما في متى ١/١٨ ولوقا ١/٢٧ ، فعلىٰ أي شيء بنيا هذا النسب !؟ ويظهر ـ والله أعلم ـ أن غاية النصارىٰ من إلحاق نسب المسيح ـ عليه السلام ـ بيوسف النجار ، أن يرجعوا المسيح إلى سبط يهوذا الذي منه الملك داود ـ عليه السلام ـ ويلبسوه ثوبه على أنه المخلص الذي ينتظره بنوا إسرائيل ، والذي سيعيد مملكة إسرائيل التي هي مملكة داود . لذا نراهم في الأناجيل كثيراً ما ينادونه : « يا ابن داود »[2] .

ففي متىٰ ٢١/٩ : وكانت الجموع التي تتقدم يسوع ، والتي تتبعه تهتف : المجد لابن داود . تبارك ـ أو مبارك ـ الآتي باسم الرب . المجد لله في العلىٰ .

وفي مرقس ١١/٩ : وكان الذين يتقدمون يسوع والذين يتبعونه يهتفون :

---

(١) الأجوبة الفاخرة ص ٦٣، مجلة الجامعة العدد ٤٩ ص ١٦٤ـ١٦٥ ندوة الخرطوم ، شفاء الغليل ص ٤١ و ٤٥.

(٢) مجلة الجامعة العدد ٤٩ ص ١٦٤ـ١٦٥ ندوة الخرطوم .

المجد لله . تبارك ـ أو مبارك ـ الآتي باسم الرب . تباركت المملكة الآتية باسم الرب ، مملكة أبينا داود . المجد في الأعالي .

وفي لوقا ١٩/ ٣٨ : وكانوا يقولون : تبارك ـ أو مبارك ـ الملك الآتي باسم الرب . السلام في السماء . والمجد في العلى ـ أو الأعالي ـ .

وفي لوقا أيضاً ١/ ٣٢ـ٣٣: ويعطيه الرب الإله عرش أبيه داود . ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد . ولا يكون لملكه نهاية .

وفي يوحنا ١٢/ ١٣ : فحملوا أغصان النخل ، وخرجوا لاستقباله ، وهم يهتفون : المجد لله . تبارك ـ أو مبارك ـ الآتي باسم الرب . تبارك ـ أو مبارك ـ ملك إسرائيل .

وهذا غلط من ثلاثة وجوه : ولا سيما العبارة التي تفرد بها لوقا في ١/ ٣٢ـ٣٣ :

ـ الأول : إن المسيح من أولاد (الياقيم) كما جاء في شجرة النسب التي ذكرها متى . ولا يصلح أن يجلس أحد أولاده على كرسي داود . ففي الباب السادس والثلاثين من سفر إرمياء أنه لما أحرق الياقيم ـ أو يهو ياقيم ـ الصحيفة التي كتبها باروخ من فم إرمياء نزل الوحي بما يلي : ٣٦/ ٣٠ ـ ٣١: لذلك هكذا قال الرب عن يهوياقيم ملك يهوذا : لا يكون له جالس على كرسي داود ، وتكون جثته مطروحة للحر نهاراً ، وللبرد ليلاً . وأعاقبه ونسلَه وعبيدَه على إثمهم . .

ـ الثاني : متى تم الملك للمسيح ـ عليه السلام ـ ومتى ملك بيت يعقوب ؟ إن المسيح ـ عليه السلام ـ لم يجلس على كرسي داود ، ولا ساعة واحدة ، ولم يحصل له حكم على آل يعقوب . بل قاموا عليه وأحضروه ـ في زعم النصارىٰ ـ أمام الحاكم الروماني بيلاطس ، فضُرب وأُهين بناء على طلب آل يعقوب ! .

ثم إن النص يقول « ليس لملكه نهاية على بيت يعقوب . بل يملكه إلى

الأبد » وهذا منقوض بفتح المسلمين لبيت المقدس في زمن الخليفة الراشد عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ وباستيلاء اليهود اليوم على هذه المدينة .

ـ الثالث : لقد هرب المسيح ـ عليه السلام ـ من الملك . ففي إنجيل يوحنا ٦/١٥ : وعرف يسوع أنهم يستعدون لاختطافه وجعله ملكاً . فابتعد عنهم ، ورجع وحده إلى الجبل[١] .

ومن الجدير بالذكر أن القول بابن إله متجسد من سلالة الملوك وثني قديم ؛ فقد كان الهنود القدماء يعتقدون أن مخلصهم (كرشنة) من سلالة الملوك ، وأنه ولد في غار بحال الفقر والانكسار . ويعدون أجداده من جهة أمه . أما من جهة أبيه فيقولون إنه مكث ابناً للإله أجيالاً كثيرة . وكذلك البوذيون ، فإنهم يعتقدون أن بوذا من سلالة الملوك من بيت (سقيا) وهم أسمى وأشهر أسباط البرهميين الذين حكموا بلاد الهند ، ويعتقدون أن جده الأول (سماتا) هو أول من ملك على الهند . والصينيون يقولون عن كونفوشيوس : إنه من سلالة ملوكية ، ويعدون أجداده . أما المصريون فيعتقدون أن مخلصهم (حورس) المولود من عذراء كان من سلالة ملوكية . ويدعونه (الراعي الصالح)[٢] .

ويظهر ! والله أعلم ـ أن اليهود كانوا ينتظرون النبي الذي بشر به موسى ـ عليه السلام ـ الذي سيجاهد وينتصر ، ولن تقف أمام دعوته قوة ، وسيبقى دينه وطائفة من أمته ظاهرة إلى يوم القيامة . لكن المسيح ـ عليه السلام ـ نادى بغير ما كانوا يتصورون ، فقد بشر بملكوت الله ، ولم يجاهد . وهم لتحريفهم إنما كانوا ينتظرون مسيحاً ملكاً يحررهم من نير الرومان ويقيم دولتهم . ولا زالوا ينتظرونه .

---

(١) إظهار الحق ١/١٦٧ ، قصص الأنبياء لعبد الوهاب النجار ص ٣٧٧ ، الكتاب المقدس بعدية طبعة ١٩٨٤ م ، الأجوبة الفاخرة ص ٢٣ .

(٢) العقائد الوثنية في الديانة النصرانية ص ٩٤-٩٥ و١٣١ و١٣٣ و١٥١ ، تاريخ الأقباط ١/٣٦-٣٧ .

ولنعد الآن إلى نسب المسيح المزعوم ؛ **فلدى مقابلة نسب يوسف** النجار متبني المسيح الذي ذكره متى بالنسب الذي ذكره لوقا ، يتبين أن كلا الإنجيلين يجعل نسبه ينتهي إلى إبراهيم عن طريق داود ـ عليهما السلام ـ بيد أن كلاً منهما يعطيه طريقاً مختلفاً عن الآخر؛ فيذكر في نسبه آباء غير الذين ذكرهم الآخر. ويظهر الخلاف بينهما من الأوجه التالية:

١ ـ يعلم من متى أن يوسف بن يعقوب . ومن لوقا أنه ابن هالي .

٢ ـ يعلم من متى أن المسيح بن يوسف من أولاد سليمان بن داود . ومن لوقا أنه من أولاد ناثان بن داود .

٣ ـ يعلم من متى أن جميع آباء المسيح من داود إلى جلاء بابل ملوك مشهورون . ومن لوقا أنهم ليسوا كذلك سوى داود وناثان .

٤ ـ في متى أن شألتئيل بن يكنيا . وفي لوقا أنه ابن نيري .

٥ ـ في متى أن اسم ابن زربابل أبيهود . وفي لوقا اسمه ريسا .

٦ ـ من داود إلى المسيح ستة وعشرون جيلاً على ما بين متى . وواحد وأربعون جيلاً على ما بين لوقا . ولما كان بين داود والمسيح ـ عليهما السلام ـ مدة ألف سنة ، فعلى الأول يكون في مقابلة كل جيل تسع وثلاثون سنة . وعلى الثاني خمس وعشرون سنة تقريباً .

وعلى ما بين متى أيضاً من إبراهيم إلى المسيح ـ عليهما السلام ـ اثنان وأربعون جيلاً . أما لوقا فيصعد بهم إلى ستة وأربعين جيلاً [1] .

---

(١) الفصل ٢/٢٧ و ٢٩ ، هداية الحيارى ص ٥٨٨ ، تنقيح الأبحاث ص ٦٥ ، إظهار الحق ١/٩٦ ، محاضرات في النصرانية ص ١٠٢ـ١٠٣ ، دراسة لموريس ص ١٣و ٧٩ و٨٨ و١٠٣ و١٠٥ ، الأسفار المقدسة لعلي ص ٧٥ـ٧٦ وص ٧٩، مجلة الجامعة الإسلامية العدد ٤٩ ص ١٦٢ـ١٦٣ ندوة الخرطوم . الأجوبة الفاخرة ص ٢٢و٢٤ ، شفاء الغليل ص ٤١ـ٤٦ .

وهذا الاختلاف الذي لا مناص من الإقرار به يدل على أمرين :

الأول : إنـه إذا فرضنـا أن أحد الإنجيلين كـاذب والآخر صـادق ، فإن أحدهما ليس إلهامياً يقيناً . ولما كان الصحيح منهما غير متعين ، فالشك يـرد على الاثنين حتى يثبت الصحيح منهما ويقوم الدليل على صدقه دون الآخر ومع هذا الشك لا يمكن الاعتقاد بأن ثمة إلهاماً في أحدهما ، فتساقطا .

الثاني : إن إنجيل متى لم يكن معروفاً لدىٰ لوقا الذي كان مؤرخاً وبحاثاً وطبيباً كما يقولون . مع أن تدوين إنجيل متى سبق لوقا بأكثر من عشرين عـاما على ما عليه جمهور النصارىٰ. ولو كان يعرفـه لراجعـه وما وقـع في الخطأ الـذي وقع فيه ، أو على الأقل ما خالفه ، أو لوَضَّح الأمـر بحيث يرتفـع التعارض . ويفهم من هذا أن إنجيل متى لم يكن معروفاً أو متداولاً بين علماء النصارىٰ في ذلك الوقت . وإذا لم يكن معروفاً لدى العلماء والحواريين والتابعين ، فإنه لم يكن معروفاً قط . وربما لم يكن له وجود .

ولا مناص من هذا القول إلا أن نقول : إن لوقا كان يعرفه ، واطلع على النسب فيه ، وخالفه على بينة منه ، لأنه لم يصـدقه . وعليـه فلا يكـون لوقـا معترفاً برسالة متى والإيحاء إليه . أو على الأقل لا يكون معترفاً بصحة نسبة هذا الإنجيل إليه . وإلا لما خالفه مع علمه بما فيه[1] .

ولمـا كان الاختـلاف بين البيـانين للنسب ظـاهـراً ، فقـد تحيـر علمـاء النصـارىٰ في هذا الأمـر منذ اشتهـار الإنجيلين إلى اليوم . وحـاولوا سـد هذا الخلل بتوجيهات ضعيفة . والتوجيه المشهور أنه يجوز أن يكون متى كتب نسب يوسف الحقيقي . ولوقا كتب نسب مريم . ويكون يوسف خَتَن هالي . وليس لهالي ابن فنسب يوسف إليه ، وأدخل في سلسلة النسب . وهذا مردود للوجوه التالية :

أ ـ إن المسيـح على هذا التقـدير يكـون من أولاد ناثـان ، لا من أولاد

(١) إظهار الحق ١ / ١٠٠ ، محاضرات في النصرانية ص ١٠٣ .

سليمان . لأن نسبه الحقيقي من جهة أمه . ولا تأثير لنسب يوسف في حقه . وعليه ، فيلزم أن لا يبقى المسيح مسيحاً . ولذلك قال العالم البروتستانتي كالوين في رد هذا التوجيه : من أخرج سليمان من نسب المسيح ، فقد أخرج المسيح من كونه مسيحاً .

ب ـ إن هذا التوجيه لا يصح إلا إذا ثبت من التواريخ المعتمدة أن مريم بنت هالي ، ومن أولاد ناثان . ومجرد الاحتمال لا يكفي . لا سيما وقد ردهالمحققون من النصارىٰ . إذ لم يثبت هذان الأمران بدليل ضعيف فضلاً عن القوي. بل ثبت عكسهما. فقد جاء في إنجيل يعقوب أن اسم أبوي مريم (يهوياقيم) و(عانا) . وهذا الإنجيل وإن لم يكن معترفاً به من قبل النصارى في زماننا ، فإنه قديم جداً ، ومن وضع أسلافهم في القرون الأولىٰ . فلا تنحط رتبته عن التواريخ التي يعتد بها ، ولا يقاومه مجرد احتمال لا يستند إلى شيء . وقال اكستاين : إنه وَجَد في بعض الكتب في عهده أن مريم من قوم لاوي . وهذا ينافي أيضاً كونها من أولاد ناثان .

وإذا لاحظنا ما جاء في سفر العدد ٣٦/ ٥ـ٩ من أن كل رجل يتزوج بامرأة من سبطه وقبيلته ، وكل امرأة تتزوج برجل من سبطها وقبيلتها ، حتى لا يتحول نصيب من سبط إلى آخر » .

ولاحظنا أيضاً ما جاء في إنجيل لوقا ١/٥ من أن أليصابات زوجة زكريا كانت من سلالة هارون » وما جاء في ١/٣٦ منه من أن مريم كانت قريبة لزوجة زكريا » فإن مريم تكون من بنات هارون قطعاً .

وإذا كان الأمر كذلك ، فإن زوجها أو خطيبها يوسف من أولاد هارون أيضاً بحكم التوراة . وعليه يكون بيان كل من الإنجيلين غلطاً ومن وضع من يريد أن يثبت أن عيسى من أولاد داود ، حتى لا يطعن اليهود في كونه المسيح الموعود .

جـ ـ لو كانت مريم بنت هالي حقيقة ، لظهر هذا الأمر لقدماء النصارى ، ولما وجهوه بتوجيهات ركيكة .

د ـ إن ألفاظ متى ولوقـا تدلان على أنهمـا يكتبان نسب يـوسف . ففيره خلاف الظاهر .

هـ ـ لو فرضنا أن مريم كانت بنت هالي ، فلا يصح ما في لوقا إلا بعد أن يثبت أن اليهود كان من مقتضى زواجهم وعادتهم أن الخَتَن إذا لم يكن لزوجته أخ ، فـإنه يـدخل في سلسلة النسب ، ويكتب في مـوضـع الابن . ولـم يثبت هذا[1] .

والغالب ـ والله أعلم ـ أنه حصل لكل كـاتب ورقتان مختلفتـان في بيان نسب يوسف النجار . ولم يحصل لهما تمييـز بين الخطأ والصـواب ، فاختـار أحدهما بظنه إحدى الورقتين ، واختار الآخر الورقة الأخرىٰ . ولما لم تكن هذه الأنـاجيل مشهـورة إلى آخر القـرن الثاني ، لم يـطلع أحدهمـا على التحريـر الوضعي للآخر ، فوقعا في الاختلاف ، وتركا بذلك عـورة مكشوفـة في عصر توجه فيه البحث العلمي والتحقيق إلى كل شيء[2] .

وإذا جعلنا ما جاء في الباب الثالث من السفر الأول لأخبار الأيام المرجع الرئيس لأنساب الآباء ، وقابلناه بما جـاء في إنجيلي متى ولوقـا اتضح لنـا ما يلي :

١ ـ جاء في متى ١/١٧ : « فمجموع الأجيال من إبراهيم إلى داود أربعة عشر جيلاً . ومن داود إلى سبي بابل أربعة عشر جيـلاً . ومن سبي بابـل إلى المسيح أربعة عشر جيلاً » .

وهـذا غلط صـريـح . لأن القسم الأول يتم على داود . وإذا كـان داود داخلاً فيه ، فإنه خارج من القسم الثاني لا محالة . ويبتدىء القسم الثاني من سليمان لا محالة ، ويتم على يكنيا . وإذا كان يكنيا داخـلاً في هذا القسم ، فإنه خارج من القسم الثالث . ويبتدىء القسم الثالث من شألتئيل لا محـالة ،

---

(١) إظهار الحق ١/٩٦-٩٩.

(٢) إظهار الحق ١/٩٦و٩٩.

ويتم على المسيح . وفي هذا القسم لا يوجد سوى ثلاثة عشر جيلاً . وقد اعترض العلماء على ذلك سلفاً وخلفاً . ومنهم بورفري في القرن الثالث . ولعلماء النصارى اعتذارات لا تغني من الحق شيئاً[١] .

٢ ـ ذكر متى في ١/٦ـ١١ أجيال القسم الثاني من ثلاثة الأقسام . وبين في ١/١٧ أن عددهم أربعة عشر جيلاً كما سبق . وهذا غلط . فهم ثمانية عشر ، لا أربعة عشر ، كما يظهر من ٣/١٠ـ١٧ في السفر الأول من أخبار الأيام . فقد ذكر متى في ١/٨ أن يورام وَلَدَ عزّيا . فأسقط بذلك ثلاثة أجيال بينهما هم أخزيا ويوآش وأمصيا . وهم من الملوك المشهورين . وأحوالهم مذكورة في الباب الرابع عشر والثامن عشر من سفر الملوك الثاني ، وفي الباب الثاني والعشرين والرابع والعشرين والخامس والعشرين من السفر الثاني لأخبار الأيام . وأسقط أيضاً شخصاً رابعاً بين يوشيّا ويكنيا هو يهوياقيم . ولذلك قال نيومن متأسفاً ومتحسراً : إنه كان تسليم اتحاد الواحد والثلاثة ضرورياً في الديانة النصرانية . والآن صار تسليم اتحاد ثمانية عشر وأربعة عشر ضرورياً أيضاً . لأنه لا احتمال لوقوع الغلط في الكتب المقدسة[٢] .

٣ ـ جاء في ١/١١ من إنجيل متىٰ : « ويوشيّا ولد يكنيا وإخوته زمن السبي إلى بابل » ويعلم منه : أن يكنيا وإخوته أبناء صلبيين ليوشيا ، وأن يكنيا كان له إخوة ، وأن ولادتهم كانت إبان السبي . وعليه فيكون يوشيا حياً في هذا السبي . وهذا كله غلط لما يلي :

أ ـ إن يكنيا هو حفيد يوشيا ، وليس ابنه كما سبق . فهو ابن يهوياقيم بن يوشيا .

قال آدم كلارك في تفسيره : قال كامت : فلتقرأ الفقرة الحادية عشرة هكذا : ويوشيا ولد يهوياقيم وإخوته ، ويهوياقيم ولد يكنيا عند جلاء بابل ١ هـ.

---

(١) منه ١/١٥٢ طبعة قطر .

(٢) منه ١/١٤٥ .

قال الشيخ رحمة الله : وظني أن بعض القسس أسقط لفظ يهوياقيم قصداً . لئلا يراد أن المسيح إذا كان من أولاد يهوياقيم ، لا يكون قابلاً لأن يجلس على كرسي داود ، فلا يكون مسيحاً . لكنه ما درى أن إسقاطه هذا يستلزم أغلاطاً شتى ١هـ.

ب ـ إن يكنيا لم يكن له إخوة البتة . بل كان لأبيه يهوياقيم ثلاثة إخوة . فهم أعمامه .

جـ ـ إن يكنيا كان في زمن الجلاء إلى بابل ابن ثماني عشرة سنة . ولم يولد في زمن الجلاء .

د ـ إن يوشيا مات قبل هذا السبي باثني عشر عاماً . لأنه جلس بعد موته ياهوحاز ابنه على سرير الحكم ثلاثة أشهر ، ثم جلس ابنه الآخر يهوياقيم إحدى عشرة سنة ، ثم جلس يكنيا بن يهوياقيم ثلاثة أشهر ، فأسره بختنصر وأجلاه مع بني إسرائيل إلى بابل[1] .

٤ ـ في ١/١٢ من إنجيل متى أن شألتئيل وَلَدَ زربابل .

وهذا غلط أيضاً . لأنه زربابل هو ابن فدايا الذي هو أخو شألتئيل ، كما هو مصرح به في ٣/١٧ـ١٩ من سفر أخبار الأيام الأول . وعليه فيكون شألتئيل عمه ، وليس أباه[2] .

٥ ـ وفي ١/١٣ من إنجيل متى أن زربابل وَلَدَ أبيهود .

وهذا غلط أيضاً . لأن زربابل كان له خمسة بنين ، ليس فيهم واحد بهذا الاسم . كما هو مصرح به في سفر أخبار الأيام الأول ٣/١٩[3] .

٦ ـ إن الزمان من يهوذا إلى سلمون يقارب ثلاثمائة عام . ومن سلمون إلى داود أربعمائة عام . وقد كتب متى في الزمان الأول سبعة أجيال ـ كما في

---

(١) إظهار الحق ١/١٤٤ و٢٨٣ .

(٢) و(٣) منه ١/١٤٥ .

١/٣-٤- وفي الزمان الثاني خمسة أجيال - كما في ١/٥-٦- وهذا غلط بداهة . لأن أعمار الذين كانوا في الزمان الأول أطول من أعمار الذين كانوا في الزمان الثاني [١] .

٧- - جاء في لوقا ٢٧/٣ : « ابن يوحنا بن ريسا بن زربابل بن شألتئيل بن نيري ».

وفي هذه الفقرة ثلاثة أغلاط هي :

أ - أضاف الكاتب (ريسا) بين يوحنا وزربابل. ويوحنا صيغةو أخرىٰ لاسم حَنَينا . وحنينا هو ابن زربابل ، كما في ١٩/٣ من سفر أخبار الأيام الأول . أما ريسا فليس له ذكر البتة في سفر أخبار الأيام. وبنو زربابل هم مَشُلَّام وحنينا وشلومية أختهم، كما في ١٩/٣، وليس له ولد اسمه ريسا. لكن ريسا كلمة آرامية معناها : الأمير . فيظهر أن الخطأ الذي وقع فيه الكاتب سببه أن القائمة الأصلية التي نقل عنها ، كانت مصنفة بترتيب عكسي هكذا : زربابل الأمير وَلَدَ يوحنا . . كما قال نورتن .

ب - إن زربابل هو ابن فدايا ، وليس ابن شألتئيل كما سلف .

جـ - إن شألتئيل هو ابن يكنيا ، وليس ابن نيري [٢] .

٨- - وجاء في ٣٥/٣-٣٦ من لوقا أيضاً : شالح بن قينان بن أرفكشاد .

وهذا غلط أيضاً . لأن (شالح) هو ابن أرفكشاد ، وليس ابن ابنه ، كما هو مصرح به في سفر التكوين ١٢/١١-١٣، وسفر أخبرا الأيام الأول ١٨/١ [٣] .

---

(١) منه ١/١٥٣ طبعة قطر .

(٢) منه ١/١٦٦-١٦٧ ثبعة قطر .

(٣) منه ١/١٦٧ طبعة قطر .

اختلافها في رواية طفولة المسيح :

من قابل الرواية الواردة عن طفولة المسيح ـ عليه السلام ـ في الباب الثاني من إنجيل متى بالرواية الواردة في نظيره من إنجيل لوقا ، وجد بينهما اختلافاً عظيماً، بحيث يجزم ـ إن تجرد ـ بأنه لا يمكن أن يكون أي واحد منهما إلهامياً . أما مرقس ويوحنا ، فلم يذكرا عنها شيئاً . ومن التناقض في ذلك ما يلي :

أ ـ أين أقام المسيح وأبواه بعد ولادته ؟ .

يعلم من كلام متىٰ أن أبوي المسيح ـ عليه السلام ـ كانا يقيمان في (بيت لحم)[1] . ويفهم منه أيضاً أن هذه الإقامة دامت قرابة سنتين ، حيث جاء المجوس إلى هناك ، وقدموا لأمه هدية . ثم ذهب به أبواه إلى مصر خوفاً عليه من الملك هيرودس . وأقاما هناك مدة حياته . وبعد موته رجعا فأقاما في الناصرة .

ويعلم من كلام لوقا أن أبوي المسيح ـ عليه السلام ـ ذهبا إلى أورشليم بعد أن أتمت مريم نفاسها ، فقدما الذبيحة ، ثم رجعا إلى الناصرة فأقاما فيها . وكانا يذهبان إلى أورشليم في أيام العيد من كل سنة . ولما بلغ المسيح الثانية عشرة من عمره بقي في أورشليم ثلاثة أيام بعد انقضاء أيام العيد ، وأبواه لا يعلمان بذلك . وبعد البحث وجداه في الهيكل مع معلمي الشريعة يستمع إليهم ويسألهم[2] .

ب ـ هل قصة مجيء المجوس حقيقة ؟

ذكر متى في ٢/١ـ١٢ : أنه لما ولد المسيح جاء إلى أورشليم مجوس من بلاد المشرق ، يسألون عن ملك اليهود الذي ولد في هذه الأيام ؟ ويزعمون أنهم رأوا نجمه في المشرق . وسمع الملك هيرودس بذلك ، فاضطرب

---

(١) اسم عبري معناه بيت الخبز كما في قاموس الكتاب المقدس ص ٢٠٥ .

(٢) إظهار الحق ١/١٠٠ ، دراسة لموريس ص ٨٨.

وجمع علماء اليهود فسألهم : أين يولد المسيح ؟ فأجابوه : في بيت لحم اليهودية . فدعا هيرودس المجوس سراً ، وأمرهم أن يبحثوا جيداً عن الطفل ويخبروه . وبينما هم في الطريق إذا النجم الذي رأوه في المشرق يتقدمهم حتى بلغ المكان الذي فيه الطفل ، فوقف فوقه . ولما دخلوا البيت وجدوا الطفل مع أمه ، فسجدوا له ، ثم فتحوا أكياسهم ، وأهدوا إليه ذهباً وبخوراً مرّاً . وأنذرهم الله في الحلم أن لا يرجعوا إلى هيرودس . فأخذوا طريقاً آخر إلى بلادهم .

أما لوقا فلم يذكر قصة المجوس ، وذكر بدلاً منها قصة الرعاة والملائكة في ٢/٨ـ٢٠ ، وذلك أن ملاك الرب ظهر لرعاة في تلك الناحية ، وأخبرهم أنه ولد اليوم في مدينة داود المسيح المخلص . وعلامة ذلك أن يجدوا طفلاً مقمطاً مضطجعاً في مذود . وذهب الرعاة مسرعين إلى بيت لحم ، فوجدوا مريم ويوسف والطفل مضطجعاً في المزود . فأخبروا بما حدثهم الملاك .

فعلى كلام لوقا لا سبيل إلى مجيء المجوس إلى بيت لحم . بل لو سلمنا بمجيئهم ، فإنه يجب أن يكون إلى الناصرة . لأنهما لم يجدا محلاً في الفندق كما في ٢/٧، ويبعد أن يصادف المجوس المسيح وأبويه في أثناء الطريق . بل إن رواية متى لا تشير إلى ذلك[1] .

ويظهر أن القصة غير صحيحة . وبيان ذلك أن المسافة بين بيت لحم وبيت المقدس خمسة أميال تقريباً . فلو كان الملك خائفاً من هذا المولود باحثاً عنه حقاً ، لسار بنفسه مع ثلاثة المجوس ، أو لبعث معهم من ثقاته من يبحث عنه . ثم إن متى لم يدرك المولود ، وهو على أحسن تقدير ما أدرك المسيح ولا رآه إلا في العام الذي رفعه الله إليه[2] .

---

(١) إظهار الحق ١/١٠٠ .

(٢) تحفة الأريب ص ٦٢ـ٦٤ .

ومن الجدير بالذكر أن الاستدلال بوساطة أحد النجوم على مكان ولادة أحد الآلهة التي ظهرت بالناسوت من عذراء مملوءة نعمة ، ومجيء بعض الناس ليسجدوا له أمر وثني قديم :

فالهنود يعتقدون أنه لما ولد (كرشنة) ظهرت نجومه في السماء . ولما سمع نبي الهنود المنجم (نارد) بمولده زاره في كوكول ، وفحص النجوم ، فتبين له أنه مولود إلهي يعبد . وعرف الناس أيضاً ولادة الطفل الإلهي من نجمه الذي ظهر في السماء ، فآمنوا به ، واعترفوا بلاهوته ، وقدموا له هدايا من صندل وطيب[١] . قال يبال[٢] : جاء في الكِتاب المقدس لدى الهنود (رميانا) أن ولادة راما كانت في التاسع من شهر (كيترا) ، وحين ولادته كان المشتري في برج السرطان . وراما هو فشنو بالناسوت .

والبوذيون يعتقدون أن نجماً ظهر في أفق السماء دلّ على ولادة بوذا . قال بنسون[٣] : جاء في كتب البوذيين المقدسة أن السماوات بشرت بولادة بوذا بنجم ظهر مشرقاً في الأفق . ويدعونه في هذه الكتب (نجم المسيح) .

وقال (ثورنتن)[٤] : يعتقد الصينيون أنه عند ولادة (يو) من عزراء ظهر نجم دل عليه . و(يو) هذا هو الذي أسس الدولة الأولى التي حكمت الصين .

وكان الرومانيون يقولون بظهور نجم عند ولادة القياصرة . وكذلك اليونانيون . ففكرة دلالة النجوم على ولادة آلهة ظهرت بالناسوت وثنية قديمة[٥] .

---

(١) العقائد الوثنية في الديانة النصرانية ص ٧٩ و١٣١-١٣٢ . اقتباساً عن كتاب تاريخ الهند ٣١٧/٢ و٣٣٦ والديانات القديمة ٣٥٣/٢ .

(٢) في كتابه تاريخ البوذية ص ٢٣و٣٣ . انظر العقائد الوثنية ص٧٨ .

(٣) في كتابه الملاك والمسيح ص٢٢-٢٣و٣٣ . انظر العقائد الوثنية ص ٧٨ ، و ص ١٤٨ اقتباساً من كتاب خرافات التوراة لدوان ص ٢٩٠ .

(٤) في كتابه تاريخ الصينيين ١٧٣/١ . انظر العقائد الوثنية ص ٧٩ .

(٥) العقائد الوثنية في الديانة النصرانية ص ٧٩ . قلت : وأين هذا من فعل الصادق.=

ومما يدل على بطلان قصة مجيء المجوس إلى المسيح حين ولد بدلالة نجم ما ذكره متى في ٢/١٦ عن مقتل أولاد بيت لحم ؛ فإن هيرودس لما رأى أن المجوس استهزؤوا به غضب غضباً شديداً ، وأمر بقتل كل طفل في (بيت لحم) وما جاورها من ابن سنتين فما دونه . بحسب الوقت الذي تحققه من المجوس . وهذا غلط عقلاً ونقلاً :

أما عقلاً ، فلأن (بيت لحم) كانت قرية صغيرة قريبة من أورشليم . فكان يقدر بسهولة ويسر على التحقيق والتعرف على البيت الذي جاء إليه

المصدوق ﷺ وقوله ؟ فقد أزال ما علق بأذهان الناس من خرافات الجاهلية ، وأثبت الحق وأظهره . فعن جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنه ـ قال : انكسفت الشمس في عهد رسول الله ﷺ يوم موت إبراهيم ابن رسول الله ﷺ فقال الناس : إنما كَسَفَت لموت إبراهيم . فقام النبي ﷺ فصلىٰ بالناس ست ركعات بأربع سجدات . . فقال : يا أيها الناس إنما الشمس والقر آيتان من آيات الله ـ وفي رواية : وإنهم كانوا يقولون : إن الشمس والقمر لا يخسفان إلا لموت عظيم ـ وإنهما لا ينكسفان لموت أحد من الناس . فإذا رأيتم شيئاًمن ذلك ، فصلوا حتى تنجلي ـ رواه مسلم وأبو داود والنسائي ـ.

وفي حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ: فخطب الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله ـ وفي رواية : يريهما عباده ـ لا تنخسفان لموت أحد ولا لحياته . فإذا رأيتم ذلك فادعوا الله وكبروا وصلوا وتصدقوا ـ الشيخان وغيرهما ـ.
وعن النعمان بن بشير ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ قال : إن الناس يزعمون أن الشمس والقمر لا ينكسفان إلا لموت عظيم من العظماء . وليس كذلك . إن الشمس والقمر لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته ، ولكنهما آيتان من آيات الله عز وجل ـ رواه أبو داود والنسائي ـ.

وفي حديث عقبة بن عامر ـ رضي الله عنه ـ : إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله ، يخوف الله بهما عباده . وإنهما لا ينكسفان لموت أحد من الناس ولا لحياته . فإذا رأيتم منهما شيئاً فصلوا وادعوا حتى ينكشف ما بكم ـ رواه الشيخان والنسائي ـ.
يقال : كسفت الشمس بالفتح وكسفها الله . يتعدى ولا يتعدىٰ . وكذلك كسف القمر . وقد جاء في الحديث : كسفت الشمس وخسفت وكسف القمر وخسف. والأولى أن يقال : خسف القمر ـ جامع الأصول ٦/١٦٤ـ.

المجوس وقدموا له الهدايا . ولم يكن في حاجة إلى قتل الأطفال البرآء .

وأما نقلاً ، فلأنه لم يكتب هذه الحادثة المؤلمة أحد من المؤرخين القدماء ، لا يوسيفس ولا غيره من مؤرخي اليهود وعلمائهم ، مع أنهم كتبوا كثيراً في مذمة هيرودس . أما إن كتبها أحد من النصارىٰ فلا تعويل على كتابته . لأنه يقتبس من هذا الإنجيل [1] .

ومن الجدير بالذكر أن فكرة خوفِ الحاكم من طفل ولد حديثاً ينزع منه الحكم ، وأمرِه بذبح جميع الأطفال المشتبه بهم فكرةٌ وثنية قديمة أيضاً :

فالهنود يعتقدون أنه لما سمع حاكم البلاد بولادة الطفل الإلهي (كرشنة) أراد قتله . وليتوصل إلى أمنيته ، أمر بقتل كافة الأولاد الذكور الذين ولدوا في تلك الليلة التي ولد فيها كرشنة [2] .

والبوذيون يعتقدون أيضاً أن الملك (بمبسارا) سعىٰ وراء قتل بوذا عندما أخبر أن هذا الغلام سينزع منه الملك إن بقي حياً [3] .

ومما يؤكد بطلان قصة مجيء المجوس إلى المسيح ـ عليه السلام ـ بدلالة نجم ما جاء في متى ٢ /١٧ـ١٨ : « فتم ما قال النبي إرمياء : صراخ سمع في الرامة . عويل وبكاء ونحيب كثير . راحيل تبكي على أولادها . ولا تريد أن تتعزى بهم لأنهم زالوا عن الوجود » .

وهذا غلط وتحريف من كاتب الإنجيل أو مترجمه أو . . لما في العهد القديم . فقد جاء في سفر إرمياء ٣١/ ١٥ : « هكذا قال الرب : صوت سمع في الرامة ، نوحُ بكاءُ مر . راحيل تبكي على أولادها ، وتأبى أن تتعزى عن أولادها . لأنهم ليسوا بموجودين» ومن طالع الفقرات التي قبلها والتي بعدها

(١) إظهار الحق ١ /١٤٩ـ١٥٠ .

(٢) خرافات التوراة لدوان ص ٢٨٠ . انظر العقائد الوثنية في الديانة النصرانية ص١٣٤ .

(٣) تاريخ البوذية لـ(بيل) ص ١٠٣ـ١٠٤ . انظر العقائد الوثنية ص١٥٠ .

علم أن هذا الكلام ليس في حادثة ذبح هيرودس للأطفال التي يزعمونها . بل إنما هو في حادثة بختنصر التي وقعت في عهد إرمياء ، فقتل فيها ألوف من بني إسرائيل ، وأسر منهم ألوف ، فنفوا إلى بابل . ولما كان فيهم كثير من آل راحيل ، كما هو معروف ، تألمت روحها في عالم البرزخ . فوعد الله أن يرجع أولادها من أرض العدو إلى تخومهم كما هو واضح من الفقرتين التاليتين ٣١/١٦-١٧ . ولا سيما أن الفعل جاء بصيغة الماضي : « صوت سمع . . »[1] .

جـ ـ هل هرب يوسف مع المسيح وأمه إلى مصر ؟

ذكر متى في ٢/١٣-١٥ : أنه بعدما انصرف المجوس ، ظهر ملاك الرب ليوسف في الحلم وقال له : قم خذ الطفل وأمه ، واهرب إلى مصر ، وأقم فيها حتى أقول لك متى تعود . لأن هيرودس سيبحث عن الطفل ليقتله . فقام يوسف وأخذ الطفل وأمه ليلاً ورحل إلى مصر ، فأقام فيها إلى أن مات هيرودس . ليتم ما قال الرب بلسان النبي : من مصر دعوت ابني ١هـ.

وهذا يدل على أن يوسف سافر مباشرة من بيت لحم إلى مصر . بيد أن لوقا لم يذكر ذلك البتة . بل كلامه صريح في أن يوسف لم يسافر قط من بين اليهود ، لا إلى مصر ولا إلى غيرها .

أما قوله « ليتم ما قال الرب بلسان النبي « من مصر دعوت ابني » فهو إشارة إلى الفقرة ١١/١ من سفر هوشع . ونصها في الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨١١ م هكذا : « إن إسرائيل ـ أي يعقوب ـ منذ كان طفلاً أنا أحببته ومن مصر دعوت أولاده » . وهي كما ترى في بيان محبة الله سبحانه لإسرائيل ـ عليه السلام ـ وإحسانه إلى أولاده بإخراجهم من مصر في عهد موسى ـ عليه السلام ـ فلا علاقة لها بالمسيح ـ عليه السلام ـ وقد حرف كاتب الإنجيل صيغة الجمع إلى مفرد ، وضمير الغائب إلى متكلم ، فقال ما قال . ثم حرف

---

(١) إظهار الحق ١/١٤٩-١٥٠ ، الكتاب المقدس بعهديه طبعة ١٩٨٤ م .

مترجمو العهد القديم من الكـاثوليـك والأرثوذكس الفقـرة من سفر هـوشع في الطبعات العربية الصادرة سنة ١٨٤٤ م فما بعد ، فصـار النص هكذا : « لمـا كان إسرائيل غلاماً أحببته . ومن مصـر دعوت ابني » . وذلـك ليتفق مع نص الإنجيل . لكن الفقرة التالية ١١/٢ تكشف الأمر . ونصها كمـا يلي : « كلما دعوهم ذهبوا من أمامهم . يذبحون للبعليم ، وينحرون للتماثيل المنحوتة » . وهي تشير إلى أن الذين دعاهم الله من مصر ، وهم بنوا إسرائيل ، كلما دعتهم الأنبياء والصالحون إلى عبادة الله وحده ، ولوا وجوههم نحو الأصنام ، وقربوا لها القرابين . ولا تصـدق هذه الأمـور على المسيح ـ عليـه السلام ـ ولا على اليهـود الذين كـانوا معـاصرين لـه ، ولا على اليهود الـذين كانـوا قبل ميـلاده بخمسمائة عام . لأنهم تابوا من عبادة الأصنام قبل ميلاده بنحو (٥٣٦) عام توبة جيدة بعدما أطلقوا من الأسر . ثم لم يحوموا حولها بعد ذلك . كما هو مصرح به في كتب التاريخ وغيرها[١] .

ومن الجدير بالذكر أن أخبار المسيح ـ عليه السلام ـ في مصر تكاد تكون منعـدمـة عنـد من ذكـر الهجـرة إليهـا[٢] . ففي متى ٢/١٩ـ٢٣ : ولمـا مـات هيرودس ظهر ملاك الرب ليوسف في الحلم ، وهو في مصر وقال له : قم خذ الطفل وأمـه وارجع إلى أرض إسـرائيل . لأن الـذين أرادوا أن يقتلوه ماتـوا . فـرجع بهمـا إلى الجليل خـوفاً من أرخيـلاوس بن هيرودس . فقـد سمع أنـه سيملك على اليهودية . وسكن في مدينة الناصرة . ليتم ما قاله الأنبياء يـدعىٰ ناصرياً .

وهـذا النص ليس له وجـود في أي كتـاب من كتب الأنبيـاء المعـروفـة

---

(١) إظهار الحق ١/٥٥ـ١٥٦ طبعة قطر .

(٢) إلا ما ذكر في إنجيل الطفولة ، وهو غير قانوني . وقـد ذكر هيجن في مقدمتـه عليه ، وسفلري في كتابه (الرحلات المصرية) ٢/١٣٦ أن اسم المدينة التي هاجر إليها يسوع في مصر لما ترك اليهودية هو (المطرية) . ويقال : إنه عمل فيها آيات وخوارق عجيبة . انظر العقائد الوثنية ص ١٣٤ .

عندهم . واليهود ينكرون هذا الخبر أشد الإنكار . وهو عندهم زور وبهتان . فهو إما مزيد في الإنجيل ، أو محذوف من العهد القديم . وكلاهما يدل على وقوع التحريف(١) . ولعلماء النصارى اعتذارات ضعيفه . فلنستمع إلى بعضها :

قال العالم الكاثوليكي (ممفرد) في السؤال الثاني من كتابه (أسئلة السؤال) (٢): الكتب التي كان فيها هذا انمحت . لأن كتب الأنبياء الموجودة الآن ، ليس في أحد منها أن المسيح يدعىٰ ناصرياً .

وقال (كريزاستم) في تفسيره التاسع على متىٰ : انمحىٰ كثير من كتب الأنبياء . لأن اليهود ضيعوا كتباً لأجل غفلتهم . بل لأجل عدم ديانتهم ، ومزقوا بعضها ، وأحرقوا بعضها .

وقال (جستن) : اليهود أخرجوا كتباً كثيرة من العهد القديم ، ليظهر أن العهد الجديد ليس له موافقة تامة للعهد القديم . ويعلم من هذا أن الكتب انمحت .

ويفهم من أقوال علمائهم أمران :

ـ الأول : إن اليهود مزقوا بعض الكتب وأحرقوا بعضها لعدم ديانتهم . ولا شك في أن اليهود ضيعوا كتباً كثيرة ، وحرفوا كتباً كثيرة عن قصد لعناد أتباع المسيح ـ عليه السلام ـ فإنهم لما رأوا الحواريين يتمسكون بهذه الكتب في إثبات المسائل التي جاء بها المسيح ـ عليه السلام ـ فعلوا هذا الأمر . لكني أقول لعلماء النصارىٰ : ثبت العرش ، ثم انقش . فهل ثبت بالأسانيد المتصلة النص الذي قاله الكاتب ؟ ثم من هذا الكاتب حتى نحسن الظن به ؟ .

ـ الثاني : إن التحريف كان سهلاً في سالف الزمان . ألا ترى كيف

---

(١) إظهار الحق ١/ ١٤٩ .

(٢) وقد طبع في لندن عام ١٨٤٣م . انظر إظهار الحق ١/ ٢٨٢ .

انمحت كتب عن صفحة العالم بإعدام اليهود لها ؟ وأي تحريف بالنقصان أقوىٰ من أن تضيع ملة ما الكتب الإلهامية قصداً لأغراض نفسية ، ولعناد ملة أخرىٰ ؟ ![1] .

وإذا ثبت هذا ، فلا شك أنهم فعلوا مثل ذلك بالكتب وبالعبارات الدالة على خاتم الأنبياء ﷺ والتي تنفع المسلمين في الاستدلال بها على إثبات نبوته ، وإقامة الحجة عليهم .

وأقول للنصارى : إذا كان اليهود قد فعلوا هذا فَمحَوا من صفحة الوجود كتباً تفيدكم . فأين الروح القدس الذي يبقىٰ في الكنيسة إلى الأبد ؟ وأين المعجزات الأزلية والأبدية التي حفظت العهد القديم من أن تصل إليه صدمة خفيفة كما يقول البروتستانت ؟! .

هذا . ومن الجدير بالذكر أن فكرة الهرب بمولود إلهي خوفاً من ملك ظالم يريد قتله ، وثنية قديمة ؛ جاء في الفصل الثالث من كتاب (فشنو بورانا) أن (ناندا) خطيب (ديفاكي) والدة الطفل الإلهي كرشنة ، سمع نداءً من السماء يقول له : قم وخذ الصبي وأمه إلى (كوكول) واقطع نهر جمنة . لأن الملك طالب إهلاكه[2] .

وقال جوكوت أشوندر غنفولي - وهو أحد الوثنيين المتنصرين في الهند - في كتابه (حياة الهنود وديانتهم)[3] : يعتقد الهنود الوثنيون أنه لما ولد كرشنة سمعوا صوت مناد من السماء يقول لحاضنه : قم وخذ الولد واهرب به واقطع نهر الجومنا . ففعل كما أُمر . لأن الملك كان قاصداً إهلال الطفل المخلص . وقد أرسل رسلاً كي يقتلوا كل مولود ذكر .

---

(١) إظهار الحق ١/٢٨٢ طبعة المغرب و٢٥٨-٢٥٩ طبعة قطر .
(٢) الآثار الوثنية في الديانة النصرانية ص ١٣٣ .
(٣) الآثار الوثنية ص ٩٦ .

وقال هيجن في كتابه (الكهان الكليتيك)[1] : يعتقد الهنود الوثنيون أنه لما ولد كرشنة أخذوه بالليل ، وهربوا به إلى بلاد بعيدة عن محل ولادته خوفاً من الملك الذي قيل : إن كرشنة سيكون السبب في إهلاكه متى شب . ولذلك أمر الملك بقتل كافة الأطفال الذين ولدوا في مملكته .

وفي الديوان الشعري المنظوم منذ ألفي عام حكاية عن تجسد الإله كرشنة المولود من عذراء ، وقصة هرب مربيه من وجه الملك الذي أمر بقتل الأطفال .

وفي غار الهيكل الموجود في (الفانتا) يوجد صور الأولاد الذين ذبحهم . وهذه الصور والتماثيل قديمة العهد جداً . ويُرىٰ منقوشاً في الغار صورة رجل بيده حسام مسلول ، يقتل الأولاد ، وتظهر أيضاً صور رجال ونساء يتوسلون إليه بإبقاء أولادهم .

ونحو ذلك يقول البوذيون عن بوذا . أما المصريون فيقولون عن (هورس) إنه ولد في فصل الشتاء وربي سراً بجزيرة (بوتا) خوفاً من (يتفون) الذي قصد قتله وهو طفل[2] .

متى علم هيرودس وأهل أورشليم بولادة المسيح ؟

يعلم من إنجيل متى أن هيرودس وأهل أورشليم لم يعلموا بولادة المسيح ـ عليه السلام ـ قبل مجيء المجوس . ويفهم منه أيضاً أنهم كانوا معادين له .

ويعلم من إنجيل لوقا ٢ / ٢١ـ٢٤ أن المسيح خُتن في اليوم الثامن من ميلاده ، وسُمي (يسوع) . وبعد طهارة مريم من النفاس صعد يوسف ومريم بالطفل إلى أورشليم ليقدماه للرب ، وليقدما الذبيحة المطلوبة شرعاً .

ويعلم من ٢ / ٢٥ـ٣٥ في الإنجيل نفسه أنه كان في أورشليم رجل صالح

---

(١) ص ١٣٤ انظر الآثار الوثنية ص ٩٦ .

(٢) منه ص ٩٦ـ٩٧ .

ممتلىء بالروح القدس ، اسمه سمعان . جاء إلى الهيكل بوحي من الروح . ولما دخل الوالدان الهيكل ومعهما الطفل ، ليؤديا ما تفرضه الشريعة ، حمل سمعان الطفل على ذراعيه ، وأنشد إنشاداً يناجي به ربه . ثم قال لمريم : هذا الطفل اختاره الله لسقوط كثير من الناس وقيام كثير منهم في إسرائيل . وهو علامة من الله يقاومونها . .

ويعلم من ٢/٣٦-٣٨ : أنه كانت هناك نبية طاعنة في السنّ ، اسمها (حنة بنت فنوئيل) من عشيرة آشير . مات زوجها بعد سبع سنوات من زواجهما ، فعاشت لا تفارق الهيكل . فحضرت في تلك الساعة ، وحمدت الله ، وتحدثت عن الطفل يسوع مع كل من كان ينتظر من الله أن يفدي أورشليم .

ويعلم من ٢/٣٩-٤٠ : أنه لما أتم يوسف ومريم كل ما تفرضه الشريعة ، رجعا بالطفل إلى مدينة الناصرة في الجليل . وكان الطفل ينمو ويتقوى في الروح ، ويمتلىء بالحكمة . وكانت نعمة الله عليه .

ويعلم من ٢/٤١-٥١ : أن مريم ويوسف كانا يذهبان كل سنة بالصبي إلى أورشليم في عيد الفصح . وأنه لما بلغ الثانية عشرة من عمره ، صعدوا إلى أورشليم في العيد على عادتهم . لكن الصبي لم يرجع معهما . بل بقي في الهيكل مع معلمي الشريعة يستمع إليهم ويسألهم . وأبواه لا يعلمان ذلك . وبعد ثلاثة أيام من بحث مشوب بالقلق وجداه في الهيكل . ثم رجعوا إلى الناصرة . وكان مطيعاً لهما اهـ.

ومن الجدير بالذكر أن نورتن الذي نصب نفسه حامياً للإنجيل سلم هنا بالاختلاف ، وحكم بأن بيان متى غلط ، وبيان لوقا صحيح[1] .

---

(١) إظهار الحق ١/١٠١ .

٣ ـ اختلافها في أسماء الحواريين :

من المعروف أن المسيح اختار اثني عشر تلميذاً . ذكر متى أسماءهم في ١٠/٢ ، ومرقس في ٣/١٦ ، ولوقا في ٦/٤ ، وقد اتفقوا في أسماء أحد عشر منهم ، وهم : ١ ـ سمعان الذي سماه المسيح بطرس ٢ ـ أخوه أندراوس ٣ ـ يعقوب بن زبدي ٤ ـ أخوه يوحنا بن زبدي . وسماهما (وانرجس) أي ابني الرعد . ٥ ـ فيلُبس ٦ ـ برتولماوس ٧ ـ توما ٨ ـ متى جابي الضرائب ٩ ـ يعقوب بن حلفي ١٠ ـ سمعان الوطني الغيور ١١ ـ يهوذا الإسخريوطي .

واختلفوا في الثاني عشر : قال متى : لباوس الملقب بتداوس . وقال مرقس : تداوس . وقال لوقا : يهوذا بن يعقوب .

ومن الملاحظ أن لوقا ويوحنا أوردا اثنين باسم يهوذا ؛ يهوذا الإسخريوطي ، ويهوذا بن يعقوب . ولم يظهر يهوذا بن يعقوب في كلٍ من متى ومرقس .

أما في سفر الأعمال فقد ذكر الكاتب في ١/١٢ أحد عشر اسماً بدون ذكر يهوذا الإسخريوطي . والحادي عشر هو يهوذا بن يعقوب . ثم ذكر في ١/٢١-٢٦ أنهم اجتمعوا لاختيار خلف للإسخريوطي فاختاروا اثنين ، ثم أقرعوا بينهما ، فوقعت القرعة على متياس .

وقد علق على ذلك جون كيك في تفسيره لإنجيل لوقا . فقال : عندما كتب لوقا الإنجيل لم يكن هناك حتى مجرد التحقق الكامل من شخصية التلاميذ[1] .

٤ ـ محبة وسلام أم سيف وخصام ؟

جاء في متى ٥/٩ : هنيئاً ـ طوبىٰ ـ لصانعي السلام . لأنهم ابناء الله يدعون .

---

(١) منه ١/١١٧ ، مجلة الجامعة الإسلامية العدد ٤٩ ص ١٦٥ ندوة الخرطوم .

٥/٢٢ : من غضب على أخيه باطلاً ، استوجب حكم القاضي . ومن قال لأخيه : يا أحمق ، استوجب حكم المجلس . ومن قال له : يا جاهل ، استوجب نار جهنم .

٥/٣٩ـ٤٠ : لا تنتقموا ممن يسيء إليكم . من لطمك على خدك الأيمن فحول له الآخر . ومن أراد أن يخاصمك ليأخذ ثوبك ، فاترك له رداءك أيضاً .

٥/٤٤ : أحبوا أعداءكم باركوا لاعنيكم . أحسنوا إلى مبغضيكم . وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويضطهدونكم .

وجاء في لوقا ٦/٢٧ـ٣٠ : أحبوا أعداءكم ، وأحسنوا إلى مبغضيكم ، وباركوا لاعنيكم ، وصلّوا لأجل المسيئين إليكم . من ضربك على خدك الأيمن فحول له الآخر . ومن أخذ رداءك ، فلا تمنع عنه ثوبك ، ومن أخذ ما هو لك ، فلا تطالبه به .

٦/٣٥ : أحبوا أعداءكم ، وأقرضوا وأحسنوا غير راجين شيئاً .
٩/٥٦ : لأن ابن الإنسان أتى لا ليهلك نفوس الناس ، بل ليخلصها .

هذا من ناحية ، ومن ناحية ثانية جاء ما يلي :
متى ١٠/٣٤ : لا تظنوا أني جئت لأحمل السلام إلى العالم . ما جئت لأحمل سلاماً . بل سيفاً .

١٠/٣٥ـ٣٦ : جئت لأفرق بين الابن وأبيه ، والبنت وأمها ، والكنة وحماتها . ويكون أعداء الإنسان أهل بيته .

لوقا ١٢/٤٩ـ٥٣ : جئت لألقي ناراً على الأرض . وكم أتمنى أن تكون اشتعلت . . أتظنون أني جئت لألقي السلام على الأرض ؟ أقول لكم : لا ، بل الخلاف . فمن اليوم يكون في بيت واحد خمسة . فيخالف ثلاثة منهم اثنين ، واثنان ثلاثة . يخالف الأب ابنه والابن أباه ، والأم بنتها ، والبنت أمها ، والحماة كنتها ، والكنة حماتها .

فبين الكلامين خلاف واضح لا يمكن تأويله . بل يلزم بناء على ذلك أن لا يكـون المسيح من الـذين قيل في حقهم : طـوبىٰ لصانعي السـلام . فمن الواضح أن هذا الأدب في معاملة الأرحام لا يُناسب شريعة المسيح[1] .

وحتى لا نفتئت على القــوم نعـرض وجهــة نـظرهم في تفسيــر هــذه الفقرات . قال الدكتور رأفت عماري في كتابه (ملامـح الألوهيـة)[2] : أظهر المسيح أن شخصيته فاصلة في الحياة تفصم الأمور لصالحهـا . ولا يمكن أن يكون الإنسان تجاهها في مـوقف محايـد . فلا سـلام ولا استقرار في الأرض طالما لا تنال هذه الشخصية الملك الكامل والوقار والتكريم من الإنسانية . لقد حـارب يسوع تـواجد عـالم في هدوء واستقـرار بدون المصـادقة على هـويتـه اللاهوتية . لذا جاء ليلقي ناراً في الأرض بسبب إعلان اسمه اللاهوتي . إنه لم يأت من العرش لكي يؤانس حياة أفراد تعيش في بعد حقيقي عن شخصه ، أو يساند بقاء أعلام دينية مرفوعة في الأرض لحساب أفراد وعقائد كثيـرة . ولعل ثورة يسوع على كل شيء لا يحمل اسمه تشير إلى أنه صاحب الكرامة الإلهية التي تحصر المجد في ذاتها . فيسوع قد حارب كل مبدأ لا يلتف حوله ـ فهل هـذا إعلان للجهـاد ؟؟ـ سيكون اضـطهاد في الأرض بسبب إعـلان اسمـه . لتشتعل حياة الناس. فالاضطهاد والنار والضيق علاج منـاسب لكل من لم يؤمن بيسوع .

إن كل جيل أو عائلة سيتخذ موقفاً لا هوتياً لصالحه أو ضـده . لذا فهـو يشجع الانقسام في وجهات النظر . . إن مجيئه سيحدث تغييرات جذريـة في حياة كل عائلة . لأنه سيدخل في منافسة أقوى العواطف المتواجدة بين الأفراد في العائلة الواحدة . لأنه لا رجوع عنه الموقف الذي يضع الثقة بيسوع ١ هـ.

---

(١) إظهار الحق ١ / ١١٥و١١٨و١٦٩، الأجوبة الفاخرة ص٢٥ .

(٢) ص ١٨٥ـ٢٢٠ بتصرف مع المحافظة على الألفاظ.

٥ ـ إختلافها في حادثة القبض على المسيح وصلبه :

من يراجع الأناجيل في خبرها عن القبض على المسيح وحبسه ، ثم محاكمته وصلبه ـ في زعمهم ـ ثم قيامته من قبره ، يجد الاختلاف البين . ولو كان بعض هذا الخلاف في شهادة اثنين يشهدان في درهم ، ما ثبتت بشهادتهما دعوىٰ ، ولا انتصر بها حق .

ولا شك أن ذلك الاختلاف الذي لا يمكن التوفيق بين متناقضه ، يؤدي إلى أن تلك الأناجيل يأتيها الشك من كل جانبٍ ، فلا يمكن أن تكون إلهاماً .

وعليه فإن ذلك الاختلاف الذي أحاط بمسألة الصلب ، فوق أنه يفقد الثقة بالأناجيل ، فإنه أيضاً يجعل خبر الصلب عند القارىء الواعي الخالي الذهن ، موضع الشك الذي يترجح فيه الرد على القبول . ويظهر ذلك فيما يلي :

أ ـ هل عَيَّن المسيح من يخونه ويسلمه ؟

جاء في متى ٢٦ / ١ـ٢ : ولما أتم يسوع هذا الكلام كله ، قال لتلاميذه : تعرفون أن الفصح يقع بعد يومين ، وفيه يسلم ابن الإنسان ليصلب .

٢٦ / ١٤ـ١٥ :وفي ذلك الوقت ذهب أحد التلاميذ الاثني عشر ، وهو يهوذا الملقب بالإسخريوطي إلى رؤوساء الكهنة وقال لهم: ماذا تعطوني لأسلم إليكم يسوع؟ فوعدوه بثلاثين من الفضة.

٢٦ / ٦١ : وأخذ يهوذا من تلك الساعة يترقب الفرصة ليسلم يسوع .

٢٦ / ٢٠ : وفي المساء جلس يسوع للطعام مع تلاميذه الاثني عشر .

٢٦ / ٢١ : وبينما هم يأكلون . قال يسوع : الحق أقول لكم : واحد منكم سيسلمني .

٢٦ / ٢٢ : فحزن التلاميذ كثيراً ، وأخذوا يسألونه واحداً واحداً : هل أنا هو يا سيد ؟ .

٢٦ / ٢٣ : فـأجـابهم من يغمس خبـزه في الصحن معي هـو الـذي سيسلمني .

٢٦ / ٢٥ : فسأله يهوذا الذي سيسلمـه : هل أنـا هو يـا معلم ؟ فأجـابه يسوع : أنت قلت .

وجاء في مرقس ١٤ / ١٠ـ١١ : وذهب يهوذا الإسخريوطي أحد التلاميذ الاثني عشر إلى رؤساء الكهنة ليسلم إليهم يسوع . ففرحوا لكلامه ، ووعـدوه بأن يعطوه مالاً فأخذ يترقب الفرصة ليسلمه .

١٤ / ١٧ـ٢٠ : ولما كان المساء ، جاء مع تلاميذه الاثني عشر . وبينما هم جالسون للطعام قال يسـوع : الحق أقول لكم : واحـد منكم سيسلمني ، وهو يأكل معي . فحزن التلاميذ وأخذوا يسألونه واحداً واحداً : هل أنا هـو ؟ فقـال لهم : هو واحـد من الاثني عشر ، وهـو الـذي يغمس يـده في الصحن معي .

وجاء في لوقا ٢٢ / ٢ـ٦ : وكان رؤساء الكهنة ومعلمـو الشريعـة يبحثون عن طريقة يقتلون بها يسوع . لأنهم كانوا يخافون من الشعب . فدخل الشيطان في يهـوذا الملقب بالإسخـريوطي ، وهـو من التلاميـذ الاثني عشر . فـذهب وفاوض رؤساء الكهنة وقادة حرس الهيكل كيف يسلمه إليهم . ففرحوا واتفقوا على أن يعـطوه شيئاً من المـال . فرضي وأخـذ يترقب الفـرصة ليسلمـه إليهم بالخفية عن الشعب .

٢٢ / ١٤ـ١٥ : ولمـا جاء الـوقت جلس يسوع مـع الرسـل الاثني عشر للطعام . فقال لهم : كم اشتهيت أن أتناول عشاء هذا الفصح معكم قبـل أن أتألم .

٢٢ / ٢١ـ٢٣ : ولكن هـا هي يد الـذي يسلمني على المائـدة معي . . فأخذ التلاميذ يتساءلون من منهم يفعل هذا ؟ .

وجـاء في يوحنـا ١٣ / ٢ : وجلس للعشاء مـع تـلاميـذه . وكـان إبليس

وسوس إلى يهوذا بن سمعان الإسخريوطي أن يسلم يسوع .

١٣/٢١-٣٠ : وعند هذا الكلام اضطربت نفس يسوع وقال علانية : الحقَّ الحقَّ أقول لكم : واحد منكم سيسلمني . فنظر التلاميذ بعضهم إلى بعض حائرين لا يعرفون من يعني بقوله . وكان أحد التلاميذ ، وهو الذي يحبه يسوع جالساً بجانبه . فأومأ إليه سمعان بطرس وقال له : سله من يعني بقوله . فمال التلميذ على صدر يسوع وسأله : من هو يا سيد ؟ فأجاب يسوع : هو الذي أناوله اللقمة التي أغمسها . وغمس يسوع لقمة ورفعها ، وناول يهوذا بن سمعان الإسخريوطي . فلما تناولها دخل الشيطان في فيه . فقال له يسوع : اعمل ما أنت تعمله ولا تبطىء . فما فهم أحد من الجالسين لماذا قال له هذا الكلام . . وتناول يهوذا اللقمة وخرج في الحال وكان ليلاً .

ففي إنجيلي متى ومرقس وضع إشارة تدل عليه . وكاد في متى أن يعينه عندما سأله : هل أنا هو يا معلم ؟ وفي يوحنا عينه لهم بصراحة واضحة عندما ناوله اللقمة . أما في لوقا ، فلم يعينه . ولذلك أخذ التلاميذ يتساءلون : من منهم يفعل هذا . وكان نص إنجيل لوقا في الترجمات القديمة هكذا : «إن الذي يخونني هو معي من تلاميذي» . وعيسى لم يتكرر منه هذا القول في مجالس . واختلاف أقوالهم واضح . فيكون كل منهم قد أتى بشيء من عنده[1] .

ومن ناحية ثانية فإن كلام متى ومرقس ولوقا يدل على أن الشيطان دخل في نفس يهوذا قبل أن يلتقي بالمسيح والتلاميذ وقت العشاء . وقد صرح لوقا بذلك . أما يوحنا ، فقد ذكر أن الشيطان دخل في فيه عندما ناوله اللقمة . وهذا تناقض آخر .

ب ـ كيفية القبض على المسيح .

جاء في متى ٢٦/٤٧-٥٠ : وبينما يسوع يتكلم وصل يهوذا أحد التلاميذ الاثني عشر على رأس عصابة كبيرة تحمل السيوف والعصي . أرسلها رؤساء

---

(١) تحفة الأريب ص ١١١-١١٢ ، إظهار الحق ١/١٠٨-١٠٩ .

الكهنة وشيوخ الشعب . وكانَ الذي أسلمه أعطاهم علامة ، قال : هو الـذي أقبله فأمسكوه، ودنـا يهوذا في الحـال إلى يسوع وقـال له : السـلام عليك يـا معلم ، وقبله . فقال له يسوع : افعل ما جئت له يا صاحبي . فتقدموا وألقـوا عليه الأيدي وأمسكوه .

وفي الترجمات السابقة : « فقال له يسوع : يا صـاحب لماذا جئت ؟ » والفرق واضح .

ومد واحد من رفاق يسوع يـده إلى سيفه واستلّه ، وضـرب خادم رئيس الكهنة فقطع أذنه . فقال له يسوع : رد سيفك إلى مكانه . .

٢٦/ ٥٥-٥٦ : وقال يسوع للجموع : أعلى لص خرجتم بسيوف وعصي لتأخذوني ؟ كنت كل يوم أجلس معكم في الهيكـل أعلم ، فما أخـذتموني . ولكن حدث هذا كله لتتم كتب الأنبياء . فتركه التلاميذ وهربوا .

وجاء في مرقس ١٤/٤٣ ـ ٤٩ نحو ما جاء في متى ، بيد أنـه لم يذكـر سؤال المسيح ليهوذا بعد أن قبله عن سبب مجيئه كما في الترجمات القديمة . أو لم يأمره بمتابعة مهمته كما في ترجمة العهد الجديد المطبوع سنة ١٩٨٠ م .

وزاد عنه في في ١٤/٥١ ـ ٥٢ : وتبعه شـاب لا يلبس غير عبـاءة على عربة، فأمسكوه. فترك عباءته وهرب عرياناً.

وفي لوقا ٢٢/٤٧ ـ ٥٣ : وبينما هو يتكلم ظهرت عصابة يقودها المدعو يهـوذا. فدنـا من يسوع ليقبله. . فقـال له يسـوع : أبقبلة يـا يهـوذا تسلم ابن الإنسـان ؟. . . وضرب واحـد منهم خادم رئيس الكهنـة فقـطع أذنـه اليمنى . فـأجاب يسـوع : كفىٰ لا تزيـدوا. ولمس أذن الرجـل فشفاهـا. وقـال يسـوع للمقبلين عليـه من رؤسـاء الكهنـة وقـادة حـرس الهيكـل والشيـوخ : أعلى لصٍ . . . ؟

وسؤال المسيح ليهوذا بعد القبلة في إنجيل لوقا يختلف عمـا في متى . فهنا إستفهام إنكاري توبيخي . وهناك في متى يبدو أنه استفهام عادي .

وزاد لوقا عن الإنجيلين السابقين أن المسيح لمس أذن خادم رئيس الكهنة المصلومة فشفاها. وثلاثة الأناجيل هذه تبدو متقاربة في رواية اعتقال المسيح ـ كما يزعمون ـ أما إنجيل يوحنا فقد ذكر وجهاً آخر :

جاء في ١٨/٣ ـ ١٢ : فجاء يهوذا إلى هناك ـ أي إلى البستان ـ بجنود وحرس أرسلهم رؤساء الكهنة والفريسيون . وكانوا يحملون المصابيح والمشاعل والسلاح. فتقدم يسوع وهو يعرف ما سيحدث له، وقال لهم : من تطلبون ؟ أجابوا : يسوع الناصري . فقال لهم: أنا هو. وكان يهوذا الذي أسلمه واقفاً معهم. فلما قال لهم يسوع : أنا هو، تراجعوا ووقعوا إلى الأرض. فَسَألهم يسوع ثانية : من تطلبون ؟ أجابوا يسوع الناصري. فقال لهم يسوع : قلت لكم أنا هو، فإذا كنتم تطلبونني فدعوا هؤلاء يذهبوا ـ وكان سمعان بطرس يحمل سيفاً، فاستله وضرب خادم رئيس الكهنة ، فقطع أذنه اليمنىٰ. فقال يسوع لبطرس. ردّ سيفك إلى غمده ألا أشرب كأس الآلام التي جعلها لي أبي؟ فقبض الجنود وقائدهم وحرس الهيك على يسوع وقيدوه. ا هـ.

فثلاثة الأناجيل تذكر أن يهوذا هو الذي دلهم على المسيح بالعلامة التي اتفق معهم عليها. وهي تقبيله . ويوحنا يقول: إن المسيح هو الذي خرج إليهم وقدم نفسه. وكفى يهوذا مؤنة التعريف. ولا شك في أن الاختلاف البين في رواية حادثة واحدة يجعل إحدى الروايتين كاذبة والثانية صادقة. ولا سبيل إلى معرفة الصادقة. فثبت الشك في الروايتين. ومن ثم بطل الإلهام(١).

ولنا أن نتساءل : كيف يطلب اليهود من شخص أن يدلهم على المسيح ويعرفهم به، ويجعلوا له جعلاً على ذلك. وقد رأوا المسيح مراراً في الهيكل يعلم ؟ وقد حاورهم وناظرهم وسألوه أسئلة شتى في مختلف الشؤون. كيف لا يعرفونه، وهو المشهور الذي يتنقل في مختلف الجهات ويشفي المرضى بإذن

---

(١) محاضرات في النصرانية ص ١٠٥، الأسفار المقدسة لعلي ص ٢٨٦، إظهار الحق ١٠٩/١.

الله ، ولا يختفي ؟ فإما أن يكون هذا الكلام والطلب لغواً ، وإما أن يكون رؤساء الكهنة وجمهور اليهود لا يعرفونه حقاً[1].

جـ ـ اختلافهما في إنكار بطرس وصياح الديك.

جاء في متى ٢٦/٣٤ ـ ٣٥: قال له يسوع : الحق أقول لك : في هذه الليلة قبل أن يصيح الديك تنكرني ثلاث مرات. فأجابه بطرس : لا أنكرك وإن كان علي أن أموت معك.

وجاء في مرقس ١٤/٣٠ ـ ٣١ : فأجابه يسوع : الحق أقول لك يا بطرس : اليوم في هذه الليلة قبل أن يصيح الديك مرتين، تنكرني ثلاث مرات. فأصرّ بطرس على قوله : لا أنكرك وإن كان علي أن أموت معك.

وفي لوقا ٢٢/٣٤: فقال له يسوع : أقول لك يا بطرس : لا يصيح الديك اليوم حتى تنكرني ثلاث مرات.

وفي يوحنا ١٣/٣٨: الحق الحق أقول لك : لا يصيح الديك إلا وأنكرتني ثلاث مرات.

فعلى رواية متى ولوقا ويوحنا أنه قبل أن يصيح الديك ينكره ثلاث مرات . وعلى رواية مرقس : قبل أن يصيح الديك مرتين، ينكره ثلاث مرات .

وجاء في متى ٢٦/٦٩ ـ ٧٥: وكان بطرس قاعداً في ساحة الدار، فدنت منه جارية وقالت : أنت أيضاً كنت مع يسوع الجليلي . فأنكر أمام جميع الحاضرين . . وخرج إلى مدخل الساحة ، فرأته جارية أخرى. فقالت لمن كانوا هناك : هذا الرجل كان مع يسوع الناصري. فأنكر بطرس ثانية وحلف. . . وبعد قليل جاء الحاضرون وقالوا لبطرس : لا شك أنك أنت أيضاً واحد منهم ، فلهجتك تدل عليك. فأخذ يلعن ويحلف. . . فصاح الديك في الحال. فتذكر بطرس قول يسوع . فخرج وبكى بكاء مراً.

---

(١) مباحث برئية ص ١١٩ ـ ١٢٠، الأجوبة الفاجرة ص ٥٦ .

وجاء في مرقس ١٤/٦٦ ـ ٧٢ : وبينما بطرس في الساحة السفلى من الدار ، مرت جارية من جواري رئيس الكهنة فقالت له : أنت أيضاً كنت مع يسوع الناصري . فأنكر . . . وخرج إلى الدهليز ، فصاح الديك . فرأته الجارية وأخذت تقول للحاضرين : هذا منهم . فأنكر أيضاً . وبعد قليل قال الحاضرون لبطرس : لا شك أنك واحد منهم ، فأخذ يلعن ويحلف . . . وفي الحال صاح الديك مرة ثانية . فتذكر بطرس قول يسوع ، وأخذ يبكي .

وجاء في لوقا ٢٢/٥٥ ـ ٦٢ : وأوقد الحرس ناراً في ساحة الدار وقعدوا حولها وقعد بطرس بينهم . فرأته خادمة عند النار ، فتفرست فيه وقالت : وهذا الرجل كان مع يسوع . فأنكر . . . وبعد قليل رآه رجل فقال : وأنت منهم فأجابه بطرس : كلا يا رجل . ومضى نحو ساعة فقال أحدهم مؤكداً : وهذا حقاً كان معه . لأنه من الجليل . فأجابه بطرس : يا رجل لا أفهم ما تقول . وبينما هو يتكلم صاح الديك . فتذكر بطرس . فخرج وبكى بكاء مراً .

وجاء في يوحنا ١٨/١٦ ـ ١٨ : أما بطرس فوقف في الخارج عند الباب . وعاد التلميذ الآخر الذي يعرفه رئيس الكهنة وكلم الفتاة التي تحرس الباب وأدخل بطرس . فقالت الفتاة لبطرس : أما أنت أيضاً من تلاميذ هذا الرجل ؟ فأجابها بطرس : ما أنا منهم . وكان البرد شديداً فأوقد الخدم والحرس وأخذوا يتدفؤون . ووقف بطرس معهم .

١٨/ ٢٥ ـ ٢٧ : وبينما سمعان بطرس واقف هناك قالوا له : أما أنت من تلاميذه ؟ فأنكر وقال : ما أنا منهم فقال له واحد من خدم رئيس الكهنة : أما رأيتك معه في البستان ؟ فأنكر أيضاً . وفي الحال صاح الديك ا هـ . ويظهر أهم الخلاف فيما يلي :

١ ـ الذين عرفوا أن بطرس من تلاميذ المسيح ، هم في رواية متى ، ومرقس جاريتان والرجال الحاضرون . وفي رواية لوقا : أَمَةٌ ورجلان . وفي رواية يوحنا : الفتاة الحارسة والجمع الحاضرون والرجل الذي رآه في البستان .

٢ ـ عندما سألت الجارية الأولى بطرس ، كان وقتئذ في ساحة الدار على رواية متى . وفي الساحة السفلىٰ من الدار على رواية مرقس. وفي وسط الدار على رواية لوقا. وداخل الدار على رواية يوحنا.

٣ ـ صياح الديك كان على رواية متى ولوقا ويوحنا مرة واحدة بعد إنكار بطرس ثلاث مرات . وكان مرتين على رواية مرقس ، مرة بعد الإنكار الأول ، وأخرى بعد الإنكارين الثاني والثالث.

٤ ـ الرجال القيام الحاضرون كانوا خارج الدار وقت السؤال على ما يفهم من مرقس. ووسط الدار على ما يفهم من لوقا.

٥ ـ أضف إلى ذلك اختلافهم في نوع ما سئل بطرس عنه، وما كان جوابه لهم قبل الحلف وبعده.

٦ ـ ويفهم من متى ومرقس أن الذين استهزؤوا بالمسيح وألبسوه اللباس، كانوا جند بيلاطس لا هيرودس . ويفهم من لوقا خلاف ذلك[١].

جاء لوقا ٢٣/٢٦ : وبينما هم ذاهبون به، أمسكوا سمعان، وهو رجل قيرواني كان راجعاً من الحقل، فألقوا عليه الصليب ليحمله خلف يسوع.

وفي متىٰ ٢٧/٣٢: وبينما هم خارجون من المدينة صادفوا رجلاً من قيروان اسمه سمعان. فسخروه ليحمل صليب يسوع.

مرقس ١٥/٢١ : وسخروا لحمل صليبه سمعان القيرواني وكان في الطريق راجعاً من الحقل.

وفي يوحنا ١٩/١٦ ـ ١٧ : فأخذوا يسوع وساروا به. فخرج وهو يحمل صليبه إلى مكان يسمىٰ بالجمجمة. فثلاثة الأناجيل الأولى خالفت الإنجيل الرابع[٢].

---

(١) إظهار الحق ١/١٠٩ ـ ١١٠، شفاء الغليل ص ٤٨ ـ ٥٠.

(٢) إظهار الحق ١/١١٠.

هـ ـ متى كان المصلوب فوق الصليب ؟

من تتبع الباب السابع والعشرين من متى ، والباب الخامس عشر من مرقس ، والبابين الثاني والعشرين والثالث والعشرين من لوقا ، والباب الثامن عشر من يوحنا، وجدا اختلافاً واضحاً في وقت وضع المصلوب على الصليب.

ففي متى ٢٧/١ ـ ٢ ، ومرقس ١٥/١ ، ولوقا ٢٢/٦٦ و٢٣/١ : ولما طلع الصباح تشاور جميع رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب على يسوع ليقتلوه . ثم قيدوه وأخذوه إلى الحاكم بيلاطس النبطي . أما يوحنا فيذكر في ١٨/٢٨ أنهم أخذوا يسوع من عند قيافا إلى قصر الحاكم وكان الوقت صباحاً. ولم يذكر تشاورهم في قتله. ويفهم من ذلك أن التشاور قد تم من قبل. ولم يقع عند الصباح.

وقد انفرد متى في ٢٧/١٩ : بنهي امرأة الحاكم زوجها عن إيذاء هذا الرجل الصالح .

وانفرد مرقس في ١٥/٢٥ بتحديد ساعة الصلب، وهي التاسعة صباحاً.

وانفرد لوقا في ٢٣/٦ ـ ١٢ بإرسال بيلاطس يسوع إلى هيرودس حاكم الجليل وكان في أورشليم إذ ذاك . فسأله هيرودس أسئلة ثم أعاده إلى بيلاطس تحت إصرار اليهود على قتله . فمتى وضع على الصليب ؟!

و ـ هل شتم المصلوبان الثالث ؟ أو أحدهما ؟

جاء في متى ٢٧/٣٨ ـ ٤٤ : أن المسيح صلب بين لصين. وكان المارة يهزون رؤوسهم ويشتمونه قائلين : يا هادم الهيكل وبانيه في ثلاثة أيام. خلص نفسك وانزل عن الصليب. وكان رؤساء الكهنة ومعلمو الشريعة والشيوخ يستهزئون به ويقولون نحو ذلك. وعيره اللصان المصلوبان معه أيضاً. فقالا مثل هذا الكلام.

وورد نحو ذلك في مرقس ١٥/٢٧ ـ ٣٢ .

وجاء في لوقا ٢٣/٣٣ ـ ٣٤ : أنهم صلبوه بين مجرمين. وأن يسوع دعا لهم بالمغفرة. لأنهم لا يعرفون ما يعملون.

٢٣/٣٥ ـ ٣٧ : ووقف الشعب هناك ينظرون ، ورؤساؤهم يقولون متهكمين : خلص غيره ، فليخلص نفسه إن كان مسيح الله المختار. واستهزأ به الجنود أيضاً.

٢٣/٣٩ ـ ٤٣ : وأخذ أحد المجرمين المعلقين على الصليب يشتمه ويقول له : أما أنت المسيح ، فخلص نفسك وخلصنا. فانتهره الآخر قائلاً : أما تخاف الله وأنت تتحمل العقاب نفسه ؟ نحن عقابنا عدل. أما هو فما عمل سوءاً. ثم قال ليسوع : اذكرني متى جئت في ملكوتك . فأجاب يسوع : الحق أقول لك : ستكون اليوم معي في الفردوس.

فمتى ومرقس أخبرا أن اللصين شتما يسوع وسخرا منه. ولوقا أخبر أن أحدهما كان يشتمه ، وأوجب للآخر الجنة. فهل سبه اللصان في أول الأمر ، ثم آمن به أحدهما ؟ إذا كان الأمر كذلك ، فإن متى ومرقس قد وقعا في خطأ جسيم . أما يوحنا فقد ذكر في ١٩/١٨ : أنه صلب بين لصين. وأراح نفسه فلم يذكر أنهما قالا شيئاً البتة. فأين الإلهام[١] ؟!

ز ـ ثلاثة أيام وثلاث ليال أم يوم وليلتان ؟

تذكر الأناجيل أن يسوع أنبأ تلاميذه ثلاث مرات بقتله وقيامته بعد ثلاثة أيام من بين الأموات : فالمرة الأولى ذكرها متى في ١٦/٢٠، ومرقس في ٨/٣١، ولوقا في ٩/٢٢ ـ ٢٧.

والمرة الثانية ذكرها متى في ١٧/٢٢ ـ ٢٣ ، ومرقس في ٩/٣٠ ـ ٣٢، ولوقا في ٩/٤٣ ـ ٤٥ لكنه لم يذكر هنا قيامته. وإنما ذكر أنه سيُسلم.

والمرة الثالثة ذكرها متى في ٢٠/١٧ ـ ١٩ ، ومرقس في ١٠/٣٢ ـ ٣٤، ولوقا في ١٨/٣١ ـ ٣٤.

---

(١) الفصل ٢/٥٧، تحفة الأريب ص ١١٤، إظهار الحق ١/١١٠، الأجوبة الفاجرة ص ٢٥، شفاء الغليل ص ٥٣ ـ ٥٤.

وتلك النصـوص مجملة. فأكثـرها يـذكر أنـه يقـوم في اليـوم الثـالث ، وبعضها ينص على أنه يقوم بعد ثلاثة أيام. بيد أنها لا تتعرض لذكر الليالي.

وقد فصل ذلك متىٰ في ١٢/٣٨ ـ ٤٠ عندمـا طلب الفريسيـون آية من المسيح ، فأجابهم : جيل شرير فاسق يطلب آية ، ولن يكون له سوى آية النبي يونان . فكما بقي يونان ثلاثة أيام بلياليها في بطن الحوت ، كـذلك يبقى ابن الإنسان ثلاثة أيام بلياليها في جوف الأرض.

وجاء في ١٦/ ٤ من متى أيضاً : جيل فاسد يطلب آية. ولن يكون لـه سوى آية يونان. ثم تركهم ومضىٰ.

وجاء في لوقا ١١/٢٩ ـ ٣٢ : وازدحمـت الجموع ، فأخذ يقول : هذا الجيل جيل فاسد يطلب آية ، ولن يعطى سوى آية يونان النبي.

ومن الملاحظ أن الذين طلبوا الآية عنـد لوقـا هم الجموع المـزدحمة، وليس بعض معلمي الشريعة والفريسيين كما عند متى. أما مرقس ، فقد ذكـر في ٨/١١ ـ ١٢ أن بعض الفريسيين طلبوا منه آية من السماء ليجربـوه ، فقال لهم : ما لهذا الجيل يطلب آية ؟ الحق أقول لكم. لن يعطى هذا الجيـل آية ا هـ. ولم يذكر لهم شيئاً عن النبي يونس ـ عليه السلام ـ

وجاء في سفر يونان ١/١٧ : وأما الرب فأعد حوتاً عظيماً ليبتلع يونان. فكان في جوف الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال.

ولو رجعنا إلى ما تذكره الأناجيل من أحداث الصلب والدفن والقيامـة، لـوجدنـا أن المصلوب أنزل من على الصليب مسـاء الجمعـة ، ودفن في أول ساعة من ليلة السبت. ثم قام من بين الأموات صبيحة يوم الأحد. وعليه، فقد بقي في بطن الأرض يوماً وليلتين فقط. وليس ثلاثة أيام بلياليهـا. وقد اعتـرف (بالسن) و(شايز) أن هذا التفسير من جانب متى. وإنما مقصود المسيح أن أهل نينوى كما آمنوا بسماع الـوعظ وطلبوا المعجـزة، كذلـك فليرض النـاس مني بسماع الوعظ ا هـ.

وعليه فإن هذا الغلط إنما نشأ من سوء فهم متى. وهو كما لم يفهم مراد المسيح هنا، يمكن أيضاً أن لا يفهمه في مواضع أخر، فينقل غلطاً. فظهر أنه لم يكتب إنجيله بإلهام[1].

ولنستعرض الآن ما ذكرته الأناجيل عن موت المسيح ودفنه ثم قيامته لنرى الفوارق بينها:

فعن موته: ذكر متى في ٢٧/ ٤٥ ومرقس في ١٥/ ٢٣ ولوقا في ٢٣/ ٤٤ أنه عند الظهر خيم على الأرض كلها ظلام حتى الساعة الثالثة. وذكر متى في ٢٧/ ٤٦ ومرقس في ١٥/ ٢٤ أنه في الساعة الثالثة صرخ يسوع بصوت عظيم: إلهي إلهي، لماذا تركتني؟ ثم ذكر متى في ٢٧/ ٥٠ ومرقس في ١٥/ ٣٧ أنه صرخ مرة ثانية صرخة قوية وأسلم الروح. ولم يذكر لوقا الصرخة الثانية. وإنما ذكر في ٢٣/ ٤٦ أنه في الساعة الثالثة صرخ صرخة قوية قائلاً: يا أبي ـ يا أبتاه ـ في يديك أستودع روحي. قال هذا، وأسلم الروح.

وإننا لنتساءل إذا كان المسيح إلهاً تاماً، فكيف ينادي إلهي الهي لم تركتني؟ بل كيف يستودعه روحه، وهو إله مثله؟ ثم إن الأناجيل وصفت المسيح بأنه يخاف ويضطرب . . . فكيف يصح أن يكون إلهاً؟!

أما يوحنا فقد ذكر في ١٩/ ٢٨ ـ ٣١ ما يلي: ورأى يسوع أن كل شيء قد تم. فقال أنا عطشان . . . فلما ذاق الخل قال: تم كل شيء، وحنى رأسه وأسلم الروح. وكان ذلك يوم التهيئة للسبت.

١٩/ ٣٤: لكن أحد الجنود طعنه بحربته في جنبه، فخرج منه دم وماء.

ويعلم من كلام مرقس أنهم أعطوه خمراً ممزوجاً بمُرّ، ومن كلام الآخرين أنهم أعطوه خلاً. ويعلم أيضاً من متى ويوحنا أنه سقي هذا الخل.

وعن دفنه: ذكر متى في ١٧/ ٥٧ ـ ٦١ ومرقس في ١٥/ ٤٢ ـ ٤٧ ولوقا

---

(١) إظهار الحق ١/ ١٥٤.

في ٢٣/٥٠ ـ ٥٦ ويوحنا في ١٩/٣٨ أنه عندما اقترب المساء ـ زاد مرقس : وهو وقت التهيئة. أي ما قبل السبت ـ جاء رجل غني من مدينة الرامة . اسمه يوسف . وكان من تلاميذ يسوع في السر، ومن أعضاء مجلس اليهود البارزين. فتجاسر ودخل علىٰ بيلاطس وطلب جسد يسوع . فأمر بيلاطس أن يسلموه إليه .

ثم ذكر متى أن يوسف أخذ جسد يسوع ولفه في كفن نظيف، ووضعه في قبر جديد كان حفره لنفسه في الصخر. ثم دحرج حجراً كبيراً على باب القبر ومضىٰ . وكانت مريم المجدلية ومريم الأخرىٰ جالستين تجاه القبر.

وذكر مرقس أن يوسف اشترى كفناً ثم أنزل الجسد عن الصليب وكفنه ووضعه في قبر محفور في الصخر ، ودحرج حجراً على باب القبر. وشاهدت مريم المجدلية ومريم أم موسى أين وضعه.

وذكر لوقا أن يوسف أنزله عن الصليب، ولفه في كفن ، ووضعه في قبر محفور في الصخر. وكان اليوم يوم التهيئة للسبت ، والسبت كاد يبدأ. وكانت النساء اللواتي تبعن يسوع يرافقن يوسف فرأين القبر ، وكيف وضع فيه جسد يسوع .

أما يوحنا فقد ذكر في ١٩/٣٩ ـ ٤٢ ما يلي : وجاء نيقوديموس ، وهو الذي ذهب إلى يسوع ليلاً من قبل ، فحملا جسد يسوع ، وسكبا عليه الطيب ولفاه في كفن . وكان في الموضع الذي صلبوه فيه بستان. وفي البستان قبر جديد، ما دفن فيه أحد. فوضعا فيه يسوع لأنه كان قريباً. وكان اليوم يوم التهيئة عند اليهود ا هـ.

وإنك لتلحظ الفروق التالية :

ـ يفهم من كلام متى أن يوسف الرامي إنما أخذ جسد المصلوب، وأن الذي أنزله غيره. وقد صرح مرقس ولوقا أن يوسف هو الذي أنزله عن الصليب.

ـ ذكر الثلاثة أن يوسف وحده كفن الجسد ووضعه في القبر ولم يطيبه.

وذكر يوحنا أن نيقوديموس حمل مع يوسف الجسد وكفناه بعد أن سكبا عليه الطيب.

ـ ذكر الثلاثة أن الدفن في قبر محفور في الصخر . وانفرد متى عنهما بأن القبر كان يوسف قد أعده لنفسه . أما يوحنا فقد ذكر أن القبر الجديد كان في بستان. فدفناه فيه لقربه من موضع الصلب .

ـ من شهد الدفن من النساء ثنتان عند متى ومرقس. وجمع من النساء عند لوقا.

ـ وقد انفرد متى عن غيره في ذكر حراسة القبر، ففي ٢٧/٦٢ ـ ٦٦ : وفي الغد أي بعد التهيئة للسبت ذهب رؤساء الكهنة والفريسيون إلى بيلاطس وقالوا له : تذكّرنا يا سيد أن ذلك الدجال قال وهو حي : سأقوم بعد ثلاثة أيام. فأصدر أمرك بحراسة القبر إلى اليوم الثالث. لئلا يجيء تلاميذه في الليل ويسرقوه ويقولوا للشعب : قام من بين الأموات. فتكون هذه الخدعة شراً من الأولىٰ. فقال بيلاطس : عندكم حرس فاذهبوا واحتاطوا كما ترون . فذهبوا واحتاطوا ، فختموا الحجر ، أقاموا عليه الحرس.

وعن قيامته : قال متى في ٢٨/١ ـ ١٠ : ولما مضى السبت وطلع فجر الأحد جاءت مريم المجدلية ومريم الأخرىٰ لزيارة القبر . وفجأة وقع زلزال عظيم حين نزل ملاك الرب ودحرج الحجر عن باب القبر ، وجلس عليه. وكان منظره كالبرق ، وثوبه أبيض كالثلج . فارتعب الحرس ، وصاروا مثل الأموات. فقال الملاك للمرأتين : لا تخافا، أنا أعرف أنكما تطلبان يسوع المصلوب. ما هو هنا. لأنه قام كما قال. تقدما وانظرا ، واذهبا في الحال إلى تلاميذه، وقولا لهم : قام من بين الأموات، وها هو يسبقكم إلى الجليل ، وهناك ترونه. فتركت المرأتان القبر ، وهما في خوف عظيم ، وذهبتا تحملان الخبر إلى التلاميذ . فلاقاهما يسوع وقال: السلام عليكما . فتقدمتا وأمسكتا بقدميه وسجدتا له . فقال لهما : لا تخافا ، اذهبا وقولا لإخوتي أن يمضوا إلى الجليل ، فهناك يرونني .

وقال مرقس في ١٦/١ ـ ١٦ : ولما مضى السبت اشترت مريم المجدلية ومريم أم يعقوب وسالومة بعض الطيب ليسكبنه على جسد يسوع. وفي صباح الأحد عند طلوع الشمس جئن إلى القبر ، وكن يتساءلن : من يدحرج لهن الحجر الكبير ؟ فلما رأينه مدحرجاً دخلن القبر ، فرأين شاباً جالساً عن اليمين، عليه ثوب أبيض ـ فارتعبن منه. فقال : لا ترتعبن . أنتن تطلبن يسوع الناصري المصلوب. ما هو هنا : بل قام. فاذهبن وقلن لتلاميذه: هو يسبقكم إلى الجليل. وهناك ترونه. فخرجن من القبر هاربات من شدة الحيرة والفزع. وما أخبرن أحداً بشيء.

١٦/٩ ـ ١١ : وبعدما قام يسوع صباح الأحد، ظهر أولاً لمريم المجدلية. فذهبت وأخبرت تلاميذه ، وكانوا يبكون، فما صدقوها.

وقال لوقا في ٥٦/٢٣ : ثم رجعن ـ أي النساء اللواتي تبعن يوسف ورأين القبر ـ وهيأن طيباً وحنوطاً. واسترحن في السبت حسب الشريعة.

٢٤/١ ـ ١٢ : وجئن عند فجر الأحد إلى القبر ، وهن يحملن الطيب ، ومعهن بعض الناس، فوجدن الحجر مدحرجاً عن القبر . فما وجدن جسد يسوع . وبينما هن في حيرة ، ظهر لهن رجلان ، عليهما ثياب براقة، فارتعبن. فقال الرجلان : لماذا تطلبن الحي بين الأموات ؟ ما هو هنا. بل قام ، وهو في الجليل. ورجعن من القبر وأخبرن الأحد عشر والآخرين بما حدث. وهن مريم المجدلية وحنة ومريم أم يعقوب وسائر النساء اللواتي رافقنهن. وظن الرسل أنهن واهمات ، فما صدقوهن ، لكن بطرس قام وأسرع إلى القبر . فلما انحنى رأى الأكفان وحدها.

وقال يوحنا في ٢٠/١ ـ ٢٠ : ويوم الأحد جاءت مريم المجدلية إلى القبر باكراً، وكان ظلام بعد. فرأت الحجر مرفوعاً من القبر. فأقبلت مسرعة إلى سمعان بطرس والتلميذ الآخر الذي أحبه يسوع ، وقالت لهما : أخذوا الرب من القبر، ولا نعرف أين وضعوه. فخرجا مسرعين نحو القبر، فرأيا الأكفان على الأرض، والمنديل الذي كان على رأس يسوع ملفوفاً في مكان على حدة .

فآمنا لأنهما كانا بعد لا يفهمان ما جاء في الكتاب ، وهو أن يسوع يجب أن يقوم من بين الأموات . ثم رجعا إلى منزليهما . أما مريم المجدلية ، فوقفت عند القبر تبكي . فرأت ملاكين في ثياب بيضاء جالسين حيث كان جسد يسوع . فقالا لها : لماذا تبكين يا امرأة ؟ قالت : أخذوا ربي ، ولا أعرف أين وضعوه. والتفتت وراءها فرأت يسوع واقفاً، لكنها ما عرفته. فسألها : لماذا تبكين يا امرأة ومن تطلبين ؟ فظنت أنه البستاني ، وقالت له : إن كنت أنت أخذته ، فقل لي : أين وضعته حتى آخذه. فناداها : يا مريم. فعرفته. ثم قال لها : لا تمسكيني . لأني ما صعدت بعد إلى أبي . بل اذهبي إلى إخوتي وقولي لهم : أنا صاعد إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم. فرجعت وأخبرت التلاميذ . وفي مساء ذلك الأحد كان التلاميذ مجتمعين ، والأبواب مقفلة، خوفاً من اليهود ، فجاء يسوع ووقف بينهم، وقال : سلام عليكم . وأراهم يديه وجنبه ، ففرح التلاميذ.

وإنك لتلاحظ في خبر قيامته التناقضات التالية :

- يعلم من متى أنه لما وصلت المريمان إلى القبر نزل الملاك فدحرج الحجر عن القبر ثم جلس عليه ، وقال لهما لا تخافا. أما الحرس فصاروا كالأموات.

ويعلم من مرقس أنهما وسالومة كن يتساءلن في الطريق عمن يدحرج لهن الحجر ليسكبن الطيب على الجسد ، ولما وصلن إلى القبر رأين الحجر مدحرجاً. ولما دخلن القبر وجدن الملاك جالساً عن اليمين ، وليس فوق الحجر . فطمأنهن.

ومن لوقا أنه جاء جمع من النسوة معهن بعض الناس. فوجدن الحجر مدحرجاً، ولما دخلن القبر لم يجدن المسيح ، فصرن محتارات. فإذا رجلان واقفان بثياب براقة.

وقد أغفل لوقا أمر الناس الذين كانوا مع النساء اللواتي أتين إلى القبر.

ويعلم من يوحنا أن التي أتت إلى القبر هي مريم المجدلية وحدها. فرأت الحجر مرفوعاً.

ـ يعلم من متى ولوقا أنه عندما أتى من أتى لزيارة القبر كان الوقت عند طلوع الفجر ، أي الغَلَس. ولذلك ذكر يوحنا أن الظلام كان باقياً.

ويعلم من مرقس أن النساء أتين إلى القبر إذ طلعت الشمس.

ـ يعلم من متى أن الملك القاعد على الحجر طلب من المرأتين أن تخبرا التلاميذ بأن يسوع قام من بين الأموات ، وهو يسبقكم إلى الجليل. وفي الطريق ظهر لهما يسوع وسلم عليهما ، فأمسكتا بقدميه وسجدتا له ، فطلب منهما دعوة التلاميذ إلى الجليل أيضاً.

ومن مرقس أن الشاب الجالس عن اليمين طلب من النساء أن يخبرن التلاميذ بأن يسوع يسبقهم إلى الجليل. لكنهن خرجن من القبر هاربات ولم يخبرن أحداً بشيء. ثم ظهر لمريم المجدلية وحدها. فذهبت وأخبرت التلاميذ فما صدقوها.

ومن لوقا أنهن سمعن من الرجلين أنه في الجليل. ولم يطلبا منهن إخبار التلاميذ. لكنهن رجعن وأخبرن التلاميذ بما حدث ، فما صدقوهن وظنوهن واهمات. لكن بطرس قام وجلى الموقف.

أما يوحنا فقد خالف كل المخالفة ، حيث ذكر أن مريم رأت الحجر مدحرجاً ولم تجد أحداً قاعداً عليه أو في داخل القبر ، فأقبلت مسرعة نحو سمعان بطرس والتلميذ الآخر ـ أي يوحنا ـ فأسرعا نحو القبر فوجدا الأكفان ومنديل الرأس على الأرض. فآمنا ثم رجعا إلى منزلهما.

ومن الغريب العجيب أن يذكر يوحنا أن التلميذين آمنا لأنهما كانا بعد لا يفهمان ما جاء في الكتب من أن يسوع يقوم من بين الأموات. مع أن الأناجيل الأربعة ذكرت أن يسوع أنبأ تلاميذه بموته وقيامته أكثر من ثلاث مرات ، وبين لهم أنه من أجل ذلك جاء ، وعليه نصّت الكتب.

وذكر يوحنا أن مريم المجدلية وقفت وحدها عند القبر تبكي ظانة أنهم قد أخذوا ربها. فظهر لها الملاكان حيث كان الجسد، ثم ظهر المسيح من ورائها . فما عرفته إلا لأنه ناداها باسمها. ثم نهاها عن مَسِّه. لأنه لما يصعد إلى أبيه. ثم طلب منها أن تخبر التلاميذ بأنه صاعد إلى أبيه وأبيهم. حدث هذا كله معهم ، وهي وحدها في القبر أو عند القبر.

ومن العجيب أن متى ذكر أن المسيح ظهر للمَرْيَمَيْن في الطريق ، فأمسكتا بقدميه. فهل كان ذلك بعد صعوده إلى أبيه ؟! وإذا كان كذلك. فكم مرة رأته قبل أن يراه التلاميذ ؟ وكم مرة ذهبت إلى القبر ثم عادت ؟ وهل علم التلاميذ بقيامة يسوع وموعد الجليل من امرأة أو من امرأتين أو أكثر ؟ أو فوجئوا به وهم مجتمعون والأبواب مقفلة ؟ اتسع الخرق على الراقع.

وصفوة القول في موته وقيامته : إن دفنه كان ليلة السبت لا محالة. ثم غاب هذا الجسد عن القبر في الساعات الأولى من فجر يوم الأحد ، حيث اكتشفت التلاميذ أن القبر كان خالياً. وبعملية حسابية بسيطة نجد أن المدة التي قضاها في بطن القبر يوم وليلتان ـ أي ليلة السبت ونهاره ، وليلة الأحد ـ فلا تصح دعوى ثلاثة أيام وثلاث ليال[1]

ح ـ مناقشة دعوى الصلب:

النتيجة العقلية المستفادة من نصوص الأناجيل جميعها ، سواء أكان معترفاً بها من قبل الكنيسة أم لا ، أن إنساناً قد صلب حقيقة. وهو غير المسيح على وجه القطع والتأكيد . وهذا الشخص قد أُلقي عليه شبه المسيح ، فظن الناس أنه المسيح . لأن المكلفين بالقبض عليه ما كانوا يعرفونه . وكان الوقت

---

(١) الفصل ٢/٤٣ ـ ٤٤، تحفة الأريب ص ٦٨، إظهار الحق ١/١٥٣ ـ ١٥٤ و١١٢، مجلة الجامعة ص ١٦٨ ـ ١٦٩، الأجوبة الفاجرة ص ٢٥ وسيأتي إن شاء الله مناقشة دعوى صعوده إلى السماء أمام تلاميذه في بحث الرسائل. عند الكلام على تعارض الرسائل مع الأناجيل .

ليلاً . بدليل حملهم المصابيح والمشاعل . وهذا الأمر يحدث في بعض الأحيان ، ولا سيما في حالات الفوضى ، كما هو معلوم لدى علماء النفس المتتبعين لعادات البشر ، ولمن يعمل في قوى الأمن . ويدل على ذلك إجابة المقبوض عليه ، فإنها تدل على حيرته واضطرابه . حتى إن قيافا رئيس الكهنة تعجب منها. ولا سيما سكوته في بعض الأحيان سكوت اليائس. وقوله لهم لما سألوه: إن كنت أنت المسيح فقل لنا. فأجابهم ـ كما في لوقا ٢٢/٦٧ ـ ٦٨ : إن قلت لكم لا تصدقون. وإن سألتكم لا تجيبون ولا تخلون سبيلي . وفي متى ٢٧/١١ ـ ٤١ : ووقف يسوع أمام الحاكم فسأله الحاكم : أأنت ملك اليهود ؟ فأجابه يسوع : أنت قلت . وكان رؤساء الكهنة والشيوخ يتهمونه فلا يجيب بشيء. فقال له بيلاطس : أما تسمع ما يشهدون به عليك ؟ فما أجابه يسوع عن شيء . حتى تعجب الحاكم كثيراً. وورد نحو ذلك في مرقس ١٥/١ ـ ٥. وزاد لوقا في ٢٣/٤ ـ ٥ : فقال بيلاطس لرؤساء الكهنة والجموع : لا أجد جرماً على هذا الرجل . ولكنهم أصروا على قولهم : إنه يثير الشعب بتعليمه في اليهودية كلها، من الجليل إلى هنا.

وفي يوحنا ١٨/٣٣ ـ ٣٥ : أن بيلاطس قال للمقبوض عليه : أأنت ملك اليهود ؟ فأجابه : أتقول هذا من عندك أم قاله لك آخرون ؟ فقال بيلاطس : أيهودي أنا ؟ شعبك ورؤساء الكهنة أسلموك إلي ، فماذا فعلت ؟

ولذلك أراد الحاكم إطلاق سراحه. لكن اليهود لشدتهم وعدم إدراكهم حقيقة الأمر فقد أصروا على قتله. فما كان من الحاكم إلا أن تبرأ من دمه وألقى التبعة عليهم.

ويؤكد ذلك ظهور المصلوب بمظهر الضعف والاستكانة والذل والإكتئاب . وهذا لا يحدث من رجل جلد، فضلاً عن أن يكون نبياً من أولي العزم من الرسل أو ابناً لله أقدم على حقيقة نزل من أجلها كما يزعمون. جاء في متى ٢٥/٤٦ ومرقس ١٥/٣٤ : ونحو الساعة الثالثة صرخ يسوع بصوت عظيم: إيلي إيلي ، لمّا شبقتاني ؟ أي إلهي إلهي لماذا تركتني؟

مع أن اللصين اللذين صلبا بجواره لم يستغيثا ولم يصرخا ولم يضطربا. بل كانا يضحكان من عدم ثباته وخور عزيمته. أفيكون اللصان أكثر رجولة من المسيح ؟ ولا سيما إذا كان يعرف مهمته التي نزل من أجلها كما يزعمون ؟! لا يقول هذا إلا من سفه نفسه ، وجعل بينه وبين الحق حجاباً(١) .

أما من الذي ألقى عليه شبه المسيح ، فشبه لهم، وصلب بدلاً منه فهذا شأن آخر. وقد ذكر برنابا في إنجيله أن الذي ألقي عليه شبهة هو يهوذا الإسخريوطي نفسه. حيث تقدم الجمع ودخل على التلاميذ وهم نائمون، فجعل يقول: أين المعلم ؟ وفي لحظة دخوله رفع الله سبحانه المسيح إليه ، وألقى شبهه على يهوذا. فصار التلاميذ يقولون : أنت هو المعلم. فماذا تريد ؟ وهم يعجبون منه ! ثم اقتحم الجمع المنزل، وأخذوا يهوذا ظانين أنه المسيح ، وهو ينكر فلا يصدقونه. ثم ندم على فعلته وأحس بعظم جنايته ، وعلم أن الله يعاقبه بذلك . فاستسلم لقدر الله ، ولاذ بالصمت كي يغفر الله له.

ويدعم ذلك أن المسيح ـ عليه السلام ـ كان معروفاً بشكل جيد لدى الناس، ولا سيما رؤساء الكهنة. ويهوذا إنما دلهم على مكان وجوده، لا على شخصيته . ولذلك ألقوا القبض على الشبيه . وفي هذا تفسير معقول لحيرة المقبوض عليه واضطرابه عند طرح الأسئلة عليه ، ولظهوره بمظهر الضعف والاستكانة وهو على الصليب. ولاختفاء يهوذا العجيب الذي لم يجد له كاتب الإنجيل إلا الانتحار. مما يثير كثيراً من التساؤلات.

جاء في إنجيل برنابا ١١٢/١٤ ـ ١٧ : وعليه فإني على يقين من أن من يبيعني يقتل باسمي. لأن الله سيعصدني من الأرض. وسيغير منظر الخائن ، حتى يظنه كل أحد إياي . ومع ذلك، فإنه لما يموت شرّ ميته ، أمكث في ذلك العار زمناً طويلاً في العالم. ولكن متى جاء محمد رسول الله المقدس ، تزال عني هذه الوصمة ا هـ.

---

(١) مباحث برئية ص ١١٩ ـ ١٢٠ و١٢٦ ـ ١٢٧ ، الأجوبة الفاجرة ص ٢٦ ـ ٢٧ ، وص ٥٤.

إن اختلاف رواية متى عن رواية لوقا في طريقة انتحار يهوذا تجعل القلب يطمئن إلى ما رواه برنابا ويرجحه. فقد جاء في إنجيل متى ٢٧/٣ـ٨: فلما رأى يهوذا أنهم حكموا على يسوع، ندم ورد الثلاثين من الفضة إلى رؤساء الكهنة والشيوخ، وقال لهم: خَطِئت حين أسلمت دماً بريئاً. فقالوا له: ما علينا؟ دبّر أنت أمرك. فرمى الفضة في الهيكل وانصرف. ثم ذهب وشنق نفسه. فأخذ رؤساء الكهنة الفضة وقالوا: هذه ثمن دم، فلا يحل لنا أن نضعها في صندوق الهيكل. فاتفقوا أن يشتروا بها حقل الخزاف ليجعلوه مقبرة للغرباء. ولهذا يسميه الناس (حقل الدم) إلى هذا اليوم.

وجاء في سفر الأعمال للوقا ١/١٦ ـ ٢٠ أن يهوذا الذي جعل نفسه دليلاً للذين قبضوا على يسوع، اشترى بثمن الجريمة حقلاً. فوقع على رأسه، وانشق وسطه، واندلعت أمعاؤه كلها. وعرف ذلك سكان أورشليم كلهم، حتى تسمىٰ هذا الحلقل في لغتهم (حقل دمخ) أي حقل الدم.

ولا شك أن الموت بالشنق ـ أو بالخنق ـ غير الموت بالوقوع على الرأس وانشقاق البطن. وشراء الحقل من قبل رؤساء الكهنة غير شرائه من قبل يهوذا. فلا بد أن تكون إحداهما خطأ لكنها غير معلومة. ومن ثم يتطرق الشك إليهما، فتردان معاً. لأنه لا إلهام مع الشك[1].

أضف إلى ذلك أن في إنجيل متى نفسه ما ينفي الصلب، ففي ٢٣/٣٩: «لأني أقول لكم: إنكم لا ترونني من الآن حتى تقولوا: مبارك الآتي باسم الرب» ٢٤/١: ثم خرج يسوع ومضى من الهيكل..

وهذا يدل على أنه فارقهم في ذلك اليوم. وعبارته تشير إلى وداعهم. لأنه قال: لا ترونني من الآن.

وفي طبعة سنة ١٩٨٠: لن تروني... أي من تلك الساعة. فإن صح هذا فهو دليل قطعي على أن اليهود لما أرادوا أخذه لم يروا ذاته، بل رأوا

---

(١) إظهار الحق ١/١١٥ ـ ١١٦، محاضرات في النصرانية ص ١٠٦.

شبيهه، فأخذوه وصلبوه ظانين أنه هو ليقضي الله أمراً كان مفعولاً[1] .

ومن الجدير بالذكر أن تصور خلاص البشر بوساطة تقديم أحد الآلهة ذبيحة فداء عن الخطيئة من معتقدات الوثنيين القدماء. فكتاب (الركفدا) يمثل الآلهة وهم يقدمون الذكر الأول (بروشا) قرباناً[2].

قال لبي هوك[3] : يعتقد الهنود الوثنيون بتجسد أحد الآلهة، وتقديم نفسه ذبيحة، فداء للناس من الخطيئة. وقال دوان : يعتقد الهنود أن كرشنة المولود البكر ـ وهو الإله فشنو نفسه ـ تحرك حنواً كي يخلص الأرض من ثقل حملها. فأتاها وخلص الإنسان بتقديم نفسه ذبيحة عنه.

وهم يصورون كرشنة مثقوب اليدين والرجلين، وهو مصلوب، وعلى قميصه قلب الإنسان معلقاً، وعلى رأسه إكليل من الذهب.

وقال القس جورج كوكس في كتابه الديانات القديمة : ويصف الهنود كرشنة بالبطل الوديع المملوء لاهوتاً. لأنه قدم شخصه ذبيحة. ويقولون إن هذا العمل لا يقدر عليه سواه[4].

وفي بلاد النيبال والتيبت يعتقد الناس أن الإله (أندرا) سفك دمه بالصلب وثقب المسامير، كي يخلص البشر من ذنوبهم. وفي جنوب الهند وتنجور يعبدون إلهاً اسمه (بالي) ويعتقدون أنه (فشنو) وقد تجسد وصلب. ويصورونه مثقوب الجنب واليدين.

والبوذيون أيضاً يعتقدون أن بوذا إنسان كامل وإله كامل تجسد بالناسوت، وقدم نفسه ذبيحة ليكفر عن ذنوب البشر ويخلصهم من العقوبة،

---

(1) الفارق بين المخلوق والخالق ص ١٧٧ .

(2) العقائد الوثنية في الديانة النصرانية ص ٣٦ ـ ٣٧.

(3) في كتابه رحلة هوك ١/٣٢٦، انظر العقائد الوثنية ص ٣٧.

(4) انظر العقائد الوثنية ص ٣٩.

ويجعلهم وارثين لملكوت السماوات. وهم يطلقون عليه لقب الطبيب العظيم ومخلص العالم والمسيح المولود الوحيد[1].

وفي ترنيمة عندهم لبوذا يقولون: عانيت الاضطهاد والامتهان والسجن والموت والقتل بصبر وحب عظيم، لجلب السعادة للناس، وسامحت المسيئين إليك.

قال لبي هوك[2]: إن بوذا في نظر البوذيين إنسان وإله معاً، نزل وتجسد بالناسوت في هذا العالم ليهدي الناس، ويفديهم، ويبين لهم طريق الأمان. لذا يسمونه بالمخلص.

وقال مكس مولر في تاريخ الآداب السنسكريتية: يزعم البوذيون أن بوذا قال: دعوا كل الآثام التي ارتكبت في هذا العالم تقع علي، كي يخلص العالم[3].

وقال وليمس في كتابه (ديانة الهنود)[4]: والهنود يقولون: من رحمة بوذا أن ترك الفردوس وجاء إلى الدنيا من أجل خطايا بني الإنسان، كي يخلصهم من ذنوبهم وشقائهم، ويزيل عنهم القصاص الذي يستحقونه.

أما المصريون، فكان لهم تأثير قوي في عقائد النصارى حتى في الصور المرسومة. فالكثيرون يعتقدون أن صورة العذراء مأخوذة عن صورة (إيزيس) التي كان المصريون يرسمونها وهي تحمل طفلها (حورس) وترضعه. وكانوا يستعملون الغسل أو الرش بالماء المقدس. وهو يشبه العماد عند النصارى. وفي قصة الإله أوزوريس واشتهاده، ثم انتصاره في النهاية على الشر، وجلوسه بعد ذلك في السماء ليحاسب الناس أكبر دليل على ذلك[5].

---

(١) العقائد الوثنية ص ٤١ - ٤٢، قصص الأنبياء للنجار ص ٤٣٣.

(٢) في كتابه رحلة هوك ١/٣٢٦، انظر العقائد الوثنية ص ٤٢.

(٣) العقائد الوثنية ص ٤٢.

(٤) ص ١٢٤ انظر العقائد الوثنية ص ٤٣.

(٥) قصة الحضارة ول ديوارنت ٢/١٦٠، تاريخ الأقباط ١/٣٦ - ٣٧.

قال بونويك في كتابه (عقيدة المصريين)[1]: يعد المصريون (أوزوريس) أحد مخلصي الناس ، وأنه بسبب حبه لعمل الصلاح يلاقي اضطهاداً، وبمقاومته للخطايا يقهر ويقتل.

وقال موري في كتابه (الخرافات)[2]: يحترم المصريون (أوزوريس) ويعدونه أعظم مثال لتقديم النفس ذبيحة لينال الناس الحياة.

وهم يذكرون كيفية ظهوره على الأرض وموته وقيامته من بين الأموات. ويسمونه بالفادي والمخلص وإله الحياة والمولود الوحيد. ويزعمون أنه سيكون ديان الأموات في اليوم الأخير[3]. وقد وجد صليب بإحدى الهياكل الخربة في الإسكندرية، وعليه صورة هذا المخلص المصري[4].

ولعل ما كتبه أسيوس في أثينا قبل ميلاد المسيح بخمسمائة عام، من شعر قديم في رواية صلب القراسيوس الهائلة وما قاساه ذلك الإله من الآلام من أجل تخليص الناس من آثامهم، مأخوذ عن روايات قديمة جداً تعود إلى المصريين وغيرهم[5].

وأما الرومان فكانوا يدعون (هيركلوس بن زنيس) المخلص. وقد وجدت نقود منقوش عليها « هيركلوس المخلص ». وكانوا يدعونه أيضاً الابن الوحيد والكلمة. ويعتقدون أنه عاد واتحد مع الإله. وأنه مكون من كل شيء، وهو أبو الزمان[6].

---

(١) ص ١٦٥، انظر العقائد الوثنية ص ٤٣.
(٢) ص ٣٨٤ انظر العقائد الوثنية ص ٤٤.
(٣) العقائد الوثنية ص ٤٤.
(٤) منه ص ٤٧.
(٥) منه ص ٤٥ ـ ٤٦.
(٦) منه ص ٤٧.

جـ ـ تناقض الأناجيل مع الحقائق والوقائع

اشتملت الأناجيل على أخبار كثيرة، لو صحت، ووقعت لكانت مشهورة معلومة ، يعرفها الخاص والعام، ولدونتها كتب التاريخ بوصفها حوادث عجيبة في الدهر. لكن لم يعرفها الناس إلا من تلك الكتب. ومن ذلك ما يلي :

١ ـ نهاية العالم ونزول المسيح :

ذكر كُتّاب الأناجيل أن المسيح ـ عليه السلام ـ تنبأ بأن نهاية العالم ستكون في القرن الأول الميلادي . وقد سيطرت هذه الفكرة على مؤلفي العهد الجديد. ولا سيما من كتب إنجيل متىٰ ، فقد كان أكثرهم حرصاً على تأكيدها. ويظهر ذلك من النصوص التالية :

ـ جاء في إنجيل متى ٣/٢٤ : وبينما يسوع جالس في جبل الزيتون ، سأله تلاميذه على انفراد : أخبرنا متى يحدث هذا الخراب ؟ وما هي علامة مجيئك وانقضاء الدهر ؟

٢٤/١٥ : فإذا رأيتم نجاسة الخراب التي تكلم عليها النبي دانيال قائمة في المكان المقدس، فليهرب إلى الجبال من كان في اليهودية. . .

٢٤/٢٩ ـ ٣٥ : وفي الحال بعد مصائب تلك الأيام تظلم الشمس، ولا يضيء القمر، وتتساقط النجوم من السماء . . وتظهر في الحين علامة ابن الإنسان في السماء. . . ويرى الناس ابن الإنسان آتياً على سحاب في كل عزة وجلال . . . إذا رأيتم هذا كله ، فاعلموا أن الوقت قريب على الأبواب. الحق أقول لكم: لن ينقضي هذا الجبل حتى يتم هذا كله. السماء والأرض تزولان ، وكلامي لن يزول.

وقد ورد نحو ذلك أيضاً في مرقس ١٣/٣ ـ ٤ و١٣/١٤ و١٣/٢٤ ـ ٢٦ و١٣/٣٠ ـ ٣١، وفي لوقا ٢١/٥ ـ ٧ و٢١/٢٠ ـ ٢٢ و٢١/٢٥ ـ ٢٨.

وجاء في متى ١/١٠ ـ ٢٣ : أن المسيح ـ عليه السلام ـ دعا تلاميذه

الأثني عشر، وأعطاهم سلطاناً على الأرواح النجسة ، وأوصاهم قائلاً : ها أنا أرسلكم مثل خراف بين ذئاب ، فكونوا حذرين ـ وفي بعض الترجمات : حكماء ـ كالحيات، وَوُدعاء ـ برآء ـ كالحمام . . وإذا اضطهدوكم في مدينة فاهربوا إلى غيرها. الحق أقول لكم : لن تنهوا عملكم في مدن إسرائيل كلها، حتى يجيء ابن الإنسان.

أي إن نهاية العالم وعودة المسيح ثانية إلى الأرض، ستحدث قبل أن يكمل التلاميذ تبشيرهم في مدن إسرائيل. بل إنه توقع أن يحدث ذلك قبل أن يدرك الموت بعض تلاميذه ، فقد جاء في متى ١٦/٢٧ ـ ٢٨ : سيجيء ابن الإنسان في مجد أبيه مع ملائكته ، فيجازي كل واحد حسب أعماله. الحق أقول لكم: في الحاضرين هنا من لا يذوقون الموت حتى يشاهدوا مجيء ابن الإنسان في ملكوته.

وبناء على هذه الأقوال فإن قدماء النصارىٰ ، ولا سيما أهل الطبقة الأولىٰ ، كانوا يعتقدون أنهم في الزمن الأخير، وأن القيامة قريبة، وأن المسيح ينزل للدينونة في عهدهم. بل إن منهم من يعتقد أن يوحنا لا يموت قبل أن تقوم. لأن المسيح قال لبطرس في حق يوحنا: « إن كنت أشاء أن يبقى حتى أجيء، فما ذلك ؟». ففهموا من هذا القول أن يوحنا لا يموت حتى يجيء ، وذاع ذلك بين النصارىٰ.

وقد اعترف علماؤهم بأن هذه كانت عقيدتهم المسيطرة عليهم . ويظهر ذلك من رسالة يعقوب ٥/٧ ، ورسالة بطرس الأولىٰ ٤/٧ ، ورسالة يوحنا الأولىٰ ٢/١٨، والرسالة الأولىٰ إلى تسالونيكي ٤/١٥ ـ ١٧، والرسالة إلىٰ فيلبس ٤/٥ والرسالة الأولىٰ إلى كورنثوس ١٠/١١ و١٥/ ٥١ ـ ٥٢.

وجاء في رؤيا يوحنا ١٣/٦٥ ـ ٦٨ و٢٢/٧: ها أنا آت سريعاً.

٢٢/١٠ : لا تختم على أقوال نبوة هذا الكتاب. لأن الوقت قريب.
٢٢/٣٠ أنا آت سريعاً.

وها هم تلاميذ المسيح قد أنهوا أعمالهم، وأكملوا مدن إسرائيل ، وذاقوا الموت، وأصبحوا عظاماً نخرة، ولم يأت ابن الإنسان في ملكوته. ومضى ذلك القرن وانقضى منذ أكثر من تسعمائة سنة وألف، وما رأى أحد ابن لإنسان آتياً على سحاب في عزة وجلال، أو في مجد أبيه مع ملائكته مجازياً كل واحد على حسب عمله.

ولا يمكن حمل هذا الكلام على قيامته بعد الصلب في زعمهم. لأنه لم ير آتياً على السحاب، ولم يحاسب أحداً على الإطلاق. ولذلك قال جون كونتن : « ومن الواضح أن شيئاً من هذا لم يحدث كما توقعه متى ». وقال أكثر العلماء : هذه النبوءات خاطئة[1].

ويظهر ـ والله أعلم ـ أن مراد المسيح بذلك خراب الهيكل والانتقام من اليهود. لكن الكلام حرف. أو فُهِم فهماً خاطئاً، ثم جاء كتاب الأناجيل، فكتبوا بمقتضى هذا الفهم. ويدل على ذلك ما يلي :

جاء في متى ١/٢٤ ـ ٣ ومرقس ١/١٣ ـ ٣: وخرج يسوع من الهيكل، وهو يبتعد عنه، فدنا منه تلاميذه ، يوجهون نظره إلى أبنية الهيكل. فقال لهم: أترون هذا كله ؟ الحق أقول لكم ؟ لن يُترك هنا حجر على حجر : بل يهدم كله. وبينما يسوع جالس في جبل الزيتون، سأله تلاميذه على انفراد : أخبرنا متى يحدث هذا الخراب ؟ وما هي علامة مجيئك وانقضاء الدهر ؟ ا هـ.

ولكن يظهر أن قولهم: « وما هي علامة مجيئك وانقضاء الدهر » أضيفت في متى من فهم الكاتب وتصرفه. بدليل أن النص في مرقس ٣/١٣ هكذا: « متى يحدث هذا الخراب ؟ وما هي العلامة التي تدل على قرب حدوثه ؟».

وجاء في لوقا ٥/٢١ ـ ٧ : وتحدث بعضهم : كيف أن الهيكل مزين

(١) إظهار الحق ١٥٤/١ ـ ١٥٧، و١٨٤ ـ ١٨٦، مجلة الجامعة الإسلامية العدد ٤٩ ص ١٥٦ و١٦٧ ـ ١٦٨، ندوة الخرطوم، الأجوبة الفاخرة ص ٢٦.

بـالحجارة البـديعة والتحف ! فقـال يسوع : ستجيء أيـام لن يُترك فيهـا ممـا تشاهدونه حجر على حجر. بل يهدم كله. فسألوه متى يحدث هـذا يا معلم ؟ وما هي العلامة التي تدل على قرب حدوثه ؟.

وقد جاء ذكر العلامة الدالة على قرب حدوث الخراب في متى ٢٤/١٥ ومرقس ١٣/١٤ ـ ١٥ : فإذا رأيتم نجاسة الخراب التي تكلم عنها النبي دانيال قائمة في المكان المقدس ، فليهرب إلى الجبال من كان في اليهودية . . . وفي لوقا ٢١/٢٠ ـ ٢٢ : فإذا رأيتم أورشليم تحاصرها الجيوش، فاعلموا أن خرابها قريب . فمن كان في اليهودية، فليهرب إلى الجبال. . .

هذه هي العلامة وهذا هو المراد . لكن الفهم الخاطىء جعل متى وغيره يقـول في ٢٤/٢٩ : وفي الحال بعـد مصائب تلك الأيـام تظلم الشمس. . . ويُرى ابن الإنسان آتياً على سحاب في كل عزة وجلال.

وقد خرب الهيكل خراباً تاماً كما سلف في (لمحة تاريخيـة) ولـم ينزل المسيح ـ عليه السلام ـ مع أن مقتضى العبارة أن نزوله يكون في الحال بدون تراخ. فزال هذا الكلام، وما زالت السماء والأرض. مما يدل على أنه ليس من كلام المسيح ـ عليه السلام ـ وأن كلامه قد فهم وصيغ خطأً.

٢ ـ دعاء المسيح لا يرد ولكن :

جاء في صلاة يسوع من أجل تلاميذه ما يلي :

يوحنا ١٧/٩: أنا أصلي لأجلهم ، ولا أصلي لأجل العالم. بل لأجـل من وهبتهم لي . لأنهم لك.

١٧/١١ : لن أبقى في العـالم. أمـا هم فبـاقـون. وأنـا ذاهب إليـك. احفظهم باسمك الذي أعطيتني . .

١٧/١٥ : لا أطلب إليك ان تخرجهم من العالم. بل أن تحفـظهم من الشرير.

ومعلوم أن تلاميذ المسيح قتل أكثرهم شر قتله من صلب الى سلخ جلد

بعد أن عذبوا بأشد أنواع العذاب. فأين الحفظ من الشرير ؟ وحاشا لله أن يدعو المسيح بنجاة تلاميذه في الدنيا والآخرة ، ثم ينالهم ذلك العذاب وتحيق بهم تلك الموتات[1].

ومن الطريف ما جاء في لوقا ٢١/١٧ ـ ١٩ : ويبغضكم جميع الناس من أجل اسمي. لكن شعرة واحدة من رؤوسكم لا تقع. وبثباتكم تخلصون.

٣ ـ وعد لم يتحقق :

جاء في متى ١٩/٢٧ ـ ٢٩ : وقال له بطرس: ها نحن تركنا كل شيء وتبعناك، فماذا يكون نصيبنا ؟ فأجاب يسوع : الحق أقول لكم: متى جلس ابن الإنسان على عرش مجده، عند تجديد كل شيء . تجلسون أنتم الذين تبعتموني على اثني عشر [كرسياً] لتدينوا عشائر إسرائيل الاثني عشر.

فقد شهد المسيح للاثني عشر بالفوز والنجاة والجلوس على اثني عشر كرسياً ليدينوا الأسباط. مع أن يهوذا الإسخريوطي كان واحداً منهم. وقد ارتد وخان ومات مرتداً على زعمهم. بل أصبح يعرف بعد خيانته بالهالك. لأنه طرد من صحبة المسيح في الدنيا والآخرة. فلا يمكن أن يجلس على الكرسي الثاني عشر. وبهذا ظهر غلط الكاتب ، واستحال تحقيق النبوءة.

ولو رجعنا إلى نظير هذا النص (الشاب الغني) في مرقس ١٠/١٧ ـ ٣١ ولوقا ١٨/١٨ ـ ٣٠ لوجدنا أنهما لم يتعرضا لجلوس الحواريين على اثني عشر كرسياً. ولعل ذلك ـ كما يقول فمتون ـ يعود إلى أنهما كانا يفكران في يهوذا الاستخريوطي[2].

---

(١) تحفة الأريب ص ١٢٢ .

(٢) إظهار الحق ١/١٥٩، مجلة الجامعة الإسلامية العدد ٤٩ ندوة الخرطوم ص ١٦٨ - ١٦٩ ، الأجوبة الفاخرة ص ٢٦ ، وص ٥٨ .

٤ ـ هل نسي التاريخ ؟

جاء في متى ٢٧/ ٤٥ : وعند الظهر خيم على الأرض كلها ظلام حتى الساعة الثالثة.

٢٧/ ٥٠ ـ ٥٤ : وصرخ يسوع مرة ثانية صرخة قوية وأسلم الروح. فانشق حجاب الهيكل شطرين من أعلى إلى أسفل. وتزلزلت الأرض، وتشققت الصخور، وانفتحت القبور. فقامت أجساد كثير من القديسين الراقدين . وبعد قيامة يسوع خرجوا من القبور، ودخلوا المدينة المقدسة، وظهروا لكثير من الناس. فلما رأى القائد وجنوده الذين يحرسون يسوع الزلزال وكل ما حدث فزعوا. . .

وجاء في مرقس ١٥/ ٣٣: وعند الظهر خيم الظلام على الأرض كلها حتى الساعة الثالثة.

١٥/ ٣٧ ـ ٣٨: وصرخ يسوع صرخة عالية، وأسلم الروح. فانشق حجاب الهيكل شطرين من أعل إلى أسفل.

وجاء في لوقا ٢٣ / ٤٤ ـ ٤٥ : وعند الظهر خيم الظلام على الأرض كلها حتى الساعة الثالثة. واحتجبت الشمس، وانشق حجاب الهيكل من الوسط.

وهذه الحكاية باطلة من أساسها لما يلي :

أ ـ إن اليهود ـ كما نص متى في ٢٧/ ٦٢ ـ ٦٦ ـ ذهبوا إلى بيلاطس في اليوم الثاني من الصلب طالبين منه حراسة القبر، فأجابهم. ولو ظهرت هذه الأمور لما أمكن لهم أن يذهبوا إليه ، ويقولوا مثل هذا الكلام.

ب ـ إن هذه الأمور آيات عظيمة ، فلو ظهرت لآمن كثير من الروم واليهود وغيرهم على ما جرت به العادة. ألا ترى أنه لما نزل روح القدس على الحواريين ـ كما يقولون ـ وتكلموا بألسنة مختلفة، تعجب الناس وآمن نحو ثلاثة آلاف رجل ـ كما في سفر الأعمال ٢/ ٥ ـ ٤١ ـ؟ وهذه الأمور أعظم من تلك. فلم ترد أخبار بإيمان أحد من اليهود أو الرومان على إثر تلك المعجزات.

جـ ـ إن هذه حوادث عظيمة لـو حدثت حقـاً لكانت ظـاهرة ومشهـورة، يستبعد ألا يدونها أحد المؤرخين في ذلك الوقت أو فيما يقاربه إلا متى . حتى إن لوقا الذي هو أحرص الناس على تحرير العجائب لم يفصل ويزيد مثـل ما فعل متىٰ .

د ـ إن قيام كثير من أجساد القديسين مناقض لكلام بولس . فإنه صرح بأن المسيح ـ عليه السلام ـ أول القائمين وباكورة الراقدين كما سيأتي .

والعـلامة نـورتن المشهور بـدفاعـه عن الإنجيل قـد أورد الدلائـل على بطلانها ثم قال : هذه حكاية باطلة والغالب أن أمثال هذه الحكاية كانت رائجة لدى اليهود بعدما صارت أورشليم خراباً. فلعل أحـداً كتب ذلك في حـاشية النسخة العبرانية لإنجيل متى، وأدخلها الكُتاب في المتن. ثم وقع هذا المتن في يد المترجم. فترجمها على حسبه ا هـ أي كما وجدها[1] .

ومن الجدير بالذكر : أن الوثنيين القدماء كانوا يقولون بحدوث ظلمة عند موت أحد المخلصين للعالم فالهنود يقولـون: لما مـات (كرشنـة) مخلصهم على الصليب، حـدثت في الكون مصـائب جمة وعـلامات متنـوعة وأحـاطت بالقمر دائرة سوداء، وأظلمت الشمس عند نصف النهار، وأمطرت السماء ناراً ورماداً، واندلعت ألسنة اللهيب وغير ذلك[2] .

وقال كنون فرار في كتابه (حياة المسيح)[3]: إن الرومانيين واليونـانيين القدماء كانوا يعتقدون أنه عند ولادة أحد العظماء وموته تظهر حوادث سماويـة تنبيء عن ذلـك. وقالـوا : إن الشمس أظلمت عند مـوت (رومولس) مؤسس (رومية) وأنه حدث ظلام في الدنيا دام ست ساعات .

---

(١) إظهار الحق ١/١٥١ ـ ١٥٢، محاضرات في النصرانية ص ١٠٧ ـ ١٠٨، شفاء الغليل ص ٥٤ ـ ٥٦ .

(٢) العقائد الوثنية في الديانة النصرانية ص ٥٠ .

(٣) ص ٥٢ انظر العقائد الوثنية ص ٥١ وص ١٣٨ .

وكان للرومانيين إله يدعى (كبيرينوس) انبثقت نفسه من الشمس وعاد إليها . وقد ولد من حلول إله الجنود على عذراء ، دمها من سلالة ملوك. اضطهده أوليوس الجبار. ولما مات قطع إرباً إرباً. ولما صعد إلى السماء أظلمت الشمس[1] .

(١) المرجع السابق ص ٥٢ .

سفر أعمال الرسل PRAXIS[1]

تعريفه وميزاته :

يعد هذا السفر تكملة للإنجيل ، فهو يخبر عن إنشاء الكنيسة في أورشليم بنزول الروح القدس على التلاميذ . ويروي كيف نشر التلاميذ الأُوَل بشارة يسوع المسيح في أورشليم واليهودية كلها والسامرة . ويبين كيف انتشرت الكنائس في حوض البحر الأبيض المتوسط حتى بلغت رومية وأقاصي الأرض . ولا سيما بولس ، فهو يصف حياته ، ويشيد بأعماله ومعجزاته .

وهو يبحث بالإضافة إلى حياة الحواريين تاريخ طائفة ممن كان لهم أثر كبير في النصرانية من التلاميذ والتابعين كبرنابا ومرقس . وهو يتناول شخصياته بالتفصيل في مختلف شؤونهم . ولا سيما ما يتعلق بالناحية الدينية .

وقد حرص المؤلف على أن يؤكد لمعاصريه أن الإيمان بالنصرانية لا ينطوي على أي خطر سياسي يهدد الأمبراطورية الرومانية ، وأن هذا الإيمان إتمام للديانة اليهودية .

ويتميز هذا الكتاب بعمل الروح القدس الذي ينزل بقوة على المؤمنين في أورشليم يوم عيد العنصرة كما يقولون ، ثم يبقى ليهديهم ويقوي الكنيسة ورؤساءها خلال الأحداث التي يرويها الكتاب . ويوجز الكتاب تعاليم النصارى

---

(١) كلمة يونانية معناها : عمل .

الأول في عدد من العظات والأخبار ، ليظهر قوة هذا التعليم في حياة المؤمنين وشركتهم في الكنيسة .

ولما كان هذا الكتاب يتفق مع أربعة الأناجيل في الموضوع . جرت العادة على أن تطلق كلمة (الأسفار التاريخية): على الأناجيل وسفر الأعمال هذا . فالموضوع الأساسي للأناجيل تاريخ حياة المسيح ، والموضوع الأساسي لهذا الكتاب تاريخ أنصار المسيح من بعده[1] .

مضمونه :

يتضمن هذا الكتاب ما يلي :

١ ـ الاستعداد للشهادة ليسوع . (١/١ ـ ٢٦) ويشمل ذلك ما يلي :

أ ـ آخر ما أمرهم ووعدهم به يسوع (١/١ ـ ١٤) .

ب ـ اختيار خلف ليهوذا الاسخريوطي (١/١ ـ ١٤) .

٢ ـ الشهادة ليسوع في أورشليم (٢/١ إلى ٨/٣) .

٣ ـ الشهادة ليسوع في اليهودية والسامرة (٨/٤ إلى ١٢/٢٥) .

٤ ـ بولس يبدأ خدمته (١٣/١ إلى ٢٨/٣١) ويشمل ذلك ما يلي :

أَ ـ الرحلة الأولىٰ (١٣/١ إلى ١٤/٢٨) .

بَ ـ الاجتماع في أورشليم (١٥/١ ـ ٣٥) .

جَ ـ الرحلة الثانية (١٥/٣٦ إلى ١٨/٢٢) .

دَ ـ الرحلة الثالثة (١٨/٢٣ إلى ٢١/١٦) .

هَـ ـ سجن بولس في أورشليم وقيصرية ورومية (٢١/٧ إلى ٢٨/٣١)[2] .

---

(١) الفصل ٣/٢ ، مقدمة الكتاب المقدس (العهد الجديد) المطبوع عام ١٩٨٠ م ، ومقدمة السفر فيه ص ٣٠٠ ، الموسوعة العربية الميسرة ١٢٤٥/٢ ، الأسفار المقدسة لعلي ص ٩٩ ـ ١٠٠ .

(٢) مقدمة أعمال الرسل في الكتاب المقدس المذكور آنفاً ص ٣٠٠ ـ ٣٠١ .

شخصية الكاتب

ينسب هذا السفر للوقا صاحب الإنجيل الثالث . وتدل العبارة التي افتتح بها سفره على أنه كتبه للشخص نفسه الذي كتب له الإنجيل . وهو العزيز ثاوفيلس .

جاء في ١/١ ـ ٤ : دونت في كتابي الأول ياثاوفيلس جميع ما عمل يسوع وعُلم من بدء رسالته إلى اليوم الذي ارتفع فيه إلى السماء ، بعدما أعطى بالروح القدس وصايا للذين اختارهم رسلاً . . . وتراءى لهم مدة أربعين يوماً بعد آلامه . . وبينما هو يأكل معهم قال : لا تتركوا أورشليم ، بل انتظروا فيها ما وعد به الآب وسمعتموه مني .

تاريخ تدوينه ومكانه ولغته :

الراجح عندهم أنه كتب سنة ٦٣ م باللغة اليونانية . أي بلغة إنجيله وفي عصره[١] .

المتاعب التي يعاني منها :

في هذا السفر كثير من النقاط التي تتعارض تعارضاً تاماً مع التعاليم المذكورة في رسائل بولس ، بحيث يكون من غير العقول أن يكون الذي سطرها له معرفة ببولس ورحلاته التبشيرية[٢] وفيه أيضاً عبارات ملحقة به ، وليست من صلبه . اكتشفها الباحثون والمحققون . وقد أقر بها علماؤهم . ومن ذلك ما يلي :

١ ـ جاء في سفر الأعمال ٣٧/٨ : فأجابه فيلُّبس : يمكنك أن تتعمد إن كنت تؤمن من كل قلبك . فقال الرجل : أؤمن بأن يسوع المسيح هو ابن الله .

فهذه الفقرة كلها ملحقة . وقد اتفق على ذلك العالمان كريسباخ وشولز.

---

(١) الأسفار المقدسة لعلي عبد الواحد ص ٩٩ ـ ١٠٠ .

(٢) المسيحية لأحمد ص ٢٢٦ ، مجلة الجامعة العدد ٤٩ ص ١٥٧ ندوة الخرطوم .

ويظهر أن أحد أهل التثليث أدخلها من أجل الجملة الأخيرة[1] .

٢ ـ وجاء في ٥/٩ : فقال شاول : من أنت يا رب ؟ فأجابه الصوت : أنا يسوع الذي تضطهده صعب عليك أن تقاومني ـ وفي بعض الترجمات : صعب عليك أن ترفس الأسنة . وفي بعضها : مناخِس ـ .

٦/٩ : فقال وهو مرتعد خائف : يا رب ماذا تريد أن أعمل ؟ . .

قال العالمان كريسباخ وشولز : هذه الكلمات : « صعب عليك . . إلى قوله ماذا تريد أن أعمل » ملحقة بالنص ، وليست من أصله[2] .

٣ ـ وجاء في ٦/١٠ : فهو نازل عند دباغ اسمه سمعان ، وبيته على شاطيء البحر . وهو يقول لك ما يجب أن تعمل ـ وفي بعض الترجمات : وهو يخبرك بما ينبغي أن تفعله ـ

قال كريسباخ وشولز : هذه الجملة « وهو يخبرك . . الخ » ملحقة بالنص[3] .

---

(١) (٢) (٣) إظهار الحق ٢٤٣/١ طبعة قطر .

مجموعة رسائل بولس EPISTLES

تعريفها وميزاتها :

وهي أربع عشرة رسالة كتبها بولس إلى كنـائس أسسها بنفسـه ، أو إلى أشخاص اشتركوا معه في حياته الدينية والتبشيرية[1] .

وهي تعـرض في صورة مفصلة كثيـراً من عقـائـد النصـارى وشـرائعهم وعبادتهم وأخلاقهم . لكنها توجه عنايتها بشكل كبير إلى ترضيح العقيدة وتقرير ألوهية المسيح ونبوته للآب ومبـدأ التثليث . وهي صريحـة كل الصـراحة في إثبات ذلك. بخـلاف عبارات الإنجيـل، فإنها غـامضة أو مجملة تحتـاج غالبـاً إلى الشرح والتوضيح في دلالتها على ذلك . من أجل هذا تعتمد الكنيسة الحاضرة على هذه الرسائل أكثر من اعتمادها على ما سواها من أسفار العهد الجديد ، وتزعم أن بولس سماها إنجيلاً[2] .

ومن يطالع رسائل بولس يجد فيها الصراع المـرير الـذي قام بينـه وبين خصومه أتباع المسيح الحقيقيين . ويرى سلوكه مع مخالفيه في الرأي وتحقيره لهم ، وإغراءه بهم[3] .

---

(١) الموسوعة العربية الميسرة ٢/١٢٤٥ ، إظهار الحق ١/٥٢ ـ ٥٣ .
(٢) الأسفار المقدسة لعلي ص ١٠٢ ، من هو المسيح ص ١٥ ـ ١٦ .
(٣) المسيحية لأحمد شلبي ص ١١٢ ـ ١١٣ .

تاريخ تدوينها ومكانه ولغته :

كتبت كلها في الأصل باللغة اليونانية ، ما عدا رسالتـه إلى العبرانيين . فمن المتفق عليه أنه كتبها بالعبرانية . لكن أصلها مفقود .

وقد كتبها في أزمنة مختلفة وأمكنـة متعددة . بعضهـا محدد التـاريخ ، وبعضها غير محدد . غير أنها كلها تبدأ سنة ٥٤ م وتنتهي سنة ٦٥ م تقريباً[١] .

تعريف كل منها ومضمونه :

كتب بولس عشر رسائل منها إلى بعض البلدان أو الشعوب هي ما يلي :

١ ـ رسالته إلى أهل رومية :

كتب بولس هذه الرسالة سنة ٥٦ م أو ٥٧ ، تمهيداً لذهابه إلى رومية ، وهو في طريقه إلى اسبانية . وكان يـأمل أن ينـال من كنيسة روميـة عونـاً على متـابعة سفـره إلى أسبانيـة ، كما كـان ينوي عنـد وصولـه إلى روميـة أن يعلم النصـارى الذي فيهـا ، ويشاركهم في إيمـانهم . فكتب إليهم هذه الـرسـالـة الطويلة ليشرح لهم فيها الإيمان النصراني ومعانيه .

يفتتح بولس رسالته بتوجيه التحية والمديح إلى أهل رومية على إيمانهم ، ويذكر الفكرة الأساسية في الرسالة، وهي أن بشارة يسوع كيف يبرر الله عمـل الإنسان بالإيمان بيسوع . فالبشر كلهم تحت سلطان الخـطيئة ، وهم بحـاجة إلى التبرير . والتبرير لا يكون إلا من عند الله .

ثم يصف بولس الحياة الجديدة في المسيح ، هذه الحياة التي ينعم بها ـ كما يقول ـ كل من برره الله بالإيمان . فيحيا في سلام ويتحرر بالروح القدس من سلطان الخطيئة والموت .

ويتحدث بولس عن غاية شريعة الله وقوة روح الله في حياة المؤمن . . ثم

---

(١) الأسفار المقدسة لعلي ص ٢٠١ ـ ١٠٢ ، المسيحية لأحمد شلبي ص ٢٠٢ ـ ٢٠٣ ، التوراة بين الوثنية والتوحيد ص ٣٩ .

يشرح في آخر رسالته كيف يجب أن تكون الحياة النصرانية ، وبخاصة المحبة التي يجب أن تربط جميع الناس بعضهم ببعض .

ويتناول بولس أيضاً بعض المسائل كخدمة الله وواجب النصارى نحو الدولة ونحو بعضهم بعضاً . ثم يختم رسالته بتوجيه تحياته الخاصة ، ورفع آيات الحمد لله . ويتوزع مضمونها كما يلي :

- المقدمة والفكرة الأساسية (١/١ - ١٧) .
- حاجة الإنسان إلى الخلاص (١٨/١ إلى ٢٠/٣) .
- كيف يخلص الله البشر (٢١/٣ - إلى ٢٥/٤) .
- كيف يخلص الله البشر (٢١/٣ - إلى ٢٥/٤) .
- الحياة الجديدة في المسيح (١/٥ إلى ٣٩/٨) .
- الحياة الجديد في المسيح (١/٥ إلى ٣٩/٨) .
- اليهود في تدبير الله (١/٩ إلى ٣٦/١١) .
- السيرة النصرانية (١/١٢ إلى ١٣/١٥) .
- الخاتمة وتحيات خاصة (١٤/١٥ إلى ٢٧/١٦)[١] .

٢ - رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس :

كتب بولس هذه الرسالة سنة ٥٥ م لمعالجة المشاكل التي نشأت في الكنيسة ، بشأن الحياة المسيحية والإيمان المسيحي . وكانت كورنثوس في ذلك الزمن مدينة يونانية كبرى ، وعاصمة ولاية آخائية الرومانية . اشتهرت بتجارتها المزدرهة وثقافتها الرفيعة وفجورها الذائع الصيت ودياناتها المتنوعة .

وأكثر ما اهتم به بولس في هذه الرسالة هو المسائل المتعلقة بالانشقاق والخلاف ، وبالزنىٰ والزواج ، وبما يتصل بالضمير والنظام في الكنيسة ،

(١) مقدمة هذه الرسالة في العهد الجديد طبعة ١٩٨٠ ص ٢٨١ - ٢٨٢ .

والمواهب التي يمنحها الروح القدس ـ على حد زعمهم ـ والقيامة ، ولعل نشيد المحبة في الفصل (١٣) أشهر ما في هذه الرسالة . ويتوزع مضمونها كما يلي :

- المقدمة (١/١ ـ ٩) .
- الزنى والحياة الزوجية (١/٥ إلى ٤٠/٧) .
- المؤمنون وعبادة الأوثان (١/٨ إلى ١/١١) .
- الحياة الكنسية والعبادة (٢/١١ إلى ٤٠/١٤) .
- قيامة المسيح والمؤمنين به (١/١٥ ـ ٥٨) .
- التبرع بمساعدة المؤمنين في اليهودية (١/١٦ ـ ٤) .
- تحيات خاصة وخاتمة (٥/١٦ ـ ٢٤)[1] .

٣ ـ رسالته الثانية إلى أهل كورنتوس :

كتب بولس هذه الرسالة في فترة توترت فيها صلته بأهل كرونثوس . لأن بعض أعضاء الكنيسة قاموا بهجوم شديد عليه ، وهو يظهر ميله إلى المصالحة ، ويعرب عن فرحه إذا تحققت .

يتحدث بولس في القسم الأول عن علاقته بكنيسة كورنثوس، ويشرح سبب قساوته في الرد على المعارضة التي لقيها من الكنيسة . ثم يعرب عن ارتياحه لأن قساوته أدت إلى التوبة والمصالحة . وينتقل إلى مناشدة الكنيسة لتتبرع بشيء للمؤمنين في اليهودية . ثم يختم رسالته بالدفاع عن رسوليته في وجه الذين قالوا عنه : إنه رسول دجال . ويتوزع مضمومنها كما يلي :

- المقدمة (١/١ ـ ١١) .
- بولس وكنيسة كورنثوس (١٢/١ إلى ١٦/٧) .
- التبرع للمؤمنين في اليهودية (١/٨ إلى (١٥/٩) .

---

(١) المرجع السابق ص ٤١٦ .

ـ دفاع بولس عن سلطته بوصفه رسولاً (١/١٠ إلى ١٣/١٠) .
ـ الخاتمة (١٣/١١ ـ ١٤)[١] .

٤ ـ رسالته إلى أهالي غلاطية :

عندما شاع التبشير في غير اليهود ، تساءل الناس عما إذا كان العمل بشريعة موسى شرطاً على من آمن بالمسيح ؟ فرأى بولس أن لا ضرورة لهذا . لكن بعض الناس في غلاطية ـ وهي ولاية رومانية في آسيا الصغرى ـ عارضه . فكتب بولس هذه الرسالة يدافع فيها عن حقه في أن يدعي أنه رسول المسيح ، ويصر على أن رسالته جاءت من الله ، لا من سلطة بشرية ، خلافاً لمن يزعم أنه دجال . ويزعم أنه مدعو للعمل بصورة خاصة بين غير اليهود . ثم يسهب في شرح الإيمان الصحيح الذي يراه . ويخلص إلى أن السيرة النصرانية تنبع من المحبة الصادرة عن الإيمان بالمسيح . ويتوزع مضمونها كما يلي :

ـ المقدمة (١/١ ـ ١٠) .
ـ سلطة بولس بوصفه رسولاً (١/١١ إلى ٢/٢١) .
ـ إنجيل نعمة الله (٣/١ إلى ٤/٣١) .
ـ الحرية النصرانية ومسؤوليتها (٥/١ إلى ٦/١٠) .
ـ الخاتمة (٦/١١ ـ ١٨)[٢] .

٥ ـ رسالته إلى أهل افسُس : سنة ٦١ م أو ٦٣

يوضح بولس في هذه الرسالة تدبير الله لتوحيد الخليقة كلها برئاسة المسيح كما يزعم عندما يحين الوقت . ففي القسم الأول يتحدث عن هذه الوحدة ، فيبين كيف اختار الله شعبه ، وكيف غفر لهم خطاياهم بالمسيح . وكيف حفظ وعده على يد الروح القدس . وفي القسم الثاني يدعو النصارى إلى سيرة يكونون فيها متحدين بالمسيح اتحاداً حقيقياً . ويستعمل لذلك عدة

---

(١) المرجع السابق ص ٤٤٧ .
(٢) المرجع السابق ص ٤٦٩ .

استعارات ، فالكنيسة جسد والمسيح رأسها ، أو هي بناء والمسيح حجرها الأساسي ، أو هي امرأة والمسيح زوجها . وهو يرى كل شيء من خلال محبة المسيح وتضحيته ونعمته كما يزعم . ويتوزع مضمونها كما يلي :

- المقدمة (١/١ - ٢) .
- المسيح والكنيسة (٣/١ إلى ٢١/٣) .
- الحياة الجديدة في المسيح (١/٤ إلى ٢٠/٦) .
- الخاتمة (٢١/٦ - ٢٤)[١] .

٦ - رسالته إلى أهل فيلبي :

فيلبي مدينة تقع في ولاية مكدونية الرومانية ، أنشأ فيها بولس أول كنيسة في أوروبة . ورسالته إلى أهل هذه المدينة كتبها سنة ٦١ م أو ٦٣ وهو في السجن في وقت أقلقه فيه معارضوه . وكان الدافع الأول لكتابتها أن بولس تلقى منهم معونة مالية ، فأراد أن يشكرهم ، واغتنم ذلك ليشجعهم ويدعوهم إلى الثقة بتعاليمه رغم المتاعب التي يواجهونها . وقد ناشدهم أن يقتدوا بالمسيح في تواضعه . وبين لهم أن حياتهم الجديدة حصلوا عليها بالإيمان بالمسيح ، لا بالخضوع لتقاليد الشريعة اليهودية . وهو يتظاهر بفرحه وثقته . ويتوزع مضمونها كما يلي :

- المقدمة (١/١ - ١١) .
- أحوال بولس الخاصة (١٢/١ - ٢٦) .
- الحياة في المسيح (٢٧/١ إلى ١٨/٢) .
- ما ينويه بولس تجاه تيموثاوس وابفروديتس (١٩/٢ - ٣٠) .
- تحذير أهل فيلبي من الأعداء في الخارج والأخطار في الداخل (١/٣ إلى ٩/٤) .

---

(١) المرجع السابق ص ٤٨٠ .

ـ شكر بولس لأهل فيلبي على المعونة (٤/١٠ ـ ٢٠) .
ـ الخاتمة (٤/٢١ ـ ٣٢)[١] .

٧ ـ رسالته إلى أهل كولوسي :

كولوسي مدينة صغيرة تقع في آسيا الصغرى شرقي مدينـة أفسس . ولم يكن بولس هو الذي أنشأ كنيستها . لكنه كتب إليها هذه الرسالة سنة ٦١ م أو ٦٣ عندما سمع أن فيها أناساً ينشـرون آراء غريبـة . كالتقشف ومـراعاة بعض السنن اليهودية مثل الختان والأعياد وغير ذلك . فهو يلخص في رسـالته هـذه تعاليمه فيقول : إن المسيح قادر على منح الخلاص ، وبغيره لا خلاص . وإن تلك الشعائر والآراء تبعد الناس عنه . ويتوزع مضمونها كما يلي :

ـ المقدمة (١/١ ـ ٨) .
ـ ما قام به المسيح لخلاص البشر (١/٩ إلى ٢/١٩) .
ـ الحياة الجديدة في المسيح (٢/٢٠ إلى ٤/٦) .
ـ الخاتمة (٤/٧ ـ ١٨)[٢] .

٨ ـ رسالته الأولىٰ إلى أهل تسالونيكي :

كانت تسالونيكي عاصمة ولاية مكدونية الرومانية . أنشأ فيها بولس كنيسة بعدما ترك مدينة فيلبي . وكان فيهـا جماعـة من اليهود حـرضوا سكـانها على بولس ، فاضطر إلى تركها والذهاب إلى بيريـه فكورنثـوس . وفيها كتب هـذه الرسالة إل تسالونيكي حين عاد تيموثاوس منها ونقل إليه أخبارها . فكتب إليهم يشجعهم على الثبات ، ويذكرهم بسيرته عندما كان بينهم . ويرد على ما أبداه بعض المؤمنين من قلق على مصير الذين يمـوتون قبـل عودة المسيـح ؟ ومتى سيجيء ؟ فيدعوهم بولس إلى العمل الهـاديء المثمر رجـاء عودة المسيـح . ويتوزع مضمونها كما يلي :

---

(١) المرجع السابق ص ٤٩٢ ـ ٤٩٣ .
(٢) المرجع السابق ص ٥٠١ .

- المقدمة (١/١) .
- المديح وعرفان الجميل (٢/١ إلى ١٣/٣) .
- امتداح الحياة النصرانية (١/٤ - ١٢) .
- الكلام على عودة المسيح (١٣/٤ إلى ١١/٥ (.
- عود إلى امتداح الحياة النصرانية (١٢/٥ - ٢٢) .
- الخاتمة (٢٣/٥ - ٢٨)[١] .

٩ - رسالته الثانية إلى أهل تسالونيكي :

كتب بولس رسالتيه إلى أهل تسالونيكي عام ٥٤ م وسبب كتابة هذه الرسالة أنه علم بقلقهم وحيرتهم حين سمعوا أن عودة المسيح قد حان وقتها . فكتب إليهم مبيناً أن يوم الرب لا يجيء إلا بعد أن يبلغ الشر والفساد منتهاهما بظهور (ابن الهلاك) الذي هو عدو للمسيح . ويؤكد فيها على حاجتهم إلى الثبات رغم الاضطراب . ويتوزع مضمونها كما يلي :

- المقدمة (١/١ - ٢ (.
- وعظ وإرشاد (٣/١ - ١٢) .
- عودة المسيح وعلاماتها (١/٢ - ١٧) .
- التذكير بالسيرة الصالحة (١/٣ - ١٦) .
- الخاتمة (١٧/٣ - ١٨)[٢] .

١٠ - رسالته إلى العبرانيين :

هذه الرسالة وجهها بولس إلى جماعة من النصارى لاقوا من الشدة ما جعلهم في خطر الارتداد . وهو يشجعهم فيها على الثبات بإقناعهم بأن المسيح هو ابن الله وصورةُ جوهرِه . وهو بوصفه هذا متفوق على أنبياء العهد القديم بما فيهم موسىٰ نفسه . فالإيمان به يخلص الإنسان من الخطيئة والخوف

---

(١) المرجع السابق ص ٥١٠ .
(٢) المرجع السابق ص ٥١٧ .

والموت . على حد قوله ـ لأن المسيح هو الذبيحة الحقيقية التي تجاوزت كل ذبائح الحيوانات في الديانة اليهودية . ثم يحثهم على الثبات والصبر : ويتوزع مضمونها كما يلي :

- مقدمة في أن المسيح صورةُ جوهر الله (١/١ ـ ٣) .
- المسيح أعظم من الملائكة (١/٤ إلى ١٨/٢) .
- المسيح أعظم من موسى ويشوع (١/٣ إلى ١٣/٤) .
- كهنوت المسيح أعظم من كل كهنوت آخر (١٤/٤ ـ ٢٨/٧) .
- عهد المسيح أسمى من العهد الذي كان لليهود (١/٨ إلى ٢٨/٩) .
- ذبيحة المسيح تفوق كل الذبائح (١/١٠ ـ ٣١) .
- الإيمان قبل كل شيء (١/١١ إلى ٢٥/١٢) .
- تحذير ونصائح ختامية (١/١٣ ـ ٢٥)[١]

ومن الجدير بالذكر أن ترتيب الرسائل في العهد الجديد كما ذكرت ، ما عدا رسالته إلى العبرانيين هذه ، فتوضع في آخر رسائله جميعاً ، أي بعد الأربعة التالية التي أرسلها إلى تلاميذه :

١١ ـ رسالته الأولى إلى تلميذه تيْموثاوس :

ولد تيموثاوس في (لسترة) من بلاد ليقونة في آسيا الصغرى من أب يوناني وأم يهودية . وحين عاد بولس إلى لسترة اتخذه صديقاً ومعاوناً ، لما سمعه من حسن سيرته .

ورسالته هذه إليه تحذير من انتشار التعاليم الباطلة التي هي خليط من الآراء اليهودية وغير اليهودية ، والقائمة على أن الخلاص لا يتم إلا بنوع خاص من المعرفة ، وبممارسة بعض الشعائر .

وتتضمن الرسالة أيضاً وصايا متفرقة لتيموثاوس في حسن تنظيم الإرادة

---

(١) المرجع السابق ص ٥٤٧ ـ ٥٤٨ .

في كنيسة افسس والصفات التي يجب أن يتحلى بها الأساقفة والشمامسة . ثم يبين له واجباته نحو النصارى ، وكيف يكون خادماً للمسيح . ويتوزع مضمونها كما يلي :

- المقدمة (١/١ - ٢) .
- وصايا في إدارة الكنيسة (٣/١ إلى ١٦/٣) .
- وصايا لتيموثاوس في عمله (١/٤ إلى ٢١/٦)[1] .

١٢ - رسالته الثانية إلى تيمْوثاوس :

وأكثرها أيضاً وصايا خصوصية وفكرتها الأساسية وجوب المثابرة على الشهادة للمسيح والتمسك بتعاليم الإنجيل والعهد القديم . يشجع فيها بولس تلميذه ومعاونه على القيام بواجبه معلماً ومبشراً رغم ما يكتنف ذلك من مصاعب . ويحذره من خطر أعداء بولس وحججهم . ويذكره بسيرته التي كانت قدوة في الصبر والمثابرة . ويتوزع مضمونها كما يلي :

- المقدمة (١/١ - ٢) .
- شكر الله على إيمان تيموثاوس وسائر نعم الله عليه (٢/١ إلى ١٣/٢) .
- إرشاد وتحذير (١٤/٢ إلى ٥/٤) .
- حالة بولس الخاصة (٦/٤ - ١٨) .
- الخاتمة (١٩/٤ - ٢٢)[2] .

١٣ - رسالته إلى تيطس :

تيطس رجل من غير اليهود ، تنصر على يد بولس ، فاختاره رفيقاً ومعاوناً . ورسالته هذه إليه إيضاح للمهمة التي تركه في كريت لأجلها ، وهي تنظيم الكنيسة هناك . وتتناول الرسالة ثلاثة أمورر .

---

(١) المرجع السابق ص ٥٢٢ .

(٢) المرجع السابق ص ٥٣٢ .

الأول : تـذكيره بـالصفات التي يجب أن يتحلى بهـا رعـاة الكنـائس . وبخاصة مع أهل كريت الذين عرفوا بسوء السمعة .

ـ الثـاني : إرشاده إلى طـريقة تعليم مختلف الفئـات في الكنيسة ، من شيوخ وعجائز وشباب وعبيد.

الثالث : تذكيره بما يجب أن تكون عليه سيرة النصارى من محبـة وبعد عن الجدل .

ويتوزع مضمونها كما يلي :

ـ المقدمة (١/١ ـ ٤) .

ـ صفات رعاة الكنيسة (١/٥ ـ ١٦) .

ـ تشجيع وتحذير (١/٣ ـ ١١) .

ـ الخاتمة (١٢/٣ ـ ١٥)[١] .

١٤ ـ رسالته إلى تلميذه فيلمون :

كان فيلمون عضواً بارزاً في كنيسة كولوسي ، وله عبد اسمه أُونسيمُس . هرب من سيده ، فالتقى ببولس في السجن وتنصـر على يديـه . فكتب بولس هذه الرسالة إلى فيلمون يناشده فيها أن يصفح عن عبده العـائد إليـه ، ويقبله بصفة أخ في النصرانية . ويتوزع مضمونها كما يلي :

ـ المقدمة (١ ـ ٣) .

ـ امتداح فيلمون (٤ ـ ٧) .

ـ مناشدة فيلمون (٨ ـ ٢٢) .

ـ الخاتمة (٢٣ ـ ٢٥)[٢]

(١) المرجع السابق ص ٥٣٩ .

(٢) المرجع السابق ص ٥٤٤ .

شخصية الكاتب :

للباحثين كلام كثير في شأن هذه الرسائل وقوة سندها ، وصحة نسبتها إلى بولس ، وقيمتها من حيث الاستدلال بها لهذا الدين وقد ظهر للمحدثين من المشتغلين بشؤون ديانتهم وأسفارها أن ثلاث رسائل منها موثوق بصحة نسبتها إلى بولس ، وهي رسالته إلى الرومان ورسالتاه إلى أهل كورنثوس . وأن أربع رسائل مقطوع بعدم صحة نسبتها إليه ، وهي رسالته إلى أهل افسس ورسالتاه إلى تيموثاوس ورسالته إلى تيطس. أما ما تبقىٰ من رسائله فمشكوك في صحة نسبتها إليه[1] . وإذا كان الأمر كذلك . **فمن بولس وما دوره ؟**

اتفق كتاب النصارى على أن بولس يهودي فريسي ، اسمه الأصلي شاول . وذلك لما ورد في رسائله وفي سفر الأعمال مما كتبه هو عن نفسه ، أو كتبه عنه تلميذه لوقا :

ففي سفر الأعمال ٢١ / ٣٩ : فقال بولس : أنا يهودي من طرسوس في كيليكية .

٢٢ / ٣ : أنا رجل يهودي، ولدت في طرسوس من كيليكية. لكني نشأت هنا في هذه المدينة ـ أي أورشليم ـ وتعلمت عند قدمي (غمالائيل) شريعة آبائنا تعليماً صحيحاً .

٢٣ / ٦ : أنا فريسي ابن فريسي . وأنا أحاكم الآن لأني أرجو قيامة الأموات .

هذا . وقد ورد في السفر نفسه ما يدل على أنه روماني ؛ ففي ٢٢ / ٢٥ ـ ٢٩ : فلما مدوده وربطوه ليجلدوه ، قال للضابط الواقف بجانبه : أيحق لكم أن تجلدوا مواطناً رومانياً من غير أن تحاكموه ؟ فلما سمع الضابط هذا الكلام أسرع إلى القائد . فجاء القائد إلى بولس وقال له : قل لي : هل أنت

---

(١) محاضرات في النصرانية ص ٨٣ ، الأسفار المقدسة لعلي ص ١٠٢ ـ ١٠٣ ، الموسوعة العربية الميسرة ١ / ٤٤٠ .

روماني ؟ قال : نعم . فقال القائـد : أنا دفعت مـالاً كثيراً حتى حصلت على هذه الجنسية . فقال بولس : أما أنا ، فمولود فيها . فتراجع عنه في الحال من كانوا يريدون استجوابه ، وخاف القائد لما عرف أنه روماني ، وأنه كبله بالقيود اهـ .

لكن النصارى رجحوا أنه يهودي فريسي . لأنه ذكر أنه روماني عندما رأى أن جسمه سيكوىٰ بالسياط، فأعمل الحيلة ، وادعى أنه روماني لينجو بجلده . وقد تم له ما أراد (١) .

بيد أن المحقق الشيخ محمد أبو زهـرة يقول (٢) : لـو اتخذنـا من قرائن الأحوال دليلاً على كذب ادعائه الرومانية ، لـورد مثل ذلـك عندمـا قال : إنـه يهودي . فإنه كان محاصراً بجمع من اليهود عمل للقبض عليه وقتله .

ففي ٢١/٢٧ ـ ٤٠ : ولمـا رأى بعض الآسيويين بـولس في الهيكـل ، حرضوا جمهور الشعب ، وقبضوا عليه ، وصاحوا النجدة يـا بني إسرائيـل . . فهاجب المدينة كلها وتجمع الناس عليه وجروه إلى خارج الهيكل . وبينما هم يحاولون قتله ، سمع قائد الحامية الرومانية الهيجان ، فأخـذ جنـوداً وضباطـاً وجاء مسرعاً . فلما شاهدوه وجنوده ، كفوا عن الضرب : فدنا القائـد وأمر أن يقيد بسلسلتين ، ثم سأل عنه . فلما تعذر عليه أن يعرف تماماً ما جرى ، أمر بسوقه إلى القلعة . وكان الشعب يتبعه ويصيح (اقتلوه) . وبينما بولس يدخل القلعة ، قال لقـائد الحـامية : أتسمـح لي أن أقول شيئـاً ؟ فقال لـه : أتعرف اليونانية ؟ ألست بالمصري الذي أثار الفتنة من مدة ، وخرج بأربعة آلاف قاتل إلى الصحراء ؟ فقال بولس : أنا يهودي من طرسوس في كيليكية ، فأرجو منك أن تأذن بأن أخاطب الشعب . فأذن له . فوقف بولس على السلم وأشار بيـده إلى الشعب . فلما ساد السكوت ، خاطبهم بالعبرية فقال :

---

(١) محاضرات ص ٨٥ ـ ٨٦ ، الأسفار المقدسة لعلي ص ٧١ ، المسيحية لأحمـد شلبي ص ١٠٤ .

(٢) محاضرات ص ٨٦ ـ ٨٧ .

٢٢/ ١ ـ ٣ : يا إخوتي وآبائي اسمعوا ما أقول الآن في الدفاع عن نفسي . فلما سمعوه يخاطبهم بالعبرية ، زاد سكونهم وإنصاتهم . فقال : أنا رجل يهودي ، ولدت في طرسوس ... .

ثم شرح حاله وما عرض له ـ كما سيأتي ـ وبين في ٢٢/ ٢١ أن الله أرسله إلى مكان بعيد ، إلى غير اليهود من الشعوب .

٢٢/ ٢٢ ـ ٣٠ : فلما قال هذه الكلمات هاج الشعب هيجاناً شديداً . فأمر قائد الحامية بأن يدخلوه إلى القلعة ويسألوه تحت الضرب عن واقع الحال . فادعى أنه روماني ـ كما سلف ـ فتراجعوا عن ضربه . وفي اليوم الثاني دعا القائد رؤساء الكهنة وجمع أعضاء مجلس اليهود ليجتمعوا ببولس ، عله يعرف حقيقة ما يتهمونه به .

٢٣/ ١ ـ ٨ : ولما كلم بولس المجلس أمر حنانيا رئيس الكهنة أعوانه بضرب بولس على فمه . . . وكان بولس يعرف أن بعضهم صدّوقيون ، وبعضهم الآخر فريسيون . فصاح في المجلس : أيها الأخوة أنا فريسي ابن فريسي . وأنا أحاكم الآن لأني أرجو قيامة الأموات . فلما قال هذا ، وقع الخلاف بين الفريسيين والصدوقيين ، وانقسم المجلس . لأن الصدوقيين لا يؤمنون بقيامة الأموات وبوجود الملائكة والأرواح . أما الفريسيون فيؤمنون بهذا كله ـ اهـ .

فهو ما صرح بأنه يهودي في المرة الأولى ، إلا ليتمكن من مخاطبتهم . وما صرح بذلك في المرة الثانية إلا ليوقع بينهم ، وينجو من كيدهم بمحاباة فريق منهم . وقد تم له ما أراد . وهل يستطيع أن يدعي أنه روماني في مثل هذا الموقف لو لم يكن عنده إثبات ذلك ؟ إذاً فلا نستطيع أن نستبين جنسه من هذا على وجه تطمئن إليه النفس . يدل على ذلك سبق إدعائه أنه مصري لما سأله القائد. ويبدو أنه كان يهودي العقيدة روماني الجنسية.

ومهما يك من أمر جنسه ، فقد كان في صدر حياته من ألد أعداء المسيحية ، وأبلغهم كيداً لها ، وأكثرهم إمعاناً في أذى معتنقيها .

جاء في سفر الأعمال ٧/٥٨ ـ ٥٩ : أن اليهود عندما أخرجوا إستفانوس من المدينة ليرجموه . خلع الشهود ثيابهم ، ووضعوها أمانة عند قدمي فتى اسمه شاول . وأخذوا يرجمون إستفانوس .

٨/١ : وكان شاول موافقاً على قتل إستفانوس . وبدأت كنيسة أورشليم تعاني اضطهاداً شديداً .

٨/٣ : وكان شاول يسعى إلى خراب الكنيسة ، فيذهب من بيت إلى بيت ، ويخرج منه الرجال والنساء ويلقيهم في السجن .

٩/١ ـ ٢ : أما شاول ، فكان ينفث صدره تهديداً وتقتيلاً لتلاميذ الرب . فذهب إلى رئيس الكهنة ، وطلب منه رسائل إلى مجامع دمشق ، ليعتقل الرجال والنساء الذين يجدهم هناك على مذبح الرب ، ويجيء بهم إلى أورشليم .

وينقل عنه لوقا في ٢٢/٣ ـ ٥ : قوله عن نفسه عندما خاطب اليهود على سلم القلعة : وكنت غيوراً على خدمة الله ، مثلكم أنتم جميعاً في أيامنا هذه . واضطهدت مذهب يسوع حتى الموت ، فاعتقلت الرجال والنساء وألقيت بهم في السجون . وبهذا يشهد لي رئيس الكهنة وشيوخ الشعب كلهم . فمنهم أخذت رسائل إلى إخواننا اليهود في دمشق . فذهبت إليها لاعتقال من كان فيها مؤمناً بهذا المذهب . فأسوقه إلى أورشليم لمعاقبته .

٢٢/١٩ : هم يعرفون جيداً أني كنت أدخل المجامع وأعتقل المؤمنين وأجلدهم . وأني كنت حاضراً عندما سفك الشعب دم استفانوس ، وكنت راضياً بقتله ، محافظاً على ثياب الذين قتلوه .

وفي ٢٦/٩ ـ ١٢ : أما أنا ، فكنت اعتقد أنه يجب أن أقاوم اسم يسوع الناصري بكل جهدي . وهذا ما فعلت في أورشليم ، فسجنت بتفويض من رؤساء الكهنة عدداً كبيراً من القديسين المؤمنين بيسوع . ولما كانوا يقتلون ، كنت موافقاً على قتلهم . وكثيراً ما عذبتهم في كل مجمع لأجبرهم على الكفر بإيمانهم . واشتدت نقمتي عليهم حتى أخذت أطاردهم في المدن التي في

خارج اليهودية . فسافرت إلى دمشق وبيدي تفويض من رؤساء الكهنة .

وقال عن نفسه أيضاً في رسالته إلى أهل غلاطية ١ /١٣ ـ ١٤ : سمعتم بسيرتي في الماضي في ديانة اليهود ، وكيف كنت أضطهد كنيسة الله بلا رحمة ، وأحاول تدميرها . وأفوق أكثر أبناء جيلي من بني قومي في ديانة اليهود وفي الغيرة الشديدة على تقاليد آبائي .

ويذكر في سفر الأعمال أن ذلك الرجل انتقل فجأة من اضطهاد كنيسة الله بإفراط إلى النصرانية من غير مقدمات ولا تمهيد . ليس نصرانياً عادياً فحسب ، بل رسولاً يضارع بطرس .

جاء في ٩/٣ ـ ٢١ : وبينما هو يقترب من دمشق ، سطع حوله بغتة نور من السماء ، فوقع إلى الأرض . وسمع صوتاً يقول له : شاول شاول ، لماذا تضطهدني ؟ فقال شاول : من أنت يا رب ؟ فأجابه الصوت : أنا يسوع الذي تضطهده . صعب عليك أن تقاومني . فقال وهو خائف : يا رب ماذا تريد أن أعمل ؟ قال : قم وادخل المدينة وهناك يقال لك ما يجب عليك أن تعمل[١] . وأما رفاق شاول فوقفوا حائرين يسمعون الصوت ولا يشاهدون أحداً . فنهض شاول عن الأرض ، وفتح عينيه ، وهو لا يبصر شيئاً . فقادوه إلى دمشق ، فبقي ثلاثة أيام مكفوف البصر لا يأكل ولا يشرب .

وكان في دمشق تلميذ اسمه حنانيا ، فناداه الرب في الرؤيا أن قم إلى الشارع المعروف بالمستقيم ، واسأل في بيت يهوذا عن رجل من طرسوس اسمه شاول ، وهو الآن يصلي ، فيرى في الرؤيا رجلاً اسمه حنانيا يضع يديه عليه فيبصر . ولما ابدى حنانيا تخوفه من بولس . قال له الرب : اذهب لأني اخترته رسولاً لي ، فذهب حنانيا ودخل البيت ووضع يديه على شاول ، وأخبره بأن الرب أرسله إليه ليعود إليه بصره ويمتليء من الروح القدس . فتساقط في

---

(١) سبق في بحث المتاعب التي يعاني منها هذا السفر أن هذه العبارة ملحقة ص ٥١١ .

الحال من عينيه ما يشبه القشور وعاد إليه البصر ، فقام وتعمد ثم أكل . وأقام شاول بضعة أيام مع التلاميذ في دمشق ، ثم سارع إلى التبشير في المجامع بأن يسوع هو ابن الله . فكان السامعون يتعجبون . وينقل عنه لوقا في ٢٢/٦ ـ ١٦ من سفر الأعمال قوله عن نفسه : وبينما أنا اقترب من دمشق سطح فجأة حولي عند الظهر نور باهر من السماء . فوقعت إلى الأرض ، وسمعت صوتاً يقول لي : شاول شاول ، لماذا تضطهدني؟ فأجبت من أنت يا رب ؟ قال : أنا يسوع الناصري الذي تضطهده . وكان الذين معي يرون النور ولا يسمعون صوت من يخاطبني . فقلت : ماذا أعمل يا رب ؟ فقال : قم وادخل دمشق ، وهناك يقال لك ما يجب عليك أن تعمل . وكنت فقدت بصري من شدة ذلك النور الباهر . فقادني رفاقي بيدي حتى دخلت دمشق . وكان فيها رجل متمسك بالشريعة اسمه حنانيا . فجاءني وقال لي : يا أخي شاول أبصر . فأبصرته في الحال . فقال : إله آبائنا إختارك لتعرف مشيئته وتشاهد فتاه البار وتسمعه يكلمك ، فأنت ستكون له شاهداً عند جميع الناس بما رأيت وسمعت . والآن ما لك تبطيء ؟ قم تعمد وتطهر من خطاياك داعياً باسمه .

وفي ٢٦/١٣ ـ ١٧ : وفي الطريق عند الظهر رأيت نوراً من السماء أبهى من شعاع الشمس يسطع حولي وحول المسافرين معي . فوقعنا كلنا إلى الأرض . وسمعت صوتاً يقول لي بالعبرية : شاول شاول لماذا تضطهدني ؟ صعب عليك أن تقاومني . فقلت : من أنت يا رب ؟ قال : أنا يسوع الذي تضطهده . قم وقف على قدميك لأني ظهرت لك لأجعل منك خادماً لي وشاهداً على هذه الرؤيا التي رأيتني فيها . وعلى غيرها من الرؤى التي سأظهر فيها لك اهـ .

فبولس إذاً لم يدرك المسيح حال وجوده على الأرض ، ولم يره ، لكن ظهر له بعد صلبه وقيامته ورفعه إلى السماء في عمود من نور . فهداه إلى دينه ، وكلفه بتبليغ رسالته إلى الأمم ، وهدايتهم إلى النصرانية . ومن ثم أطلق عليه: (حواري المسيح ورسوله إلى الأمم الكافرة) حتى إن كلمة (الرسول) إذا

أطلقت عندهم تنصرف إليه وحده[1] .

هكذا إذاً دخل بولس أو شتاؤل في النصرانية ، وأصبح معلماً بها . بهذه الطريقة التي يصدقها قوم ، ويكذبها آخرون ، فيرون أنها قضية مخترعة لم يجد حبكها . وإني لا أستبعد أن يكون ثمة تواطؤ بين بولس وحنانيا ، لإدخال بولس في النصرانية وإشهاره وإكسابه الثقة ، ليفتك بهذا الدين ويحطمه . وقد تم له ذلك . يقول القس انسلم تورميدا : فهذه الحكاية كذب أو من خدع الشيطان[2] اهـ .

ولو أنك تتبعت قصة إيمان بولس في ثلاثة الأبواب الواردة في سفر الأعمال ، لوجدت اختلافات كثيرة . من أهمها ما يلي :

- جاء في ٩/٧ : وأما رفاق شاول فوقفوا حائرين يسمعون الصوت ، ولا يشاهدون أحداً .

وفي ٢٢/٩ : وكان الذين معي يرون النور ، ولا يسمعون صوت من يخاطبني .

وفي ٢٦/١٣ ـ ١٤ : رأيت نوراً من السماء يسطع حولي وحول المسافرين معي . فوقعنا كلنا إلى الأرض .

فهل سمع الرفاق الصوت أَوْلا ؟ وهل رأوا النور أَوْ لا ؟ وهل سطع حول الجميع أو حول بولس وحده ؟ وهل وقعوا كلهم إلى الأرض أو وقع بولس وحده ؟

- جاء في ٩/٦ : فقال له الرب : قم وادخل المدينة وهناك يقال لك ما يجب عليك أن تعمل .

وفي ٢٢/١٠ : فقال لي الرب : قم وادخل دمشق . وهناك يقال لك ما يجب عليك أن تعمل .

---

(١) تحفة الأريب ص ٦٥ ، محاضرات في النصرانية ص ٩٨ ، الأسفار المقدسة ص ٦٨ و٧١ ـ ٧٢ ، المسيحية لأحمد ص ١٠٥ .

(٢) المسيحية لأحمد ص ١٠٥ ـ ١٠٦ ، تحفة الأريب ص ٦٥ .

وفي ٢٦/١٦ ـ ١٨ : قم وقف على قدميك . لأني ظهرت لك لأجعل منك خادماً لي وشاهداً على هذه الرؤيا التي رأيتني فيها . وعلى غيرها من الرؤى التي سأظهر فيها لك . سأنقذك من شعب إسرائيل ، ومن سائر الشعوب التي سأرسلك إليهم ، لتفتح عيونهم . . .

فهل بين له مهمته في الطريق أولَ ما ظهر له النور أو بعد ذلك(١) ؟

دخل بولس النصرانية في أثناء ظلام الاضطهادات المتلاحقة . وحاول أن يتصل بالتلاميذ ، فأوجسوا منه خيفة ، وظنوا أنه يمكر بهم ويكيد لهم . لكن برنابا شهد أمامهم بصحة إيمانه ، ودافع عنه وأحسن تقديمه . فاطمأنوا إليه ، وأنزلوه منزلة كبيرة .

جاء في ٢٦/٩ ـ ٢٨ من أعمال الرسل . ولما وصل شاول إلى أورشليم حاول أن ينضم إلى التلاميذ ، فكانوا كلهم يخافون منه ولا يصدقون أنه تلميذ . فجاء به برنابا إلى الرسل ، وروى لهم كيف رأى شاول الرب في الطريق وكلمه الرب ، وكيف بشر بشجاعة باسم يسوع في دمشق . فأخذ يروح ويجيء مع اللاميذ في أورشليم ، يبشر بشجاعة باسم الرب اهـ .

واستخف الطرب بعض المسيحيين عندما رأوا أكبر أعدائهم ينضم إليهم . وعلى أية حال ، فإن بولس صار من ذلك الوقت القوة الفعالة والحركة الدائبة في الدعوة إلى النصرانية . وأصبح له في تاريخ النصرانية وعقائدها وشرائعها شأن لم يصل إليه مجموع الحواريين الذين صحبوا المسيح حال وجوده في الأرض . ثم أخذ يطوف في مختلف البلاد عاملاً على نشر هذه الديانة ، ينشيء الكنائس ، ويلقي الخطب ويرسل الرسائل . حتى غدت رسائله هي الرسائل التعليمية بما اشتملت عليه من مباديء في العقائد

---

(١) إظهار الحق ١/١١٣ ـ ١١٤ .

والشرائع . واستمر به الحال إلى أن قتل في اضطهادات نيرون سنة ٦٦ م أو ٦٧ م[١] .

بيد أن سفر الأعمال لم يبين لنا على يد من تلقى بولس مبادىء النصرانية وتعاليمها التي أخذ يبشر بها ، والتي دونها في رسائله الأربع عشرة ؟ والتي يضيف إليها بعض الكتاب سفر الأعمال ، فينسبه إليه بدلاً من لوقا ؟

ويجيب هو عن ذلك فيقول في رسالته إلى غلاطية ما يلي :

١/١١ ـ ١٢ : فاعلموا أيها الأخوة أن البشارة التي بشرتكم بها ـ وفي الترجمات السابقة : الإنجيل الذي بشرت به ـ غير صادرة عن البشر . فأنا ما تلقيتها ولا أخذتها عن إنسان ، بل عن وحي من يسوع المسيح .

١/١٥ ـ ٢٣ : لكن الله بنعمته اختارني وأنا في بطن أمي ، فدعاني لخدمته . وعندما شاء أن يعلن ابنه فيّ لأبشر به بين الأمم ، ما استشرت بشراً . ولا صعدت إلى أورشليم لأرى الذين كانوا رسلاً قبلي . بل ذهبت على الفور إلى بلاد العرب ، ومنها عدت إلى دمشق . وبعد ثلاث سنوات صعدت إلى أورشليم لأرى بطرس . فأقمت عنده خمسة عشر يوماً . وما رأيت غيره من الرسل سوى يعقوب أخي الرب . . . ثم سافرت إلى بلاد سورية وكيليكية . وما كنت معروف الوجه عند كنائس المسيح في اليهودية . وإنما سمعوا أن الذي كان يضطهدنا هو الآن يبشر بالإيمان الذي كان يريد أن يدمره .

وإنك لتلحظ التناقض بين هذه الرسالة وسفر الأعمال . فهناك يقول ذهب إلى أورشليم واجتمع بالحواريين . وهنا يقول : ذهب على الفور إلى بلاد العرب ، وينفي صعوده إلى أورشليم ورؤية الرسل . فأيهما أحق بالتصديق ؟

ويقول عن نفسه في رسالته الأولى إلى كورنتوس ٩/١ : أَمَا أنا رسول ؟ أمَا رأيت ربنا يسوع المسيح ؟ أما أنتم ثمرة عملي في الرب ؟

---

(١) محاضرات في النصرانية ص ٨٨ ـ ٨٩ ، الأسفار المقدسة لعلي ص ٧٢ ، المسيحية لأحمد شلبي ص ١٠٦ .

وفي ١٥/١ ـ ١٠ : أذكركم أيها الأخوة بالبشارة التي حملتها إليكم وقبلتموها ـ وفي الترجمات الأخرى ، بالإنجيل الذي بشرتكم به وقبلتموه ـ وبها تخلصون إذا حفظتموها كما بشرتكم بها . سلمت إليكم قبل كل شيء ما تلقيته من المسيح وهو أنه مات من أجل خطايانا ، وأنه دفن وقام في اليوم الثالث ، وأنه ظهر لبطرس، ثم . . حتى ظهر لي آخراً أنا أيضاً، كأني سِقْط. ولا أحسب نفسي أهلاً لأن يدعوني أحد رسولاً ، لأني اضطهدت كنيسة الله ، وبنعمة الله أنا ما عليه الآن . ونعمته علي ما كانت باطلة . بل إني جاهدت أكثر من سائر الرسل كلهم . وما أنا الذي جاهدت ، بل نعمة الله التي هي معي اهـ .

فهو لم ير المسيح ولم يسمع منه قط . لكنه ادعى صلة مباشرة بينه وبين المسيح ، أدخلته في النصرانية وسكبت تعاليمها في نفسه . ولذلك جاهد أكثر من جميع الرسل الآخرين بسبب هذه النعمة. ثم إنه لم يقيد نفسه بما تلقاه غيره عن المسيح . بل راح يقول في صراحة : إنه الوحيد المؤتمن على المسيحية الصحيحة وعلى إنجيل مجد الله المبارك ، وأن كل ما يخالف قوله باطل دنس يتظاهر به قوم زاغوا عن الإيمان ، يجب الإعراض عنهم .

جاء في رسالته إلى مريده تيطس ٣/١ : فأظهر ـ أي الله ـ كلمته في حينها بالبشارة التي ائتمنت عليها بأمر الله مخلصّنا .

وجاء في رسالته الأولى إلى تيموثاوس ٦/١ ـ ١٤ : وهذه فضائل زاغ بعضهم عنها وانحرفوا إلى الكلام الباطل ، مدّعين أنهم من معلمي الشريعة ، وهم لا يفهمون ما يقولون . ونحن نعلم أن الشريعة صالحة إذا اقتصر العمل بها على أنها شريعة . لأننا نعرف أن الشريعة ـ الناموس ـ ما هي للأبرار ، بل للعصاة . . ولكل من يخالف التعليم الصحيح الذي يوافق البشارة التي ائتمنت عليها ، بشارة الله المبارك، ـ وفي سائر الترجمات : حسب إنجيل مجد الله المبارك الذي ائتمنت أنا عليه ـ أحمد ربنا يسوع الذي قواني واعتبرني أميناً ، فدعاني إلى خدمته أنا الذي كفر به واضطهده وشتمه فيما مضى ، ولكن الله

رحمني لأني كنت غير مؤمن لا أعرف ما أفعل ، ففاضت علي نعمة ربنا وما فيها من إيمان ومحبة في يسوع .

٦/٢٠ ـ ٢١ : يا تيموثاوس احفظ الوديعة وتجنب الكلام الفارغ والجدل الباطل الذي يحسبه الناس معرفة ـ وفي بعض الترجمات : معرضاً عن الكلام الباطل الدنس ومخالفات العلم الكاذب الاسم ـ وحين اتخذه قوم زاغوا عن الإيمان .

ولذلك يعتقد النصارىٰ أنه ليس في حاجة إلى التلقي ، لأنه انتقل من مرتبة الكافر المناويء إلى مرتبة الرسل عندهم . وصار ملهماً ينطق بالوحي[١] .

هذا . ويستخلص العلامة محمد أبو زهرة[٢] من أحوال بولس وأقواله التي دونت في رسائله وفي سفر الأعمال أنه امتاز بثلاث صفات جعلته في هذه المنزلة . ألا وهي :

١ ـ كان نشيطاً دائم الحركة ذا قُوىٰ لا تكل ونفس لا تمل .

٢ ـ كان ألمعياً شديد الذكاء بارع الحيلة قوي التفكير حاضر البديهة .

٣ ـ كان شديد التأثير في نفوس الجماهير ، قوي السيطرة على أهوائهم ، قديراً على انتزاع الثقة به ممن يتحدث إليه .

وبهذه الصفات الممتازة استطاع أن يجعل نفسه محور الدعاة إلى النصرانية ، وأن يفرض ما ارتآه على المسيحيين ، فيعتنقوه ديناً ، ويتخذوا من قوله حجة ، زاعمين أنه رسالة أرسل بها ووحي أوحى إليه . حتى لقد صارت النصرانية الحاضرة مطبوعة بطابعه منسوبة إليه . فشاول هو المؤسس الحقيقي للنصرانية الحاضرة . قال برّي : وكان عيسى يهودياً ، وقد ظل كذلك ، ولكن

---

(١) محاضرات في النصرانية ص ٨٩ ، المسيحية لأحمد شلبي ص ١٠٦ ـ ١٠٨ .

(٢) محاضرات ص ٨٩ ـ ٩١ .

شاول كون النصرانية على حساب عيسى[1] .

وبهذه الصفات استطاع أيضاً أن يحمل صديقه برنابا على أن يصدقه في رؤيته للمسيح ، ويقدمه للحواريين. وكذلك استطاع التأثير على لوقا ، فأحله لوقا محلاً رفيعاً لا يقل عن مقام المسيح نفسه . لذا كان بولس يدعوه (الطبيب الحبيب) كما في رسالته إلى كولوسي ١٤/٤ ومن ثم كتب لوقا سفر أعمال الرسل ـ كما يقولون ـ وضمنه قصة حياة بولس ،فوصف أعماله ، وأشاد بمعجزاته . وكتب أيضاً إنجيله فأفرغ فيه أفكار أستاذه[2] .

ومن الجدير بالذكر أن برنابا الذي اصطحبه بولس في رحلاته الأولى اختلف معه بعد ذلك في الطريق ، وتخلى عنه بعدما ظهرت له اتجاهاته ، وندد به تنديداً كبيراً، واتهمه اتهامات خطيرة بعدما افترقا، وسافر برنابا مع مرقس إلى قبرص كما سلف . وفي ذلك يقول بولس في رسالته إلى أهل غلاطية ١٣/٢ : حتى إن برنابا نفسه انقاد إلى ريائهم[3] .

المتاعب التي تعاني منها هذه الرسائل :

لم تعتمد الكنيسة رسائل بولس جميعها إلا بعد أن حكم مجمع لوديسيا عام ٣٦٤ م بصحتها . أما قبل ذلك ، فكان بعضها موضع شك في صحة نسبتها إلى بولس لدى الكثيرين من النصارى ، حتى إن مجمع نيقية المنعقد ٣٢٥ م لم يعترف برسالة بولس إلى العبرانيين ، وقطع بأنها مزيفة مدسوسة . لكن المجامع اللاحقة أقرتها . والعجيب في ذلك أن حكمهم لم يكن مبيناً على برهان أو سند متصل ثابت في الرواية[4] .

---

(١) محاضرات ص ٨٩ ـ ٩١ ، الأسفار المقدسة ص ٧٢ ، المسيحية لأحمد ص ١٠٩ ـ ١١٠ .

(٢) محاضرات ص ٩٠ ، المسيحية ص ١٠٧ .

(٣) محاضرات ص ٧١ ـ ٧٢ ، الأسفار ص ٧٢ ، المسيحية ص ١١٤ .

(٤) إظهار الحق ٥٣/١ ـ ٥٥ و ٢٣٦ ـ ٢٣٧ ، محاضرات ص ١٠٩ ـ و ١٥٦ ، الأسفار المقدسة ص ١٠٢ .

نقل العالم الكاثوليكي (وارد)[1] عن (زونكليش) وغيره من علماء البروتستانت قولهم : ليس كل كلام مندرج في رسائل بولس مقدساً . وهو غلط في الأشياء المعدودة.

وذكر (يوسيبيس) في تاريخه[2] : أن أرجن قال في المجلد الخامس من شرح إنجيل يوحنا : إن بولس ما كتب شيئاً إلى جميع الكنائس . والذي كتبه إلى بعضها سطران أو أربعة .

فعلى قول أرجن تكون الرسائل المنسوبة إلى بولس موضوعة كلها إلا سطرين أو أربعة . وقد ثبت لدى البحث والتحقيق أن كثيراً من الفقرات والجمل ملحقة بالرسائل . ومن ذلك ما يلي :

١ ـ جاء في رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس ١٠/ ٢٨ : ولكن إن قال لكم أحد : هذا الطعام من ذبائح الأوثان ، فلا تأكلوا منه ، لأجل من أخبركم ، ولأجل راحة الضمير . لأن للرب الأرض وملأها .

والجملة الأخيرة « لأن للرب الأرضَ وملأها » . قال المحقق البروتستانتي هورن في تفسيره[3] ، بعد أن أثبت أنها ملحقة : أسقط كريسباخ هذه الجملة من المتن بعدما جزم بأنها قابلة للإخراج والحق أنه لا سند لهذه الجملة، وهي فضول. والغالب أنها أخذت من الفقرة السادسة والعشرين ثم ألحقت.

وقال الفسر آدم كلارك : أسقطها كريسباخ من المتن . والحق أنه لا سند لهذه الجملة اهـ .

والغريب أنها أسقطت من الترجمات العربية المطبوعة في سنة ١٦٧١ م

---

(١) في كتابه المطبوع عام ١٨٤١ م انظر إظهار الحق ١/ ١٨٧ .

(٢) ج ٦ باب ٢٥ ، انظر إظهار الحق ١/ ٨٤ .

(٣) ٢/ ٣٢٧ ، انظر إظهار الحق ١/ ٢٤٣ طبعة قطر .

وسنة ١٨٢١ وسنة ١٨٣١ ، ثم أعيدت فيما بعد[١] .

٢ ـ جاء في رسالته الأولى إلى أهل تيموثاوس ١٦/٣ : ولا خلاف في أن سر التقوى عظيم . ظهر الله في الجسد ، وتبرز في الروح . .
قال كريسباخ : إن لفظ (الله) غلط . والصحيح ضمير الغائب[٢] .

٣ ـ جاء في رسالته إلى افسس ٢١/٥ : ليخضع بعضكم إلى بعض في خوف الله .

قال كريسباخ وشولز : إن وضع لفظ (الله) هنا غلط . والصحيح لفظ المسيح اهـ[٣] .

والنص في العهد الجديد الصادر عام ١٩٨٠ عن دار الكتاب المقدس في العالم العربي هكذا : « وليخضع بعضكم لبعض إجلالاً للمسيح » . وفي العهد الجديد الصادر عام ١٩٨١ عن جمعيات الكتاب المقدس كما في النص القديم . مع أن كليهما مكتوب عليه أنه ترجم من اللغة الأصلية .

---

(١) إظهار الحق ٢٤٣/١ طبعة قطر .
(٢) منه ٢٢٣/١ طبعة قطر .
(٣) منه ٢٢٣/١ طبعة قطر .

مجموعة الرسائل الكاثوليكية

تعريفها وميزاتها :

هي سبع رسائل تعرف بالقانونية وبالجامعة. سميت بذلك لأنها كانت موجهة إلى جميع الكنائس ، تنتقل من كنيسة إلى أخرى[1].

وهي - ما خلا رسالة يعقوب - تعرض لنواحٍ من عقائد النصارىٰ وشرائعهم وعباداتهم وأخلاقهم أيضاً. وتعنىٰ بوجه خاص بالرد على البدع المستحدثة. فهي تتفق في موضوعها مع رسائل بولس وإن كانت أقل منها استيعاباً. لذا يطلق على هاتين المجموعتين اسم (الأسفار التعليمية) لأنهما توضحان تعاليم النصرانية الحاضرة ومبادئها وشعائرها وأهدافها أكثر من الأناجيل. أما رسالة يعقوب فمجموعة من الإرشادات العملية[2].

تاريخ تدوينها ومكانه ولغته :

كتبت كلها في الأصل باللغة اليونانية في أزمنة مختلفة وأمكنة متعددة. بيد أن زمنها محصور ما بين سنة ٥٠ م و٩٠ م تقريباً كما يقول مؤرخوهم[3]. وإليك تعريف بهذه الرسائل وبكاتبيها.

---

(١) الموسوعة العربية الميسرة ٢ /١٢٤٥ .

(٢) محاضرات ص ٨٣، المسيحية لأحمد شلبي ص ١١٩ .

(٣) محاضرات ص ٨٢ ـ ٨٤، الأسفار المقدسة لعلي ص ١٠٣ .

١ ـ رسالة يعقوب

تعريفها وميزاتها :

رسالة يعقوب مجموعة من الإرشادات العلمية وجهها سنة ٦١ م إلى جميع شعب الله المشتت في العالم كله. غايته منها أن يحثهم على تحمل المشاق والتمسك بالتقوىٰ والتحلي بالفضائل، كحسن المعاملة وتجنب الطمع وحفظ اللسان وإنصاف الفقير والتواضع ونحو ذلك. وقد بين لهم أن الإيمان الصادق يجب ان يقترن بالأعمال الصالحة[١].

ومن الملاحظ أنها فريدة في أسلوبها وأفكارها بين رسائل العهد الجديد: إذ ليس فيها ذكر لألوهية المسيح ـ عليه السلام ـ ولا لنزوله إلى الأرض ليقدم نفسه فداء للخطيئة البشرية، ولا لقيامته من بين الأموات وجلوسه عن يمين أبيه ونحو ذلك، كما أنه ليس فيها طعن بأحد من مخالفي بولس ولا إيغار به. بل إنما هي عظة هادئة وأمثال سهلة[٢].

مضمونها :

يتوزع مضمونها كما يلي :

- المقدمة (١/١).
- الإيمان والحكمة (١/٢ ـ ٨)
- الفقر والغنى (١/٩ ـ ١١).
- المحن والتجارب (١/١٢ ـ ١٨)
- السماع والعمل (١/١٩ ـ ٢٧)
- التحذير من التحيز (٢/١٤ ـ ٢٦)
- الإيمان والأعمال (٢/١٤ ـ ٢٦).

---

(١) مقدمة الرسالة في العهد الجديد المطبوع سنة ١٩٨٠ ص ٥٧٢.
(٢) المسيحية لأحمد ص ١٢١.

- حفظ اللسان من كلام السوء (٣/١ - ١٨).
- النصراني والعالم (١/٤ إلى ٦/٥).
- وصايا متنوعة (٥/٧ - ٢٠)[١].

شخصية كاتبها:

هو يعقوب بن زبدي الصياد أخو يوحنا. كان حوارياً كأخيه. ويعرف بيعقوب الصغير. وكان لشهرته بالطهارة يعرف أيضاً بيعقوب البار. اغتاظ منه رؤساء اليهود، فحكموا عليه بالموت في مجمعهم. فقتل رجماً سنة ٦٢ م. يقال: إنه أول أسقف لكرسي أورشليم[٢].

٢ - رسالة بطرس الأولىٰ

تعريفها وميزاتها :

كتب بطرس هذه الرسالة إلى النصارى المشتتين في شمالي آسية الصغرى، والذين دعاهم شعب الله. وغايته منها تشجيعهم على تحمل الاضطهاد والعذاب. ولذلك يذكرهم بالمسيح الذي تحمل الآلام ، ويدعوهم للاقتداء بسيرة تلاميذه، ويعدهم بأنهم سينالون المكافأة على ذلك يوم يظهر[٣].

مضمونها :

- المقدمة (١/١ -٢)
- التذكير بخلاص الله (١/٣ - ١٢).
- التشجيع على حياة القداسة (١/١٣ إلى ٢/١٠)
- واجب النصراني في وقت الشدة (٢/١١ إلى ٤/١٩).

---

(١) مقدمة الرسالة في العهد الجديد ص ٥٧٢.
(٢) محاضرات ص ٨٢ - ٨٤، الأسفار المقدسة ص ١٠٣، المسيحية لأحمد ص ٢٠٣.
(٣) مقدمة الرسالة في العهد الجديد ص ٥٨٢.

ـ التواضع النصراني والخدمة (٥/١ ـ ١١).
ـ الخاتمة (٥/١٢ ـ ١٤)[١].

٣ ـ رسالة بطرس الثانية

تعريفها وميزاتها :

وجه بطرس هذه الرسالة إلى أوساط واسعة من النصارى. وغايته منها محاربة المعلمين الكذابين والفجور الذي تؤدي إليه تعاليمهم ـ كما يقول ـ والرد عليها. وأكثر ما يهتم به الكاتب هو ما زعمه بعضهم من أن المسيح لن يعود ثانية، فيبين لهم أن التأخرّ في المجيء الثاني ناتج عن أن الله لا يريد أن يَهْلِكَ أحد. بل يريد أن يتوب جميع الناس[٢].

مضمونها :

ـ المقدمة (١/١ ـ ٢).
ـ الدعوة النصرانية (١/٣ ـ ٢١) .
ـ المعلمون الكذابون (٢/١ ـ ٢٢) .
ـ مجيء المسيح النهائي (٣/١ ـ ١٨) [٣] .

شخصية الكاتب :

تنسب هاتان الرسالتان إلى بطرس كبير الحواريين. واسمه الأصلي سمعان. كان صياد سمك، فدعاه المسيح إلى الإيمان. جال بعد رفع المسيح في الأرض للتبشير، فذهب إلى أنطاكية وغيرها، وأخيراً إلى رومية سنة ٦٥ م حيث قبض عليه في زمن نيرون، ثم حكم عليه بالموت صلباً.

وقد ذكر صاحب مروج الأخبار في تراجم الأبرار أن بطرس وتلميذه

---

(١) المرجع السابق الصفحة نفسها.
(٢) مقدمة الرسالة في العهد الجديد ص ٥٩٢ .
(٣) المرجع السابق والصفحة نفسها.

مرقس الذي ينسب له الإنجيل الثاني، كانا ينكران ألوهية المسيح[1].

٤ ـ رسالة يوحنا الأولى

تعريفها وميزاتها :

لهذه الرسالة غايتان : التشجيع على الحياة بعد الإيمان بالأب والابن. والتحذير من التعاليم الباطلة التي من شأنها هدم هذا الإيمان. ولذلك يؤكد الكاتب على أن يسوع ابن الله صار بالفعل إنساناً، وأن الذين يؤمنون بذلك يجب أن يحب بعضهم بعضاً[2].

مضمونها :

- المقدمة (١/١ ـ ٤).
- النور والظلام (١/٥ إلى ٢/ ٢٩).
- أبناء الله وأبناء ابليس (٣/١ ـ ٢٤).
- الحق والباطل (٤/١ ـ ٦).
- واجب المحبة (٤/٧ ـ ٢١).
- انتصار الإيمان (٥/١ ـ ٢١)[3].

٥ ـ رسالة يوحنا الثانية

تعريفها وميزاتها :

وهي رسالة موجزة تدعو إلى المحبة وتحذر من المعلمين الكذابين وتعاليمهم. كتبها (الشيخ) إلى السيدة وأبنائها الذين هم على الأرجح الكنيسة هناك وأعضاؤها.

---

(١) محاضرات ص ٨٢ ـ ٨٤، الأسفار المقدسة ص ١٠٣، المسيحية لأحمد ص ٢٠٣، تاريخ الأمة القبطية ٢/٥٦. قاموس الكتاب المقدس ص ١٧٤.

(٢) مقدمة الرسالة في العهد الجديد ص ٥٩٨.

(٣) المرجع السابق والصفحة ذاتها.

جاء في مقدمتها: ١ ـ «مني أنا الشيخ إلى السيدة المختارة من الله، وإلى أولادها الذين أحبهم في الحق». وفي سائر الترجمات: «الشيخ إلى كيريّة المختارة . . .» ومعظم المفسرين يرون الإشارة هنا إلى إحدى الكنائس[(١)].

مضمونها:

- المقدمة (١ ـ ٣).
- المحبة قبل كل شيء (٤ ـ ٦).
- التحذير من التعاليم الباطلة (٧ ـ ١١).
- الخاتمة (١٢ ـ ١٣)[(٢)].

٦ ـ رسالة يوحنا الثالثة

تعريفها وميزاتها:

وهي رسالة كتبها (الشيخ) إلى راعي إحدى الكنائس، واسمه (غايُس) يمتدحه فيها لمساعدته كثيراً من النصارى، ويحذره من رجل اسمه ديوتريفس[(٣)].

مضمونها:

- المقدمة (١ ـ ٤).
- اقتراح غايُس (٥ ـ ٨).
- إدانة ديمتريوس (١١ ـ ١٢).
- الخاتمة (١٣ ـ ١٥)[(٤)].

---

(١) مقدمة الرسالة في العهد الجديد ص ٦١١.

(٢) المرجع السابق والصفحة ذاتها.

(٣) مقدمة هذه الرسالة في المرجع السابق ص ٦١٣.

(٤) المرجع السابق والصفحة ذاتها.

شخصية الكاتب :

تنسب هذه الرسائل إلى يوحنا صاحب الإنجيل الرابع . وقد ذكرت ترجمته هناك .

٧ ـ رسالة يهوذا

تعريفها وميزاتها :

كتبت هذه الرسالة للتحذير من المعلمين الكذبة الذين يدعون الإيمان ، وهي تشبه بمحتواها رسالة بطرس الثانية ، فتشجع المؤمنين على متابعة الصبر والعمل في سبيل الإيمان الذي وهبه الله مرة واحدة لشعبه(١).

مضمونـهـا :

- ـ المقدمة (١ ـ ٢) .
- ـ المعلمون الكذابون وصفاتهم وهلاكهم (٣ ـ ١٦) .
- ـ الدعوة إلى التمسك بالإيمان (١٧ ـ ٢٣) .
- ـ البركة (٢٤ ـ ٢٥) (٢).

شخصية الكاتب :

تنسب هذه الرسالة إلى يهوذا ، وهو حواري يدعىٰ (لبـاوس) ، ويلقب بـ (تداوس) وهو الاسم الذي ذكر في إنجيل متىٰ . ويقال : إنه أخو يعقـوب الصغير . وعليه يكون لزبدي الصياد ثلاثة أولاد من الحواريين . بيد أن متى لما ذكر يعقوب ويوحنا ، ذكر أمامهما أنهما ولدا زبدي الصياد . ولم يذكرُ ذلك أمام تداوس . مات شهيداً في بلاد العجم .

ومن الجدير بالذكر أن برنابا يقرر أن يهوذا هذا غير يهوذا الإسخريـوطي وغير تداوس (٣).

---

(١) مقدمة هذه الرسالة في المرجع السابق ص ٦١٥ـ

(٢) العهد الجديد طبعة ١٩٨٠ مقدمة هذه الرسالة .

(٣) محاضرات ص ٨٢ ـ ٨٤ ، الأسفار المقدسة ص ١٠٣ ، المسيحية لأحمد ص ٢٠٣ .

المتاعب التي تعاني منها مجموعة الرسائل هذه :

يرى كثير من الباحثين أن مصادر النصرانية بقسميها التاريخي والتعليمي من عمل بولس أو أحد أتباعه. وأن الأسماء الموضوعة عليها ، ليست إلا أسماء مستعارة غير حقيقية ، كما تقول دائرة المعارف الفرنسية(١).

ويتأكد ذلك لدى دراسة أسلوب هذه الرسائل وأفكارها ومقارنتها بأسلوب بولس وأفكاره، فرسائل يوحنا فيها هجوم على مخالفي بولس الذين قاوموا أفكاره، يماثل الهجوم الكائن في رسائل بولس السابقة. كما حقق الدكتور أحمد شلبي ، ورأى أنها ورسائل بولس صدرت من معين واحد(٢). بخلاف رسالة يعقوب ، فإنها فريدة في أسلوبها وأفكارها من بين رسائل العهد الجديد، ومن العجيب أنها استطاعت ان تأخذ مكانها فيه. وربما كان في أصولها الأولى معارضة لآراء بولس. لكن ذلك الشيء اختفى، وبقي منه جانب الوعظ السلبي الهادىء(٣)

ومن الجدير بالذكر أن مجمع نيقية المنعقد عام ٣٢٥ م لم يعتمد من هذه الرسائل سوى رسالتين هما رسالة بطرس الأولى ورسالة يوحنا الأولى . ورفض وحرم ما عداهما بالإضافة إلى رسالة بولس إلى العبرانيين كما سلف. لأنها كانت موضع شك في صحة حقائقها ونسبتها إلى أصحابها لدى أكثر النصارى. ولم تعتمد الكنيسة هذه الرسائل جميعاً إلا بعد أن حكم مجمع لوديسيا المنعقد عام ٣٦٤ بصحتها اعتسافاً. إذ لم يثبت لها شبه سند(٤).

---

(١) ٥/١١٧ . انظر المسيحية لأحمد ص ١٢٠ .

(٢) المسيحية لأحمد ص ١١٦ .

(٣) منه ص ١٢١

(٤) إظهار الحق ١/٥٣ ـ ٥٥ و٢٣٦ ـ ٢٣٧، محاضرات في النصرانية ص ١٠٩ و١٥٦، الأسفار المقدسة ص ١٠٣ .

ذكر العالم الكاثوليكي (وارد) في كتابه[1] أن المستر (فلك) نسب إلى الحواري بطرس الغلط والجهل بالإنجيل.

وذهب الأكثرون من القدماء إلى أن الرسالة الثانية لبطرس ورسالة يهوذا ورسالة يعقوب والرسالة الثانية والثالثة ليوحنا، ومشاهدات يوحنا ليست إلهامية. بل إن المحقق (برتشنيدر) وفرقة (ألوجين) حكما بأن جميع رسائل يوحنا ليست إلهامية[2].

والعجيب أن البروتستانت يسلمون بحكم المجامع في الرسائل وكتاب المشاهدات، ويردونه في غيرها ولا سيما كتاب يهوديت الذي اتفقت المحافل الستة على التسليم به. فلو كان حكمهم بدليل وبرهان لزم التسليم بالكل ، وإن كان بلا برهان كما هو الواقع ، لزم رد الكل . ولا سيما إنجيل متى : لأن أصله مفقود[3].

---

(١) المطبوع سنة ١٨٤١ م انظر إظهار الحق ١ /١٨٧.

(٢) إظهار الحق ١ /١٧٥ .

(٣) إظهار الحق ١ /٨٥.

رؤيا يوحنا

تعريفها وميزاتها :

وهي مجموعة من الرؤىٰ المتتابعة تنسب إلى يوحنا اللاهوتي صاحب الإنجيل الرابع. أعرب عنها الكاتب بأسلوب رمزي. مما جعل النصارى يختلفون في تأويلها وتفاصيلها. سميت رؤيا لأنها تشبه الأحلام. لكن يوحنا رآها في اليقظة. ويزعمون أنها وحي، أوحىٰ إليه الروح فيها بكثير من حقائق الديانة النصرانية وأحداث المستقبل، فهي نبوءة توسلت الرؤى والرموز لتهيئة المؤمنين لما سيواجههم من اضطهاد، وإلى مجيء المسيح ثانية واليوم الآخر والجنة والجحيم[1].

تختلف هذه الرسالة عن سائر الرسائل في منحاها ومنهجها، فالرسائل السابقة وعظية تعليمية، تتعرض كثيراً لنبوة المسيح وتخليصه العالم من الخطيئة. أما هذه، فتعنىٰ ببيان ألوهية المسيح. وكأن الكاتب أراد أن يظهر بها سلطان المسيح بعد رفعه إلى السماء، وصلته الدائمة بالكنائس[2].

---

(١) مقدمة العهد الجديد المطبوع سنة ١٩٨٠ ومقدمة هذا السفر فيه ص ٦١٨، وانظر محاضرات ص ٨٢، الأسفار لعلي ص ١٠٤، المسيحية لأحمد ص ٢٠٣، الموسوعة العربية الميسرة ٢/١٢٤٥.

(٢) محاضرات ص ٨٢، الأسفار المقدسة لعلي ص ١٠٤.

مضمونها :

١ ـ المقدمة (١/١ ـ ٨) ويذكر فيها أن يسوع المسيح بهبة من الله أرسل ملاكه إلى يوحنا ليكشف لعباده. ما لا بد من حدوثه عاجلاً. ثم يوجه التحية إلى الكنائس السبع في آسية. ويذكر أن المسيح آت مع السحاب، ستراه كل عين.

٢ ـ بداءة الرؤيا، والرسائل إلى الكنائس السبع (١/٩ إلى ٣/٢٢).

ويذكر هنا أنه كان في جزيرة (بطمُس) فاختطفه الروح في يوم الرب، فسمع صوتاً خلفه قوياً كصوت البوق يقول: أنا الألف والياء، الأول والآخر ـ أي هو البداءة والنهاية ـ اكتب ما تراه في كتاب وأرسله إلى الكنائس السبع. فالتفت فرأى سبع منائر من ذهب تحيط بما يشبه ابن إنسان، وهو يلبس ثوباً طويلاً إلى قدميه، وحول صدره حزام من ذهب. وكان شعر رأسه أبيض كالصوف. الأبيض أو كالثلج، وعيناه كشعلة ملتهبة، ورجلاه كنحاس مصقول محمىً في أتون، وصوته كصوت مياه غزيرة. وكان في يده اليمنى سبعة كواكب، وفي فمه سيف طالع مسنون الحدين..

يقول: فلما رأيته وقعت عند قدميه كالميت، فلمسني بيده اليمنىٰ وقال: لا تخف، أنا الأول والآخر أنا الحي، كنت ميتاً.. فاكتب ما رأيت مما يكون الآن ومما سيكون بعد ذلك، أما سر الكواكب السبعة والمنائر السبعة التي تراها، فهو أن الكواكب هي ملائكة الكنائس السبع، والمنائر هي الكنائس السبع (١/٩ ـ ٢٠).

ثم يملي عليه الرسائل إلى الكنائس السبع. وفيها نصائح وعتاب وتهديد (٢/١ إلى ٣/٢٢).

٣ ـ الكتاب وأختامه السبعة (٤/١ إلى ٨/١).

ويذكر هنا أنه رأى باباً مفتوحاً إلى السماء، ثم سمع الصوت الأول الذي يشبه البوق يقول له: اصعد لأريك ما لا بد من حدوثه بعد ذلك. يقول: وفي

الحال اختطفني الروح، وإذا عرش عليه واحد كأنه حجر اليَشْب والعقيق الأحمر. وحول العرش قوس قزح. ويحيط بالعرش أربعة وعشرون عرشاً، عليها أربعة وعشرون شيخاً، يلبسون ثياباً بيضاء، وعلى رؤوسهم أكاليل من ذهب ويخرج من العرش برق وأصوات ورعد، وتتقدم أمام العرش سبعة مشاعل هي أرواح الله السبعة.. وفي وسط العرش وحوله أربعة حيوانات مرصعة بالعيون من قدام ومن خلف... وكلما سَبَّحت الحيوانات الأربعة للجالس على العرش سجد الأربعة والعشرون شيخاً له (٤/١ ـ ١١).

ثم يذكر أنه رأى بيمين الجالس على العرش كتاباً مخطوطاً من الداخل والخارج، مختوماً بسبعة ختوم، ورأى ملكاً ينادي: مَنِ الذي يحق له أن يفتح الكتاب ويفض ختومه؟.. فبكى الرائي لأنه تعذر وجود من يفتحه. لكن واحداً من الشيوخ قال له: لا تبك غلب الأسد الذي من عشيرة يهوذا ونسل داود، وهو سيفتح الكتاب ويفض ختومه.

ثم يصور المسيح بصورة خروف قائم كأنه مذبوح، له سبعة قرون وسبعة أعين هي أرواح الله السبعة التي أرسلها إلى العالم كله. فجاء الخروف وأخذ الكتاب، فسجد له الحيوانات الأربعة والشيوخ الأربعة والعشرون (٥/١ ـ ١٤).

ثم يذكر أن الخروف بدأ بفضّ الختوم السبعة واحداً واحداً، وفي كل مرة يظهر له عجائب لا يدركها العقل (٦/١ إلى ٧/١٧).

٤ ـ الأبواق السبعة (٨/٢ إلى ١١/١٩).

ويذكر هنا أنه بعد فض الختم السابع ساد سكون، ثم رأى الملائكة السبعة الواقفين أمام الله، قد أُعطيَ كل واحد منهم بوقاً. فجعلوا ينفخون فيها واحداً إثر واحد. وبعد كل نفخة تظهر عجائب وأهوال. لكنه ذكر قبل النفخ أنه جاء ملاك يحمل مبخرة من ذهب، وقف عند المذبح، فأُعطي بخوراً كثيراً ليقدمه مع صلوات القديسين على مذبح الذهب أمام العرش.

وهو بذلك يقرر سلطان المسيح في السماء، وإشرافه من عليائه على شؤون الكنيسة، وعلمه التام بجميع أحوالها وأحوال القائمين علهيا.

٥ ـ التنّين والوحشان (١٢/١ إلى ١٨/١٣).

ويذكر هنا أنه رأىٰ امرأة تلبس الشمس، والقمر تحت قدميها. وعلى رأسها إكليل من اثني عشر كوكباً. وهي حبلىٰ تصرخ من ألم الولادة. وإذا بتنّين عظيم أحمر كالنار له سبعة رؤوس وعشرة قرون، على كل رأس تاج، يقف أمام المرأة يريد أن يبتلع مولودها. لكن ولدها اختُطِف إلى الله وإلى عرشه. ثم وقعت حرب في السماء بين ميخائيل وبين التنين..

٦ ـ رؤى متوعة (١/١٤ إلى ١٥/٨):

ويذكر فيها أنه رأى خروفاً على جبل صِهْيَوْن، معه أربعة وأربعون ألفاً ومائة ألف، أسماؤهم وأسماء آبائهم مكتوبة على جباههم.. وهم يرنمون ترنيمة جديدة أمام العرش، يَتْبعون الخروف أينما سار.. وهم الذين تم افتداؤهم من بين البشر باكورة الله والخروف.

ثم يتكلم عن الملائكة الثلاثة الذين يطيرون وسط السماء واحداً بعد واحد، ينادي الأول بالبشارة وبقرب الدينونه، والثاني بسقوط بابل، والثالث يحذّر من السجود للوحش...

ثم يتكلم عن حصاد الأرض وعن الملائكة والنكبات الأخيرة.

٧ ـ كؤوس غضب الله السبعة (١/١٦ ـ ٢١).

ويذكر هنا أنه سمع صوتاً عظيماً من الهيكل يصيح بالملائكة السبعة أن اذهبوا واسكبوا على الأرض كؤوس غضب الله السبع. فجعلوا يسكبون الكؤوس واحداً بعد واحد.

٨ ـ خراب بابل وهزيمة الوحش والنبي الكذاب وإبليس (١/١٧ إلى ١٠/٢٠).

وهنا يتكلم عن الزانية العظيمة والوحش القرمزي المغَطّى بأسماء الكفر،

له سبعة رؤوس وعشرة قرون. وكانت المرأة تلبس الأرجوان. . . وبيدها كأس من ذهب ممتلئة برجس زناها وعلى جبينها اسم يرمز إلى بابل العظيمة ، أم الزنى . . . ثم يذكر أنه رأى بعد ذلك ملاكاً نازلاً من السماء يصيح بأعلى صوته: سقطت بابل العظيمة، وصارت مسكناً للشياطين. . . ثم يتكلم عن عرس الحمل الذي جاء وقته، وعن عروسه التي تزينت بالكتان الأبيض الناصع . والكتان هو أعمال القديسين الصالحة. ثم هَنّأ الملاك المدعويين إلى وليمة عرس الخروف.

ثم يذكر راكب الفرس الأبيض وعجائبه بصورة رمزية مبهمة.

٩ ـ اليوم الأخير (٢٠/١١ ـ ١٥)

ويتكلم هنا عن الذين عاشوا وملكوا مع المسيح ألف سنة، وهم الذين سقطوا قتلى في سبيل الشهادة ليسوع، وما سجدوا للوحش وصورته.

ثم يذكر سقوط إبليس في بحيرة النار والكبريت حيث كان الوحش والنبي الكذاب. وهم يتعذبون ليلاً نهاراً إلى أبد الدهور.

ثم يبين أحوال يوم الدينونة وانفتاح الكتب ومعاقبة كل واحد بأعماله على حسب ما في الكتب.

١٠ ـ السماء الجديدة والأرض الجديدة وأورشليم الجديدة (٢١/١ إلى ٢٢/٥).

فالمسيح سينتصر في نهاية الأمر على جميع أعدائه، وعلى رأسهم إبليس. وسيكافىء شعبة الأمين ببركات سماء جديدة وأرض جديدة حين يتم النصر الكامل.

١١ ـ الخاتمة (٢٢/٦ ـ ٢١).

ويذكر فيها أن المسيح آت سريعاً . ثم يهنّىء من يعمل بهذه الأقوال،

وينذر من يزيد أو ينقص شيئاً من هذا الكتاب[1].

تاريخ تدوينها ومكانه ولغته :

كتبت باللغة اليونانية في عهد الامبراطور دوميسيان على الأرجح. وكان حكمه من سنة ٨١ م إلى سنة ٩٦ م[2]. أما مكان تدوينها فغير معروف ، لكن الكاتب أو الرائي يذكر في ١/٩ أنه كان في جزيرة (بَطْمُس) عندما رأى تلك الرؤى .

المتاعب التي يعاني منها هذا السفر :

لدى قراءة هذه الرؤى يتبين أن الكاتب استقى بعض الأوصاف والتشبيهات من التوراة لكنه لم يكتف بذلك ، فأضفى عليه أموراً غريبة عجيبة. فما أقبح تصوير الإله بشيخ أشيب تقدح عيناه بالشرر ، ويخرج من فيه سيف ماض ذو حدين ! وما أقبح تصوير المسيح بالخروف المذبوح القائم ، وتكرار هذا التشبيه في عدة مشاهد.

يقول الروائي الانكليزي المعاصر (لورانس): إنني أشمئز من الربط بين المسيح وبين الخروف المذبوح ، مع أن الخراف أغبى وأجشع ما في مملكة الحيوان.

ومهما حاول النصارى تأويل هذا التشبيه عن طريق الفداء. فإنه ذوق ناب في التعبير. ولذلك يقول الدكتور أحمد شلبي[3]: وما كان أجدر بالنصارى أن يحذفوا هذه الرؤيا من الكتاب المقدس. فهي للخرافات أقرب ا هـ.

---

(١) لخصت مضمونها من تتبعي لها في العهد الجديد المطبوع سنة ١٩٨٠ الصادر عن دار الكتاب المقدس في العالم العربي.

(٢) محاضرات في النصرانية ص ٨٢، الأسفار المقدسة لعلي ص ١٠٤، المسيحية لأحمد شلبي ص ٢٠٣.

(٣) المسيحية ص ٢٠٣.

أما ابن حزم فقد بين في كتابه الفصل[1] ما تشتمل عليه هذه الرسالة من كذب وتناقض وتحريف. ووصف هذا الكتاب بأنه في غاية السخف والركاكة، وفيه خرافات باردة اهـ.

وقد تقدم عند الكلام على إنجيل يوحنا: أن عدداً كبيراً من ثقات الباحثين في الوقت الحاضر يقطع بأن جميع ما ينسب إلى يوحنا الحواري من أسفار العهد الجديد ـ بما في ذلك الإنجيل نفسه ـ إنما هي أسفار موضوعة على لسانه بهتاناً منسوبة إليه زوراً.

ومن الجدير بالذكر أن الكنيسة لم تعتمد هذه الرؤيا إلا في سنة ٣٦٣ م بعد أن حكم مجمع لوديسيا بصحتها من دون أن يثبت لها شبه سند. أما قبل ذلك، فكانت موضع شك كبير في حقائقها وفي صحة نسبتها إلى يوحنا الحواري لدى أكثر النصارىٰ، حتى إن مجمع نيقية رفض الاعتراف بصحتها[2].

قال المفسر (لارذر)[3]: إن (سِزل) وكذا كنيسة أورشليم في عهده ما كانوا يسلمون بكتاب المشاهدات، ولا يوجد اسم لهذا الكتاب في الفهرس القانوني الذي كتبه. ثم قال[4]: إن مشاهدات يوحنا ليس له وجود في الترجمة السريانية القديمة.

وقال هرلد الكاثوليكي[5]: إن روز ذكر في ص ١٦١ من كتابه أن كثيراً من محققي البروتستانت لا يسلمون بكتاب مشاهدات يوحنا. وأثبت

---

(١) ٢/٣ تحت عنوان «ما في كتبهم غير الأناجيل من الكذب والكفر والهوس».
(٢) إظهار الحق ١/٥٣، محاضرات في النصرانية ص ١٠٩، الأسفار المقدسة لعلي ص ١٠٥.
(٣) في تفسيره ٤/١٧٥، انظر إظهار الحق ١/٨١.
(٤) أي المفسر في ٤/٣٢٣.
(٥) في تفسيره المطبوع سنة ١٨٤٤ م ٧/٢٠٦، انظر إظهار الحق ١/٨١.

(بروبرا يوالد) بالشهادة القوية أن إنجيل يوحنا ورسائله وكتاب المشاهـدات لا يمكن أن تكون من تصنيف مصنف واحد.

وذكـر (يوسي بيس) في تـاريخه[1] أن (ديـونيسيش) قال: أخـرج بعض القدماء كتاب المشاهدات عن الكتب المقدسة، واجتهد في رده، وقـال: هذا كله لا معنى لـه، وأعظم حجـاب للجهالـة وعدم العقـل. ونسبته إلى يـوحنـا الحواري غلط، ومصنفه ليس بحواري ولا رجل صالح ولا نصراني . بل نسبه الملحـد (سرن تهس) إلى يـوحنا ، لكنني لا أقـدر على إخـراجـه من الكتب المقدسة ، لأن كثيراً من الإخوة يعظمونه. قال : وأما أنا فأسلم بأنه من تصنيف رجـل إلهامي. لكن لا أسلم بسهـولة أن هـذا الشخص هو الحـواري مصنف الإنجيـل ولد زبـدي وأخو يعقـوب. بل يعلم من المحـاورة وغيرهـا أنـه ليس بحواري . وكذلك ليس مصنفه يوحنا الذي جاء ذكره في كتاب الأعمال. لأن مجيئه من (إيشيا) لم يثبت. فهذا يوحنا آخر من أهل إيشيا. وفي أفسس قبران كتب عليهما اسم يوحنا. ويعلم من العبارة والمضمون أن يوحنا الإنجيلي ليس هـو مصنف هذا الكتـاب. لأن عبارة الإنجيـل ورسـالتـه حسنـة على طـريقـة اليوناني ، وليس فيها ألفاظ صعبة . بخلاف عبـارة المشاهـدات ، فإنهـا على خلاف محاورة اليوناني يستعمل السياق الوحشي. والحواري لا يظهر اسمه لا في الإنجيـل ولا في الرسـالـة العـامـة، بـل يعبـر عن نفسـه بصيغـة المتكلم والغائب ، ويشرع في المقصود بلا تمهيد. بخـلاف هذا الشخص، فـإنه في الباب الأول ذكر إعلان يسوع المسيح الذي أعطاه الله إياه ليكشف لعباده ما لا بد من حدوثه عاجلاً، فأرسل ملاكه ليخبر به عبده يوحنا. . . وفي بداءة الرؤيا يقول: أنا يوحنا أخـوكم وشريككم في المحنة.

وفي ٢٢/٨ : وأنا يوحنا الذي كان ينظر ويسمع . .

فأظهر اسمه في هذه الفقرات وغيرها على خلاف طريقة الحواري. ولا

---

(١) ج ٧ باب ٢٥، إظهار الحق ١/٨٢ ـ ٨٣.

يقال : إن الحواري أظهر اسمه على خلاف عادته ليعرف بنفسه . فإنه لو كان المقصود هذا لِذكر خصوصية تختص به مثل يوحنا بن زيدي أخو يعقوب، أو يوحنا المريد المحبوب للرب ونحوها. وهذا لم يذكر الخصوصية بل الوصوف العام مثل (أخوكم وشريككم . . .) ولا أقول هذا استهزاءً . بل قصدي أن أظهر الفرق بين عبارة الشخصين ا هـ.

وقد ثبت لدى المحققين أن ثمة جملاً كثيرة ملحقة به وليست من صلبه . ومن ذلك ما يلي :

جاء في ١/١٠ منه: فاختطفني الروح في يوم الرب، فسمعت خلفي صوتاً قوياً كصوت البوق.

١ / ١١ : يقول : أنا الألف والياء ، الأول والآخر. اكتب ما تراه في كتاب وأرسله إلى الكنائس السبع . .

وفي الترجمة المطبوعة عام ١٩٨١ : « كنت في الروح في يوم الرب وسمعت. . . » وفي بعض الترجمات : فحمل الروح علي في يوم الرب.

وقد اتفق العالمان كريسباخ وشولر على أن هذين اللفظين « الأول والآخر » ملحقان. وقد تركهما بعض المترجمين. حتى إن الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٦٧١ م وسنة ١٨٢١ م تركتا أيضاً لفظ الألف والياء[١].

وجاء في ١٣/٨ : ثم نظرت وسمعت ملاكاً طائراً في وسط السماء. .

قال كريسباخ وشولز : لفظ (ملاكاً) غلط، والصحيح لفظ (عقاباً)[٢] ا هـ.

وفي العهد الجديد الصادر عن دار الكتاب المقدس في العالم العربي ١٩٨٠ : ونظرت فسمعت نَسراً طائراً في وسط السماء يقول بأعلى صوته. .

---

(١) إظهار الحق ١/٢٤٢ ـ ٢٤٣ طبعة قطر.

(٢) منه ١/٢٢٣ طبعة قطر.

الأسفار غير المعترف بها.

يذكر التاريخ النصراني أن ثمة أسفاراً أخرى قديمة عرضت لتاريخ الحواريين. ومن أشهرها أعمال الرسل لبرنابا صاحب الإنجيل الشهير ، لكن الكنيسة اعتمدت أعمال الرسل للوقا وحده، ورفضت كل ما سواه من الأسفار القديمة التي عرضت للموضوع نفسه. وعدتها من الأسفار الخفية حسب اصطلاحهم[1]. وهم يطلقون لفظ (الخفي) على كل سفر يرونه غير مقدس ، أي غير موحى به ، سواء كان في نظرهم صحيحاً في حقائقه ونسبته إلى مؤلفه أو لا[2] .

ومن الجدير بالذكر أن الكنيستين الكاثوليكية والشرقية، وغيرهما من الكنائس التقليدية لا يرون الكتاب المقدس المصدر الوحيد للدين النصراني بل يشركون معه الرسائل غير المسطورة في ذلك الكتاب، وتعاليم المسيح التي نقلت إلى البابوات خلفاً عن سلف، ويعدونها مصدراً آخر مضافاً إلى المصادر التقليدية، خلافاً لطائفة البروتستانت.

وكان من قرارات المجمع الترنديتي ما يلي : « إن المجمع الترنديتي المقدس الملتئم بتدبير الروح القدس، والمصدر فيه صفات الكرسي الرسولي،

(١) الأسفار المقدسة لعلي ص ١٠١ .

(٢) المرجع السابق ص ٢١ .

لاعتباره أن حقائق الإيمـان ورسوم الآب متضمنـة في الصحف المكتوبـة وفي التقليدات المكتوبة، وهي المنقولة عن فم يسوع بوساطة الرسـل، أو المنزلـة على الرسل أنفسهم بالروح القدس. وقد اتصلت إلينا تسليماً، اقتفاءً بأثر الآباء الأرثوذوكسيين. قد قبل جميع أسفـار العهدين، ثم التقليـدات أيضاً المتعلقـة بالإيمان والآداب ، بما أنها بارزة من فم يسوع المسيح ، أو ملقنة من الـروح القدس ، ومحفوظة في الكنيسة بالخلافـة المتواصلة. ويعتنقهـا بنفس الإكرام والاحترام الذي تعتنق به الكتب المقدسة »[1].

---

(١) محاضرات في النصرانية ص ٢٢٤ .

مدى صحة رسائل العهد الجديد

بالإضافة لما سبق لدى دراسة كل مجموعة فإن رسالة بولس إلى العبرانيين والرسالة الثانية لبطرس والرسالة الثانية والثالثة ليوحنا ورسالة يعقوب ورسالة يهوذا ومشاهدات يوحنا وبعض الفقرات من الرسالة الأولى ليوحنا ، ليس لها إسناد صحيح إلى الحواريين . وكانت موضع شك إلى سنة ٣٦٣ م[١] .

قال المحقق هورن في تفسيره[٢] : إن الرسالة الثانية لبطرس ورسالة يهوذا والرسالة الثانية والثالثة ليوحنا ومشاهدات يوحنا ، ومن الفقرة الثانية إلى الحادية عشرة من الباب الثامن من إنجيل يوحنا ، والفقرة السابعة من الباب الخامس من الرسالة الأولى ليوحنا ، ليس لها وجود كلها في الترجمة السريانية .

إذاً فقد ردت الكنيسة السريانية هذه الرسائل والفقرات من الابتداء لعدم صحتها عندها . ولا تزال إلى اليوم لا تسلم بها .

وكذلك فإن جميع كنائس العرب قد ردت الرسالة الثانية لبطرس ورسالتي يوحنا ورسالة يهوذا ومشاهدات يوحنا[٣] .

---

(١) إظهار الحق ١/٨٠ .

(٢) المطبوع سنة ١٨٢٢ م ٢/٢٠٦ ـ ٢٠٧ ، انظر إظهار الحق ١/٨٠ .

(٣) إظهار الحق ١/٨٠ .

قال العالم الكاثوليكي وارد[1] : ذكر روجرس ، وهو من علماء البروتستانت أسماء الكثيرين من علماء فرقته الذين أخرجوا من الكتب المقدسة : الرسالة إلى العبرانيين ورسالة يعقوب والرسالة الثانية والثالثة ليوحنا ورسالة يهوذا ومشاهدات يوحنا ، لاعتقادهم بأنها كاذبة .

وقال الدكتور (بِلْسن) وهو من علماء البروتستانت : لم يكن مسلماً بجميع الكتب إلى عهد يوسيبيس . . ثم أصر على أن رسالة يعقوب ورسالة يهوذا والرسالة الثانية لبطرس والرسالة الثانية والثالثة ليوحنا ليست من تصنيف الحواريين . ثم قال : وكانت الرسالة إلى العبرانية مردودة إلى مدة . والكنائس السريانية ما سلموا بالرسالة الثانية لبطرس والرسالة الثانية والثالثة ليوحنا ورسالة يهوذا وكتاب المشاهدات . وكذا كان حال كنائس العرب[2] .

وصرح يوسي بيس في تاريخه بأن الرسالة الأولى لبطرس صادقة ، إلا أن الرسالة الثانية له ما كانت داخلة في الكتب المقدسة في زمان من الأزمنة . لكن كانت تقرأ رسائل بولس الأربع عشرة ، إلا أن بعض الناس أخرج رسالته إلى العبرانيين .

ثم قال في الباب الخامس والعشرين من الكتاب المذكور: اختلفوا في رسالة يعقوب ورسالة يهوذا والرسالة الثانية لبطرس والرسالة الثانية والثالثة ليوحنا هل كتبها الإنجيليون أو أشخاص آخرون ، كانت أسماؤهم هذه ؟

وصفوة القول : إن رسالة بولس إلى العبرانيين ورسالة بطرس الثانية ورسالتي يوحنا الثانية والثالثة ورسالة يعقوب ورسالة يهوذا ورؤيا يوحنا كانت مردودة مشكوكاً في صحتها إلى عام ٣٦٣ م . فلم يعترف بصحتها مجمع نيقية المنعقد عام ٣٢٥ ، ثم قبلت الرسائل الست في مجمع لوديسيا عام ٣٦٤ م ،

---

(١) في كتابه المطبوع سنة ١٨٤١ م ص ٣٧ ، انظر إظهار الحق ١/ ٨١ .

(٢) إظهار الحق ١/ ٨١ .

وبقي كتاب المشاهدات مشكوكاً فيه مردوداً . ثم قبل في مجمع كارتهيج عام ٣٩٧ م . وقبول هذين المحفلين ليس بحجة . لأنه لم يقم على برهان. وقد ثبت بإقرار المحقق هورن[١] أن قدماء النصارى ما كانوا يتقيدون بالروايات الثابتة ، بل كانوا يصدقون الروايات الواهية ويكتبونها والذين جاؤوا من بعدهم يتبعون أقوالهم . فالأغلب أنه وصلت إلى علماء المجامع أيضاً بعض الروايات الواهية . فسلموا بها بعدما كانت مردودة من قرون[٢] .

---

(١) في تفسيره الجزء الرابع اللباب الثاني القسم الثاني ، والمطبوع سنة ١٨٢٢ م انظر إظهار الحق ١/ ٧٩ .

(٢) إظهار الحق ١/٨٤ ـ ٨٥ ، محاضرات في النصرانية ص ١٠٩ .

نماذج من تحريف الرسائل

إن الأناجيل والرسائل الحالية لم تستقر إلا في القرن الرابع الميلادي عقب مجمع قرطاجنة عام ٣٩٧ م . وقبل ذلك لم يكن ثمة شيء اسمه العهد الجديد الذي نعرفه اليوم . ومما يدل على ذلك أن كتاب النصارى الذين عاشوا قبل نهاية القرن الأول ، لم ينقلوا شيئاً البتة عن العهد الجديد . وكل ما نقلوه إنما هو مأخوذ من العهد القديم . وليس ثمة إشارة في كتاباتهم إلى إنجيل قبل عام ١٥٠ م بل يظهر من تتبع نصوص أربعة الأناجيل أن أصحابها لم يكن يعلم أحدهم بما كتبه غيره . ولذلك حصل بينهم كثير من الاضطراب والتناقض كما سلف . فلا شبهة إذاً في أن الزمن الذي كتب فيه أصحاب الرسائل رسائلهم ، لم يكن فيه وجود للأناجيل الأربعة ، أو بالأحرى لم تكن معروفة . ولو كان ثمة وجود لأحدها في ذلك الزمن ، لكان من البديهي أن يبحثوا عنه ويقتبسوا منه . بل إن تصور بولس عن المسيح وحياته ليختلف تماماً عن تصور متى . وكما أنه لم يكن لكُتّاب الرسائل علم بوجود أربعة الأناجيل، كذلك لم يكن بعضهم على علم بما كتبه الآخرون[1] . وإننا لنجد هذه الرسائل تتعارض مع العهد القديم ومع الأناجيل ، حتى فيما بينها ، فإنه قد انفرد بعض كتاب الرسائل بعقائد وبيانات غريبة دون الآخرين . وإليك توضيح ذلك :

---

(١) الإنجيل والصليب ص ١٤ ـ ١٥ ، مجلة الجامعة العدد ٤٩ ص ١٥٦ ندوة الخرطوم .

أ ـ تعارض الرسائل مع العهد القديم :

١ ـ جاء في سفر الأعمال ٧/١٤ : فاستدعى يوسف أباه يعقوب وجميع عشيرته ، وكانوا خمسة وسبعين شخصاً .

وهـذه العبارة دالـة على أن يوسف وابنيـه الـذين كـانـوا في مصـر قبـل الاستدعاء غير داخلين ضمن هذا العدد .

وجاء في سفر التكوين ٤٦/٢٦ ـ ٢٧ : جميع النفوس ليعقوب التي أتت إلى مصر الخارجة من صُلبه ما عـدا نساء بني يعقـوب ، جميع النفـوس ست وستون نفساً . وابنا يوسف اللذان ولدا له في مصر نفسان . جميع نفوس بيت يعقوب التي جاءت إلى مصر سبعون .

جاء في تفسير (دوالي ورجردمينت) في شرح عبارة التكوين مـا يلي : أولاد ليا ٣٢ شخصاً، أولاد زلفى ١٦ شخصاً ، أولاد راحيل ١١ شخصاً ، أولاد بلها ٧ أشخاص . فهؤلاء ٦٦ شخصاً . فإذا ضـم معهم يعقوب ويوسف وابناه صاروا سبعين اهـ .

فعلم أن عبارة سفر الأعمال غلط[1] .

٢ ـ جاء في رسالة بولس الأولى إلى أهـل كورنتـوس ٢/٩ : فالكتـاب يقول ـ وفي بعض الترجمات : بل كمـا هو مكتـوب : الذي مـا رأته عين ولا سمعت به أذن ولا خطر على قلب بشر ، أعده الله للذين يحبونه .

وعلى تحقيق مفسريهم ، فإن العبارة منقولة من كتاب إشعيا ٦٤/٤ ، بيد أن نصها هناك هكذا : « ومنذ الأزل لم يسمعوا ولم يَصْغَوْا . لم تـر عـين إلهاً غيرك ، يصنع لمنتظريه » .

والفرق واضح بين النصين . وقد سلم مفسروهم بـالاختلاف ، ونسبـوا التحريف إلى كتاب إشعيا[2] .

---

(١) إظهار الحق ١/١١٤ .

(٢) إظهار الحق ١/١٢٢ طبعة قطر .

٣ ـ جاء في الرسالة ذاتها ١٠/٨ : ولا نستسلم إلى الزنى مثلما استسلم بعضهم . فمات منهم ثلاثة وعشرون ألفاً في يوام واحد ـ وفي سائر الترجمات : ولا تزن كما زنى أناس . . .

وجاء في سفر العدد ٢٥/٦ ـ ٩ : وإذا رجل من بني إسرائيل جاء وقدم إلى أخته المديانية أمام عيني موسى . . فلما رأى ذلك فيخاس بن ألعازر بن هارون الكاهن ، قام من وسط الجماعة ، وأخذ رمحاً بيده ، ودخل وراء الرجل الإسرائيلي إلى القبة ، وطعن كليهما الرجل الإسرائيلي والمرأة في بطنها . فامتنع الوباء عن بني إسرائيل . وكان الذين ماتوا بالوباء أربعة وعشرين ألفاً . وفيهما اختلاف بمقدار ألف ، فأحدهما غلط يقيناً [١] .

٤ ـ جاء في رسالة بولس إلى العبرانيين ١/٥ : فلمن من الملائكة قال الله يوماً : أنت ابني ، وأنا اليوم ولدتك . وقال أيضاً : سأكون له أباً ويكون لي ابناً .

وعلماؤهم يصرحون بأن هذا إشارة إلى ما جاء في سفر صموئيل الثاني ٧/١٤ على لسان النبي ناتان : « أنا أكون له أباً ، وهو يكون لي ابناً ، إن تعوّج أؤدبه بقضيب الناس وبضربات بني آدم » .

وهذا الزعم غير صحيح للوجوه التالية :

أ ـ إن هذا الوعد قد جاء أيضاً في السفر الأول من أخبار الأيام ٢٢/٩ ـ ١٠ أن الرب قال لداود : هو ذا يولد لك ابن يكون صاحب راحة ، وأريحه من جميع أعدائه حواليه . لأن اسمه يكون سليمان . فأجعل سلاماً وسكينة في إسرائيل في أيامه . وهو يبني بيتاً لاسمي ، وهو يكون لي ابناً وأنا له أباً . وأثبت كرسي ملكه على إسرائيل إلى الأبد .

فقد صرح بأن اسمه يكون سليمان .

---

(١) إظهار الحق ١/١٢٩ طبعة قطر .

ب ـ صرح في السفرين «أنه يبني لاسمي بيتاً» ، ففي صموئيل الثاني ١٣/٧ : هو يبني بيتاً لاسمي ، وأنا أثبت كرسي مملكته إلى الأبد .

فلا بد أن يكون هذا الابن باني البيت . وهو ليس إلا سليمان ـ عليه السلام ـ أما عيسى ـ عليه السلام ـ فقد ولد بعد ثلاث سنين وألف من بناء البيت . وكان يخبر بخرابه كما في إنجيل متى ١٥/٢٤ ـ ٢٢ ، ومرقس ١٣/٢٤ ـ ٢٧ .

ج ـ صرح في السفرين بأنه يكون سلطاناً . وعيسى ـ عليه السلام ـ كان فقيراً . ففي متى ٢٠/٨ : فأجابه يسوع : للثعالب أوكار ، ولطيور السماء أعشاش . وأما ابن الانسان ، فلا يجد أين يُسند رأسه .

د ـ صرح في سفر صموئيل الثاني بأنه إن تعوج أؤدبه بقضيب الناس وبضربات بني آدم . وعيسى المسيح ـ عليه السلام ـ كان معصوماً كما يقرون ، فلا يمكن صدور الذنب منه .

هـ ـ صرح في السفر الأول من أخبار الأيام بأنه يكون صاحب راحة ـ أي هدوء ـ وأن الله يريحه من جميع أعدائه . وعيسى ـ عليه السلام ـ ما حصل له هدوء وراحة من أيام الصبا إلى أن قتل في زعمهم . بل كان خائفاً من اليهود ليلاً ونهاراً ، إلى أن أسروه وأهانوه وصلبوه . بخلاف سليمان ـ عليه السلام ـ فإن هذا الوصف ثابت في حقه .

و ـ صرح في السفر الأول من أخبار الأيام بأنه يجعل سلاماً وسكينة في إسرائيل في أيامه، واليهود في زمن المسيح كانوا خاضعين للرومان عاجزين عنهم .

ز ـ إن سليمان ـ عليه السلام ـ نفسه قد صرح في الباب السادس من السفر الثاني لأخبار الأيام بأن هذا الخبر في حقه ، وقد تحقق على يديه .

ح ـ ومن ناحية ثانية ، فإنه قد صرح في السفرين بأنه يثبت كرسي ملكه

على إسرائيل إلى الأبـد ، ولم يتحقق هذا الـوعد . بـل زالت السلطة من آل داود ، وأوذوا إيذاءً شديداً[1] .

٥ ـ جاء في رسالة يوحنا الأولى ٢/١ ـ ٢ : وإن أخطأ أحـد منا ، فلنـا يسـوع المسيح البـار شفيع عنـد الآب . فهو كفـارة لخطايـانا ، لا لخـطايانـا وحدنا ، بل لخطايا العالم كله .

وجـاء في سفـر الأمثـال ١٨/٢١ : الشـريـر فِـديـة الصِـدّيق ، ومكـانَ المستقيمين الغادرُ .

وهذا تعارض واضح يدل على اختلاق قصة الفداء[2] .

٦ ـ جاء في رسالة بولس إلى العبرانيين ١٩/٩ ـ ٢١ : فموسى بعدما تلا على مسامع الشعب جميع الوصايا كمـا هي في الشريعـة ، أخذ دم العجـول والتيوس ، ومعه ماء وصوف قرمزي وزوفىٰ ، ورشة على كتاب الشريعة نفسه ، وعلى الشعب ، وقال : هذا هو دم العهد الذي أمركم الله بـه . وكذلـك رش الخيمة وكل أدوات العبادة بالدم .

وجاء في سفر الخروج ٣/٢٤ ـ ٨ : فجاء موسى وحدث الشعب بجميع أقوال الرب . . وأرسل فتيان بني إسرائيل فأصعدوا محروقات ، وذبحوا ذبائح سـلامة للرب من الثيران . فأخـذ موسى نصف الـدم ووضعه في الـطسـوس . ونصف الدم رشه على المذبح . وأخذ كتاب العهد وقرأ في مسامع الشعب . . وأخذ موسى الـدم ورش على الشعب وقال : هـوذا العهد الـذي قطعـه الرب معكم على جميع هذه الأقوال .

ويظهر التعارض من ثلاثة أوجه :

الأول : أنه ما كـان دمَ العجول والتيـوس كما قـال بولس . بـل كان دمَ ثيران .

---

(١) إظهار الحق ١٤٩/١ ـ ١٥٠ طبعة قطر .

(٢) المرجع السابق ١٣٠/١ طبعة قطر .

الثاني : لم يكن الدم في هذه المرة مع ماء وصوف قرمزي وزوفىٰ . بل كان دماً محضاً .

الثالث : لم يرش على الكتاب نفسه ، ولا على كل أدوات العبادة . بل رش نصف الدم على المذبح ، ونصفه على الشعب[1] .

ب ـ تعارض الرسائل مع الأناجيل:

١ ـ باكورة القائمين من الأموات:

يفهم من الأناجيل أن المسيح ـ عليه السلام ـ أحيا بإذن الله إلى ما قبل رفعه إلى السماء ثلاثة أموات هم:

أ ـ ابنة الرئيس كما نقل الإنجيليون الثلاثة الأولون مع اختلافهم في أنها ماتت أو قاربت الموت[2]. .

ب ـ إحياء وحيد الأرملة الذي تفرد بذكره لوقا في ٧/١١ ـ ١٥ .

جـ ـ إحياء أَلِعازار الذي تفرد بذكره يوحنا في ١١/١ ـ ٤٤ .

ويفهم من الرسائل أنه لم يقم ميت من الأموات قبل قيامة المسيح :

جاء في سفر الأعمال ٢٦/٢٢ ـ ٢٣ : ولا أقول إلا ما أنبأ به موسى والأنبياء من أن المسيح يتألم، ويكون أول من يقوم من بين الأموات. ويبشر اليهود وسائر الشعوب بنور الخلاص.

---

(١) إظهار الحق ١/١٧٢ ـ ١٧٣ .

(٢) ففي متى ٩/١٨ ـ ٢٦ أن الرئيس اليهودي دنا من المسيح وقال له : الآن ماتت ابنتي . . . فقام يسوع ودخل وأخذ بيد الصبية فقامت .

وفي مرقس ٥/٢٢ ـ ٤٢ : أنه جاء رجل من رؤساء المجمع اسمه بيرس فقال له : ابنتي الصغيرة على فراش الموت . . . وبينما يسوع في الطريق وصل رجال فقالوا : ماتت ابنتك . . . فأخذ بيدها وقال لها : قومي فقامت .

وفي لوقا ٨/٤٠ : أنها أشرفت على الموت . وبينما يسوع في الطريق وصل رجل واحد من عند رئيس المجمع فقال : ماتت ابنتك . . فأخذ بيدها وصاح بها قومي فقامت .

والغريب في القصة أن المسيح أمر بإخراج الناس ثم قال لها قومي . ولو أنه لم يخرجهم لكان أبلغ في المعجزة .

وجاء في رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس ١٥/٢٠ ـ ٢٣ : لكن الحقيقة هي أن المسيح قام من بين الأموات، وهو بكر من قام من رقاد الموت. . وكما يموت جميع الناس في آدم فكذلك هم في المسيح سيحيَوْن. ولكن كل واحد حسب رتبته، فالمسيح أولاً لأنه البكر، ثم الذين هم للمسيح عند مجيئه.

وجاء في رسالته إلى أهل كولوسي ١/١٨ : وهو البدء، وبكر من قام من بين الأموات. لتكون له الأولية في كل شيء.

وجاء في رؤيا يوحنا ١/٥ : ومن يسوع المسيح الشاهد الأمين وبكر من قام من بين الأموات. .

فهذه الأقوال تنفي قيام أي ميت من الأموات قبل قيامة المسيح من قبره، وإلا فلا يكون أول القائمين وباكورتهم.

أضف إلى ذلك أنه جاء في سفر أيوب ٧/١ ـ ١٠ : أليس جهاد للإنسان على الأرض، وكأيام الأجير أيامه؟ . . أيامي أسرع من الوشيعة وتنتهي بغير رجاء. اذكُر أن حياتي إنما هي ريح . . السحاب يضمحل ويزول. هكذا الذي ينزل إلى الهاوية لا يصعدَ. لا يرجع بعد إلى بيته، ولا يعرفُه مكانُه بعد.

وفي ١٤/١٢ : والإنسان يضطجع ولا يقوم. لا يستيقظون حتى لا تبقى السماوات، ولا ينتبهون من نومهم. ١٤/١٤ : إن مات رجل أفيحيا؟

فعلم من هذه الأقوال أنه لم تصدر معجزة إحياء ميت عن المسيح قط. وهذا دليل على التحريف[١].

٢ ـ هل أعطاهم الروح القدس ما يتكلمون به؟

جاء في إنجيل متى ١٠/١٩ ـ ٢٠ : فلا تهتموا حين يسلمونكم كيف أو بماذا تتكلمون. لأنكم ستعطون في حينه ما تتكلمون به. فما أنتم المتكلمون بل روح أبيكم السماوي يتكلم فيكم.

---

(١) إظهار الحق ١/١١١ ـ ١١٢ .

وفي مرقس ١٣/١١: وعندما يأخذونكم ليسلموكم، لا تهتموا من قِبَل كيف تتكلمون. بل تكلموا بما يوحىٰ إليكم في حينه. لأن الروح القدس هو المتكلم لا أنتم.

وفي لوقا ٢١/١٤ ـ ١٥: ولا تهتموا كيف تدافعون عن أنفسكم. لأني سأعطيكم من الكلام والحكمة ما يعجز جميع خصومكم عن رده أو نقضه.

وجاء في سفر الأعمال ٢٣/١ ـ ٦: فنظر بولس إلى المجلس وقال: أيها الإخوة عشت لله بضمير صالح إلى هذا اليوم. فأمر حنانيا رئيس الكهنة أعوانه بأن يضربوا بولس على فمه. فقال له بولس: ضربك الله أيها الحائط المبيَّض. أتجلس لتحاكمني بحسب الشريعة، وتأمر بضربي فتخالف الشريعة؟ فقال الحاضرون لبولس: أنت تشتم رئيس كهنة الله. فقال بولس: ما كنت أعرف أيها الإخوة إنه رئيس الكهنة. فالكتب المقدسة تقول: لا تلعن رئيس شعبك ـ وفي بعض الترجمات: لا تقل فيه سوءاً ـ.

فهل كذب بولس في ذلك أو أن الروح القدس تخلى عنه؟ لو كانت دعوى نزول الروح القدس على التلاميذ حقاً لما غلط بُولس أو كذب، وهو في زعمهم حواري مُلهَم، حيث الصحبة الروحية التي تشرف بها. بل إنه ليدعى المساواة بأعظم الحواريين بطرس. ولا ترجيح لبطرس عليه عند البروتستانت[١].

٣ ـ هل رفع المسيح من يومه أو بعد أربعين يوماً؟

يفهم من إنجيل مرقس ١٦/٩ ومن لوقا ٢٤/٥٠ ـ ٥١ أن المسيح ـ عليه السلام ـ لما قام من الموت ظهر للحواريين وكلمهم، ثم رفع إلى السماء من يومه ذاك أمامهم.

وجاء في سفر الأعمال ١/٣ ـ ١٠: وتراءىٰ لهم مدة أربعين يوماً بعد

(١) إظهار الحق ١/١٦٩ طبعة قطر.

آلامه وكلمهم . . ولما قال يسوع هذا الكلام ارتفع إلى السماء وهم يشاهدونه. ثم حجبته سحابة عن أنظارهم . .

وحسبك بهذا دليلاً على التناقض[1].

ومن الجدير بالذكر أن العلماء قد ذكروا في موضوع الصلب والفداء والقيامة أربعة وثلاثين تناقضاً[2].

٤ ـ كم كان عدد الحواريين الذين ظهر لهم المسيح؟

جاء في إنجيل مرقس ١٦/١٤ أن المسيح ظهر آخر مرة لتلاميذه الأحد عشر، وهم يتناولون الطعام . .

وجاء في رسالة بولس الأولى إلى كورنثوس ١٥/٥ أن المسيح ظهر لبطرس ثم للرسل الإثني عشر.

وهذا بالإضافة إلى تناقضه مع الإنجيل غلط فاضح . لأن يهوذا الإسخريوطي انتحر قبل ذلك.

ولم يكونوا قد اختاروا خلفاً له . فكيف يكونون اثني عشر؟![3].

جـ ـ تعارض الرسائل فيما بينها وأغلاطها:

١ ـ هل يريد الله تخليص الناس وإخلاصهم؟

جاء في رسالة بولس الأولى إلى تيموثاوس ٢/٣ ـ ٦ : فهذا حسن ومقبول عند الله مخلِصِنا الذي يريد أن يَخْلُصَ جميع الناس، ويبلغوا إلى معرفة الحق. لأن الله واحد، ؛ والوسيط بين الله والناس واحد، هو المسيح يسوع الإنسان الذي ضحى بنفسه فدى لجميع الناس.

وجاء في رسالته الثانية إلى أهل تسالونيكي ٢/١١ ـ ١٢ : لذلك يرسل

---

(١) تحفة الأريب ص ٦٩ ، الأجوبة الفاخرة ص ٢٦ .

(٢) مجلة الجامعة العدد ٤٩ ص ١٧٠ ندوة الخرطوم .

(٣) إظهار الحق ١/١٦٨ طبعة قطر .

الله إليهم قوة الضلال حتى يصدقوا الكذب، فيدين جميع الذين رفضوا أن يؤمنوا بالحق، ورغبوا في الباطل.

فيعلم من النص الأول أن الله يريد أن يخلص جميع الناس، ويصلوا إلى معرفة الحق. ولذلك ضحىٰ المسيح بنفسه. ويعلم من الثاني أن الله يرسل عليهم قوة الضلال، فيصدقوا الكذب، ثم يعاقبهم على ذلك. فهل إغواء الناس بإرسال قوة الضلال، ثم تعذيبهم على ذلك قسمٌ من أقسام النجاة والوصول إلى معرفة الحق؟! وإلا فلماذا أرسل ابنه الوحيد كما يقولون ليكفر عن خطاياهم[1]؟.

٢ ـ عقائد وبيانات غريبة تفرد بها بعضهم:

جاء في رسالة بطرس الأولىٰ ٣/١٨ ـ ٢٠: فالمسيح نفسه مات مرة واحدة من أجل الخطايا. مات وهو البار من أجل الأشرار ليقربنا إلى الله. مات في الجسد، ولكن الله أحياه في الروح. فانطلق بهذا الروح يبشر الأرواح السجينة التي تمردت فيما مضىٰ..

وفي الترجمة المطبوعة سنة ١٩٨١ م: ذهب فكرز للأرواح التي في السجن. إذ عصت قديماً..

فهذه المسألة العجيبة، وهي نزول المسيح إلى السجن في جهنم ليكرز بين أرواح العصاة المحبوسة، لم تذكرها بقية الرسائل التي يتألف منها العهد الجديد. فكيف لا يقف خمسة الحواريين علىٰ ما كتبه أحدهم[2]؟!

ومن العجيب أن النصارى صدقوا هذه الدعوىٰ، فقد جاء في التعليم النصراني ذكر نزول المسيح إلى الجحيم عقب موته ثلاثة أيام، وأنه في اليوم الثاني قام من بين الأموات.

---

(١) إظهار الحق ١/١٢٨ طبعة قطر.

(٢) الإنجيل والصليب ص ١٧ ـ ١٨

قال القديس (كريستوم): لا ينكر نزول المسيح إلى الجحيم إلا الكافر.

وقال القديس (كليمندوس) الإسكندري: قد بشر يسوع في الإنجيل أهل الجحيم، كما بشر به وعلمه لأهل الأرض كي يؤمنوا فيه ويخلصوا أينما كانوا...

ومن الجدير بالذكر أن فكرة نزول أبناء الآلهة المتجسدين إلى الجحيم بعد قتلهم أو صلبهم، ليخلصوا الأموات، وثنية قديمة؛ فالهنود يعتقدون أن المخلص كرشنة نزل إلىٰ الجحيم ليخلص الأموات قبل ذهابه إلى السماء. وكذلك أدونيس المولود من عذراء، فقد نزل إلى الجحيم ليخلص الأموات..[1].

وجاء أيضاً في رسالة يعقوب الفقرتين ١٤ ـ ١٥: هل فيكم مريض؟ فليستدع شيوخ الكنيسة ليصلوا عليه، ويدهنوه بالزيت باسم الرب. فالصلاة مع الإيمان تخلص المريض، والرب يعافيه، وإن كان ارتكب خطيئة غفرها له.

كيف لا يكون لبطرس وسائر الحواريين خبر ولا علم بأن دعاء الكاهن للمريض المحتضر مع دلكه بالزيت يشفيه ويغفر ذنوبه؟!

فأية حكمة استندت إليها هذه الإلهامات حتى كتمت بعض الحقائق العظيمة عن بعض النصارىٰ في بعض الأقطار، وأفضت بها إلى سكنة ديار أخرىٰ، ثم كشفتها وألقتها إلى (٣١٨) راهباً في نيقية بعد (٣٢٥) سنة؟؟.

د ـ التحريف بالزيادة أو النقصان:

ثمة فقرات كاملة أضيفت إلى النص الأصلي في هذه الرسائل. ومن ذلك ما يلي:

جاء في رسالة يوحنا الأولىٰ ٥/٦ ـ ٨: هذا الذي جاء هو يسوع المسيح.

---

(١) العقائد الوثنية في الديانة النصرانية ص ١٠٣ ـ ١٠٤

(٢) الإنجيل والصليب ص ١٨ .

جاء بماء ودم. جاء لا بالماء وحده. بل بالماء والدم. والروح هو الذي يشهد. لأن الروح هو الحق. والـذين يشهدون في السمـاء هم ثلاثـة: الآب والكلمة والروح القدس. وهؤلاء الثـلاثة هم واحـد. والذين يشهـدون في الأرض هم ثـلاثة: الـروح والمـاء والـدم. وهؤلاء الثـلاثـة هم في الـواحـد ـ وفي بعض الترجمات: وهؤلاء الثلاثة تتحد في واحد ـ.

وكان أصل العبـارة على ما قـاله محققـوهم هكذا: «لأن الشهـود الذين يشهدون ثلاثة، وهم الروح والماء والدم. وهؤلاء الثلاثة هم في الـواحد. أو تتحد في واحد» فزاد معتقدو التثليث هذه الكلمات: «في السماء ثلاثـة» وهم الأب والكلمـة والروح القـدس. وهؤلاء الثلاثـة واحد. والـذين يشهـدون في الأرض».

وقد أقر كثير من علماء النصارىٰ بأنها ملحقة يقيناً، ولا ينكر التحريف في هذه العبارة إلا معاند. وممن أقر بذلك كريسباخ وشولز اللذان اتفقا على أنهـا ملحقة. أما المحقق هورن، فإنه رغم تعصبه قال: إنها ملحقـة واجبة التـرك. وكتب في تحقيق هذه العبارة اثنتي عشرة ورقة، ثم لخصها. وجاء جامعو تفسير (هنري واسكات) فاختاروا قول هورن، ولخصوا ما لخصه، ثم أثبتوا إقحام هذه العبارة من الوجوه التالية:

١ ـ ليس لها وجود في النسـخ التي طبعت بالجـد والتحقيق في الزمـان الأول.

٢ ـ ليس لها وجود في ترجمة من التراجم القديمة غير اللاتينية.

٣ ـ ليس لها وجود في أكثر النسخ اللاتينية القديمة أيضاً.

فطوال القرون الثلاثة عشـر الأولى للميلاد، لم تشتمـل أية مخـطوطات يونانية على هذه الكلمات.

٤ ـ لم يتمسك بها أحد من القدماء ومؤرخي الكنيسة.

فأكستاين الذي كان أعلم العلمـاء في القرن الـرابع الميـلادي، والذي

كتب في شرح رسالة يوحنا الأولىٰ عشر رسائل، لم يذكر في واحدة منها هـذه العبارة، مع أنه كان يناظر فرقة (إيرين) التي تنكر التثليث. فلو كان لهذه العبارة وجود في عهده، لتمسك بها في إثباته للتثليث، ولم يرتكب التكلف البعيد في شرح الفقرة الثامنة. فقد كتب في الحاشية: «إن المراد بـالماء الأب، وبـالدم الابن، وبالروح روح القدس».

وكذلك المفسر آدم كلارك فإنه مال إلى أنها ملحقة مضافة.

٥ ـ إن أئمـة البروتستـانت، منهـم من أسقطهـا، ومنهـم من وضع عليهـا علامات الشك.

فالترجمة العربية البروتستانتية ذات الشـواهد تضعهـا بين هلالين. وقـد أوضحت في المقدمة أنه ليس لها وجود في أقدم النسخ وأصحها. أما ترجمـة مريطة العربية فتحذف هذه الكلمات كلياً من المتن[١].

وصفـوة القول: إن النص الخـطيـر الـذي تقتبس منـه الكنيسـة فكـرة التثليث، إنما دخل إلى كتبها ابتداءاً من القرن الثالث عشر. وقبل ذلك لم يكن له وجود. ويظهر ـ والله أعلم ـ أنه لما كان توجيـه الفقرة الثـامنة وحملهـا على التثليث بعيد وفيه تعسف، وضع بعض معتنقي التثليث هذه العبـارة، وأدخلها في النص وادعىٰ أنها جزء من. . وكان هذا الأمر شائعاً وله مجال واسع عندهم قبل انتشار الطباعة، فكانوا يحرفون عن قصد إذا رأوا في ذلـك مصلحة. ومـا كشف هذا إلا من اتهام بعضهم لبعض. أما الآن وقد انتشرت الطبـاعة وشـاع التحقيق، فإنهم إنما يتصرفون في ترجمة العبارة وطريقة عرضها، فيلوونها عن الحقيقة، ويصوغونها حسب أهوائهم، ولا سيما في الترجمات العربية.

---

(١) إظهار الحق ١/٢٣٩ ـ ٢٤١ طبعة قطر، مجلة الجامعة الإسلامية العدد ٤٩ ص ١٦٠ ـ ١٦١ ندوة الخرطوم اقتباساً عن كتاب « هل الكتاب المقدس حقاً كلمة الله » .

أهم المصادر والمراجع

أ ـ القرآن وعلومه وما يتبع ذلك:

١ ـ تفسير الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ـ المطبعة اليمنية ونسخة أخرى طبع دار المعرفة بتحقيق محمود محمد شاكر.

٢ ـ تفسير الشوكاني المسمىٰ فتح القدير ـ مطبعة البابي الحلبي بمصر.

٣ ـ الكشاف للزمخشري ـ مطبعة دار المعرفة.

٤ ـ تفسير الماوردي المسمىٰ بالنُكت والعيون ـ الطبعة الأولى ١٤٠٢ هـ ١٩٨٢ م ـ مطابع مقهوي، نشر وزارة الأوقاف بالكويت.

٥ ـ تفسير المنار: محمد رشيد رضا ـ طبعة دار المعرفة بيروت.

٦ ـ التفسير الكبير للفخر الرازي مكتبة ومطبعة عبد الرحمن محمد.

٧ ـ أنوار التنزيل وأسرار التأويل للقاضي البيضاوي.

٨ ـ الفوائد في مشكل القرآن لعز الدين عبد العزيز بن عبد السلام. تحقيق الدكتور سيد رضوان علي الطبعة الثانية ١٤٠٢ هـ ١٩٨٢ م نشر وزارة الأوقاف الكويتية.

٩ ـ تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة بتحقيق السيد أحمد صقر دار إحياء الكتب العربية.

١٠ ـ البرهان في علوم القرآن للزركشي الطبعة الأولى ١٩٥٩ م مطبعة عيسى الحلبي تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم.

١٢ ـ مقدمتان في علوم القرآن: وهما مقدمة المباني لمجهول في القرن الخامس الهجري، ومقدمة ابن عطية مطبعة السنة المحمدية تحقيق آرثر جفري.

١٣ ـ مناهل العرفان في علوم القرآن لمحمد عبد العظيم الزرقاني الطبعة الثالثة مصطفى الحلبي.
١٤ ـ مباحث في علوم القرآن: الدكتور صبحي الصالح ـ مطبعة الجامعة السورية.
١٥ ـ مدخل إلى القرآن الكريم: الدكتور صبحي الصالح مطبعة ـ الجامعة السورية.
١٥ ـ مدخل إلى القرآن الكريم: الدكتور محمد عبد الله ذراز ـ طبعة دار القلم بالكويت.
١٦ ـ تاريخ القرآن وغرائب رسمه وحكمه لمحمد طاهر بن عبد القادر الكردي ـ الطبعة الثانية مطبعة مصطفى البابي الحلبي.
١٧ ـ الكلمات الحسان في الحروف السبعة للشيخ محمد بخيت المطيعة. المطبعة الخيرية.
١٨ ـ لطائف الإشارات لفنون القراءات: شهاب الدين القسطلاني تحقيق عامر السيد عثمان وعبد الصبور شاهين ـ طبعة المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية عام ١٩٧٢ م.
١٩ ـ النشر في القراءات العشر لابن الجزري ـ طبعة دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان.
٢٠ ـ المصاحف لابن أبي داود تحقيق آرثر جفري ـ المطبة الرجمانية ١٣٥٥ هـ ـ الطبعة الأولىٰ.
٢١ ـ شرح الشاطبية لابن القاصح ـ المطبعة الأزهرية ـ الطبعة الأولىٰ.
٢٢ ـ تحاف فضلاء البشر: أحمد محمد الدمياطي الشهير بالبناء ـ مطبعة المشهد الحسيني.
٢٣ ـ السبعة في القراءات لابن مجاهد ـ طبعة دار المعارف بمصر، تحقيق الدكتور شوقي ضيف.
٢٤ ـ غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري.

٢٥ ـ المقنع لأبي عمرو عثمان الداني ـ مطبعة الترقي بدمشق عام ١٩٤٠ م.
٢٦ ـ النجوم الطوالع على الدرر اللوامع في أصل مقرأ الإمام نافع لإبراهيم المارغني المفتي المالكي بتونس وبهامشه رسائل أخرىٰ ـ طبع ونشر دار الطباعة الحديثة بالدار البيضاء.
٢٧ ـ إيضاح الوقف والإبتداء في كتاب الله عز وجل لأبي بكر محمد بن القاسم بن بشار الأنباري تحقيق محي الدين عبد الرحمن رمضان ـ طبعة مجمع اللغة العربية بدمشق.
٢٨ ـ الزينة في الكلمات الإسلامية والعربية لأبي حاتم أحمد بن حمدان الرازي ـ الطبعة الثانية ـ دار الكتاب العربي، تحقيق حسين بن فيض الله الهمذاني.
٢٩ ـ لغات القبائل الواردة في القرآن لأبي عبيد القاسم بن سلّام. تحقيق السيد عبد الحميد طلبة ـ طبعة جامعة الكويت ١٩٨٥ م.
٣٠ ـ الصاحبي لأحمد بن فارس تحقيق السيد أحمد صقر ـ مطبعة عيسى الحلبي.
٣١ ـ النبأ العظيم للدكتور محمد عبد الله دواز ـ طبعة دار القلم.
٣٢ ـ تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي لشوقي ضيف ـ الطبعة الثانية ـ دار المعارف بمصر.
٣٣ ـ مجلة كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية التابعة للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة العدد الأول ١٤٠٢ ـ ١٤٠٣ هـ.

ب ـ السنة وعلومها وما يتبع ذلك:

١ ـ جامع الأصول لمجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الشهير بابن الأثير الجزري ـ تحقيق عبد القادر الأرناؤوط ـ طبعة عام ١٩٨٩ هـ و ١٩٦٩ م.
٢ ـ فتح الباري لابن حجر العسقلاني طبعة المطبعة السلفية بإشراف الشيخ عبد العزيز بن باز ومحمد فؤاد عبد الباقي ومحب الدين الخطيب ونسخة

أخرىٰ طبعة المطبعة البهية.
٣ ـ فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي.
٤ ـ السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي للدكتور مصطفى السباعي ـ الطبعة الأولى عام ١٣٨٠ هـ.
٥ ـ تيسير مصطلح الحديث: محمود الطحان.
٦ ـ مجموع فتاوى ابن تيمية جمع عبد الرحمن بن محمد بن قاسم ـ طبع في الرياض.
٧ ـ التنبيهات في إثبات الاحتياج إلى البعثة والحشر للشيخ رحمة الله الهندي والموطبوع على هامش إظهار الحق ـ طبعة المطبعة العلمية عام ١٣١٥ هـ.
٨ ـ سيرة ابن هشام ـ الطبعة الثانية ـ مطبعة البابي الحلبي.
٩ ـ حياة الصحابة لمحمد يوسف الكاندهلوي ـ تحقيق الشيخ نايف العباس ومحمد علي دولة الطبعة الرابعة ١٤٠٦ هـ ١٩٨٦ م دار القلم بدمشق.
١٠ ـ وفاء الوفا في أخبار مدينة المصطفى ـ ﷺ ـ لعلي بن عبد الله بن أحمد الحسني السمهودي.
١١ ـ مجلة الجامعة الإسلامية العدد ٤٩.
١٢ ـ آفاق جديدة في الدعوة الإسلامية: أنور الجندي.
١٣ ـ الطب محراب الإيمان للدكتور خالص جلبي.

جـ ـ الكتب التي تبحث في مقارنة الأديان ومناظرة أهل الكتاب:

١ ـ الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم الأندلسي ـ الطبعة الثانية عام ١٣٩٥ هـ دار المعرفة ـ بيروت.
٢ ـ الأجوبة الفاخرة لشهاب الدين أحمد بن إدريس المالكي المعروف بالقرافي ـ طبعة دار الكتب العلمية عام ١٩٨٦ م ١٤٠٦ هـ ـ بيروت ـ لبنان.

٣ ـ شفاء الغليل في بيان ما وقع في التوراة والإنجيل من التبديل لأبي المعالي إمام الحرمين عبد الملك الجويني بتحقيق وتعليق الدكتور أحمد حجازي السقا ـ الطبعة الأولى ١٣٩٨ هـ ١٩٧٨ م نشر مكتبة الكليات الأزهرية.
٤ ـ الملل والنحل للشهرستاني.
٥ ـ الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية ـ مطابع المجد التجارية.
٦ ـ هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارىٰ لابن قيم الجوزية. وقد طبع مع كتب أخرىٰ في مطبعة المدينة بالرياض.
٧ ـ إظهار الحق للشيخ رحمة الله الهندي؛ طبعة المغرب.
ونسخة أخرى طبعة إحياء التراث الإسلامي بقطر ١٤٠٠ هـ ١٩٨٠ م.
٨ ـ محاضرات في النصرانية للشيخ أبو زهرة طبعة الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية في الرياض عام ١٤٠٤ هـ.
٩ ـ قصص الأنبياء لعبد الوهاب النجار ـ الطبعة الثالثة عام ١٩٥٣ م ١٣٢٧ هـ.
١٠ ـ الشرائع الدينية للدكتور أحمد يسري ـ الطبعة الثانية مطبعة السعادة.
١١ ـ اليهودية لأحمد شلبي ـ الطبعة الخامسة عام ١٩٧٨ م مكتبة النهضة الحديثة.
١٢ ـ المسيحية لأحمد شلبي ـ الطبعة الخامسة عام ١٩٧٨ م ـ مكتبة النهضة الحديثة.
١٣ ـ مواجهة صريحة بين الإسلام وخصومه للدكتور عبد العظيم إبراهيم المطعني، الطبعة الأولى ـ دار الأنصار بالقاهرة. وهو رد على مقالة للأنباشنودة، وعلى كتاب استحالة تحريف الكتاب المقدس الصادر عن كنيسة القديسة دميانة، وعلى وثيقة أي الإثنين أقدر عيسى أم محمد؟
١٤ ـ مباحث بربئة في الإنجيل لمصطفى أحمد الرفاعي اللبان ـ المطبعة السلفية بالقاهرة عام ١٣٥٧ هـ.

١٥ ـ المسيح في القرآن الكريم لعبد الكريم الخطيب طبعة دار الكتب الحديثة.
١٦ ـ المفسدون في الأرض لـ (س. ناجي).
١٧ ـ العقائد الوثنية في الديانة النصرانية لمحمد طاهر التنير ـ طبعة بيروت ـ عام ١٣٣٠ هـ.
١٨ ـ محمد في الكتب المقدسة لمحمد رواس قلعة جي ـ الطبعة الأولى حلب.
١٩ ـ الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للدكتور علي عبد الواحد وافي ـ طبعة دار نهضة مصر للطبع والنشر.
٢٠ ـ تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب للقس إنسلم تورميدا (عبد الله الترجمان) تقديم وتحقيق وتعليق الدكتور محمود علي حماية ـ الطبعة الثانية ١٩٨٤ م دار الأنصار.
٢١ ـ القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم؛ دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة تأليف موريس بوكاي ـ طبعة دار المعارف.
٢٢ ـ محمد رسول الله ﷺ بشرت الأناجيل تأليف بشرى ميخائيل زخاري.
٢٣ ـ الإنجيل والصليب للأب عبد الأحد داود الآشوري العراقي ـ طبعة القاهرة عام ١٣٥١ هـ.
٢٤ ـ التوراة تاريخها وغاياتها لمؤلف أمريكي لم يذكر اسمه ترجمة وتعليق سهيل ميخائيل ديب ـ طبعة دار النفائس ـ بيروت.
٢٥ ـ التوراة بين الوثنية والتوحيد لسهيل ديب الطبعة الأولىٰ عام ١٩٨١ م ١٤٠١ هـ ـ طبعة دار النفائس ـ بيروت.
٢٦ ـ الموسوعة العربية الميسرة.
٢٧ ـ التلمود تاريخه وتعاليمه لظفر الإسلام خان.
٢٨ ـ بذل المجهود في إفحام اليهود للسموءل بن يحيىٰ بن عباس المغربي ـ مطبعة الفجالة الجديدة.

٢٩ ـ الرسالة السبيعية بإبطال الديانة اليهودية للحبر إسرائيل بن شموئيل الأورشليمي. وقد طبعت خلف بذل المجهود في كتاب واحد.

د ـ كتب أهل الكتاب:

١ ـ الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد الصادر عن دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط عام ١٩٨٤ م وهو للبروتستانت.

٢ ـ العهد الجديد الصادر عن جمعيات الكتاب المقدس في الشرق الأوسط عام ١٩٨١.

٣ ـ العهد الجديد الصادر عن المطبعة البوليسية في حريصا بلبنان عام ١٩٦٤ تقديم وتعليق القس جورج فاخوري.

٤ ـ العهد الجديد الصادر عن الكتاب المقدس في العالم العربي والمطبوع في بيروت عام ١٩٨٠ م. الطبعة الثانية.

٥ ـ التوراة السامرية ترجمة الكاهن السامري أبي الحسن إسحاق الصوري. نشرها وعرف بها وعلق عليها الدكتور أحمد حجازي السقا. الطبعة الأولى دار الأنصار بالقاهرة عام ١٣٩٨ هـ ١٩٧٨ م.

٦ ـ إنجيل برنابا تقديم الدكتور خليل سعادة والناشر محمد رشيد رضا.

٧ ـ ملامح الألوهية للدكتور رأفت عماري ـ الطبعة الأولى عام ١٩٨٦ م.

٨ ـ أقنوم الحق الفريد، نظرة على عقيدتي التثليث والتجسد للدكتور رأفت عماري.

٩ ـ من هو المسيح، وهو تفسير لإنجيل مرقس تأليف عبد المسيح. وهو صادر عن نداء الرجاء.

١٠ ـ هطه عقائدنا تأليف ج. كلايد تارنر. المنشورات المعمدانية ـ الطبعة الثانية عام ١٩٧٢ م.

١١ ـ تنقيح الأبحاث للملل الثلاث اليهودية والمسيحية والإسلام لسعد بن منصور بن كمونة اليهودي. تقديم الدكتور عبد العظيم المطعني ـ طبعة دار الأنصار.

١٢ - اليهود نشأتهم وعقيدتهم ومجتمعهم من واقع نصوص التوراة كتابهم المقدس للمحامي زكي شنودة طبعة مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة عام ١٩٧٤ م.

١٣ - تاريخ الأمة القبطية.

الفهْـــرس

الموضوع — الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع	الصفحة